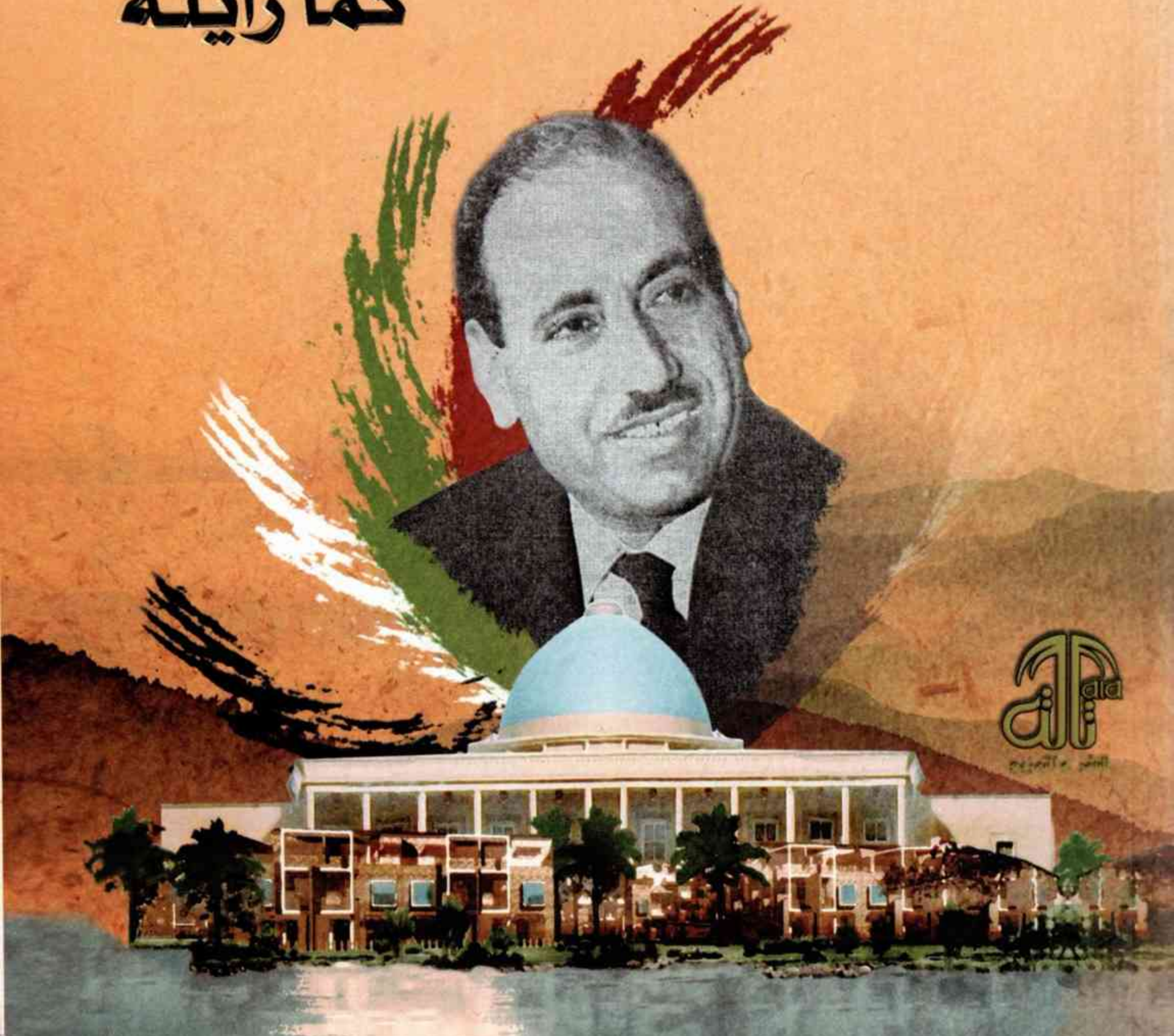
د. صبحي ناظم توفيق

الرئيس عبدالسلام محمد عارف... كما رأيته



الرئيس

عَبدُ السَلام مُحَمَّد عارف

كما رأيتُهُ

الدكتور

صبحي ناظم توفيق

مقدمة المؤلف

"عبد السلام محمد عارف"- العقيد الركن- الضابط العراقي المُحتَرِف... الموصوف بـ"مُقتَحم بغداد" فجر يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ بلواء المشاة العشرين من الجيش العراقي، ومُزيل النظام الملكي بضربة مُباغتة قاضية خلال بضع ساعات، وقبل أن يصل "الزعيم الركن عبد الكريم قاسم" الى مبنى وزارة الدفاع في منتصف ذلك النهار... المُعيَّن نائباً للقائد العام للقوات المسلحة العراقية، ونائباً لرئيس الوزراء، ووزيراً للداخلية في وقت واحد... والداعي الى الوحدة الفورية مع "الجمهورية العربية المتحدة" بزعامة الرئيس "جمال عبد الناصر"... والمُختلف مع "عبد الكريم قاسم" بعد إنقضاء شهرَين على "الثورة"، والمُحاوِل لإغتيال زعيمه غدراً، والمحكوم عليه بالإعدام، والمسجون لسنتَين متتاليتين.. والمنصوب رئيساً للجمهورية (١٩٦٣) ولو بشكل رمزي... وقائد حركة ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٣ والقاضي على "حكومة البعث"... و"المشير الركن" ورئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة العراقية، ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة، والمتمتّع بصلاحيات شبه مطلقة... لَهُوَ شخصيّةٌ- مهما قيل عنه- ينبغي دراسته والتعمّق في أغواره وسبر أعماقه، بأيجابياته وسلبياته، وصولاً إلى تقويمه.

لذلك فلمّا عزمتُ- بعد الاتّكال على العليّ القدير- على إظهار هذا الكتاب إلى الوجود، رأيتُ وجوباً أن أستشير قادة سياسيين وآخرين عسكريين، وأساتذة في التأريخ، والعديد من أصدقائي الذين عاصرنا معاً عهد الرئيس"عبد السلام محمد عارف"، فشعرتُ في طروحاتهم ورؤاهم ونصائحهم مزيجاً غير متجانساً من الأفكار والأحاسيس والمشاعر والآراء... فهناك من كان يدفعني بحرارة لتسليط ضوء غير مسبوق على هذا الرجل، وآخرون أحبطوا إندفاعي لأن "عبد السلام عارف" -في رأيهم- ليس أهلاً لأسهر الليالي وأُجهِدَ

نفسي وأعاني لأجله!!... وهناك من فرح كثيراً كونَه سيطّلع على معلومات خُبِّئَتْ في الصدور طيلة عقود، إذْ لم يصدر عن حياة هذا الرجل سوى كتابَين، أوّلهما شبه رسمي في عهد أخيه "الرئيس عبد الرحمن محمد عارف" بمناسبة مرور عام على مصرعه، والثاني -مع تقديري لمؤلفه المرحوم السيد "أحمد فوزي"- لا يعدو كونه جمعاً لمعلومات نُشِرَتْ عن الرئيس الراحل هنا وهناك... فيما إعتبره البعض مجرّد ضابط عسكريٍ مُتَهوِّر أقحَم البلاد، أو تسبّب في زجّ العراق في خضمّ سيول من الدماء ومعضلات عقيمة وإنعدام إستقرار ما زال مواطنوه يعانون منه... وهناك من وجد فيه شخصاً لم يحكم العراق إلاّ بعقلية عسكرية مصحوبة بالعشائرية وبعض المَذهَبية... بينما رأى فيه العديد زعيماً وطنياً وقومياً، زاهداً ومتواضعاً، لم يكن مبتغاه إلاّ إيصال بلاد الرافدين إلى مصافٍ عليا، ولكن المُحيطين به ظلموه وذلّوه وأساءوا إلى سمعته.

لكني طالما كنتُ أحلم وأتمنى من صميم نفسي، أن يأتي يوم أنهي فيه كتاباً يحمل إسم "عبد السلام محمد عارف"، ليحتضن في مُتونه تلك اليوميات التي أدرَجتُها بتجرّد، وبعقلية ضابط برتبة "ملازم ثان" منذ أيام شهر آب/ آغسطس ١٩٦٤ ولغاية يوم مصرعه في حادث الطائرة المعروف، مشتملاً في صفحاته مشاهداتي عن قرب لهذا الرجل الذي قاد أو صنع أو شارك في أحداث العراق الساخنة طيلة ثماني سنوات، كان خلالها حديث المجتمع العراقي والشرق الأوسط ومعظم الوطن العربي وبعض العالم، ومن دون أن أستند إلى مقالات صحفية وأوراق ومجلات وصفحات دراسات وبحوث.

وإذْ شاء القدر في حينه، أن أُعَيَّنَ ضابطاً في فوج الحرس الجمهوري الأول، المُستقر بسراياه قرب القصر الجمهوري، والمسؤول بمشاته وأسلحة إسناده عن حماية القصر نفسه، ومبنى الإذاعة والتلفزيون، ودار سكنى عائلة رئيس الجمهورية... فقد كتب عليّ القدر ذاته أن أكون وجهاً لوجه مع "عبد السلام محمد عارف"، أو إلى جنبه، أو ناظراً إليه عن بعد بضعة أمتار أو عشرات منها بشكل يومي حيناً، أو لمرات عديدة في الأسبوع الواحد، حتى بلغت

المئات، مُسجِّلاً كل ما يبدر عنه، وعن المحيطين به، وبعض أهم زائريه، من أحاديث أو تصرفات أو أعمال.

ومن قبيل الوفاء أن أذكر الفضل الأساس في إعداد هذا الكتاب، لأقول أنه يعود إلى المرحوم "اللواء الركن عمر علي" -أحد إبطال حرب فلسطين (١٩٤٨)- حينما زرتُه في مسكنه لأُبلِّغه تحيات "عبد السلام عارف"، حيث أبدى ندمه الشديد على عدم تسجيل ذكرياته خلال جميع حياته العسكرية المديدة وغيرها، ناصحاً إياي أن أقتني "مُفكِّرة" أُدرج فيها ما يدور في أروقة القصر الجمهوري ومسكن عائلة رئيس الجمهورية ومواقع أخرى محتملة، من أحداث ومفارقات ومشاهدات، ما دمتُ ضابطاً بالحرس الجمهوري في ظروف غير مستقرة يعيشها عراقنا الحبيب منذ عام (١٩٥٨)، ومتعايشاً في خضم إرهاصاتها، بل وعلى مقربة من رأس الهرم.

ولكن القرن العشرين طوى ثلاثة من عقوده، في ظل نظام حكم ظلّ مُصراً على عدم إستذكار ما أطلق عليه تسمية "الحكم العارفي" إلاّ بالسوء، حتى وجدتُ الشيب قد غزا كل ما بقي من شعر في فروة رأسي، فعزمتُ على ولوج هذا الكتاب عام (١٩٩٧)، وبعد سنتين من حصولي على شهادة الدكتوراه في التأريخ، خشية أن يستعيد العلي القدير أمانته... فإن ظَهَرَ إلى حيّز الوجود، فَبِها... وإن لم يظهر فسيكون بمثابة "مخطوطة" عن حياة "عبد السلام محمد عارف" وبعض تأريخ العراق المعاصر، قد تفيد منها الأجيال اللاحقة، على شكل "علم يُنْتَفَعُ منه".

ولكن، حالما أكملت الفصول الثلاثة الأولى -إعتماداً على مذكراتي- حتى وجدت نفسي مُصاباً ببعض الحيرة وسط أخطر محاولة إنقلابية تعرّض لها "عبد السلام عارف"، فإنْ أدرجتُ مجرّد ما سجّلتُه عنها، أكون مُقصِّراً وتكون وقائعها مبتورةً... فما كان لي إلاّ الإلتجاء إلى بعض صانعي أحداثها، لأستقي منهم حقائق ما وقع، فكانوا -أطال الله في أعمارهم وعافيتهم- خير عون لي، ولربما تكامل متن هذا الكتاب بفضل ما تكرَموا عليّ من حديث، وما كتبوه من وقائع غير مسبوقة، مُسجِّلين على رقبتي دَيناً لا أنساه طيلة ما تبقّى من حياتي.

ولما إنتهيتُ من تبييض صفحات الكتاب عام (١٩٩٨)، نصحني الأستاذ "العميد خليل إبراهيم حسين الزوبعي" -رحمة الله عليه- أن لا أتورّط بتقديمه أمام أنظار "دائرة الرقابة على المطبوعات" التابعة لوزارة الإعلام، لأن أية موافقة على طبع كتاب يحمل اسم "عبد السلام محمد عارف" تعتبر من عداد المستحيلات... وكذلك وجّهني زميلي الأستاذ "مؤيد عبد القادر"-المدير الأسبق لتلك الدائرة- وبعده صديقي العزيز "اللواء الركن عبد الخالق فيصل الشاهر"، إذْ كان رأيهما أن كل صفحة من الكتاب تحتوي حقائق محدّدة يمكن أن يفسّرها النظام مديحاً لشخص "عبدالسلام"، ومَسّاً بتصرفات قادة حزب البعث، ومحاولة للمقارنة مع صروفاتهم ولعبهم بأموال العراق والبذخ البائن على القصور، والترف المشهود لأولادهم.

طال إنتظاري سنوات عجاف، ولكنها كانت ذات فائدة كي أُعيد النظر وأُمَحِّصَ ما أوردتُه في الكتاب، وأُصقِل محتوياته، حتى إنهار النظام، وآن الأوان.

وإنْ كان أساتذتي المؤرّخين الكرام يلومونَني، فإنني أعتذر منهم لعدم إلتزامي في هذا الكتاب بمنهج بحث تأريخي محدَّد، فقد آليتُ على نفسي أن لا أتقيَّدَ بشيء يحدّد من تمتّعي بأقصى درجات الحرية في إعداده.

وتأسيساً على الحكمة القائلة "التأريخ يكتبه الأبطال"... وسواء قَبلَ القارئ الكريم نَعتَ "عبد السلام محمد عارف" بـ"البطل"، أو كان ينظر إليه خلاف ذلك، فإن هذا الرجل كان أحد الذين رسموا سنوات عديدة من تأريخ العراق المعاصر... لذلك، فإن كتابنا هذا لا يسلّط مجرد ضوء على رجل يستحق الأضواء فحسب، بل على أحداث ووقائع فرضت أوزارها لسنوات عدة على هذا البلد الذي أُبتُلِيَ بـ"ثورة بيضاء" حيناً، و"إنقلاب أسود" حيناً آخر، وبتلك "الإنتفاضة الشفافة" وهذه "الحركة الرعناء"، وما إلى ذلك من مُسَمَّيات شاعت أدبيات أنظمة الحكم المتنوعة ووسائل إعلامها المختلفة إطلاقها على هذا التحرّك السياسي أو ذاك، وهذه العملية أو تلك.

ومما لا جدال فيه، أن يختلف القراء الكرام في رؤاهم حيال شخص "عبد

السلام محمد عارف"، ونحو تلك الأحداث التي وقعت أبان حكمه... ولكن -والله يشهد- وعلى الرغم من كوني إنساناً ذا أحاسيس ومشاعر محدّدة، فقد حاولتُ التجرّد -قدر المُستطاع- من عواطفي، عندما سَطَّرتُ في صفحات هذا الكتاب تلك الوقائع التي شاهدتُها بأمّ عينيّ أو سمعتُها أو عشتُها وسجّلتُها من يوميات، لأكون سارداً للمَشاهد والأحداث من دون تحليل معمّق لمحتوياتها، كي أدع القارئ ليكون هو بشخصه وذاته حَكَماً فَيصلاً في تقويم هذا الرجل وتلكم الوقائع التي يشتملها الكتاب في فصوله الخمسة الآتية:-

أولاً- "عبد السلام محمد عارف" في حياته الخاصة (ثلاثة مباحث).

ثانياً- "عبد السلام محمد عارف" في إدارته للدولة (عشرة مباحث).

ثالثاً- "عبد السلام محمد عارف" والإرهاصات السياسية (ثلاثة مباحث).

رابعاً- "عبد السلام محمد عارف" والمحاولة الإنقلابية الأخطر في عهده (ثلاثة مباحث).

خامساً- مصرع "عبد السلام محمد عارف" (سبعة مباحث).

وأرى لزاماً عليَّ، ودَيناً كبيراً، أن أُسجل جُلّ إعتزازي لأساتذتي الكرام، الذين شرّفوني وشرّفوا هذا المؤلَّف بتقديمهم لإياه، مُبدين آراءَهم السديدة، سواء إزاء شخص "عبد السلام محمد عارف"، أو حيال الكتاب نفسه وهم -حسب تسلسل أعمارهم-:

- الأستاذ ناجي طالب -رئيس الوزراء الأسبق، وحامل أكثر من حقيبة وزارية في العهود الجمهورية المتلاحقة.
- الأستاذ صبحي عبد الحميد -وزير الخارجية والداخلية الأسبق، وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة.
- الأستاذ الدكتور كمال مُظهِر أحمد -أستاذ التأريخ بجامعة بغداد.
- الأستاذ الدكتور سعد ناجي جواد- أستاذ العلوم السياسية بجامعة بغداد.
- الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف- أستاذ التأريخ بجامعة بغداد.

ولا بدّ لي من ذكر أولئك السادة الذين أغرقوني بفضلهم، عندما فتحوا أبوابهم، وقبلوا زياراتي العديدة لهم، كاتبين أو ذاكرين أو مُبدين آراءهم، أو محلّلين الأحداث التي وقعت في عهد "عبد السلام محمد عارف" وصولاً إلى حادث الطائرة الذي أودى بحياته مساء يوم ١٢ نيسان/ أبريل ١٩٦٦... وهم:

- الأستاذ ناجي طالب.
- الأستاذ صبحي عبد الحميد.
- الأستاذ هادي خماس –مدير الإستخبارات العسكرية الأسبق.
- اللواء الطيار ممتاز عبد العالي السعدون –رئيس جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا الأسبق.
- العقيد الطيار عدنان أمين خاكي- الطيار الخاص لطائرة "عبد السلام محمد عارف".
- الفريق الطيار صفاء شمس الدين خالص –قائد طيران الجيش الأسبق.
- الرائد إحسان عارف آغا- المُرافِق الشخصي للسيد "عارف عبد الرازق".
- السيدة وفاء عبد السلام محمد عارف –كبرى بنات الرئيس "عبد السلام محمد عارف".

وختاماً أسجل كل تقديري وإحترامي لكل من شجّعني أو دفعني أو عاونني في إعداد هذا الكتاب بشتى الطرق، أو راجع محتوياته أو صحّح صفحات مسودته، وهم:-

- المرحوم الأستاذ خليل إبراهيم حسين الزوبعي– العالم والمؤرخ المعروف، ووزير الصناعة الأسبق.
- الأستاذ عبد الكريم هاني-الوزير الأسبق.
- الفريق الركن طارق محمود شكري –المفتش العام للقوات المسلحة العراقية الأسبق.

◆ الأستاذ نجدت قاسم الصالحي -صديق العمر- أمين عام مجلس الجامعة المستنصرية.

◆ الأستاذ محمد أحمد الخطيب –صديق العمر.
◆ العميد الركن المتقاعد ثابت عبد الغفور عبد القادر –صديق العمر.
◆ الست سوسن إسماعيل العساف –الباحثة والتدريسية بمركز الدراسات الدولية، والتدريسية وطالبة الدكتوراه في كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد.

◆ السيد ماجد قاسم نعمان –مسؤول المتابعة بمركز الدراسات الدولية –جامعة بغداد... مُنَضِّد الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

◆ السيد نَزيه الكُبَيسي –أمين المكتبة الوطنية الأسبق.
◆ السيد حسن جهاد –الذي أهداني الكتاب الموسوم "الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف" (١٩٦٧).

◆ زوجتي وبناتي العزيزات جميعاً.
◆ السيد جنكيز خليل عبد الله – صهري.
◆ المهندس سرمد جلال النقيب – صهري.

وأرجو الباري القدير –عز وجل- أن أكون قد وُفِّقتُ في كتابي السابع عشر هذا، وخدمتُ التأريخ، وإجتهدتُ في سبيل العلم والمعرفة... متمنّياً أن يتمتع القارئ الكريم في تفاصيله ومفرداته، ويسامحني إن عَبَرَتْ عليّ أخطاء لم يسعفني الحظّ في تداركها.

ومن الله سبحانه وتعالى –ندعو التوفيق والستر.

الدكتور صبحي ناظم توفيق
الخبير بمركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد
بغداد – في ٢٠٠٥/٤/٤

تقديم

الأستاذ ناجي طالب

رئيس وزراء العراق (١٩٦٦-١٩٦٧)

لم أكن راغباً في أن أُقدِّم لهذا الكتاب الموسوم "عبد السلام محمد عارف" كما هو شأني مع غيره... إلاّ أن الدكتور صبحي ناظم توفيق -الذي يحلو أن يُسمّي نفسه "تلميذي"- في الوقت الذي أعتبرُه أخاً أصغر لي وصديقاً، حين أودَعَ لي مسوّدة كتابه هذا، فقد أثار في ذاكرتي -بعد تصفّحي لعموم أوراقه- العديد من الأحداث المهمة التي أعادتني إلى تلكم الأيام التي عشتُها عن قرب مع الكثير منها عند منتصف القرن الماضي (القرن العشرين)، وهي أحداث تركت، من غير شك، آثاراً عميقة في تأريخ عراقنا المعاصر... ولذلك لم أجد بُدّاً أن أُلبّي رغبتَه، وخصوصاً بعد أن لمستُ كَمّ من الجُهد المشهود قد بَذَلَه هذا الأخ في إنجاز هذا العمل المهم، الذي لا يسعني إلاّ أن أُهنّئه عليه.

لقد كان الكاتب، والحقّ يُقال، دقيقاً في ملاحظاته، مُخلصاً في تسجيل مشاهداته عن حياة "عبد السلام محمد عارف" وتصرّفاته الشخصية، كرئيس للجمهورية، ووفقاً لرؤية ضابط حدث في "الحرس الجمهوري"، يرصد رئيسَه عن بُعد أو قُرب، معتمداً على ذاكرته، وعلى يوميات كتبها في حينها، فكان موفَّقاً في ذلك، وخصوصاً بعد أن أضاف إليها ما سمعه من أشخاص عاصروا "عبد السلام" سواءً كانوا من مؤيّديه أو مُناوئيه وخصومه، أو صُنّاع القرار في عهده، ممّن أبدوا رأيهم حيال الأحداث التي وقعت خلال السنتين اللتين سبقتا وفاته مساء يوم ١٢ نيسان ١٩٦٦.

وأرجو أن يتذكّر القارئ أن الأحداث التي تناولها الكاتب، والتي تغطّي بعض ما وقع خلال السنتَين الأخيرتين من حياة "عبد السلام" -على خطورتها- إنما كانت إفرازات ونتائج طبيعية لأحداث أخطر سبقتها... فحكاية "عبد السلام" بدأت قُبَيلَ قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وإمتدّت حتى يوم وفاته، وكان هو وسط تلكم الأحداث، أو على رأسها أكثر الأحيان... فعمره السياسي، الذي لم يَزِدْ عن سبع سنوات، لم يَخْلُ من الغرابة والمفارقات... لقد بدأ بطلاً لثورة كبرى

يوم فاجأ العالم بإلقاء بيان ثورة ١٤ تموز الأوّل من دار الإذاعة العراقية، مُعلناً سقوط النظام الملكي وإقامة النظام الجمهوري في البلاد، ولكنه ما لبث أن تحوَّل بعد ثلاثة أشهر من ذلك اليوم التأريخي إلى نزيل سجن محكوم عليه بعقوبة الإعدام، وليمكث فيه طيّ النسيان أكثر من ثلاث سنوات، حتى تَبَوّأ بعدها وبلا مقدّمات منصب "أوّل رئيس لأوّل جمهورية تُقام في العراق خلال التأريخ كله.

لقد جاء به "حزب البعث" إلى سدّة رئاسة الجمهورية يوم ٨ شباط ١٩٦٣، مع أنه لم يكن عضواً في الحزب، وقد رضي هو بتولّي هذا المنصب ولو من غير صلاحيات حقيقية، ولكنه لم يلبث بعد بضعة أشهر أن أنقلب على أولئك الذين وَلّوهُ منصب الرئاسة، ليتحوّل هذه المرّة إلى رئيس يُهَيمن على كل السلطات في البلاد، وقطباً في جوّ سياسي متوتّر يسوده صراع خفي على السلطة مع أنصاره الذين آزروه في إنهاء دور حزب البعث في الحكم يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، ذلك الصراع الذي طغى على المشهد السياسي في البلاد، ولم يَنْتَهِ حتى بعد أن فارق "عبد السلام" الحياة -رحمه الله- في حادث طائرة سمتيّة تسقط قضاءً وقدراً.

"عبد السلام محمد عارف" -رحمه الله- كان واحداً من قادة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وأحد أعضاء "اللجنة العليا للضباط الأحرار" الذي خطّطوا لتلك الثورة ونفّذوها... عرفتُه عن قرب عام (١٩٤٩) حين إلتحق بكلية الأركان كتلميذ في الدورة (١٥) التي كنتُ يومذاك أحد مُعلّميها... ثم إلتقيتُ به عام (١٩٥٧) وبعده خلال إجتماعات "اللجنة العليا للضباط الأحرار" المتعدّدة أيام الإعداد للثورة... وزامَلتُه بعد نجاحها عضواً في السلطة التنفيذية عدة مرات حتى وافاه الأجل ليلة ١٢/١٣ نيسان ١٩٩٦.

كنتُ أراه ضابطاً متوسط الذكاء، فرديّ النزعة، لا يحسن العمل مع الآخرين أو ينسجم معهم، ولا يرتاح الآخرون إلى العمل معه لفرط إعتداده برأيه الذي يبلغ حيناً حدّ العناد، وحتى الخصام... ولم أشعر أنه كان يثق بأحد، ولاسيّما خلال السنتين الأخيرتين من حياتِه في السلطة... ولكن الرجل، رغم ذلك، يتميّز بالجرأة والإندفاع غير المحسوب أحياناً، وهذه مجتمعة كان لها، من غير شك، أثرها المباشر في نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ذلك النجاح المُذهل الذي لعبت الأقدار والصُدَف

كذلك، أدواراً عجيبة ومصيرية فيه خلال الأيام القليلة التي سبقته، لتخرج العملية بالتالي وكأنها كلّها مخطّطة، لتسير بالشكل الذي رُسِمَ لها وإنتهت إليه.

ومهما يكن من أمر، فأن "المؤلّف" في كتابه هذا لم يَكتَفِ بمجرد ذكر مشاهداته لمجريات حياة "عبد السلام" كما قد يبدو للقارئ من عَنوان الكتاب، ولكنه جاء ليغطّي وبعمق العديد من أحداث سنتين حُبلَيَين من تأريخ العراق المعاصر، وقد أثارت تلك الأحداث في نفسي الرغبة في أن أُضيف إليها وبإختصار شديد بعض الخواطر والإنطباعات التي أراها ذات فائدة للدارسين.

أن الصراع الذي طغى على المسرح السياسي في بلادنا خلال حقبة الستينيات من القرن الماضي بين القوى السياسية التي تداولت الحكم، كان في حقيقته تنافساً على السلطة وتشبثاً بالحكم، لم تَجْنِ البلاد من ورائه غير المتاعب والدمار والضياع الذي نعانيه اليوم.

وإذا ما عدنا إلى منتصف عام (١٩٦٥) نجد أن الخلاف الذي وقع يومها، والذي سمّاه المؤلِّف "أزمة تموز الوزارية"، قد حدث بسبب تقديم أحد الوزراء من "الكتلة القومية" إستقالته حول موضوع ثانوي وشخصي، لم تكن له علاقة بأية مسائل عقائدية أو مناهج سياسية، وما كان يُبرِّر، وبكل تلك البساطة، تضامن خمسة وزراء آخرين مع الوزير المُستقيل، وخلق ضجّة لا معنى لها وسط التيار القومي الذي كان يرفع شعار الوحدة ويعمل لها، ممّا يمكن إعتباره موقفاً مناقضاً تماماً للمبادئ والتوصيات التي كانت قد تم الإتفاق عليها وإقرارها من قبلُ في آخر إجتماع لمجلس الرئاسة المشترك عُقِدَ برئاسة الرئيس "عبد الناصر" وأُتُفِقَ فيه على تأليف "قيادة سياسية موحَّدَة" تحلّ محل "مجلس الرئاسة المشترك" الذي كان مُكلَّفاً بالإعداد للوحدة.

وكان بودّي لو أن "المؤلِّف" بَيَّنَ السبب الحقيقي لتلك الأزمة، الذي هو الخلاف الذي دبّ بين الكتلة القومية من جهة وعبد السلام عارف من الجهة الأخرى، والذي كان وراء كل ما وقع في البلاد بعدئذ من أحداث، ومنها الأزمة التي أُشير إليها، فضلاً عن انهيار الإتحاد الإشتراكي كتنظيم سياسي يدعم النظام، ثم فشل وزارة السيد "طاهر يحيى" الثالثة في تنفيذ المهام التي عهدت إليها في كتاب التكليف، وعلى رأسها

الإنتخابات العامة في البلاد، وأخيراً الإخفاق الذي صاحَبَ العمل الوحدوي بعدئذ في كل مراحله حتى إنتهى إلى الهزيمة في ١٧ تموز ١٩٦٨ ..

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن، أن موضوع إستبدال "مجلس الرئاسة المشترك" بـ"القيادة السياسية الموحدة" الذي تناوله المؤلِّف أيضاً، كان في حقيقته محاولة من الرئيس "عبد الناصر" لرأب الصدع في العلاقة بين الكتلة القومية "وعبد السلام" والحدّ من توتّر العلاقات حول صدقيّة العمل للوحدة، كما كان يُقال، فأُعتُبِرَتْ "القيادة السياسية الموحَّدة" آليّة أكفأ وأنشَط لتحقيق الوحدة التي كانت الكتلة القومية تلحّ على الإسراع فيها .

لقد كنتُ مقتنعاً، يومذاك، أن الرئيس "عبد الناصر" لم يكن متحمّساً أو مُتعَجِّلاً في إقامة وحدة مع العراق، ليس فقط لأنه لم يلمس لدى "عبد السلام" الرغبة والجدية في إقامة وحدة، بل لأن "عبد الناصر" والمصريين عموماً أضحوا الآن، وبعد كل التجارب التي مرّوا بها، أكثر موضوعية وفهماً لحقائق الأمور يومذاك، وكلّها لم تكن تشجع على إقامة وحدة لا تتوفر لها أسباب الحياة، وكنتُ أشعر أن موقف الجانب المصري نحو العراقيين في تلك اللقاءات لم يزد عن كونه موقف مجاملة أكثر من أي شيء آخر.

وفي ثنايا هذا الكتاب يُشير "المؤلف" إلى العديد من المواقف والأحداث الأخرى التي تؤيد ما ذكرتُه، ولكن ما أسترعى انتباهي-أكثر من أي شيء آخر-كانت "النصيحة" التي ذكرها المؤلف، والتي وجّهها الرئيس "عبد الناصر" إلى نظيره العراقي بشأن تأسيس تنظيم عسكري (سري) داخل القوات المسلحة وفق ما كانت "مصر" تسير عليه، بدعوى الاعتماد عليه في حماية نظام الحكم.. وهذه، في اعتقادي، كانت بداية الكارثة" المسؤولة عن خلق التكتّلات العسكرية في صفوف القوات المسلحة العراقية، وبالتالي انغماس الجيش في السياسة... والخطورة في الأمر أن ذلك يتمّ بعلم وتشجيع ومشاركة السلطة ذاتها بدءاً من رئيس الجمهورية... والأنكى من ذلك جميعاً، أن تلك "النصيحة" تناقضت مع ما ورد في إحدى فقرات (برنامج العمل السري) الذي أُبرِمَ بين القيادتين العراقية والمصرية خلال شهر أيار/ مايو١٩٦٥ في "القاهرة" والتي تنص على((وحدة الجيش وإبعاده عن الحزبية والتكتلات السياسية))، وقد أشار إليه

"المؤلِّف" في "الفصل الثالث" من كتابه هذا... والذي لم يطبق على أرض الواقع لأكثر من سبب، كان على رأسه انعدام الثقة بين الإرادات المتصارعة.

وفي هذا الكتاب يروي "المؤلف" عن مصادر لا يرقى إليها الشكّ، كيف أن واحدة من تلك الكتل العسكرية والتي يُسمّيها المؤلف "كتلة الضباط القوميين" التي أوعز "عبد السلام عارف" بإعادة تنظيمها، وكانت تعتبر نفسها الأقرب إليه والأكثر ولاءً له، تتحوّل، ربما بدافع الطموح أو الرغبة في السلطة، إلى قوة سياسية داخل الجيش وتقرر سحب ثقتها عن "عبد السلام" بدعوى عدم جديته في تحقيق الوحدة، وكأنها ندّ للرئيس، وبعد قليل تتخذ قراراً بتنحيته عن منصبه، وتحاول بعد ذلك تنفيذ هذا القرار بالقوة في الانقلاب الفاشل الذي قام به "عارف عبد الرزاق" وهو على رأس السلطة، والذي لم يكن له ما يبرره أبداً، فلا المصريين كانوا مهتمّين في إقامة وحدة مع العراق، كما ذكرتُ آنفاً، ولا كان الداعي للانقلاب من النوع الذي يمكن أن يقبله أو يصدقه الرأي العام العراقي الذي كان يعتبر "عبد السلام" الداعية الأول للوحدة.

والمُحزِن حقاً، أن هذه المحاولة تُكرَّر ثانية وتفشل مرة أخرى، ليكون حصاد النضال القومي بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فتور العلاقة بين القاهرة وبغداد وإخفاق العمل الوحدوي، ومن ثم استيلاء كتلة عسكرية جديدة على السلطة يقودها "عبد الرزاق النايف" ليسلمها إلى حزب البعث في ١٧ تموز ١٩٦٨.

وأخيراً، وقبل أن أختتم هذه السطور، لابد لي أن أقول أن كتاب أخي "الدكتور صبحي ناظم توفيق" هذا، كتاب ممتع ومفيد حقاً، وعلى الأخص ما تحتويه هوامشه وتحليلاته للأحداث من معلومات كثيرة وصور متعددة ينقل القارئ بينها، وتشدّه إليها، وأنا واثق أنه بكتابه الجديد هذا يضيف إلى المكتبة التاريخية/السياسية العراقية والعربية مؤلَّفاً جديراً بالاهتمام والدراسة، أُهنِّئُه عليه بكل إخلاص.

ناجي طالب

بغداد في ٢٠٠٥/٣/٢٥

الأستاذ صبحي عبد الحميد

عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة ووزير الخارجية والداخلية الأسبق

"عبد السلام محمد عارف" هو البطل الحقيقي لثورة ١٤ تموز١٩٥٨ . كان "عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف" عضوان في "اللجنة العليا لتنظيم الضباط الأحرار"، وفي حزيران ١٩٥٨ قرّرا الإنفراد بالقيام بالثورة وإمتنع "عبد السلام" عن حضور إجتماعات اللجنة، بينما إستمر "عبد الكريم" حضور إجتماعاتها للتغطية على ما كان يخطّطان له.

وعندما صدر الأمر إلى اللواء العشرين بالحركة من "جلولاء" إلى "الأردن" كان آمره "العميد الركن أحمد حقي محمد علي"، وكان المرحوم "عبد السلام" آمر الفوج الثالث في اللواء المذكور، فأخبر "عبد الكريم قاسم" بصدور أمر حركة اللواء وقال له: "أنا على إستعداد لتنفيذ الحركة الثورية عند مروّر اللواء من بغداد".. فوافق المرحوم "عبد الكريم قاسم" وإتفقا أن لا يخبرا رفاقهما في اللجنة العليا.

إتصل عبد السلام بزميله "العقيد عبد اللطيف جاسم الدراجي" آمر الفوج الأول في اللواء المذكور، وأقنعه بالإشتراك بالثورة، وكان المرحوم "الدراجي" من الضباط الأحرار.

قبيل الثورة بأيام إجتمع "عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف والدراجي" في "معسكر المنصور"، حيث مقر اللواء التاسع عشر، الذي كان آمره "عبد الكريم قاسم"، ووضعوا خطة الحركة، ووزعوا الواجبات، وإتفقوا على أسماء الوزراء وباقي المناصب العسكرية والمدنية.

وفي يوم الخميس (١٠ تموز) حضر "العقيد عبد السلام" إلى بغداد، وإجتمع مساءً بأعضاء القيادة البديلة (الحلقة الوسطية) الذين كانوا في بغداد

وهم: الرواد الركن جاسم العزاوي، عبد الستار عبد اللطيف، إبراهيم جاسم التكريتي، والمقدم الركن محمد مجيد، وأخبرهم بالخطة ووزع عليهم الواجبات، وأكد عليهم أن يبلّغوا خلاياهم مساء يوم ١٣ تموز.. وهكذا وحسب الخطة نجحت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

وعندما عُدتُ من "الأردن" في يوم ٢٨ تموز ١٩٥٨ وأُستُخدمتُ ضابط ركن في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة، وجدتُ أن "عبد السلامَ عارفَ" يتصرّف كأنه الرجل الأول وصاحب الكلمة العليا، وهذا ما وَلَّدَ النقيض عليه من قبل "عبد الكريم قاسم" الذي بدأ يعمل بصمت للتخلّص من "عبد السلام"، وشعر بذلك "عبد السلام" فأخذ بدوره يعمل بدون حذر للتخلص من "عبد الكريم"، فإستطاع الأخير تنحية "عبد السلام" من جميع مناصبه في شهر أيلول ١٩٥٨ وتعيينه سفيراً في "ألمانيا".

كان "عبد السلام" شجاعاً إلى حد التهَوُر، ولولا شجاعته وإقدامه لما قامت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

كان "عبد السلام" قومياً، وَحدَوياً، مؤمناً بوحدة العراق مع الجمهورية العربية المتحدة، ومتحمّساً لذلك، إلى حدّ أزعج "عبد الكريم قاسم" الذي لم يكن مؤمناً ومتحمساً لهذه الوحدة، ولقد خدع اللجنة العليا قبل الثورة حين وافق على قيام الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة.

وبعد (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣)، عندما أصبحت السلطة كاملة بيد "عبد السلام"، فقد كان يطرح الوحدة على الرئيس "عبد الناصر" في كل مناسبة نذهب بها إلى "مصر"، وكان الرئيس "عبد الناصر" يشعر بأنه غير جاد في طروحاته لأن كرسي رئاسة الجمهورية حلَى في عينَيه، ومع كل ذلك كان الرئيس "عبد الناصر" يحبّه، وكثيراً ما قال لنا أن وحدة الهدف هو السبيل الصحيح للوحدة، وأن إتفاق "مصر" القوية مع "العراق" هو خير للبلدين وللأمة العربية من وحدة بين قطرين عربيّين يفصل بينهما حاجز جغرافي واسع، وحتى لا حدود بحرية بينهما كما كان الحال بين سورية ومصر.

كان "عبد السلام" نزيهاً، نظيف اليد، حريصاً على أموال الدولة، متديّناً يخاف الله، ولم يُعدِم أي شخص سياسي في عهده منذ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ حتى وفاته.

لقد أسفتُ جداً عندما سمعتُ بخبر وفاته وحزنتُ عليه، وتذكرتُ العلاقة الوثيقة والإحترام المتبادل الذي كان بيننا .. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

صبحي عبد الحميد

بغداد-في ٢٠٠٥/١/١٢

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور كمال مظهر

أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة بغداد

مذكرات فريدة في بابها

أغلب الظن يصعب على القارئ أن يترك جانباً أي مبحث أو صفحة ممّا ورد بين دفَّتَي هذه المذكرات، لا فقط لأنها تعالج، بدقة متناهية وعن كثب، أحداثاً في غاية الأهمية شهدها العراق، وإنعكست بصورة مباشرة على الساحة السياسية في مجموعة كبيرة من دول المنطقة وغيرها في مرحلة تأريخية حرجة طافحة بالمتغيّرات، بل أيضاً لأنها تنطوي على قدرٍ كبيرٍ من المعلومات الجديدة والمفيدة التي تضع النقاط على الحروف، وتميط اللثام عن خفايا كثيرة ومحركاتها غير المرئية. وهي، فضلاً عن هذا وذاك، ترسم لنا بموضوعية منقطعة النظير، لم يسبق لها مثيل في مجال موضوعها -على حد معلوماتي-، صورة شخصية مركبة تجمع بين أفضل الصفات وأسوأها، فصاحب تلك الصورة حازم، جريء، طيب، متواضع، أمين، وفيّ، قَويم، متديِّن، وفي الوقت نفسه مزاجي، عنصري، طائفي، أناني، فردي، ذرب اللسان، متعطش للحكم، تملّك منه داء العظمة.

يبدو لي أن مثل هذا الحياد المطلق في رواية كل ما لعبد السلام محمد عارف، وكل ما عليه على حدٍّ سواء، مُتأتٍ من عوامل عدّة، أوّلها أن صاحب المذكرات لم يبحث عن الموقع الذي جعله قاب قوسين أو أدنى من شخص رئيس الجمهورية على مدى نيفٍ وعامين، إنَّما جدارته هي التي مهّدت له الطريق إلى هناك دون أن يتوقّع هو ذلك، أو يخطر على باله من قريبٍ أو بعيد... وهذا يفرض علينا أن نتطرق إلى بعضٍ من صفات هذا الإنسان الّتي لاحظناها عن كثب من خلال علاقات يربو عمرها على حوالي عقدين من الزمن، خلاصتها التواضع والأدب الجّم والذكاء وسرعة البديهة والتواصل والدأب، مما أهَّلَه لأن يكون معروفاً لدى المعنيّين وغيرهم على نطاق واسع بفضل كتاباته المنشورة،

وتعليقاته الرصينة التي تلجأ إليها "إذاعة لندن" وغيرها بين الحين والآخر، فضلاً عن أطروحته المتميّزة عن جيش المغول، وقد أهّلَه كل ذلك، وغير ذلك ليكون أكاديمياً في ثوبٍ عسكري.

أخذ المؤلف، لحسن الحظ، بنصيحة "اللواء الركن عمر علي" عندما زاره خصيصاً بعد أيام قليلة من تعيينه ضابطاً في الحرس الجمهوري، إذْ طلب منه أن يسجل منذ يوم زيارته له "جميع مشاهداته وملحوظاته وآرائه في مذكّرةٍ من الحجم الكبير" لأن الأمور التي يراها اليوم وكأنها إعتيادية سوف تكون "في المستقبل غير البعيد تأريخاً" يحسده الآخرون "على مجرد معرفة تفاصيلها". وبعد أن ودّع الرجل الوقور المخضرم الذي كان يضعه مقام عمّه، وقَبّلَ "يده اليمنى إحتراماً وإعتزازاً" إقتنى في "راغبة خاتون" أول أجندة في حياته، وكان أول ما سجَّل فيها مساء اليوم نفسه كل الكلمات والنعوت القاسية التي قالها عمر علي "بأعلى صوته" بحق عبد السلام عارف.

تحوَّل ذلك إلى تقليد عزيز على نفس الضابط الشاب الجديد في الحرس الجمهوري الذي بدأ يتابع كل صغيرة وكبيرة بآذان صاغية، ويقضي جلّ ساعات فراغه لتدوينها أولاً بأوّل، فإن تسجيل ما سمعه من حديثٍ مهم دار بين الرئيس والدكتور عبد الرحمن البزاز على مدى حوالي ساعتين من الزمن أخذ منه "ساعات الليل حتى الثالثة فجراً" من مساء السادس على السابع من كانون الأول سنة ١٩٦٤، وتكرَّر الشيء نفسه مراراً، لأن عبد السلام محمد عارف تَعَوَّدَ أن يتحاور مع المقرَّبين إليه في حديقة القصر الجمهوري. ولو لم يكن الأمر هكذا لما كان بوسعه أن يقدم لنا كل هذه التفصيلات الدقيقة عن كل شيء يخصّ عبد السلام محمد عارف، بما في ذلك حتى شكل سياج القصر الجمهوري، وإرتفاع أعمدته وزخرفتها مع قياس المسافة بينها والأبراج المنصوبة لحماية القصر، ومن منّا يعرف أن كرة القدم والسباحة كانتا من أعز هوايات الرئيس الرياضية، فكان سيادته يحضر ملعب الكشافة مراراً لمتابعة مباريات كرة القدم حاله في ذلك حال أي شابٍ متحمِّس لهذا الفريق، أو ذاك.

وبفضل ذلك أيضاً نعرف تفصيلات الأوصاف خُلقاً وخلقَةً لكل من كان على علاقة مباشرة بعبد السلام محمد عارف من أفراد الأسرة أو غيرهم، بما في ذلك سائقه الخاص "الحاج أحمد الكَرخي" الذي كَرَّسَ صاحب المذكرات له صفحات أكثر من أي شخص آخر لصفاته الرائعة، وكان عبد السلام يدفع رأس كل شهرٍ جديد راتبه الشهري البالغ خمسة وعشرين ديناراً "من جيبه الخاص عَدّاً ونقداً". وفي زياراته الخاصة كان يخرج مع سائقه الآخر "ن. ض ستار" وحده بسيارة مكشوفة وهو يجلس إلى جانبه في المعقد الأمامي، كما فعل ذلك، مثلاً، عندما زار صديقاً قديماً في محلة "سوق حمادة" بالقرب من "المشاهدة" في صوب الكرخ من بغداد حيث ترجَّلَ هناك و"إنحشر بين جموع الناس على الرصيف" وظلَّ يسير حتى غاب عن نظره، ويتذكر "السائق ستار" إلى اليوم كيف كان "السيد الرئيس يورِّطه مراراً بمثل هذه المواقف" التي إختار منها صاحب المذكرات نماذج معبِّرة تساعد حتماً على فهم شخصية عبد السلام محمد عارف بصورة أفضل.

ومن بين أولاد عائلة الرئيس يشير صاحب المذكرات إلى إسم كريمته الصغرى "جلاء" التي كانت يومذاك تلميذة صغيرة في مرحلة الدراسة الإبتدائية، وهي نفسها التي قُدِّرَ لي أن أُدرِّسَها تأريخ إيران أواخر سبعينات القرن الماضي في قسم اللغة الفارسية بكلية الآداب-جامعة بغداد... أنها كانت في غاية الأدب، وأحسَّت، على ما أعتقد، بمراعاتي لها بسبب وضعها الخاص وقَدَرها الذي حال دون أن تكون طالبة في إحدى أرقى جامعات الدنيا، ولا يخامرني الشك أن اللغة الفارسية كانت آخر ما فكرت بدراستها في حياتها.

وبالأسلوب الهادئ، الرصين نفسه يتحدث صاحب المذكرات عن تصرفات منبوذة للعديد من المنافقين الأفاكين الذين كانوا يعلمون معه ضباطاً في الحرسٍ الجمهوري، دون أن يُشير إلى أسمائهم، فهدفه وضع اليد بأمانة على ما كان يعانيه النظام، ومعه أبناء الشعب، من أمثال هؤلاء الذين تحولوا إلى معولِ هدمٍ وإفسادٍ طوال العهد الجمهوري، وإزدادوا عدداً ومكراً مقيتاً من يومٍ إلىَ آخرٍ، فأوصلوا البلاد والعباد إلى وضع لا يُحسد عليه.

تشغل آراء عبد السلام محمد عارف بجمال عبد الناصر وسياساته على شتى الصُعُد، وظواهر علاقاتهما مع خفاياها حيزاً كبيراً في المذكرات، وهو موضوع له أهميته الإستثنائية في إطار زمانه ومكانه، يهمّ الباحثين والمفكرين والساسة بصورة خاصة. وهنا أيضاً نطّلع على معلومات فريدة، وآراءٍ خطيرة إستقاها صاحب المذكرات ممّا سمعه شخصياً غير مرة من شخص الرئيس العراقي أثناء تجواله في حدائق القصر الجمهوري مع مرافقيه، أو مع وزراء ومسؤولين في الدولة وغيرهم، وأجرى من أجل إستكمال أبعادهما مقابلات مهمة مع عدد كبير من القوميين العرب الناصريين والوحدويين، ورجع إلى مؤلفات بعضهم الآخر، بضمنهم سفير الجمهورية العربية المتحدة في بغداد يومذاك "أمين هويدي" الذي منحه عبد السلام حق الدخول إلى مكتبه "متى ما يشاء نهاراً أو ليلاً".

أراد عبد السلام أن يقلّد عبد الناصر في كل شيء بدوافع الإعجاب في البداية، ومن ثم بدوافع ذاتية أساساً منذ أن تسنّم سدّة الرئاسة، الأمر الذي أدرك الرئيس المصري كنهه بسرعة، ودفع الشعب العراقي ثمنه غالياً، كما حدث فعلاً مع قراراته الإرتجالية بصدد التأميم وإستحداث "المؤسسة الإقتصادية" و"الإتحاد الإشتراكي العربي" وإجراءات أخرى لم يأت أي منها إستجابة لمتطلبات المجتمع العراقي الذي كان يختلف في العديد من خصوصياته وحاجاته على أرض الواقع عن المجتمع المصري. هنا أيضاً قدَّم لنا صاحب المذكرات مادة دسمة، من أفضلها على ما أعتقد، الحوار الطويل والقيم بكل معنى الكلمة، الذي جرى بين الرئيس والدكتور عبد الرحمن البزاز في حديقة القصر على مقربة منه، مما حوَّلَه " إلى آذانٍ صاغية كلياً" ليستوعب كل ما ذكره البزاز للرئيس مخلصاً، مدركاً، إذْ ألقى عليه محاضرة رائعة، عميقة، عزّزها بأمثلة وشواهد مقنعة تستوقف القارئ مهما كان مشربه، وتجعله يقيّم عالياً رجلاً أكاديمياً، سياسياً، مفكراً لم نقدِّره حق قدره، بل لا أرى أي حرج في التأكيد على أن عبد السلام لو أخذ بنصحه لما آل مصيره إلى ما آل إليه قطعاً.

تنطوي المذكرات، في السياق نفسه، على معلومات مهمة للغاية عن الخلافات

المستفحلة بين عبد السلام محمد عارف و"الكتلة القومية" والتي تحولت إلى أزمة سياسية لا نظير لها في تأريخ العراق المعاصر، خصوصاً في شكلها المتدني الذي بلغ حدّ أن يكيل رئيس الجمهورية، لا غيره، "مجموعة مختارة من أرذل الشتائم" بحق عضو "الكتلة القومية" البارز، وزير الثقافة والإرشاد في حكومته "عبد الكريم فرحان"، وأن يصدر مرسوماً جمهورياً يقضي بنقل "عبد اللطيف الكمالي"، العضو البارز بدوره في الكتلة، من منصب مدير عام الإذاعة والتلفزيون إلى وظيفة "مضمّد" في مستوصف "رواندوز" على مقربة من الحدود الإيرانية.

ولا أشك في أن الرواية المفصلة التي يعرضها علينا صاحب المذكرات بخصوص المحاولة الإنقلابية لرئيس الوزراء "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" في غياب رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف، في أنها تستوقف أنظار القراء لأكثر من سببٍ وجيه، فهو شاهد عيان قريبٍ من الحدث الذي يُعَدُّ أغرب حدثٍ من نوعه في التأريخ –حسب وصف "تايمس" اللندنية– لكنه لم يكتف بما رآه بأمّ عينيه، بل تابع فيما بعد أبعاده بالإعتماد على ما ذكره له أبرز صناع القرار في تلك الحقبة، من أمثال "الزعيم غير المنتخب للكتلة القومية صبحي عبد الحميد" فضلاً عن أقرب الناس من شخص رئيس الوزراء عارف عبد الرزاق، ومنهم مرافقه الشخصي على مدى عامين متتالين "النقيب إحسان عارف آغا البيرقدار" الذي شدّ صاحب المذكرات الرحال إلى مدينة "كركوك" خصيصاً للقائه، فتبادل أطراف الحديث معه في أمورٍ عدة غير معروفة عن وقائع المحاولة الإنقلابية وتطوراتها من لحظة البدء بتنفيذها إلى حين نقل قائدها مع جميع أفراد عائلته وعدد من كبار المشتركين معه في المحاولة الفاشلة إلى القاهرة ظهيرة يوم الخميس الموافق للسادس عشر من أيلول ١٩٦٥ بطائرة عسكرية سوفيتية الصنع، مقاعدها خشبية، لأنها كانت مصممة أصلاً لنقل جنود المظلات.

هذه الشواهد، وغيرها بالعشرات، تجعل أكثر الناس تعاطفاً مع عبد السلام محمد عارف مقتنعاً بأن الرجل، ومن كان حوله، أوصلوا البلد، بغض النظر عن نواياهم، إلى حدّ "أن يحترق"، وتدنّت الأمور بسببهم بشكل "لم يسبق له

مثيل في أي عهد من العهود التي مرت على العراق"، فتعمّقت الروح الطائفية، وتفتّت الوحدة الوطنية... ومن المفروض أن يتحول ذلك إلى درسٍ بليغ يقنع الجميع بأن السياسة فنّ معقّد، وعلى من لا يجيد ضوابطه وأحكامه أن يبتعد عنها حتى لا يجلب كل هذه النكبات والويلات على وطنه وأبناء شعبه، وكفانا التمسك بتلابيب نظرية المؤامرة الأجنبية المهلهلة لتغطية ذنوبنا ومسؤولياتنا، وهذا هو الدرس الأول الذي من المفروض أن نستنبطه مما ورد في هذه المذكرات.

إذا كان ولابد أن أبدي بعض الملاحظات على ما ورد في المذكرات فأقول أن مادتها تعاني أحياناً من التكرار ومن آراء غير محسومة في حالات أقل، ومن قدرٍ من الخلل المنهجي، فضلاً عن إستخدام بعض المصطلحات بحق قوى وطنية هُوِلَتْ أخطاؤها بأسلوب متقصِّد، وكما تثبت ذلك مجموعة كبيرة من الوثائق السرية التي نشر الباحث الدكتور "عبد الفتاح علي بوتاني" جانباً منها قبل عام*، وفي كل الأحوال أستغرب كيف سمح إنسان عفيف اللسان بتطرف، أن تتسرب مثل هذه الأوصاف من قلمه المنصف "الرعاع وشذاذ الآفاق وأكلة الأكتاف" بحق المنتمين إلى قوةٍ سياسية عراقية تتشرف بحصتها الكبيرة في المقابر الجماعية وسجلات الإعدامات العشوائية التي تتحدث بصمت رهيب عن تضحياتهم الغالية من أجل الوطن، وبينهم من ينتمون إلى أرومته على حد علمي.

وبالمناسبة لا يمكنني أن أتفق مع صاحب المذكرات في وسمه الحركة الكردية بالعصيان والتمرد، مع العلم أنه سجّل لنا تعريفاً دقيقاً لتلك الحركة على لسان الدكتور عبد الرحمن البزاز الذي أراد مخلصاً، من أجل العرب والكرد والعراق برمته، أن يُفهم عبد السلام محمد عارف أن البارزاني "بات رمزاً للقومية الكردية" في "عصر هو عصر القوميات وليس الأديان والحدود الجغرافية"، فيما تمكن هو من "جمع الدين والقومية، مما أضاف قوة متزايدة إلى قوته"، كما بيّن له خطأ إعتماده على من أسماهم عبد السلام "بأفواج من

---

* الدكتور عبد الفتاح علي بوتاني، من كان وراء حوادث الموصل وكركوك الدامية ١٨ آذار-١٤ تموز ١٩٥٩، أربيل، ٢٠٠٤.

الأكراد مستعدة للقتال ضد البارزاني"... فهم، كما أكد له البزاز، ليسوا "سوى مجاميع من المرتزقة، ولربما يكون معظمهم ذوي وجهَين"، وبحكم هذه القناعات لم يَرَ البزاز "مشكلة في منح الأكراد حكماً ذاتياً وحقوقاً قومية مشروعة" حتى "نخلّص أنفسنا من مشاكلهم ونحسّن صورتنا أمام العالم المتحضّر"، ولإقناعه أكثر شَبَّهَ البزاز الحركة الكردية من حيث النتائج بأخواتها في آيرلندا وفيتنام ولاوس وكمبوديا وجنوب أفريقيا والجزائر، وهي جميعها، كما قال للرئيس نصاً، "لم، ولا، ولن تُحّل عسكرياً"... وأودّ أن أشير هنا إلى أن ما يسمّيه صاحب المذكرات "بحركة التمرد التي كان الملا مصطفى البارزاني يقودها" قد بدأت في أيلول لا في تشرين الأول سنة ١٩٦٠ كما يقول.

مع ذلك أكاد أن أكون على يقين تام من أنه لو قُدّرَ لعبد السلام محمد عارف أن يقرأ ما ورد في هذه المذكرات على لسان عراقي تركماني صادق شكّك هو في "لكنته الكردية أو التركمانية" عندما إلتقاه لأول مرة في حياته، لأعاد النظر في معظم مواقفه وآرائه، بضمنها موقفه من القضية الكردية.

وبعد، يحقّ لصاحب هذه الأسطر أن لا يخامره أدنى شك في أن "عبد السلام محمد عارف.. كما رأيتُهُ" سوف يحتلّ المقام الجدير به في المكتبة العراقية، وفي قلوب قرائه، بغضّ النظر عن قناعاتهم الفكرية.

د. كمال مظهر احمد

بغداد- في ٢٠٠٥/٦/٢

تقديم

الأستاذ الدكتور سعد ناجي جواد

كلية العلوم السياسية-جامعة بغداد

عندما طلب مني الأخ الأستاذ "صبحي ناظم توفيق" أن أكتب تقديماً لجهده المتميز "عبد السلام محمد عارف.. كما رأيته" شعرتُ بحرج كبير ولأسباب عديدة، أولها وأهمها أن الأخ الطيب "صبحي" لا يمكن أن يُردّ، خاصة وأنه بذل جهداً كبيراً يستحق عليه التهنئة. والأسباب الأخرى تتعلق بحرصي على عدم الكتابة عن أشخاص رحلوا خشية أن أظلمهم بحكم أو برأي قد يعتبره البعض إساءة، في الوقت الذي لا أقصد فيه ذلك...

فالمرحوم "المشير الركن عبد السلام عارف" شخصية أثارت وتثير الكثير من الجدل بين العراقيين... فهناك من يرى فيه شخصية شجاعة إستطاعت أن تثبت شجاعتها في كثير من الأحداث، ويستدلّون على ذلك بإقدامه على القيام بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، في عملية لم تملك من حظوظ النجاح سوى النزر اليسير، وإقدامه على مواجهة هيمنة حزب البعث في عام ١٩٦٣ والإطاحة به، وتصرفاته الشخصية الأخرى التي كانت لا تبالي بالحماية والمرافقين والإجراءات الأمنية الأخرى... وقسم آخر يرى فيه شخصية طائشة، ويستدلون على ذلك بتصرفاته وأحاديثه بعد نجاح ثورة ١٤ تموز مباشرة.. في حين أن قسماً آخر يرى فيه شخصية جلبت الكوارث على العراق عندما أقدم على تنفيذ الثورة والإنفراد بها مع المرحوم "الفريق الركن عبد الكريم قاسم"، ونقل البلد من دولة مؤسسات و(ديمقراطية) محدودة جداً إلى بلد تهيمن عليه المؤسسة العسكرية التي لم تكن لها خبرة في الشؤون السياسية... وقسم رابع يرى فيه شخصية ناكرة للجميل وحقودة، ويستدلّون على ذلك، بموافقته، أو سكوته، على إعدام "عبد الكريم قاسم" في الوقت الذي كان فيه الأخير قد عفا عنه وألغى عقوبة الإعدام بحقه بعد أن حاول إغتياله، وبعمله على الإطاحة بحزب البعث والبعثيين الذين أتوا به

إلى الحكم وجعلوه رئيساً للجمهورية، وهو الذي لم يكن مشتركاً في الإعداد أو التنفيذ، بعد ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣... وأخيراً وليس آخراً محاولته تصفية أو إبعاد رفاقه والمقربين إليه من الإتجاه القومي لأنهم إختلفوا معه في الرأي.

وبين كل هذه الآراء يأتي رأي "الأستاذ صبحي" الذي يرسم صورة أخرى لهذه الشخصية، تتسم بالتواضع والهدوء والإستقامة، وهو رأي جاء بعد معايشة وليس إعتباطاً. فلقد لاحظ "الأستاذ صبحي" وسجل كل ما كان يدور حوله لمدة سنتين تقريباً من أحاديث وجولات ولقاءات عن بعد قريب... وإحقاقاً للحق فإن الكاتب يتطرق بموضوعية وتوازن لكل جوانب شخصية "عبد السلام عارف"، لا بل يعترف في نهاية الكتاب بأن الجموع التي خرجت لتشييعه إحتوت على أنواع مختلفة من الناس، منهم من كان حزيناً عليه حقاً، ومنهم من جاء ليتشفّى ويشفي غليل حقده عليه، وإلى غير ذلك من المشاعر الإنسانية المتضاربة تجاه هذا الشخص... وهذا ما يؤكد قولي في البداية أن الكتابة عن شخص "عبد السلام عارف" هو ليس بالأمر الهين، ولن يرضي كل الأطراف.

وللحقيقة فإن "عبد السلام عارف" كان حقيقة شجاعاً، ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك. فلولا مغامرته، لم يكن ليقدّر لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أن تنجح، ولو أن نجاحها جاء ممزوجاً بالكثير من الدماء في مجزرة "قصر الرحاب" التي ذهب ضحيتها العائلة المالكة بكاملها مع حاشيتها، وبدون أية إنسانية، في وقت كان يمكن أن يعالج الأمر بصورة أخرى، خاصة وأن العائلة خرجت لكي تستسلم. ومن نفذ هذه المجزرة إتهم "عبد السلام عارف" شخصياً بإصدار الأمر بذلك. ولا أحد سيتمكن من أن يعرف حقيقة هذه الحادثة، التي -في اعتقادي المتواضع- كانت نتيجة الظرف الذي حدثت فيه، وبسبب رغبة منفّذيها في التخلص من العائلة المالكة خشية من العقاب إذا ما فشلت العملية كما حدث في عام ١٩٤١.

والرجل كان بالتأكيد مستقيماً ونزيهاً وزاهداً من الناحية الشخصية، ولكن هذه الصفة -والتي أصبحت نادرة في أيامنا هذه- لم تكن ميزة لم يتّصف بها أحد، أو شبه معدومة عند رجالات الحكم العراقيين الأوائل، إبتداءً من الملك "فيصل الأول" رحمه الله وإنتهاءً بعبد الرحمن عارف...فالعائلة المالكة ذهبت

ولم تكن تملك من حطام الدنيا شيئاً يذكر، و"نوري السعيد" الشخصية التي هيمنت على السلطة طوال العهد الملكي، والذي كان يعتبر العدو الأول للحركة الوطنية، مات ولم يكن يمتلك سوى دار سكن ومبلغ نقدي تافه في أحد المصارف العراقية... وربما كان "عبد الكريم قاسم" المثل الأبرز في هذا المجال، فمهما قيل عن أخطائه السياسية، إلاّ أنه فارق الدنيا ولم يكن يمتلك حتى داراً سكنية بإسمه، وكان يوزع الجزء الأكبر من راتبه الشهري على العوائل الفقيرة والمحتاجة... والأمر يسري أيضاً على الغالبية العظمى من الضباط الأحرار أمثال "رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي ورفاقهم، وناجي طالب وصبحي عبد الحميد وهادي خماس" وقائمة طويلة من الأسماء التي إعتبرت النزاهة والإستقامة في العمل مبدأً أساسياً وصفة لا يجوز الحياد عنها، لأنها الصفة التي تمليها عليهم تربيتهم ودينهم، وما عداها من أخلاق إستثنائية ربما إتّصف بها بعض زملائهم، هي مستهجنة ومرفوضة.

من ناحية أخرى حرص الكاتب، وبتجرؤ وموضوعية، على تثبيت آراء أشخاص إختلفوا مع "عبد السلام عارف" وإنتقدوه بشدة، مثل المرحوم البطل "عمر علي" والأستاذين الجليلين "ناجي طالب" و"صبحي عبد الحميد"، ولم يحاول أن يزّوق كلامهم أو يحوّره.

أخيراً يمكن تقسيم حياة "عبد السلام عارف" -من خلال قراءة الكتاب والأحداث التاريخية التي عاشها- إلى قسمين مختلفين:-

القسم الأول: يصور حياة الضابط الشاب القومي العربي والوحدوي المندفع بعنف في إتجاه الوحدة الإندماجية مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا)، ومع (مصر) بعد ذلك، وصولاً إلى الإيمان بضرورة تسليم الحكم في العراق إلى الرئيس الراحل "جمال عبد الناصر".

القسم الثاني: أصبح فيه "عبدالسلام عارف" رئيساً للجمهورية وسيطرت عليه شهوة ومغريات المنصب والسلطة، فإنقلب داخلياً على فكرة الوحدة الإندماجية، وظل يدعو لها كلامياً فقط.

أما بالنسبة لي فان هناك تحّول ثالث في حياته أعتبره الأهم، وحدثت

ذلك في السنة الأخيرة من عمره، وبالتحديد بعد فشل محاولة "عارف عبد الرزاق" الأولى. حيث بدأ الرجل يعيش حالة عذاب نفسي داخلي وشعر بوطأة الأخطاء والخطايا التي جلبها تدخّل الجيش الفظّ في السياسة على العراق، وبدأ خطوات ثابتة على طريق نقل الحكم إلى المدنيين الذين مثّلهم ورأسهم المرحوم "الدكتور عبد الرحمن البزاز"، الذي خطا خطوات واضحة وجريئة في هذا المجال. وبالتأكيد أن شخصاً مثل "البزاز" لم يكن بالقادر على فعل ذلك لولا دعم شخص "عبد السلام عارف" القوي له. ولكن يبدو أن القدر كان مصرّاً، كما هو الآن، على أن لا يجعل العراق يعيش حالة إستقرار وإزدهار، فعجّل بنهاية "عبد السلام عارف"، وأُقيل "البزاز"، ووضُع جانباً قانون الإنتخابات الذي وضعه الأستاذ "ناجي طالب"، وظلت الصراعات السياسية تدور في الخفاء وبأسلوب المؤامرات والتطاحنات التي لم توصل البلد إلاّ إلى إحتلال بغيض لا إنفكاك فيه في الأمد القريب.

وختاماً فإن هذا الكتاب يُعدُ إضافة للمكتبة السياسية، وبالتأكيد سيُكتب ويُتحدَّث عنه كثيراً.

د. سعد ناجي جواد

بغداد- في ٢٣/٨/٢٠٠٤

تقديم

بقلم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

أستاذ التأريخ الحديث في جامعة بغداد

بين يدي الكتاب

إن ظهور هذا الكتاب، في هذا الوقت بالذات، يثير قضية مهمة تتجاوز الكتاب نفسه إلى قضية التأريخ كله، فهذا التأريخ الذي تعرَّض، منذ عدة عقود، وما زال يتعرَّض، إلى أنواع من التزييف والتحريف والتغيير والإضافة والنقص، غدا غير مقنعٍ لكثيرين، على أساس أنه مجرد تأريخ مُسيَّس، يُكتب على وفق نظرة الحاكم، أو الحزب، أو الفئة، دون أن تتوخى فيه الحقيقة ذاتها، وصار من المألوف تماماً أن يتعرض هذا العلم الجليل، إلى سهام من النقد، تقول أن التاريخ كله حديثٌ مُلفَّق، كما قال الرصافي مرة.

والقضية التي يثيرها الكتاب هي أن الحاضر ليس ثمرة الماضي فحسب، وإنما العكس صحيح أيضاً، فالماضي هو أحياناً ثمرة الحاضر، بمعنى أننا ننظر إليه ليس على وفق كان عليه هذا الماضي نفسه، وإنما على وفق ما نريده من حاضرنا أيضاً؛ وهو، كالحاضر تماماً، يتأثر بكل عوامل الضعف أو القوة التي نكون عليها نحن، ويتلوّن بكل ألوان شخصيتنا المعاصرة، سلباً كانت أم إيجاباً، فإن كان الحاضر مشرقاً تغيرت نظرتنا إلى الماضي ليغدو كله كذلك، وإن كان رديئاً محبَطاً، كانت نظرتنا إليه على هذا النحو أيضاً، ومعنى هذا إننا نبحث في الماضي عن جذور كل ما نمرّ به من ظواهر في حاضرنا، فإن كانت الظاهرة إيجابية كانت جذورها كذلك، والعكس صحيح تماماً.

وهكذا صرنا نعيد النظر إلى الشخصيات المهمة في تأريخنا المعاصر على وفق المتغيرات السياسية التي تتبدل في كل يوم، فمن كان يُعَدُ وطنياً، صرنا نعده وفق معايير ضعف الإنتماء الوطني، ضالاً أو مضلّلاً، ومن كان يُعدّ من روّاد

العمل القومي، صار، في ظل نكسة القومية العربية الحالية، مخدوعاً أو مخادعاً، وبهذا إنقلب كثير من الموازين، وتغيرت الأحكام، حتى بات مجرد تقييم دور إحدى تلك الشخصيات، يُعدّ مثاراً لجدل كثير سببه تعدّد وجهات النظر الناتجة عن تعرض القناعات، في كل يوم، إلى إهتزازات مستمرة تشبه إهتزازات الأرض في أثناء الزلازل، فهي تخرّب كل شيء، ولكنها غير قادرة على بناء قناعة جديدة، وهكذا فإن من حظ هذا الجيل، والأجيال اللاحقة، أن تعيش بلا قناعات ثابتة من أي نوع كان، فلا ريادة، ولا رمز، ولا نهج، ولا فهم مشترك، وإنما ضباب في ضباب.

وشخصية الرئيس الراحل عبد السلام محمد عارف، هي واحدة من الشخصيات التي أثارت من الجدل الكثير، ليس لغموض دورها، أو تعقيدها مثلاً، وإنما لأن هذه الشخصية عَبَّرت، من خلال سلوكها السياسي، عن منعطف مهم في تأريخ العراق المعاصر، منعطفٍ عسيرٍ إختزن في دواخله كل تناقضات الماضي القريب، وطموحات المستقبل الآتي، وعبّر عن صراعات النزعات القطرية المنغلقة مع الحركة القومية العربية، هذا مع شيء غير قليل من المراهقة السياسية لأكثر الحركات السياسية على إختلاف أسمائها ومواقعها. وأحسب أن فهماً سليماً لهذه الشخصية بات متعذراً في وسط أحكام مسبقة، يطلقها هذا الفريق أو ذاك، كل بحسب مصالحه ومطامحه، وربما عُقَده أيضاً، وللسبب نفسه، فكرت بالإعتذار للصديق الدكتور صبحي ناظم حين طلب مني أن أقدم لكتابه هذا الذي بين يديك أيها القارئ الكريم، لأني شعرت بأن مثل هذا التقديم ربما سيقدِّم صورة قد تصدم شعور البعض الذي إعتاد على قناعاته المسبقة حول الموضوع، ولم يعد راغباً، أو قادراً، على أن يفتح ملفّه من جديد، وهو الذي نطق بالحكم في نفسه، ولم يجد من داعٍ لدراسة حيثيات هذا الملف من جديد... بيد أنني أشفقتُ أن يكون إعتذاري عن كتابة هذا التقديم يمثل ظلماً آخر يُضاف إلى ما أصاب الرجل في حياته وفي مماته معاً. ومكمن هذا الظلم -في تقديري- هو في عدم الفهم الذي أحاطه، وأحاط سلوكه السياسي، بل والشخصي أيضاً... فقد مقته الملَكيّون لأنه دبَّر ثورة على

النظام الملكي القائم في العراق عهد ذاك، وناوءَه بالمستوى نفسه عدد من دعاة الجمهورية، ممن شاركه الإعداد للثورة، ومنهم رفيق كفاحه عبد الكريم قاسم، فأبعده من موقعه، ثم أصدر عليه الحكم بإعدامه، ثم سجنه لسنوات طوال. ومع أن أنه رجلاً بسيطاً ينحدر من أسرة متواضعة، فقد إتهمه اليساريون باليمينية، في نفس الوقت الذي إتهمه اليمينيون، ومنهم الإقطاعيون الذين أزعجتهم جولاته الميدانية في الأرياف، وخطبه الثورية، باليسارية، وعدَّه فريق من دعاة الإشتراكية رأسمالياً أو برجوازياً في أقل تقدير، بينما كان أكثر القرارات الإشتراكية قد صدر في عهده، وهو ما أثار حفيظة دعاة الرأسمالية والبرجوازية! وكرهه القُطريون المنغلقون لأنه كان يدعو إلى الوحدة العربية، في حين ناصبه فريق من القوميين المتشددين العداء، إلى حدّ الإنقلاب على حكمه، لأنهم عدّوه معرقلاً لهذه الوحدة، التي أرادوها أن تكون فورية! وهكذا ضاع الرجل بين مواقف مسبقة لكل فريق، ولا تفسير لهذا في تقديرنا إلاّ من خلال المناخ السياسي والإجتماعي الذي كان يمر به العراق في تلك المرحلة العصيبة من تأريخه، وهو مناخ كانت تغلب عليه المراهقة، إن لم نقل الطفولة السياسية، وضعف الوعي، وإصطدام الأفكار وأغلبها هش غير واضح حتى في رؤوس دعاتها، وتصارع المصالح ومعظمها يعوزه النضج، وتقاطع الطموحات ومنها ما لم يكن مشروعاً بالمرة، وتقاطع الرؤى المتضادّة للمستقبل، هذا مع تعقُد المناخ الدولي بين المعسكرين في العالم، وتأثير الحركة القومية العربية، التي كان من ثمارها القيام بالعديد من الثورات والإنتفاضات في أقطار عربية عدة، وبلغت ذروتها في قيام وحدة سنة ١٩٥٨، وتوقُّع أن تنضم إليها أقطار عربية أخرى كان العراق من بينها.

من الصعب إذَن، إنْ لم يكن من المتعذّر، الحكم بموضوعية هادئة على رجل تولّى السلطة في خضم كل ذلك الضجيج السياسي الذي صمَّ الآذان، وكان ضحية كل تلك الأهواء والمصالح والرغبات، المشروع منها وغير المشروع، في عهد غامت فيه الرؤية أو غابت، وإختلطت فيه الأوراق بين اللاعبين، وكأن رغبة ما

كانت وراء أن يبقى تأريخ العراق في عهده بعيداً عن البحث العلمي النزيه، فلم يُكشَف النقاب عن وثائق ذلك العهد، ولم توضع ملفاته تحت تصرف الباحثين رغم مرور أكثر من ثلث قرن على إنقضائه، بل لم تَجرِ الموافقة على كتابة الأطاريح والرسائل الجامعية التي تتناول علاقاته وشخوصه، إلاّ نادراً، وضمن (ضوابط) كثيرة، وحُجِبَت عن النشر مذكرات من شارك في أحداث العهد، أو أحجموا هم عن نشرها، وأكثر ما صدر كان يحمل طابعاً إعلامياً لأنه يفتقر إلى الصراحة العلمية، والوثائق الضرورية.

من هنا تأتي أهمية أن يخوض باحث عراقي نابه، هو الدكتور صبحي ناظم توفيق، المتخصص بالدراسات الوثائقية المعاصرة، غمار هذه التجربة الرائدة، فيكتب حيث سَكتَ الآخرون، ويَقدِم إذ أحجم الكثيرون، والمهم أنه خَرقَ جدار الصمت عن مدة مهمة من تأريخ العراق العزيز، حافلة بالتجارب، وهي على مرارتها، فإنها يمكن أن تقدِّم، إذا ما جرى تأمّلها بهدوء وروية، دروساً مستفادة ما أحوَجَنا إليها اليوم.

د. عماد عبد السلام رؤوف

بغداد- في ٢٠٠٥/٩/٢١

التمهيد

الإنتساب للحرس الجمهوري

الإنتساب للحرس الجمهوري

كانت الساعة قد أشارت إلى حوالي الثالثة من بعد ظهر يوم ٢٢ آب ١٩٦٤ عندما وقفتُ بالإستعداد بعد أن أدّيتُ التحية العسكرية أمام "المشير الركن"* عبد السلام محمد عارف، رئيس الجمهورية العراقية والقائد العام للقوات المسلحة، لأُقَدِّمَ نفسي -أُسوةً بأي ضابط في الجيش- وبصوت جَهْوَري:-

- "المُلازم صبحي ناظم توفيق.. آمر الفصيل التاسع.. السرية الثالثة.. فوج الحرس الجمهوري الأول.. آمر فصيل حماية دار السيد رئيس الجمهورية.. الفصيل حاضر للتفتيش... سيدي".

ردّ "عبد السلام محمد عارف" التحية العسكرية، قائلاً:- "الله يُساعدك".. فتقدّمتُ إليه، بعد أن مدّ يده مُصافحاً.. حين إستفسر:-

- أهلاً يا ملازم صبحي.. كيف حالك؟ وكيف حال جنودك؟

- الحمد لله.. بخير إن شاء الله، سيدي.

- فقال: "إن شاء الله تعالى"............. قبل أن يدخل دار سكناه.

تلك كانت أوّل وقفة لي أمام مقام الرئيس "عبد السلام محمد عارف" وجهاً لوجه.

أما كيف أوصلتني الأقدار إلى تلك الوَقفة التي كنتُ عليها؟.. فذلك ما سأرويه ببعض التفصيل في السطور الآتية:-

---

* "المُشير":- كان أعلى الرتب لدى القوات المسلحة العسكرية العراقية في حينه، وقابَلَتْهُ رتبة "المَهيب" بعدئذ.........."المؤلف".

التخرّج في الكلية العسكرية

كان يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ يوماً مشهوداً في حياتي العسكرية، وفي سنيّ عمري عموماً، فقد تحوّلتُ من طالب كلية عسكرية في الدورة (٤١) بمرسوم جمهوري - أُسوةً بـ(٣٥٣) طالب- إلى ضابط برتبة "ملازم ثان" في الجيش العراقي.

كان حفل التخرّج المَهيب برعاية شخصية من "المشير الركن عبد السلام محمد عارف" -رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة- وبصُحبة السيد "حسين الشافعي" نائب رئيس الجمهورية العربية المتَحدة*، والفريق "طاهر يحيى" رئيس الوزراء، واللواء "عبد الرحمن محمد عارف" رئيس أركان الجيش وكالةً.

ووسط أهازيج وزغاريد أهالي المتخرّجين، جرى مسير الإستعراض على شكل "كراديس" نُظِّمَتْ بإتقان على أنغام المارشات العسكرية وأُنشودة "الله أكبر" ذائعة الصيت.... وفي السماء، كانت تشكيلات من طائرات القوة الجوية من مقاتلات وقاصفات وسمتيّات ونقل تُضيف الهَيبة والبهاء على أجواء الإستعراض.... كل ذلك جرى قبل أن يتلو "مدير الدائرة القانونية" للجيش العراقي المرسوم الجمهوري بمنح الخريجين رتبة "ملازم".

وفي القاعة الكبرى للكلية العسكرية، جَمَعَنا "العقيد الركن عرفان عبد القادر وَجْدي"، آمر الكلية العسكرية آنذاك... وبعد أن هَنَّأَنا لمناسبة التخرّج، مُوَجِّهاً إلينا نصائح وإرشادات طويلة وقيّمة من ضابط أُعتُبِرَ من أفضل ضباط الجيش العراقي ضَبطاً وعِلماً وشخصيّة ومدارك وقواماً رشيقاً، مُبَلِّغاً إيّانا أن نجتمع بعد إنقضاء عشرة أيام في "نادي الضباط" الكائن على مقربة "من ساحة المَيدان" وجوار مبنى وزارة الدفاع، كي يتم توزيعنا على صنوف الجيش ووحداته.

---

* **الجمهورية العربية المتحدة:- هي التسمية التي أُطلِقَتْ على دولة الوحدة التي ضمّت "مصر وسوريا" عام ١٩٥٨. ولكن الرئيس "جمال عبد الناصر" أبقى هذه التسمية على "مصر" حتى بعد إنفصال دولتي الوحدة عام ١٩٦١........."المؤلف".**



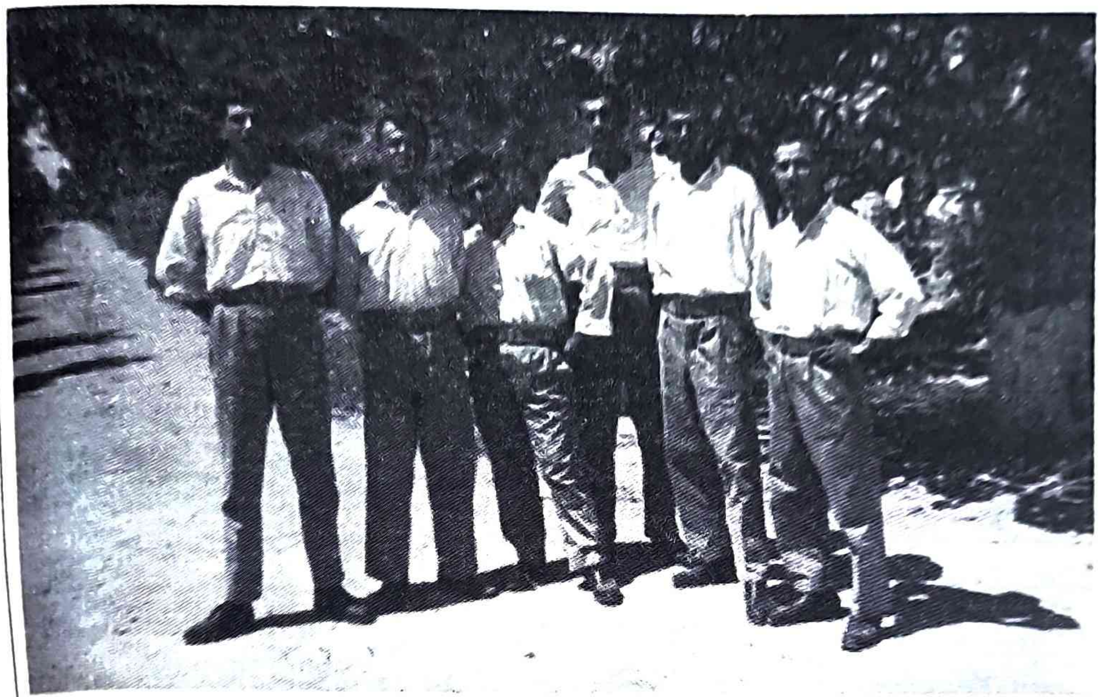
الصورة (١)

طلاب من الفصيل الثامن — السرية الثانية على وشك التخرج - وهم: «مقداد عبد الجبار الضاحي، كامل عبد اللطيف العزاوي، فراس يوسف عبد الله، صبحي ناظم توفيق، صائب عليوي الحسن»



الصورة (٢)

الطلاب أنفسهم في إحدى حدائق الكلية العسكرية وهم: «المؤلف ... مقداد عبد الجبار الضاحي، صائب عليوي الحسن، فراس يوسف، والجالس خالد شاكر



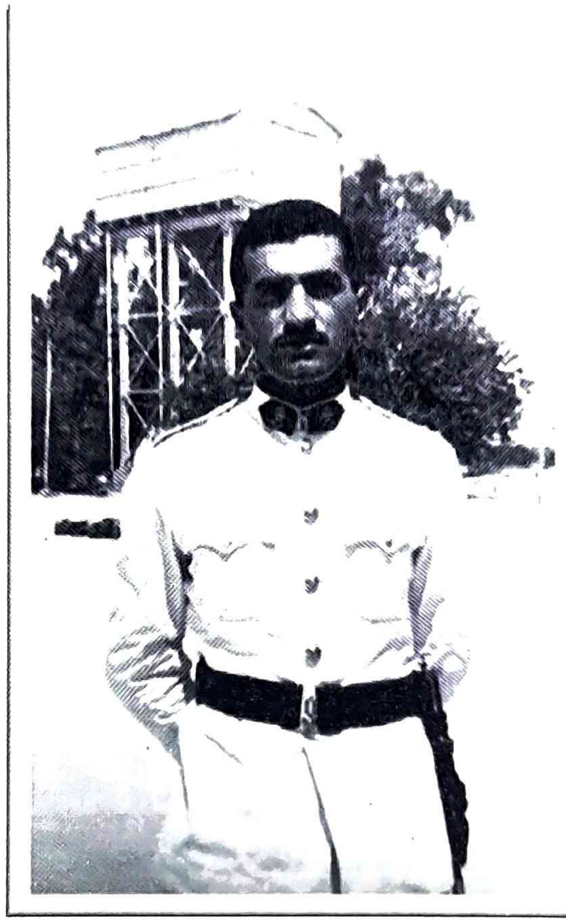
الصورة (٣)

الطلاب ذواتهم



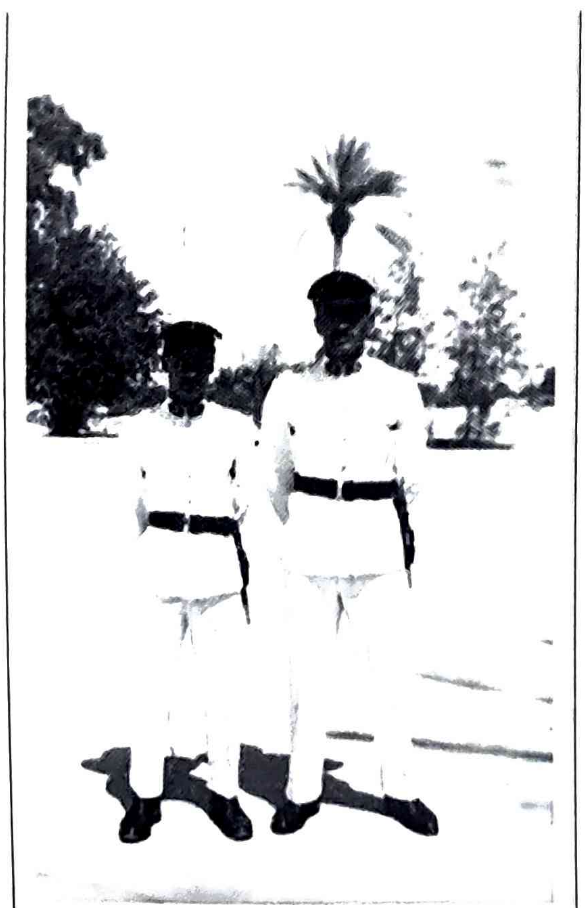
الصورة (٤)

الطلاب أنفسهم، وهم: «مقداد عبد الجبار، المؤلف، فراس يوسف، كامل عبد اللطيف، خالدشاكر»



الصورة (٥)

المؤلف بالملابس الخارجية للكلية العسكرية يوم آخر إجازة أسبوعية قُبَيلَ التخرج.



الصورة (٦)

المؤلف مع صديقه «محمد صالح إسماعيل» بالمناسبة ذاتها.



الصورة (٧)

الرئيس المشير الركن عبد السلام محمد عارف يستعرض طلاب الدورة (٤١) من الكلية العسكرية يوم ١٤ تموز ١٩٦٤، وقد سار إلى جانبه «العقيد الركن



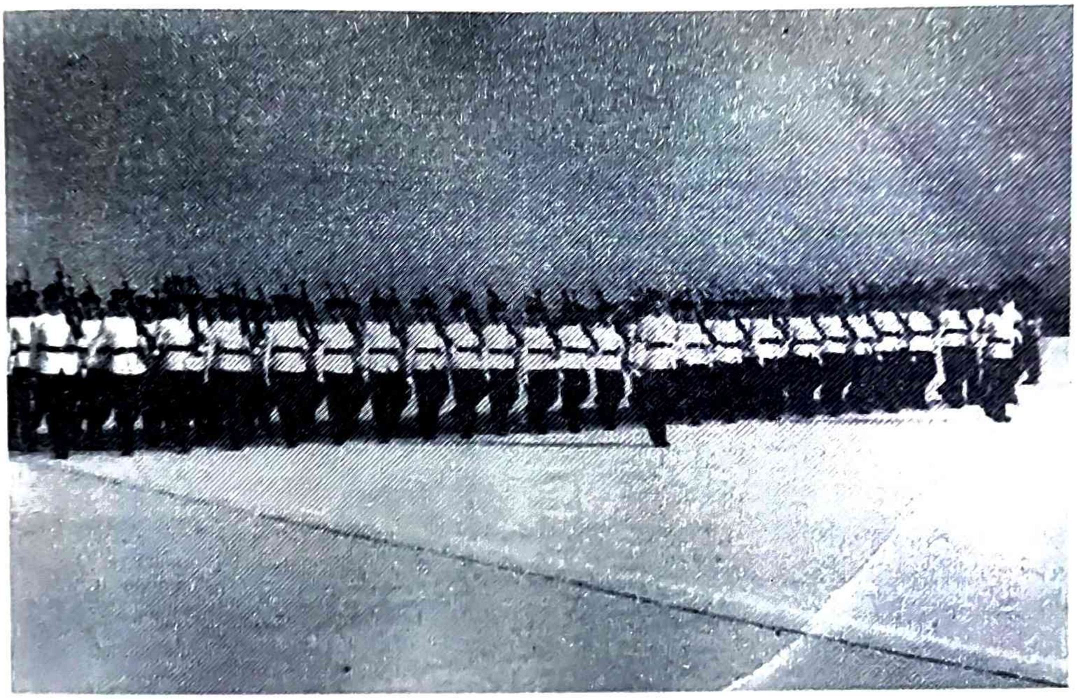
الصورة (٨)

قسم من طلاب الفصيل الثامن — السرية الثانية صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ وقد إستعدوا للإستعراض النهائي الواقفون في الصف الأمامي: «المؤلف، كامل عبد اللطيف، حامد عبد الكريم، محمد صالح إسماعيل، قيس محمد علي»



الصورة رقم (٩)

الفصيلان الثامن والتاسع- السرية الثانية - دورة الكلية العسكرية العراقية (٤١) يستعرضان في حفلة التخرج يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ ... ويُرى «المؤلف» الطالب الأول من الصفّ الأمامي الأقرب إلى عدسة التصوير.



الصورة رقم (١٠)

الفصيلان الثامن والتاسع- السرية الثانية - دورة الكلية العسكرية العراقية (٤١) يستعرضان في حفل تخرجهم يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ يقودهم العريفان التلميذان «قيس محمد علي، وعدنان عبد النافع»

في أروقة نادي الضباط

وفي "نادي الضباط"، صبيحة يوم ٢٥ تموز١٩٦٤، كانت لجنة من ضباط ذوي رتب مختلفة يقرأون علينا قوائم توزيعنا على الصنوف والوحدات... ولكن، كان هناك (٨) ضباط -كنُت من بينهم- لم ترد أسماؤهم لا هنا ولا هناك... وبعد قلق نسبي لم يَدُمْ طويلاً، علمنا أن هناك قائمة خاصة بأسمائنا تشير الى نقلنا للحرس الجمهوري، وإلى فوجه الثاني بالذات، والذي تقع ثكنته بالقرب من "قصر الزهور" الملكي المهجور منذ يوم ١٤ تموز ١٩٥٨.

الإنتقال إلى فوج الحرس الجمهوري الأول

لم يَدُمْ بقاؤنا في فوج الحرس الجمهوري الثاني-المتشكّل حديثاً-غير أربعة أيام، حين أُبلغنا بنقل "أربعة" ضباط الى فوج الحرس الجمهوري الأول الكائن قرب "القصر الجمهوري"، على أن نلتحق إليه فوراً.

لم تَنقَض أكثر من ساعة واحدة حتى كنا -نحن الضباط الأربعة- واقفين أمام مساعد آمر الفوج "ملازم أول حامد جاسم الدليمي"، قبل أن يأمرنا بالتوجّه إلى مكتب آمر الفوج "رئيس أول الركن* عبد الرزاق صالح العُبَيدي"، والذي لم يُلَطِّف الجو ولو بإبتسامة واحدة، إذْ طلب منا أن لا يكون هناك أي فارق بين مستوى فصائل الجنود التي سنتسلّم قيادتها مع أي فصيل طلاب في الكلية العسكرية التي تخرّجنا فيها قبل حوالي اسبوعين.

ولم نعلم -نحن الضباط الأحداث- إلاّ بعد إنقضاء أيام عديدة، أن كتاباً "سرّياً"، كان قد صدر من ديوان رئاسة الجمهورية خلال شهر آيار ١٩٦٤، يقضي بأن يتم إنتقاء (٨) طلاب من الدورة (٤١) التي ستتخرّج يوم ١٤ تموز في الكلية العسكرية تمهيداً لتنسيبهم إلى "الحرس الجمهوري" وفق الشروط الآتية:-

أولاً- أن يكونوا من الطلاب الجيّدين، ومن ذوي السيرة العسكرية الحسنة والأخلاق الطيبة.

ثانياً- أن تكون أطوالهم وأبدانهم مناسبة للعمل في "حرس الشرف".

ثالثاً- أن يكونوا مستقلّين وغير منتمين سابقاً إلى أي حزب أو فئة سياسية.

رابعاً- يُفضَّل ألاّ يكونوا من الذين عُوقِبوا خلال سنوات الدراسة في الكلية العسكرية.

وإستناداً إلى تلكم الأُسس، فقد أُوعِزَ الى آمري الفصائل الثمانية -التي كانت تتشكّل منها دورتنا- بأن ينتقي كل آمر فصيل طالباً واحداً فقط من منتسبي فصيله قبل موعد تخرج الدورة بشهرين... إذْ أُرسِلَت أسماؤهم الى "مديرية الإدارة" لأغراض التحقيق الأمني، وقبل أن يتقرّر تنسيبهم الى "الحرس الجمهوري"... وكنتُ الطالب الذي إنتخبني آمر فصيلي "ملازم أول فاضل عباس المَهدي"، بعد أن أيَّدَه آمر سريتنا "رئيس أول عبد الرزاق الأنصاري"، وبمباركة

* "رئيس أول":- كان رتبة موروثة من العهد الملكي، قبل أن يتم تغييرها إلى رتبة "رائد"."المؤلف".

آمر الكلية "مقدم الركن عرفان عبد القادر وجدي"، ومن دون أن يعلم الطلاب المُنتَقون بذلك.

ضباط فوج الحرس الجمهوري الأول

كان "فوج الحرس الجمهوري الأول" مؤلّفاً في الأسبوع الأخير من شهر تموز ١٩٦٤ من الضباط:-

١- **رئيس أوّل (الرائد) الركن عبد الرزاق صالح العبيدي –آمر الفوج.**
٢- ملازم أول حامد جاسم الدليمي – المساعد.
٣- ملازم أول عبد الصمد جابر العاني – نائب المساعد وضابط الإستخبارات.
٤- **رئيس (نقيب) كاظم عزيز – آمر سرية المقر.**
٥- الملازم أول يوسف خليل أحمد – آمر فصيل المخابرة.
٦- ملازم عدنان العزاوي – آمر الفصيل الإداري.
٧- ملازم حمودي عبد المجيد – آمر فصيل النقلية الآلية.
٨- ملازم أول مؤيد العاني – آمر مفرزة التصليح.
٩- **ملازم أول صلاح شاكر الأسوَد – آمر السرية الأولى**
١٠-ملازم مشعل تركي الراشد – آمر الفصيل الأول.
١١- ملازم عبد الأمير عُبَيد – آمر الفصيل الثاني.
١٢- ملازم قاسم علي – آمر الفصيل الثالث.
١٣- **ملازم أول قاسم محمد صكر – آمر السرية الثانية**
١٤- ملازم وليد جسام الجبوري – آمر الفصيل الرابع.
١٥- ملازم عبد محمود البَنّا – آمر الفصيل الخامس.
١٦- ملازم سعد عبد الهادي العَسّاف- آمر الفصيل السادس.
١٧- **ملازم أول هشام عبد الكريم السيد علي – آمر السرية الثالثة**

١٨- ملازم –إحتياط- فاهم مالك مهدي – آمر الفصيل السابع.

١٩- ملازم عبد الجبار جسام الجبوري-آمر الفصيل الثامن.

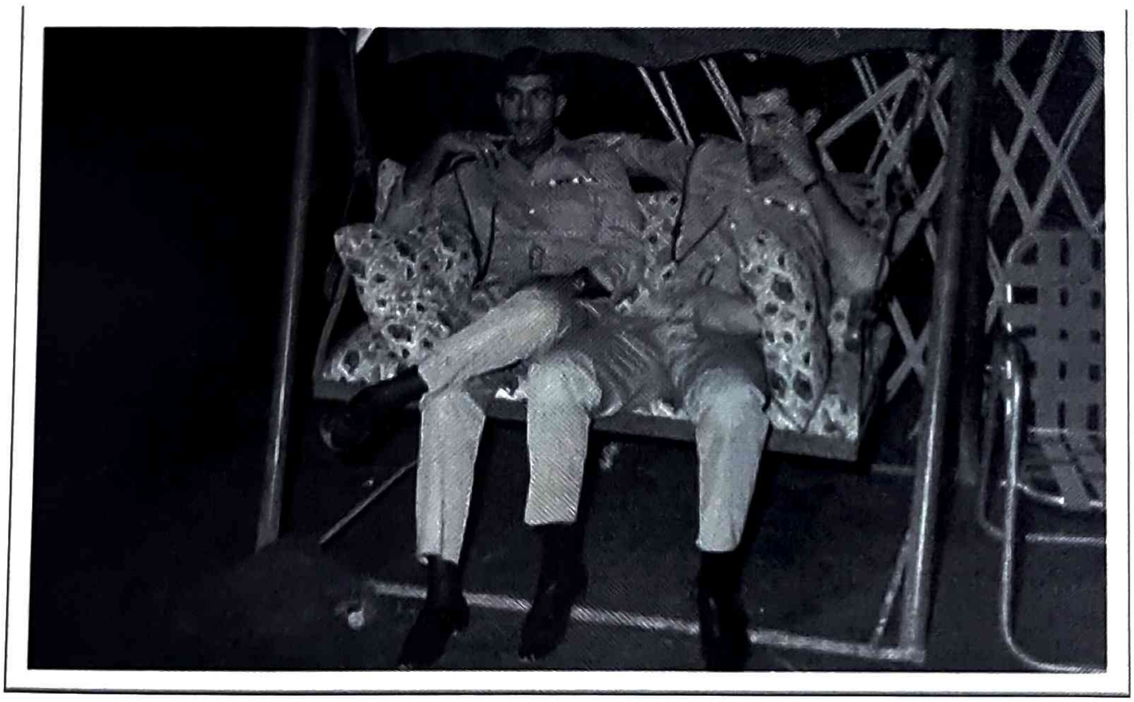
٢٠- ملازم صبحي ناظم توفيق –آمر الفصيل التاسع.

٢١- ملازم أول سلمان شجاع النَدّواي- آمر سرية الإسناد.

٢٢- ملازم سعد شمس الدين خالص- آمر فصيل الهاون.

٢٣- ملازم عبد مطلك الجبوري- آمر فصيل الرشاشات المتوسطة.

٢٤- ملازم قاسم فرحان الجبوري – آمر فصيل مقاومة الدبابات.



الصورة رقم (١١)

«المؤلف برتبة "ملازم" مع زميله "ملازم قاسم فرحان"» في فوج الحرس الجمهوري الأول عام ١٩٦٤



الصورة (١٢)

المؤلف برتبة "ملازم"

في أوائل أيامه بالحرس الجمهوري



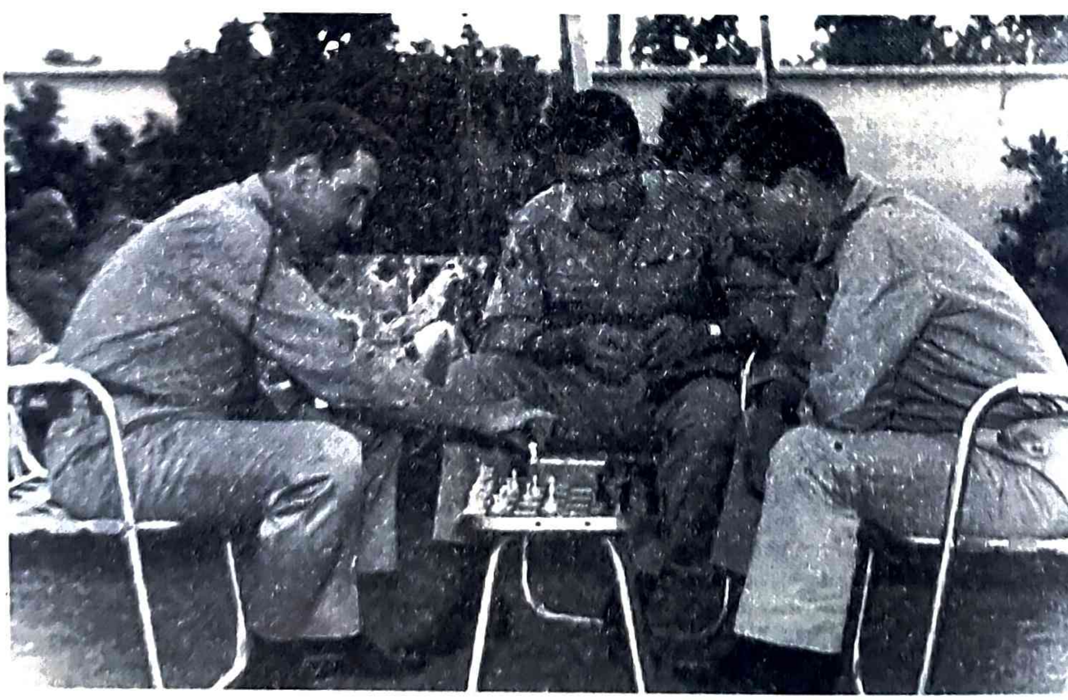
الصورة رقم (١٣)

«المؤلف، ملازم قاسم فرحان، ملازم أول سلمان شجاع النداوي، ملازم عبد مطلك الجبوري»



الصورة رقم (١٤)

بعض ضباط فوج الحرس الجمهوري الأول عام (١٩٦٤)، وهم من أقصى اليسار:-
«المؤلّف... ملازم سعد عبد الهادي... ملازم أول سلمان شجاع... ملازم أول يوسف خليل... نقيب كاظم عزيز... ملازم عبد الأمير عبيد»

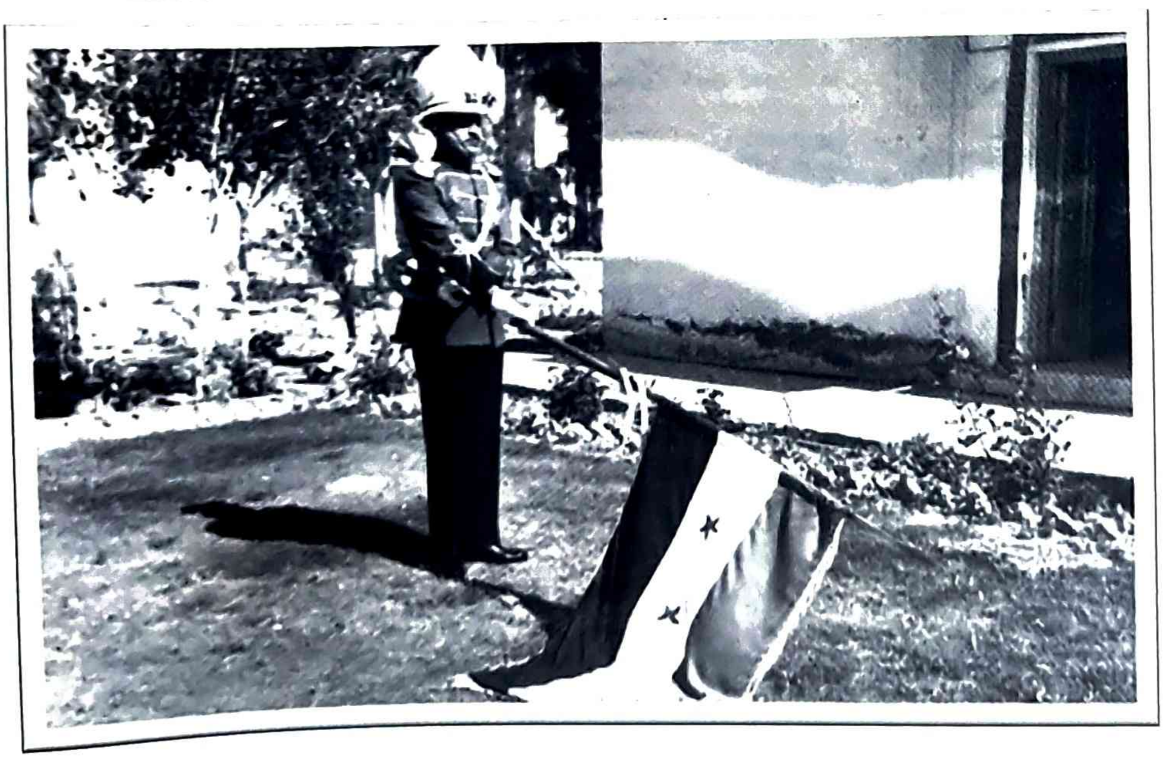


الصورة رقم (١٥)

«المؤلف» في الوسط، والملازمان بد مطلك الجبوري وسعد عبد الهادي العساف يلعبان "الشطرنج"، وقد ظهر «ملازم عبد الأمير عُبَيد» عن بُعد.







الصور (١٦-١٧-١٨)

"المؤلّف" برتبة (ملازم) حامل علم العراق بقيافة (حرس الشرف) في فوج الحرس الجمهوري الأول عام (١٩٦٤)

خطة أمن بغداد

أما أسلوب هذا الفوج لتطبيق ما يخصّه من "خطة أمن بغداد"، فقد تعرّفنا عليه بعد إلتحاقنا إليه بأيام قليلة.

فالواجب الأهم والأساس، هو أن تستقرّ "سرية كاملة" حوْالي مبنى "القصر الجمهوري"، ويُنشَر جنودها على شكل نقاط مراقبة وحراسة على مدار سياجه وضفاف نهر دجلة، وذلك إضافة إلى نقطتي حراسة، إحداها في بوّابة الدخول والأخرى في بوّابة الخروج.... ويبقى في داخل القصر ضابطان يومياً، قد يجلس أحدهما في غرفة التشريفات بعد إنتهاء الدوام الرسمي حتى بدء الدوام الرسمي في صباح اليوم التالي، بينما تكمن مسؤولية ثانيهما في التفتيش والتجوال المستمر بين نقاط المراقبة والحراسة... ويمكنهما تبادل مسؤوليّتَيهما خلال ساعات الواجب.

ومن سرية أُخرى، يُفرَز نصف فصيل (٢٤ جندياً) لمهمة حماية دار سكنى رئيس الجمهورية، ويؤمِّن النصف الآخر حماية محطة الوقود (البنزين) في "أُمّ العظام" الكائنة في منطقة "كرادة مريم"، والتي تحتوي -ضمن مضخات عديدة- مضخّتين مخصّصتين لتزويد سيارات القصر الجمهوري بالبنزين... بينما يُفْرَز فصيل ثانٍ من السرية نفسها لحماية مبنى "المجلس الوطني" الذي كان يضم "رئاسة مجلس الوزراء" و"وزارة الخارجية".

أما السرية الثالثة، فإنها تبقى مجتمعة في ثكنة الفوج -مع ما تبقى من السرية الثانية- كإحتياط عام، ولا تُكلَّف بواجب إلاّ عند الطوارئ، وتستمر على تدريبها اليومي وفق المنهج المُعَدّ سلفاً وبشكل إعتيادي... بينما يتبادل ضباط هاتين السريتين المسؤوليات في دار سكنى رئيس الجمهورية ومبنى المجلس الوطني تباعاً.

إجازات الجنود والضباط

على وجه العموم، فإن السرايا الثلاث تتبادل الواجبات فيما بينهما دورياً كل شهر أو شهرين -أو ربّما أكثر من ذلك إذا إقتضت الظروف- وأنها تنقسم

بشكل عام إلى وجبتَين تتمتّعان بالنزول الى "بغداد" بين يوم وآخر... أما الجنود من أهالي المحافظات الشمالية والجنوبية، فإنهم يتمتعون بإجازات دورية أمدها (٧) أيام كل خمسة أسابيع، بينما يتمتع أولئك الذين يسكن أهلوهم في المحافظات الوسطى (عدا بغداد) بإجازة لمدة (٥) أيام كل ثلاثة أسابيع.

ولكن الضباط، فأينما تكون عوائلهم خارج "بغداد"، فلا إجازات دورية لهم... لذلك فقد إستأجر الضباط المتزوّجون مساكن في "بغداد" على نفقتهم الخاصة، فيما يمكن أن يحصل الضُباط العُزّاب على "إجازات إعتيادية" لزيارة أهليهم خلال أيام عيدَي الفطر والأضحى فقط، أو في الظروف الطارئة جداً، إنْ ساعدت الظروف على منحهم إياها.

مهمات أخرى

كانت "خطة أمن بغداد" تشتمل أيضاً حماية مبنى الإذاعة والتلفزيون الواقع في منطقة "الصالحية"، وقد تَكلَّفَتْ بها سرية واحدة من الفوج الثاني- لواء المشاة الثالث، بينما يُعسكِر باقي الفوج بقيادة "العقيد الركن إبراهيم الخَشّالي" في ساحة سباق الخيل القديم قرب "قناة الجيش".. ولكن هذا الفوج غادر "بغداد"* يوم ١٩٦٤/١٠/١ إلى معسكره الدائم قرب مدينة "أربيل"، ليحلّ محلّه الفوج الثالث من لواء المشاة العشرين** بقيادة "المقدم حميد عليوي".

أما مُرسلات الإذاعة والتلفزيون الكائنة في كل من منطقتَي "أبي غُرَيب وسلمان باك"، فقد أُنيطت مسؤولية حمايتها الى فوج المشاة الآلي الثاني من اللواء المدرع العاشر بقيادة "المقدم داود عبد المجيد"، والذي كانت ثكنته ضمن "معسكر

---

* كان الفوج الثاني من اللواء الثالث قد أُستُدعِيَ إلى "بغداد" وشارك في حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣..."المؤلف".

** كان "العقيد الركن عبد السلام محمد عارف" آمراً للفوج الثالث من لواء المشاة العشرين حين إقتحم "بغداد" مع فوجَي اللواء الآخرَين لتنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ التي أنهت الحكم الملكي في العراق... "المؤلف".

الوشاش (متَنزَّه الزوراء حالياً)، وذلك قبل أن يتكامل تشكيل فوج الحرس الجمهوري الثاني ليتسلّم مسؤولية حماية المُرسِلات نفسها.

الدبابات والمدّرعات

لم يكن للدبابات والمدرعات وجود في الحرس الجمهوري عام ١٩٦٤.. وكانت "خطة أمن بغداد" تعتمد على تلك المتواجدة في "مدرسة الدروع وكتيبة تدريب الدروع" المستقرتَين في معسكرَي "أبي غريب والتاجي" على التوالي، وذلك إضافة إلى "ناقلات الأشخاص المدرعة" المتوفرة لدى الفوج الثاني الآلي من اللواء المدرع العاشر- آنف الذكر-... ولكن الأوامر كانت قد صدرت بتشكيل "سرية دبابات" خاصة بالحرس الجمهوري كنواة لكتيبة دبابات خلال الأشهر الأخيرة من ذلك العام.

الفصل الأول

عبد السلام محمد عارف في حياته الخاصة

المبحث الأول

واجب حماية دار سكنى رئيس الجمهورية

التكليف بالحماية

تسلّمت قيادة الفصيل التاسع في السرية الثالثة -والتي كان ملازم أول هشام عبد الكريم السيد علي" يقودها- وكنت محظوظاً في منتسبيه من الجنود الأربعين وضباط الصف المعدودين، وعريف الفصيل "العريف ساجت عبد علي" الذي كان أفضل ضابط صفّ إلتقيتُه... والحقيقة أنني لم أعرف ضابط صف مثله أو بمستواه الخُلُقي والعسكري وإتّزانه وشخصيته طيلة حياتي العسكرية التي ستطول (٢٦) سنة... إذْ تعلمتُ منه أكثر مما تعلَّمَ مني، وخصوصاً خلال تلك الأسابيع أو الأشهر الأولى من قيادة الفصيل.

وكان آمر سريتي من أفضل ضباط الفوج، وخير معلّم ومدرّب وموجّه لي في حياتي العسكرية كضابط تخرّج حديثاً.

إنقضت ثلاثة أسابيع قبل أن يحلّ يوم ٢١ آب ١٩٦٤، حين إنتهى الدوام الرسمي مع حلول الساعة الثانية والنصف، فتناولنا طعام الغداء في مطعم الضباط، وتوجّه الضباط إلى غرف أو قاعات منامهم لنيل قسط من الراحة قبل حلول موعد الرياضة المسائية في ذلك اليوم المُقرِف بحرارة العراق المعهودة.

كنا "خمسة" ضباط برتبة "ملازم ثانٍ" نبيت في قاعة صغيرة واحدة، وهم "سعد شمس الدين، عبد محمود البَنّا، عبد الجبار جَسّام، سعد عبد الهادي العسّاف، وكاتب هذه السطور"، حين دخل علينا مساعد آمر الفوج "ملازم أول حامد جاسم" على غير عادته، ليطلب أن يذهب أحدنا لتسلّم مسؤولية حماية

دار رئيس الجمهورية من "الملازم فاهم مالك مهدي" الذي مضى عليه (٥) أيام في هذا الواجب... وحين إنتبه أن لا أحد من الضباط الذين تخرّجوا حديثاً قد تَكَلَّف بهذه المهمة، فقد أقرّ أن يستحضر أحد هؤلاء الضباط الأحداث نفسه للرحال.. ولما كنتُ مستعداً، بدأتُ أُهيّئ الفراش السفري وحقيبة ملابسي قبل أن تحضر السيارة العسكرية التي ستقلّني.

كان هذا الواجب مفاجأة لي، إذْ كنت أعتقد بأننا -نحن الضباط الأحداث- سوف لا يُناطُ إلينا مثل هذه المسؤولية إلاّ بعد إنقضاء عدة أشهر على خدمتنا، وبعد أن نكتسب مزيداً من الخبرة.. فقيادة فصيل في تدريب أو تمرين أو واجب داخل ثكنة، أو حتى في معركة هجومية أو دفاعية، لهي من الأمور التي تعلّمناها ومارسناها نظرياً، ولربما عملياً بشكل نسبي خلال سنوات الدراسة والتدريب في الكلية العسكرية... أما مثل هذه المهمات الخاصة، والتي هي من ضمن مسؤوليات الحرس الجمهوري فحسب، وبالأخص حماية دار رئيس الجمهورية، لا يمكن أن يكون طلاب الكلية العسكرية أو سواها قد تدرَّبوا عليها أو تعلّموها.

أقـلّتني سيارة عسكرية من طراز "كاز ٦٩ أسلحة" -سوفييتية الصنع- إلى خارج ثكنة الفوج... وكان تصوري أن دار رئيس الجمهورية هي قصر فاره أو بيت فخم يقع قريباً من القصر الجمهوري، وهو بالتأكيد يطلّ على نهر دجلة في أحد أحياء بغداد الراقية، مثل "كرداة مريم، أو الجادرية، أو عرصات الهندية أو المسبح"... ويقيناً، فإن بضع دبابات وعدداً من المدرعات تحيط به، ورشاشات ومدافع منصوبة هناك وهنا تحميه من أخطار محتملة في ظروف العراق القلقة عام ١٩٦٤.

لم أشأ أن أستصغر نفسي وأنا ضابط، لأسأل جندياً سائقاً لا أعرفه، عن الموقع الذي نحن متوجّهون إليه في عصر ذلك اليوم... ولكن، وبعد أن إجتزنا كل شوارع "كرادة مريم" فـ"الصالحية" و"الكرخ" و"العطيفية" و"الكاظمية" مقتربين من "جسر الأئمة" إضطررت إلى محادثة السائق:-

★ إلى أين نحن ذاهبون يا أخي؟

- إلى بيت رئيس الجمهورية، سيدي.

★ وأين هذا البيت؟

- في الأعظمية، سيدي.

★ هل تقصد أنه في "شارع الضباط"* ؟

- كلاّ سيدي... إنه قريب من "المقبرة الملكية".

عبرنا "جسر الائمة"** متجهين نحو "سينما الأعظمية".. ومن تقاطع الشوارع التي تقع على مقربة منها، إنحرفنا يمنياً لأشاهد على بعد مئات الأمتار مبنى "المقبرة الملكية" ذات القبة الزرقاء، والتي تضم بين جَنَباتها رفات ملوك العراق "فيصل الأول، غازي الأول، وفيصل الثاني" وعدداً من أُمراء وأميرات العائلة المالكة التي حكمت العراق المعاصر منذ عام ١٩٢١ حتى صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨.

وقبل أن نصل الى ساحة المبنى المذكور بـ"١٠٠" متر تقريباً، إنحرفنا يساراً لندخل شارعاً فرعياً، حيث شاهدتُ ضابطاً برتبة "ملازم ثان" واقفاً أمام سياج مبنى إنتصب قرب باب دخوله جندي حارس واحد يحمل بندقية "كالاشنكوف" -يُنظر المخطط (١) المرفق-.

وصف لموقع الدار وثكنة الحماية

نزلتُ من السيارة متوجهاً نحو الضابط، وأدّيت التحية العسكرية أمامه وقدّمت نفسي، فهذه المرة الأولى التي أتقابل معه... فقد كان "الملازم فاهم مالك مهدي" مشتركاً بدورة في "مدرسة المشاة" بمعسكر"الوشاش" تؤهّله للترقية إلى

---

* شارع الضباط:- شارع يقع في الأعظمية-محلة راغبة خاتون-..وكان معروفاً بهذا الإسم لوقوع دور الكثير من الضباط القدماء عليه..."المؤلف"

** جسر الأئمّة:- هو الذي يوصل قضاء الأعظمية بالكاظمية.. ويقع على جانبيه مرقدي الإمامَين "أبي حنيفة النعمان" و"موسى الكاظم"..."المؤلف"

رتبة "ملازم أول"، وأنه فور إنتهائه من الدورة إلتحق إلى الفوج وأُرسلَ لهذا الواجب... ولذلك، وعلى الرغم من كونه آمراً للفصيل السابع ضمن السرية الثالثة التي إنتسبت إليها قبل ثلاثة أسابيع، فإننا لم نتعارف من قبل.

لقد إجتذبتني شخصية "الملازم فاهم مالك" خلال الدقائق الأولى من الساعة الرابعة عصراً، والتي فيها بدأ يُوجز المهمة التي سأتسلّمها للمرة الأولى.. فقد كان خفيف الظل، لَبِقاً، متواضعاً، صريحاً في طرح آرائه، مُحبّاً لجنوده المنسجمين معه، ولكنه لم يكن يُبالي كثيراً بالضبط العسكري الصارم -كما هو حال معظم الضباط الإحتياط- وقد علمتُ بعدئذ أنه من عائلة تنتسب إلى عشيرة معروفة جداً في منطقة "الديوانية".

وبعد جولة سريعة داخل سياج المبنى، وجدتُ هناك قاعة لمنام الجنود تحتوي (٢٥) سريراً وخزاناً معدنياً لحفظ الملابس، وهي متلاصقة مع مبنى لإستحمام المراتب... وتطلّ القاعة على ساحة مبلّطة بالأسفلت مساحتها (٣٠×٢٠) متراً لأغراض التدريب... وهناك على مبعدة من القاعة غرفتان لضابط الحماية، الأولى للمكتب والثانية للمنام.. وعلى مقربة منهما سياج مشترك إرتفاعه (١,٥) متراً، يفصل الثكنة عن دار رئيس الجمهورية.. وللثكنة بابان، أحدهما للدخول والآخر للخروج، إذْ يقف أمام كل منهما جندي حارس واحد... راجع المخطط (٢) المرفق.

ودارت جولتنا الثانية حوالَي دار رئيس الجمهورية... بَيتٌ على مقربة من ركن من أركان تقاطع أربعة شوارع فرعية ضمن منطقة سكنية إعتيادية متواضعة، تحتوي مئات المساكن... مساحته حوالي (١٥×٢٥) متراً، مبني من الطابوق الإعتيادي، ولربما مضى على بنائه ما يقارب (٢٠) سنة، حديقته المتواضعة تحتل مساحة تتراوح بين (١٥) متراً عرضاً و(١٠) أمتار طولاً، بناؤه من طابق واحد إلاّ غرفتين أُضيفتا كطابق ثانٍ... نوافذه إعتيادية، وهناك سياج منخفض على شكل مُشبَّك معدني يفصل حديقة المنزل عن الشارع الفرعي المطل عليه لا يبلغ إرتفاعة أكثر من (١,٥) متر... وبالقرب من باب الدار أُضيف

بناء يبدو جديداً نسبياً، أو أنه قد أُعيد طلاؤه مجدداً، يشتمل في أسفله ((كراج)) يكفي بالكاد لسيارة واحدة، وتعلوه غرفة صغيرة بمساحة الكراج نفسه لمنام سائق السيارة.*

شعرتُ بالذهول مما شاهدته... فدار رئيس الجمهورية العراقية، الذي تصورته قصراً فارهاً في منطقة راقية، محاطاً بحدائق غنّاء ومياه جارية، تحميه دبابات ومدرعات ورشاشات ومدافع، وجنود مدجّجون بالسلاح فوق سطوح وأبراج.. آراها بعيني داراً متواضعة في منطقة سكنية إعتيادية مُحاطة بعشرات من الدور السكنية، بعضها أفخم منها بكثير في مساحتها وطراز بنائها وجمال حدائقها، ولا يحميها سوى (٢٤) جندي لا يحملون غير بنادق "كلاشنكوف"، نصفهم نزلوا إلى المدينة، وثُلُثي الباقين مرتاحون في قاعة المنام!!.

أسلوب الحماية

بادر "الملازم فاهم مالك" إلى القول:-

إسمعني يا"ملازم صبحي" جيداً، فهذا الواجب على الرغم من سهولته وبساطته، فإنه يمتاز بحساسية قصوى تتعلّق بشخص رئيس الجمهورية وأمنه حين يتواجد في بيته، وخصوصاً وأنها المرة الأولى التي تكلَّف به، إضافة لكونكَ ضابطاً حديثاً... هذا، ناهيك عن الظروف التي تمرّ بها البلاد منذ ست سنوات.

فمن حيث المبدأ، عليك أن تعرف أننا هنا مسؤولون عن حماية رئيس الجمهورية لوحدنا، وضمن منطقة سكنية مكتظّة بالبشر، أهلوها من مختلف الأجناس والطوائف والإتجاهات السياسية... وأن سيادته لا يوافق بشكل مطلق على إزعاج أي منهم لإعتباره إياهم "جيران العمر"، وتربطه بهم علاقات إنسانية وشخصية وعائلية منذ أكثر من عشر سنوات.

---

* لقد تم تحويل "ثكنة الحماية" إلى مدرسة إبتدائية منذ مطلع السبعينيّات بعد توسيعها وبناء عدد من المباني قربها.. أما دار"محمد عبد السلام عارف" فهي باقية على حالها حتى إعداد مبيّضة هذا الكتاب أيام شباط ٢٠٠٢ ...."المؤلّف".

ليس ضمن واجبنا حماية أفراد عائلة الرئيس إلاّ في حالة وقوع إعتداء مباشر على بيته، بحيث عندما لا يتواجد في منزله فإننا نكتفي بإفراز جندي حارس واحد للوقوف في كل من بابي الثكنة ليس إلاّ، وكما تراهما الآن، وليس لنا أن نتدخل أو نمنع أو نُعيق أي شخص يزورهم، سواء من أقاربهم أو أصدقائهم أو من الجيران.

وبالمناسبة، فإن "الرئيس" لم يأت إلى البيت هذا اليوم، وبما أن الوقت قد جاوز الساعة الرابعة عصراً فإنه من المستبعد أن يحضر من بعد الآن، ولذلك فإنك ترى الأمور والاجراءات إعتيادية تماماً.

أن من عادات الرئيس أن يزور بيته بين يوم وآخر، ولكن ذلك ليس نهجاً ثابتاً... وأنه قلّما يبيت فيه ليلاً، وأن فترة حضوره تنحصر عادةً بين إنتهاء الدوام الرسمي ببعض الوقت وحتى بُعَيدَ صلاة المغرب، أو لربما لحين أذان العشاء والتي يؤدي صلاتها في البيت قبل الخروج لغرض العودة إلى القصر الجمهوري... وفي يوم مجيئه إلى البيت فإن شخصاً مهمّاً محدّداً يُهاتفك من القصر، وعادة ما يكون إما "الرائد عبد الله مجيد" سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية، أو"العميد زاهد محمد صالح" المرافق العسكري الأقدم، أو" الملازم رشيد علوان المهداوي" المرافق الشخصي لرئيس الجمهورية... ويقول لك:- "أن الرئيس قد غادر أو سيغادر القصر الجمهوري"... عندئذٍ عليك أن تحسب حوالي(٢٠-٢٥) دقيقة إذْ يصل "الموكب" إلى هذه المنطقة.

وخلال هذه الفترة القصيرة عليك أن تتخذ الإجراءات الآتية:-

أولاً: تخصيص جنديين لكل من بابَي الدخول والخروج بدلاً من جندي واحد.

ثانياً: أن تُصعد جنديين مزوَّدَين برشاشتَين خفيفتين، كل منهما في زاوية من زاويتَي سطح قاعة الجنود... الأول، في الزاوية المطلّة على شارع المقبرة الملكية، والثاني في الزاوية الأخرى المشرفة على تقاطع تلك الشوارع الفرعية الكائن قرب دار رئيس الجمهورية.

ثالثاً: أنْ توقف جندياً واحداً في تقاطع الشوارع المذكور، وجندياً آخر في مدخل الشارع الفرعي من إتجاه الشارع الرئيس للمقبرة الملكية... وأن عليهما قطع سابلة مرور السيارات فقط- دون المشاة- إلى الشارع الفرعي المؤدي إلى دار رئيس الجمهورية قبل وصول موكب سيادته ودخوله إلى داره، إذْ يتم السماح لمرور السيارات الأهلية بشكل عادي... وبُعيدَ ذلك-وحالما يستقر "الرئيس" في بيته- عليك الإتصال هاتفياً بأحد أولئك الذين ذكرتُهُم لتُخبره بوصول السيد الرئيس بسلام غلى داره.

رابعاً: يبقى وضع الجنود كما أوضحتُه آنفاً، طالما مكث "الرئيس" في البيت، ويظل الجنود الآخرون في القاعة بكامل ملابسهم وأسلحتهم لمواجهة أي طارئ قد يحدث... ولكن عليك ملاحظة إراحة الجنود الحُرّاس في بابَي الدخول والخروج وفي الشارع الفرعي والسطح، إذْ ينبغي تبديلهم بجنود آخرين من داخل القاعة، لأن بقاء "الرئيس" في البيت قد يطول أمده لعدة ساعات.

خامساً: طالما تواجد "الرئيس" في بيته، فإن أي شخص يروم زيارته، فعليك أن تحصل على إسمه، وتخبر سائقه الخاص "رأس العرفاء المتقاعد الحاج أحمد الكرخي" بذلك، والذي بدوره يقوم بإخبار السيد الرئيس... وإذا لم يكن ذلك السائق موجوداً لسبب أو لآخر، فإنك أنت الذي ستدقّ جرس البيت لتُخبر أحد أبناء سيادته "أحمد أو محمد أو محمود"، أو إحدى بناته، ليسمح للزائر بالدخول إلى البيت من عدمه... أما إذا كان الزائر حاملاً عريضة أو رسالة معنونة إلى سيادته، فإستلمها وسلّمها للرئيس عند خروجه من البيت مساءً، أو أودعها إلى مُرافقه.

سادساً: إن الزائرين الوحيدين الذين لا يخضعون لمثل تلك الإجراءات هم أُخوة السيد الرئيس "ملازم متقاعد الحاج عبد السميع" وهو صاحب "مكوى النعمان" في منطقة الأعظمية، و"اللواء عبد الرحمن" رئيس أركان الجيش وكالة -كما تعلم-، و"صباح" الكاتب العدل في الأعظمية.. فإن لهم، ومن معهم، حق الدخول إلى الدار مباشرة دون سؤال أو جواب.

سابعاً: عليك أن تلاحظ ضرورة عدم السماح لأي تجمع لأشخاص في المنطقة المحيطة بالدار والثكنة على السواء، وذلك قُبَيل وأثناء تواجد رئيس الجمهورية في البيت، وحين مغادرته إياه مساءً... فتلك من المظاهر التي قد تكون دلالة على تخطيط أو وجود نيّة سوء للقيام بعمل معاد ضد شخص سيادته أو تجاه بيته.

ثامناً: بعد صلاة المغرب عادة، ولربما بُعَيدَ صلاة العشاء، يبعث إليك السيد الرئيس إيعازاً للإتصال بالقصر الجمهوري لحضور سيارته لغرض العودة... أوانئذٍ، عليك أن تتصل بأحد أرقام الهواتف المباشرة المثبتة في مكتبك، وفي مقدمتها (هاتف السكرتير العام، أو المرافق الأقدم، أو المرافق الشخصي) لتخبره بذلك، إذْ تنتظر حضور "الموكب"، وتتخذ الإجراءات الأمنية المشددة التي آنفنا ذكرها، وحتى مغادرة سيادته هذا الموقع... عندئذ، يعود الجنود الحراس إلى القاعة.

تاسعاً: وعليك أن تعلم، بأنه بعد إنتهاء الدوام الرسمي في الأيام الإعتيادية، وفي كل ساعات أيام الجُمَع والعُطل، فإنه لا وجود لأحد من أولئك الثلاثة التي ذكرناهم مسبقاً... لذلك، فإنك تتصل بغرفة تشريفات القصر الجمهوري، والتي يتواجد فيها عادة أحد زملائنا الضباط من السرية المخصصة لحماية القصر والتابعة لفوجنا، فهو بدوره سيقوم بالإجراءات الواجبة.

هاتف دار رئيس الجمهورية

وهنا لم أشأ السكوت أكثر مما سكتّ، فقد نَفدَ صبري، وسألت "الملازم فاهم" :-

- أرجو أن توضح لي، لماذا نقوم نحن بكل هذه الإجراءات المعقدة؟ ولماذا لا يتصل أحد من عائلة السيد الرئيس، أو سائقه الخاص، بالقصر الجمهوري مباشرة لمثل هذه الأمور؟ أليس ذلك أفضل لهم ولنا؟

✱ لا يوجد هاتف في بيت "الرئيس"!!

- ماذا؟ هل صحيح ما تتفوه به يا "ملازم فاهم"؟

✸ نعم... إذْ يُقال أنه عندما أُنشِئَت ثكنة الحماية هذه، فإن ديوان رئاسة الجمهورية قد فاتح رسمياً "بدّالة الأعظَمية" لمدّ خط هاتفي لضابط الحماية، ولكن "البدالة" إعتذرت عن تنفيذ الطلب لعدم وجود خط هاتف شاغر لديها، فما كان من رئيس الجمهورية إلاّ إصدار أمر بتحويل هاتف مسكنه ليُنصَب في مكتب ضابط الحماية، وأن عائلته -حسب رأيه- ليست بحاجة ملحة الى الهاتف!!

- عجيب!!

✸ نعم... ويُقال أيضاً، أن السيد الرئيس ربما أحسّ أن الناس قد يزعجون زوجته وأولاده بطلباتهم وتوسّطاتهم، ولذلك فقد إتخذ هذا الإجراء... كما يُقال أيضاً، أن الهاتف، حسب إعتقاده الشخصي، قد يُعتبر خطراً على تصرفات أولاده وقد باتوا في دور المراهقة، ولذلك فإن عدم وجود هاتف في البيت أفضل من توفّره.

- طيب.. ولكن، كيف يتصل زوجة رئيس الجمهورية وأولاده بالأقرباء والأصدقاء؟

✸ سؤال يطرح نفسه تماماً، وهو يشكل نقطة مهمة فاتني التطرق إليها... فأولاد السيد الرئيس يحضرون إلى مكتبنا هذا للإتصال بالهاتف، وفي هذه الحالة عليك تركهم لوحدهم لتفادي إحراجهم، فلربما يكون لديهم حديث خاص.. وأن السائق "الحاج أحمد" قد يحضر للغرض نفسه... ومن المحتمل كذلك أن يطلب أحد الأقرباء أو الأصدقاء أحد أفراد عائلة الرئيس، فعليك إخبارهم بواسطة "الجندي المراسل" أو "عريف الفصيل" بذلك.. ولكن، لا أحد يطلب زوجة سيادته "أم أحمد" بشكل مطلق، وإن طلبوها فإنها لا تحضر عادة.

قيادة فصيل الحماية

وبعد أن أنهى "الملازم فاهم" شرح أسلوب الحماية، جلسنا في مكتب ضابط الحماية، ليتطرق إلى أمور القيادة والإدارة:-

أولاً: لا بد وأنك لاحظت، أن الذي يُسمّى بـ"فصيل الحماية" هذا، ليس فصيلاً كاملاً... إنما هو "نصف فصيل" يقوده ضابط واحد برتبة "ملازم ثانٍ"،

يتكون من (٢٤) جندياً يرأسهم ضابط صف... وأن (٧-٨) جنود ينزلون إلى بيوتهم في "بغداد" أو لغرض الراحة والترفيه والتنزّه بالمدينة، وأن مَنْ أهله في "بغداد" سيعود إلى الثكنة هذه في صباح اليوم التالي قبل الساعة السابعة.. أما الذي يسكن في مناطق بعيدة عن العاصمة ويتمتع بإجازاته الدورية بشكل منتظم، فعليه التواجد في الثكنة قبل حلول منتصف الليل... لذلك فإن "القوة القتالية الفعلية" لهذا الفصيل قد لا تتعدى (١٧-١٨) جندياً لدى إنتهاء ساعات الدوام الرسمي بعد ظهر كل يوم.

ثانياً: أنني أرى، أنه في حالة وقوع أي إعتداء على شخص السيد رئيس الجمهورية أو على بيته، فإنك ستنشغل تماماً بالحدث، ولا يسنح لك المجال في طلب عَون، أو الإستنجاد بقوة إضافية تحضر إليك بسرعة من الفوج أو من القصر الجمهوري... لذلك، فإنه من الأنسب أن تكلّف أحد ضباط الصف أو الجنود دائماً بالإتصال فوراً بأحد أرقام الهواتف المهمة المثبتة أمامك على هذه المنضدة.. ويُفضَّل إخبار "مساعد آمر الفوج" أو "الضابط الخافر للفوج" أوّل الأمر، ليكون أهم الأشخاص المسؤولين في فوجنا على علم بالأمر الطارئ.. فمثل هذه الحوادث تتطلب إجراءات سريعة لاحقة على مستوى الدولة، وبالأخص إنْ كان الإعتداء على شخص رئيس الجمهورية.

ثالثاً: من الأفضل أن لا تدع الجنود يتراخَون... فالعرض الصباحي يبدأ بالساعة السابعة والنصف، ومن بعد ذلك فليُمارسوا الرياضة الصباحية والهرولة لنصف ساعة قبل أن يتدربوا على السلاح لساعتين مقرّرتين.. وبعد الفطور الثاني وفي حدود الساعة العاشرة والنصف، حاول أن تلقي عليهم محاضرة عسكرية أو ضبطية أو أخلاقية أو ما تراه مناسباً، وذلك قبل أن يحل موعد تناول طعام الغداء بعد الظهر... ولا تنسى أن يتمتعوا بالرياضة المسائية عصراً إذا لم يكن السيد رئيس الجمهورية حاضراً في بيته.

رابعاً: أن سيارة شحن (لوري) عسكرية تحضر فجراً إلى هذه الثكنة وقد جَلَبَتْ على ظهرها "الشوربة والشاي والصمّون"... وفي حدود الساعة التاسعة وحتى العاشرة صباحاً تجلب "الفطور الثاني"... وفي الواحدة ظهراً يكون طعام

الغداء "التمن والمرق" قد أحضرته.. أما توقيت "العشاء" المكوّن من "المَرَق" فقط، فإنه يكون مع مغيب شمس كل يوم... ولكن، إذا ما تأخرت سيارة جلب الطعام عن الحضور لساعة كاملة عن التوقيت المتعارف عليه، فإن عليك الإتصال هاتفياً إما بـ"الضابط الخافر" لذلك اليوم أو ربما بـ"مساعد الفوج"... أما طعامك أنت، فإن "مطعم ضباط الفوج" لا يتكفّل بإرساله مع تلك السيارة أو غيرها.. وإذا ما أوصله فإنه يكون فاتراً لا طعم فيه... لذلك، عليك الإعتماد على جيبك بإرسال جندي إلى أحد المطاعم القريبة في الأعظمية -وما أكثرها عدداً- ليجلب لك الطعام الذي تشتهيه، وعلى نفقتك الخاصة، إذْ لا يكلّفك أكثر من حساب مطعم الفوج من الناحية المادية*.

خامساً: ولغرض التَوَقّي من أي حادث إطلاق نار غير متعمد، يفضل أن يودع الجنود (عدا الحرس في البابَين) أسلحتهم مع أعتدتها إلى "المشجب" بعد إنتهاء التدريب الصباحي... ولا تُسَلّم إليهم إلاّ في حالة حضور السيد الرئيس إلى البيت، إذْ يجب أن يبقوا يقظين ومتهيّئين لأي طارئ ولحين مغادرته.

سادساً: عليك بتفتيش الجنود يومياً من حيث نظافة أجسادهم وحلاقة ذقونهم وكوي ملابسهم، فإن البعض منهم قد يهمل ذلك... فحماماتهم جاهزة وتتوفر فيها "السخانات" الكهربائية التي تجهّزهم بالماء الساخ... فإنتظام قيافة الجنود ضروري جداً خصوصاً وأننا نؤدي واجباً ضمن منطقة سكنية، وأن علينا الحفاظ على سمعتنا كحرس جمهوري وجيش عراقي محترف.

سابعاً: من المتوقع أن تبقى هنا بواجب آمر فصيل الحماية ليومين أو ثلاثة أيام متتالية، ولربما أكثر من ذلك. وإذا حضر إليك أحد زملائك من الضباط الأحداث ليتسلّم منك المهمة، فعليك إيجازه مثلما أوجَزتُكَ... أما إذا كان ضابطاً سبق وأن قام بهذا الواجب، فإنه على علم مسبق بجميع هذه الأمور.

* كانت وجبة طعام الضابط في مطعم الفوج تكلف بحدود (٩٠-١٣٠) فلس للوجبة الواحدة.. بينما يبلغ سعر وجبة طعام الغداء أو العشاء في المطاعم الأهلية ما بين (١١٠-١٥٠) فلس في أعوام الستينيات........................"المؤلف".

ليلة الواجب الأولى

لم يُطلّ "الملازم فاهم مالك" الحديث معي أكثر من ذلك، فقد أشارت الساعة إلى الخامسة تقريباً، حين أقلّته السيارة العسكرية، وكان آخر نصائحه بأن لا أحمل همّاً كبيراً في أداء هذه المهمة... مُذَكّراً إياي بأن أي شخص عندما يحسّ بعظم المسؤولية في أي ظرف وموقف، فأنه قد يُبدِع وتتفتّق عنده الأفكار والحلول الناجعة.

فأدّيت له التحية العسكرية، شاكراً فضله، ومتمنياً له السلامة.

فكرتُ، بادئ ذي بدء، أن أستطلع المنطقة التي تحيط بدار رئيس الجمهورية جيداً، وبشكل أفضل مما أجريناه على عجل قبل حوالي ساعة واحدة... فقمت بجولة جديدة حول الثكنة، وبصحبتي عريف الفصيل "رأس العرفاء كامل عبد الحسن" مُلقياً نظرة خاصة وفاحصة على مبنى "القسم الداخلي" لطلبة "دار المعلمين الإبتدائية" الذي يكتظّ بعشرات من الطلاب الشباب... وسرتُ في الشوارع الفرعية المحيطة بالدار، وركزت بناظري على السطوح العالية للدور ذات الطابقين بشكل خاص، لأعود إلى سطح قاعة منام الجنود داخل الثكنة ومكتب آمر الفصيل... وثَبّتُ في بالي المواقع المحددة التي يمكن توجيه الجنود إليها في حالة فتح نيران أسلحة نحو دار رئيس الجمهورية... كل ذلك قبل أن أطلب من عريف الفصيل جمع ضباط الصف والجنود كي أتعرّف عليهم شخصياً، وليتعرّفوا على ضابط جديد لم يَمضِ على إلتحاقه بالفوج سوى ثلاثة أسابيع وقد كُلِّفَ بهذا الواجب للمرة الأولى... وبعد ذلك، دخلت "المشجب" لأتأكد من كميات الأعتدة المكدسة لجميع أنواع الأسلحة الخفيفة المتوفرة لدى فصيل الحماية.

مضى الوقت سريعاً حتى حلّ الليل لأشعر معه برهبة تسري في صميم قلبي، فإنها وإن لم تكن شديدة فحسب، فقد كانت كبيرة ومؤثرة... فها أنا وحدي في بقعة تنأىٰ عن ثكنة الفوج وعن القصر الجمهوري مسافة قد تربو

على (١٠) كيلومترات، ولا إتصال لي معهما سوى ذلك الهاتف اليتيم الذي يمكن أن يعطل أو ينقطع بكل سهولة ويسر، فهو لا يعدو مرتبطاً إلاّ بسلك قُطرُه بضعة مليمترات معلّق في الهواء بين أعمدة واضحة لكل عين.. ولا سيارة تحت إمرتي أستطيع التحرك بها أو توجيهها أو تحركيها في مواقف طارئة معينة... حينها، شعرتُ تماماً أنني و"ربّ موسى" العظيم هنا، في هذا المكان.

راودتني أسئلة وتساؤلات وإستفسارات عديدة... لم أجد لها جواباً يشفي غليلي:-

* فما الذي أعمله لو فَتَحَتْ جماعة معارضة للحكم القائم النار على بيت السيد رئيس الجمهورية العراقية، أو على ثكنة حمايته؟؟.. ومن الذي يمكن أن يمنع ذلك ما دامت الشوارع المحيطة بهما مفتوحة للجميع طيلة (٢٤) ساعة؟

* وما العمل الذي يمكن أن أقدم عليه، لو صعدت جماعة مسلحة فوق سطح "القسم الداخلي" لإسكان طلبة دار المعلمين الإبتدائية؟؟ ومن الذي يمكنه أن يجزم عدم وجود طلاب شباب حاقدين أو مناهضين للحكم بينهم؟؟ وكيف السبيل إلى إكتشاف أمرهم؟؟

* وماذا أعمل، لو إحتلّت جماعة مسلّحة سطح أحد منازل المنطقة من تلك التي تشرف مباشرة على بيت السيد الرئيس أو الثكنة؟؟

* وما هو الإجراء الذي يمكن أن أتخذه، لو خطفت جماعة مسلحة أحد أبناء أو إحدى بنات رئيس الجمهورية، وهم متمتعون بكامل حريتهم في التجوال وعلاقاتهم الإنسانية والإجتماعية التي هم سائرون عليها مع الجيران دون تحسّس بأي خطر؟؟

* وماذا لو دخل زوار إلى بيت الرئيس، وليس لنا صلاحية منعهم، وسيطروا على الدار بَغتةً، وأخذوا أفراد العائلة رهائن بين أيديهم؟؟

* وكيف أتصرف لو حدثت حركة مفاجئة لقلب نظام الحكم، لا سيما وأن دار رئيس الجمهورية ستكون أحد المواقع المستهدفة؟

وهكذا ظللت في الفراش متقلّباً ذات اليمين وذات الشمال، وبملابسي العسكرية، وسلاحي قرب رأسي حتى مطلع الفجر، إذْ كنت في معدل كل ساعة أنتقل إلى خارج الثكنة لأتأكد من يقظة الجنديين الحارسَين وضابط الصف الخافر بينهما، وأسأل وأتأكد من عدم وجود أي تجمّع لأشخاص هنا أو هناك... فقضيتُ ذلك الليل الثقيل كلّه في تفكير دؤوب عن القَدَر الذي حلّ بي وأتاني إلى الحرس الجمهوري. فنظام الحكم القائم "لا ناقة لي فيه ولا جَمَل".

ولكن، عندما إستعرضت شخوص الضباط الذين تعرّفتُ عليهم وعرفت معظمهم عن كثب وبشكل فضولي لا أنكره، توصّلت إلى أن جُلَّهم ((لا ناقة لهم ولا جمل)) في هذا النظام... فالذي كان يُقال في المجالس الخاصة والعامة وفي الشارع العراقي عن "عبدالسلام محمد عارف" كونَه يعتمد على "عشائر الدليم" للحفاظ على سلطته، وإسناده مناصب متنفّذة لأشخاص ينتمون إلى تلك المنطقة وقبائلها، أو هم من سكان مدن "لواء الرمادي"*، فإني لم أجد له صدىً يُذكر في فوج الحرس الجمهوري الأول.. فآمر الفوج "الرائد الركن عبد الرزاق صالح العُبَيدي" و"الملازم سعد عبد الهادي العسّاف" من حي "الأعظمية"... و"الرئيس/النقيب كاظم عزيز" من حي "الكرادة"... و"الملازم أول حامد جاسم" - على الرغم من كونه يحمل لقب "الدليمي" فإنه من عشيرة "ألبو علوان" الساكنة في بقاع "لواء الحِلّة"** ... و"الملازم أول سلمان شجاع النَدّواي" من "الكرَيعات"،

---

* لواء الرمادي:- هو التسمية التي كانت قائمة خلال عقد الستينيّات وما قبله للذي يسمى حالياً "محافظة الأنبار"........"المؤلف"

** تلك هي التسميات التي كانت قائمة في حينه، وقد تبدّلت فيما بعد إلى ما يأتي:-

"لواء الحلة":- محافظة بابل.

"لواء الموصل":- محافظة نينوى.

"لواء الكوت":- محافظ واسط.

"لواء الديوانية":- محافظة القادسية.

"لواء الناصرية":- محافظة ذي قار.

"لواء ديالى":- محافظة ديالى.

"لواء كركوك":- محافظة التأميم.

و"الملازم أول يوسف خليل أحمد" و"الملازمان عبد محمود البنّا وقاسم علي" من "لواء المَوصِل".. و"الملازمون وليد جسّام وعبد الجبار جسّام وقاسم فرحان" من حي "الكرخ".. و"الملازم عبد الأمير عُبَيد" من "قضاء النعمانية/لواء الكوت"... و"الملازم فاهم مالك" من "لواء الديوانية"... و"الملازم أول قاسم محمد صكر" من "لواء الناصرية".. و"الملازمان سعد شمس الدين وعدنان العزاوي" من "لواء ديالى".. و"الملازم عبد مطلك الجبوري" من "قضاء الحويجة"/لواء كركوك"، وأنا من مدينة "كركوك".. فلا يبقى هناك سوى (٦) ضباط ما بين "دليمي وعاني وحديثي"* من مجموع (٢٤) ضابطاً، إذْ لا يشكلون سوى نسبة ٢٥٪ من ضباط الفوج.

ولذلك توصّلت إلى أن هذا الفوج الذي هو مسؤول بشكل مباشر عن حماية القصر الجمهوري نفسه ودار رئيس الجمهورية، ولا يفصل ثكنته عن القصر الجمهوري سوى سياج مشترك واحد يستطيع أي انسان إعتيادي القفز من فوقه بسهولة، لا يمكن إعتباره أكثر من "فوج مشاة إعتيادي" ولكنه "مكلَّف بواجب خاص"... لذلك، فمن الأخلاقيات العسكرية التي تربّيتُ عليها في الكلية العسكرية، أن أُؤدي واجباتي ضمنه كأي ضابط في أية وحدة من وحدات الجيش العراقي... وأنه ليس بمُستطاعي فرض رأيي على قيادة الدولة بأن لا تكلّف وحدة من جيشها بواجب خاص... فهل من دولة في العالم كلّه دون حرس ملكي، إنْ كان نظامها ملكياً؟؟ أو تخلو من حرس جمهوري إنْ كان النظام القائم فيها جمهورياً؟؟؟

وتذكرت كذلك، أنني قد أقسمت اليمين بالله العظيم وبالشرف العسكري أن أُؤدي واجباتي على خير ما يُرام خدمة للوطن والجيش.. ولذلك، حصلت لدي القناعة التامة بأنه يتحتّم عليّ أن أقوم بهذه المهمة وغيرها على خير ما يُرام.. وعليَّ أن أتوكل على الله، سبحانه وتعالى، وأستند إلى قدرته الحق في هذا الأمر، مثلما في غيره.

---

* **دُلَيْمي**:- نسبة الى عشائر "الدُلَيم".. عاني:- نسبة إلى قضاء "عانه".. حديثي: نسبة الى قضاء "**حديثة**"..........."المؤلف".

وحتى إذا ما إفترضتُ أنني على غير قناعة في أداء هذا الواجب الخطير.. فأين المفر، ولمن المشتكى؟؟؟.. فهذا هو الجيش، وهذه هي العسكرية التي تولّعتُ بها منذ نعومة أظفاري، فلا داعي للتشكّي.

آمر الفوج يزور الثكنة

لم يغمض لي جفن خلال الساعات تلك الليلة التي مرّت ثقيلة وطويلة وكأنها دهر بحاله، حتى حلّ الصباح بعد طول سهر وتفكير وقلق.. وكانت الساعة السابعة والنصف عندما تجمّع أفراد فصيل الحماية في ساحة عرض الثكنة.. وبينما كان عريف الفصيل يقدّم لي الحضور في العرض الصباحي- حسب التعبير العسكري السائد في جيشنا- شاهدتُ سيارة عسكرية من طراز "كاز قيادة" وقد دخلت إلى الثكنة، وترجّل منها آمر فوجنا "الرئيس أول الركن عبد الرزاق صالح العبيدي".

أوعزتُ إلى عريف الفصيل بالبدء بالتدريب قبل أن أتوجّه إلى آمر الفوج لأُقدّم نفسي والفصيل إليه.

كان أوّل تجواله في قاعة الجنود، حيث تأكد من نظافتها وحسن ترتيبها، ثم في مكتب آمر الفصيل، قبل أن يخرج وأنا بصحبته، إلى الشارع الفرعي المحاذي للثكنة ودار رئيس الجمهورية، ليعود إلى ساحة التدريب حيث كان ضابطا صفّ يشرحان لرَهطَين من الجنود تفاصيل البندقية "كالاشنكوف"، وقبل أن ينهال عليّ بوابل من الأسئلة، وكأنّه يعلّمني ويدرّبني على واجباتي ويذكّرني بمسؤولياتي، ويختبرني في أداء مهماتي:-

★ كيف حال جنودك يا ملازم صبحي؟ وكيف وجدتَ مستوى تدريبهم وحرصهم؟

- لم أتعرّف بعد على مستوى تدريبهم، ولم أُجرّب حرصهم على الواجب، إذْ لم يَمضِ على إلتحاقي إلى هذا الموقع سوى يوم واحد، وأنهم ليسوا من أفراد فصيلي، سيدي.

★ وما حال الأسلحة والأعتدة؟

- أعتقد أنها بحال جيد، سيدي.

★ هل تأكدتَ من نظافة الأعتدة الإحتياطية المخزونة في المشجب وتهيئتها؟

- نعم سيدي، ومنذ مساء يوم أمس.

★ إشرح لي أسلوب الحماية ومواقع الجنود الحراس أثناء وجود السيد رئيس الجمهورية في منزله

وبعد شرح مفصل ومسهب عن أسلوب الحماية، وجدتُ الفرصة مناسبة لطرح بعض الأفكار على السيد آمر الفوج:-

- هناك سيدي مواقع مُشرِفة ومتحكِّمة ربما تشكّل خطراً كبيراً على دار السيد الرئيس وعلى ثكنتنا هذه، وأهمّها سطح الطابق الثاني للقسم الداخلي لطلبة دار المعلمين، وعدد من سطوح البيوت العالية ذات الإطلالة المباشرة.

★ السيد رئيس الجمهورية لا يسمح بشكل مطلق طرح موضوع البيوت السكنية وسطوحها، فأصحابها من أصدقائه ومعارفه.. أما القسم الداخلي الذي ذكرتَه، فسأطرح موضوعه على ديوان الرئاسة وأُخبرك بالنتيجة.

ولكن، وفي ظهر اليوم نفسه، إتصل بي مساعد آمر الفوج ليخبرني بأن ديوان الرئاسة لم تحصل لديه القناعة على صعود أي جندي إلى سطح البناية المذكورة، إذْ أن رئيس الجمهورية لا يوافق -من حيث المبدأ- على زيادة أو تكثيف المَظاهر المسلحة حول داره... وطلب بأن لا يُطرح أفكار أو أية مقترحات مشابهة على أي مسؤول قد يحضر لزيارة الثكنة!!!

المبحث الثاني

وجهاً لوجه مع "عبد السلام محمد عارف"

إتصال هاتفي من القصر الجمهوري

مضت ساعات الصباح ليوم ٢٢ آب ١٩٦٤ بين تدريب وفطور وتهذيب، ومحاضرة ألقيتُها على الجنود وهم جالسون على أسرّتهم في قاعة منامهم ظهراً حتى موعد طعام الغداء.. وحلّت الساعة الثانية بعد الظهر، إذْ كنت جالساً في المكتب، حين رنّ جرس الهاتف:-

- نعم، تفضلوا.

✱ مساء الخير... أنا الرائد عبد الله مجيد سكرتير ديوان الرئاسة.

- نعم سيدي تفضل... أنا الملازم صبحي ناظم.

✱ كيف حالك يا ملازم صببيح؟ هل أنت من الضباط الأحداث؟

- بخير سيدي... وإسمي "صبحي" وأنا من الضباط الأحداث.

✱ حسناً يا ملازم صبحي...الآن سيغادر السيد رئيس الجمهورية القصر... وعليك بإجراءاتك الإعتيادية حسب التعليمات.

- حسناً سيدي.

وفوراً طلبتُ حضور عريف الفصيل أمامي... خرجتُ إلى ساحة العرض، وطلبتُ منه أن يهيئ الجميع حالاً، فالسيد الرئيس في طريقه إلى البيت.

هرع الجنود الحراس كلٌ إلى موقعه المحدد قبل أن أقوم بجولة سريعة عليهم، لأتأكد من حسن قيافتهم ومدى إستعدادهم لأداء الواجب.. أوعزتُ إلى ضابطَي صفّ بمنع السيارات الأهلية من إجتياز الشارع الفرعي لدار الرئيس... وقفتُ في ركن الثكنة المُطل على شارع المقبرة الملكية إنتظاراً لوصول "الموكب"، شاعراً بقلق واضح، فهذه هي المرة الأولى التي سأكون مع "المشير الركن عبد السلام محمد عارف" رئيس الجمهورية/القائد العام للقوات المسلحة العراقية وجهاً لوجه.

وصول الموكب

مرّت الدقائق ثقيلة، وكنتُ خلالها أنظر هنا وهناك.. فلا تجمُع لأشخاص يُريُبني، ولا ما يجلب الظنون على سطوح المنازل العالية والقسم الداخلي لدار المعلمين الإبتدائية... وسيارات المواطنين ذاهبة وآيبة في شارع المقبرة الملكية بشكل عادي، حتى طرقت سمعي، من على بعد، أصوات صافرات لسيارات أو دراجات نارية من تلك التي تستخدمها الشرطة.. ومن مفرق الطرق الواقع على مقربة من "حديقة النعمان" شاهدتُ "الموكب" وقد إنحرف يساراً ليدخل شارع المقبرة الملكية.

وقف الجنود الحراس بالإستعداد وتَنَكّبوا بنادقهم وتهيّأوا للـ(سلاه خُذْ)... كانت هناك دراجتان ناريتان بيضاوان يؤشر من على ظهرهما شرطيا مرور إلى أصحاب السيارات بالسير في أقصى يمين الشارع العام... وإلى خلفهما ببضع عشرات من الأمتار كان "الموكب" يسير ببطؤ ووقار.

سيارة تابعة لشرطة المرور تطلق صفارة وقد أنارت أضويتها المرورية.. ودرّاجتان بخاريتان تسيران بإنتظام أمام سيارة "مرسيدس" سوداء اللون ضخمة وطويلة.. تتبعها دراجتان بخاريتان أُخرَيان، تليهما سيارة صالون إعتيادية، ثم سيارة سوداء تابعة لشرطة النجدة.

إنحرف "الموكب" يساراً حتى الشارع الفرعي الذي كنتُ واقفاً في مدخله...

كانت سيارة رئيس الجمهورية واضحة تماماً.. أدّيتُ التحية العسكرية، وكذلك ضباط الصف والجنود الحراس... سار الموكب دون توقف، فسرتُ معه حتى إستقر أمام باب الدار، عندما نزل "الملازم رشيد علوان المهداوي" ووقف بالإستعداد مؤدياً التحية العسكرية، وقبل أن يفتح رئيس الجمهورية الباب الخلفي الأيمن بنفسه ويترجّل.

ومن السيارة التالية ذات اللون الكحلي، نزل (٤) أشخاص يرتدون ملابس مدنية، وقد أهدلوا قمصانهم فوق سراويلهم كي لا تظهر المسدسات التي كانوا يحملون، وتفرّقوا حول سيارة رئيس الجمهورية ينظرون نحو إتجاهات مختلفة، وهم -حسبما علمتُ بعدئذ- من "فصيل خاص" مسؤول عن حماية شخص السيد الرئيس، يتألف من (٤٠) جندياً مدرّباً على الرمي الجيد بالمسدسات بشكل خاص، يرافق عدد محدّد منهم رئيس الجمهورية لدى خروجه من القصر الجمهوري سواء داخل "بغداد" أو خارجها.

كانت سيارة رئيس الجمهورية من طراز خاص "مرسيدس موديل ١٩٦٤" طويلة بشكل إستثنائي، يكفي داخلها لجلوس (٧) أشخاص، نشاهدها في بعض أفلام السينما، إذْ تُطلق عليها تسمية "ليموزين"، ولربما كانت الوحيدة في العراق، سوداء اللون، رُكِّبَتْ فوق واقيتها اليمنى سارية مصغّرة تحمل علماً عراقياً مثلث الشكل صغير الحجم.

وقفتُ بالإستعداد وأدّيت التحية العسكرية، وقدّمت نفسي بالأسلوب المتعارف عليه- والذي آنفتُ ذكره في الصفحات الأولى من الكتاب- أمام السيد الرئيس، والذي وقف قبالتي بالإستعداد، وهو يرتدي بذلة مدنية كُحليّة اللون، وقميص ناصع البياض، وربطة عنق بلون البذلة نفسه.

دخل السيد الرئيس إلى داره... قبل أن يغادرَنا "الموكب" بجملته، وبضمنه أفراد الحماية الخاصة.

وفوراً، سمعتُ أصوات أولاد رئيس الجمهورية، لأول مرة، وهم يستقبلون

أباهم قرب الحديقة، ودفعني الفضول أن أتقدم بضع خطوات إلى مقربة من سياج الدار المنخفض لأرى "عبد السلام محمد عارف" وقد إنحنى عليهم يقبّلهم ويقبلّونه، فتعلّق الصغيران التّوأمان "محمد ومحمود" برقبته فحملهما معاً بين ذراعيه متجّهاً إلى داخل البيت.

وإتّباعاً للتعليمات عدتُ إلى مكتبي داخل الثكنة بخطىً سريعة، لأُخبر سكرتير ديوان الرئاسة هاتفياً بوصول السيد الرئيس إلى بيته ومغادرة "الموكب" إيّانا، وعدتُ مُسرعاً إلى الخارج لأُراقب مواضع الجنود الحراس المحدّدة، وأطمئن على أوضاع الحماية والشوارع والأسطح المشرفة... فأصدرتُ أوامري بفتح الشارع الفرعي أمام السيارات الأهلية بشكل إعتيادي.

جلب نظري رجل يبلغ من العمر أكثر من (٤٠) سنة، وقد إرتدى ملابس عسكرية قديمة وحمل في نطاقه مسدساً متوسط الحجم من عيار (٧,٦٥) ملم* من ذلك الطراز الذي لا يُستخدم في الجيش عادة، وعلى كتفيه رتبة "مقدم"... شاهدتُه واقفاً أمام باب إحدى الدور المتقابلة مع الثكنة... لم يستغرب عندما تقدمتُ إليه مؤدياً التحية العسكرية حسب الأصول، ومستفسراً عن سبب وقوفه في هذا الموقع:-

- من أنت سيدي؟

✱ ألا تعرفني؟؟!! أنا المقدم المتقاعد قاسم البرزكان/أبو جيهان، وهذه داري وأنا صديق مقرب من السيد الرئيس، وجاره منذ سنين، كما ترى.

تبادلتُ معه بعض الحديث مضطراً، وعلمتُ أنه كان قد أُحيلَ على التقاعد قبل (٦) سنوات في أيام شهر تموز ١٩٥٨، وذلك قبل أن أرجو منه أن يريح نفسه في تلك الساعات ذات الشمس المحرقة.. ولكنه أبى وأصرّ على ضرورة ((مشاركتنا)) في هذا الواجب، نازلاً بوابل من المديح لشخص "عبد السلام عارف"، ذاكراً بعض أفضاله عليه، قاطعاً معي -سيراً على الأقدام- الشوارع المحيطة بالدار والثكنة.. أما أنا فقد

---

* يُطلق على هذا المسدس لدى العامة في العراق تسمية "نمرة ٧"........."المؤلف".

كنت أشعر بخجل وإحراج شديدين، ومن دون أن أستطيع عمل أي شيء أو إتخاذ إجراء محدّد يُعيد هذا الرجل إلى بيته طيلة حوالي ثلاث ساعات متتالية.

عبد السلام عارف مع عائلته

إقتربت الساعة من السادسة عصراً، وكنت لا أزال خارج الثكنة، والجنود ما برحوا في مواقعهم، وقد أجريتُ بعض التبديل بين أولئك الذين رابطوا في نقاطهم أكثر من ساعتَين بآخرين كانوا في القاعة متهيّئين، وسمحتُ لآخرين بالنزول إلى "بغداد"، إذْ طرق سمعي صوت رئيس الجمهورية وهو يتكلم مع أولاده في حديقة البيت.. فتعمدتُ السير قريباً من سياج الدار، حيث شاهدتُ "عبد السلام عارف" وهو يشارك أولاده بترتيب عدد من الكراسي الخفيفة المصنوعة من "الألمنيوم" والمغطّاة بشرائط من "النايلون"، ومن ذلك النوع الذي كان معظم أهالي العراق يستخدمونها في حدائقهم.

كان الرئيس مرتدياً "بيجاما" صيفية صفراء اللون مقلمة بخطوط خضراء... وبينما جلس الأولاد على الكراسي، فقد فرش "عبد السلام" سجادة صغيرة ليؤدي صلاة العصر، وقبل أن يتناول الجميع الشاي.

شددتُ على الجنود بوجوب اليقظة والحذر ومراقبة المنطقة المحيطة جيداً، حتى حلّ موعد صلاة المغرب بعد الساعة السابعة بقليل، إذْ جاءني السائق "الحاج أحمد" ليخبرني أن "السيد الرئيس" يطلب أن تحضر سيارته لتقلّه إلى القصر الجمهوري، على أن تنتظره في "ساحة عنتر"★ .

رئيس الجمهورية في ثكنة الحماية

فوجئتُ بالطلب، فـ"ساحة عنتر" تبعد عن الموقع الذي نحن فيه حوالي "كيلو متر" واحد أو أكثر... و"الملازم فاهم مالك" لم يتطرق لمثل هذا الأمر عندما أبلغني يوم أمس بتعليمات الحماية، ولم يذكر سوى حضور السيارة إلى هذا

★ ساحة عنتر:- لازالت حتى أيامنا هذه بالتسمية نفسها، وهي التي تفصل بين حي الأعظمية والوزيرية، وتبعد عن "المقبرة الملكية" بحدود (١,٥) كيلو متر............"المؤلف".

المكان بالذات... فكيف سأتصرف والحالة هذه؟

توجّهتُ الى حيث الهاتف في مكتبي، وإتصلت بـ"العميد زاهد محمد صالح" وأبلغته بالأمر.. فلم يستغرب!! ولكنه طلب وكّرر أن أُرافق السيد الرئيس الى حين وصوله الى "ساحة عنتر"، وأن يسير معنا بعض جنودي لتأمين حماية سيادته.

مرّت بضع دقائق قبل أن يخرج "عبد السلام عارف" من باب داره، لأؤدي له التحية العسكرية المعتادة، وفاجأني بدخوله الى الثكنة من باب الخروج... سرتُ على يساره متخلّفاً وراءه بخطوة واحدة، وتلك هي عادة العسكر.. توجّه الى مكتب ضابط الحماية وألقى نظرة فاحصة عليها وعلى زواياها ومحتوياتها وغرفة المنام والحمام... ثم الى قاعة الجنود، فنهض الجميع له إحتراماً.. وذلك قبل أن نعود الى الشارع المبلّط داخل الثكنة، حيث بادرني بالسؤال:-

★ هل أنتَ راض عن وضعك ووضع جنودك؟

- نعم سيدي، فلا وجود لدينا لنقص يذكر.

★ كم عددهم؟

- الموجود الكلي (٢٥)، والحالي (١٨)، فهناك (٧) جنود نزلوا الى "بغداد" بعد الظهر، وكما هي العادة يومياً، سيدي.

★ قبل كل شيء أُريدك، يا ملازم صبحي، أن تكون حريصاً عليهم وعلى راحتهم وضبطهم ونظامهم ونظافتهم... وأن لا تأكل قبل ان يأكلوا جميعاً، ولا ترتاح قبل أن تريحهم، ولا تَنَمْ قبل أن يناموا... فبذلك فقط يحبونك ويتعلّقون بك... فالعسكرية ليست إصدار أوامر فحسب، بل هي حب وإحترام ونظام.. فأنت ضابط قد تخرّجت حديثاً، وعليك أن تتعلّم مثل هذه الأمور جيداً وتتّخذها نهجاً في حياتك اليومية، مثلما تعلّمناه نحن من الضباط الذين سبقونا وعملنا تحت إمرتهم في ظروف السلم والحرب.. فمهنة العسكر هي "مهنة الموت"، فلا ينبغي أن تصدّق أن جندياً يقذف بنفسه نحو الموت في المعركة تنفيذاً لمجرد أوامر أصدرها ضابطه، لو لم يحبه من صميم قلبه... كُنْ لهم أباً وأخاً كبيراً، حتى

لو كان هناك فارق عمر بينك وبين البعض من ضباط صفك خصوصاً.

- نعم سيدي... وأنه ليشرّفني أن أسمع مثل هذه النصائح من سيادتك.

سكَتَ "عبد السلام عارف" قليلاً قبل أن يسأل، وكأنه إنتبه الى "لَكنَة" في نُطقيَ:-

✸ من أين أنت يا ملازم صبحي؟

- من "كركوك" سيدي.

✸ أتركماني أنت أم كردي؟

- تركماني، سيدي.

✸ بارك الله فيكم.. فأنتم أبطال، وأنتم أولاد "عمر علي"* بطل "معركة جنين" في فلسطين... وقد عانيتم أنتم الأمَرَّين على أيدي الشيوعيين في "مذبحة كركوك" عام ١٩٥٩، وقاومتموهم بعدها ببطولة.

- شكراً سيدي، و"اللواء الركن عمر علي" صديق لوالدي وعمّي، ولنا معه صلة قرابة.

✸ من هو والدك، ومن عمّك؟

- والدي من موظفي مديرية النفط العامة في "كركوك".. وعمّي الذي قصدته هو إبن عم والدي "العقيد المتقاعد مصطفى عبد القادر".

---

* عمر علي":- ضابط عسكري محترف... كان برتبة "مقدم ركن" آمراً للفوج الثاني من اللواء المشاة الخامس... جاهد في "حرب فلسطين" عام ١٩٤٨، وذاع صيته إثر النصر الذي حققه العراقيون في "قلعة جنين"... تدرج في المناصب العسكرية حتى حصل على رتبة "لواء ركن" وأشغل منصب "قائد الفرقة الأولى" ومقرّها في مدينة "الديوانية"... في صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، وحال سماعه بإندلاع ((شيء)) في "بغداد"، فقد أنذر فرقته وأمرها بالتهيؤ للحركة نحو "بغداد" لإخماد الحركة تطبيقاً لـ"خطة امن بغداد"... حوكم أمام "محكمة الشعب" ضمن قادة عسكريين كبار آخرين، وحكم عليه بالإعدام، ولكن "عبد الكريم قاسم" أفرج عنه وعن عديد غيره بعد حوالي سنتين قضوها في السجون................."المؤلف".

* إن كان المقصود "مصطفى بيك" الذي كان آمراً لأحد أفواج المجاهدين الفلسطينيين، فأرجو تبليغ سلامي الخاص له، وأن بابي مفتوح له ولـ"عمر باشا" متى يشاءان ذلك دون قيد أو شرط.

- شكراً سيدي، سأبلغهما بذلك.

* هل يصل الطعام الى جنودك بشكل منتظم؟

- نعم سيدي... وقد وصلت وجبات اليوم في مواعيدها المقررة.

* علي أية حال.. فإذا لم تصل إليهم أية وجبة، فأنني أُخوّلك أن تبعث سائقي "حجي أحمد" بسيارة البيت ليجلب لهم "الكباب" على عددهم، وعلى نفقتي الخاصة.

- شكراً سيدي، هذه إلتفاتة طيبة من لدن سيادتكم، وسأبلغهم بذلك.

* كلا... أنا لا أريد تبليغهم، لأن ذلك يعتبر "مِنّة".. فمن حقهم عليّ ذلك، فهم يحرسون بيتي ليل نهار... ولولا ظروف البلد لما سمحت لجندي واحد أن يبقى في هذا المكان.

- نعم سيدي، ونرجو الله أن تسير الأمور نحو الإستقرار.

* إن شاء الله تعالى.

كنت أسير مع "عبد السلام عارف" داخل الثكنة ذهاباً وإياباً حتى حلّ ظلام الليل بعض الشيء، إذْ كانت الساعة قد قاربت الثامنة، وهو يرتدي الملابس نفسها التي حضر بها ظهر ذلك اليوم... والحقيقة أنني كنتُ شاعراً برهبة وإستغراب وبعض السعادة، على الرغم من أن ذراعيّ ويداي كانتا "مُتَيَبّسَمرَتَين" على جانبيَّ تماماً، وكيف لا؟ فأنا "ملازم ثانٍ - وآمر فصيل" وهو "مشير ركن وقائد عام للقوات المسلحة"... كان نشطاً في مشيته وحركاته، واضحاً في كلامه، مسترسلاً في أفكاره وطروحاته.

في ذلك الأثناء، بدا رئيس الجمهورية وكأنه قد أنهى حديثه، وتوجّه نحو "باب الدخول" للثكنة، ولكنه توقف ليسألني:-

★ قل لي بالمناسبة، هل تعرّفت على المقدم "قاسم البزركان"؟

- نعم سيدي، إذا كنتم سيادتكم تقصدون "أبو جيهان" الساكن في الدار المقابلة.

★ نعم تماماً... الآن أُريدك أن تبلغ له سلامي وتقول له أن يكفّ عن مثل هذه التصرفات، فهو ضابط برتبة "مقدم متقاعد" وليس جندياً، فعليه أن يحترم نفسه، ولا داعي أن يرتدي ملابس عسكرية ويحمل مسدساً ليظهر شخصه وكأنه يحميني... فالبركة فيكم... والله، فإنه إن لم يكن جاراً لأوقفتُه عند حدّه.

- نعم سيدي، فقد لاحظتُ ذلك، ولكن عمره ورتبته منعاني من الحديث معه إحتراماً وخجلاً.

★ لا تخجل منه، وتكلّم معه بأسمي..... وشكراً لك يا ملازم صبحي.

أسرَع "رئيس الجمهورية" في مسيره بعض الشي وخرج الى الشارع العام، وأمسى يمشي على الرصيف المتاخم لسياج "مدرسة تطبيقات دار المعلمين الإبتدائية". فسار خلفنا (٤) جنود من حَمَلَة البنادق كنتُ قد هيّأتهم مسبقاً لغرض الحماية، حتى إلتفتَ نحونا وشاهدني والجنود، فقال:-

★ شكراً ملازم صبحي، عُدْ مع جنودك الى الثكنة.

أعود الى الثكنة؟؟!!... كيف ذلك ورئيس الجمهورية لوحده في شارع عام مُكتَظ بالناس والسيارات؟؟... وكيف لي أن لا أُنفذ ما أمَرَ به "المُرافق العسكري الأقدم" قبل أقل من ساعة واحدة؟؟؟... ولكن، كيف لي أن لا أُنفذ أمراً مباشراً أتلقّاه الآن من "السيد الرئيس" بالعودة الى الثكنة؟؟

كانت الأفكار تتصارع في ذهني كي أتخذ قراراً سريعاً وصائباً أو مقبولاً:-

- هل أعود الى الثكنة وأترك "رئيس الجمهورية" لوحده؟

- ما الذي يحدث لو إعتدى عليه شخص ما؟

- ما الذي يمكن أن يقع لو حاول أحدهم إغتياله؟... فهو الذي ذكر، قبل

دقائق، أن ظروف العراق الحالية هي التي جعلته يسمح لفصيل الحماية بالبقاء قرب داره.

- الأولوية في مهمات فصيل الحماية هي حماية شخص "رئيس الجمهورية".. ولما كنتُ ضابط الحماية أوانئذٍ فإن مسؤوليتي الأولى هي حمايته.

وفوراً، أمرتُ الجنود الأربعة بالعودة إلى الثكنة، فيما قررتُ أن لا أترك رئيس الجمهورية لوحده مهما كانت النتائج، بل أن أسير خلفه ولكن على بُعد، لاسيما وأن من المحتمل أن لا يراني وقد حلَّ ظلام أول الليل.

عبد السلام عارف لوحده في شوارع الأعظمية

وضعتُ "السيد الرئيس" ضمن مدى النظر.. سار على الرصيف حتى إجتاز الشارع الفرعي المحاذي لـ"حديقة النعمان" -أنظر المخطط (١)- فدخلها من بوابة ركنها القريب... كانت الحديقة ملأى بعشرات العوائل، وقد فرشت نساؤها الأرض بالحصران أو البطانيات القديمة، ونصبوا الكراسي والمقاعد المتنوعة، وجلس الرجال والنساء يتحدثون أو يتناولون طعام العشاء في تلك الأمسية من الليالي العشر الأخيرات من شهر آب... ومجاميع أطفال وصبية يلعبون هنا وهناك، وكُتَل فتيان يسيرون قريبين من فتيات أنيقات يرتدين ملابس قصيرة -تقليعة الستينيّات- كلّما كان ذلك مُتاحاً، والبعض منهم يتبادل نظرات حالمة وبعض الإبتسامات مع فتيات أحلامهم.

إخترق "عبد السلام عارف" الحديقة حتى ركنها القريب من "سينما الأعظمية"، ولربما من دون أن ينتبه إليه أحد أو يكترث به... كنتُ أسير على بعد حوالي (٢٠) متراً بحذر وقلق، فأنا لا أحمل غير مسدس واحد مع (٢٦) إطلاقة ليس إلاّ... حتى خرج نحو "محطة البنزين" المتاخمة للسينما، وسار على رصيف "شارع الإمام الأعظم" أمام "كازينو النعمان"، إذْ إنتبه إليه البعض من الجلوس، فقاموا إحتراماً له، فسلّم عليهم، وردّوا عليه:- "هَلَه هَلَه بالحَجّي".

وإستمر بالسلام نحو بعض الأشخاص والمسير حتى وصل الى مجموعة

الدكاكين التي تحتوي محلاً لبيع المعلّبات والبقول وبعض الحبوب وقد عُلِّقَ في واجهته قطعة خشبية مكتوب عليها "وكيل مصلحة المبايعات الحكومية"*.

نهض رجل كبير السن، يرتدي "دشداشة" بيضاء اللون وإستقبله.. فتحاضنا وتبادلا القبلات بحرارة... دفع إليه الرجل "صفيحة" عليها قطعة مربّعة من "الإسفنج الإصطناعي"... جلس "عبد السلام عارف" متبادلاً الحديث معه، وأنا ناظر إليه عن بعد محاولاً الإختباء بين المارين من الناس، وهم بالمئات ما بين ذاهب وآيب... ولكنها كانت دقائق مُتعِبة على نفسي وسط هذه الجموع من البشر.

أسرع "رئيس الجمهورية" في خطاه، وقد وضع يديه خلف ظهره، وهو يسير على الرصيف بين أُناس ينظرون إليه بسكوت أو ذهول، وبين آخرين لا يجلب نظرهم.. بين أشخاص يحيّونه بالسلام وآخرين لا يكترثون به بتاتاً، وهو متّجه نحو "ساحة عنتر"... ولم تمض سوى دقائق حتى شاهدتُ من على بُعد السيارة الرسمية لرئيس الجمهورية وقد وقَفَت وسط "الموكب" الذي أتى به الى داره ظهر هذا اليوم... حيّاه الجميع بالتحية العسكرية وعلى رأسهم مرافقه الشخصي، وسط مجاميع من الناس وقفوا وسط "ساحة عنتر" وأرصفته ممّن يحلو لهم مشاهدة مثل هذه المواقف والمواكب... فإستقل السيارة، وسار الموكب، والبعض يصفق له ويهتف بحياته.

تنفّستُ الصَعداء بحقّ، وأحسستُ تماماً أن خفقان قلبي الذي عانيتُ منه لساعات عديدة، وبالأخص خلال نصف الساعة الأخيرة، قد خفّ، وذلك قبل أن أعود راجعاً، وحامداً العلي القدير أن يوماً واحداً -سوف لا أنساه أبداً- قد مرّ بسلام.

---

* كانت هذه اللوحات حديثة العهد على المجتمع العراقي بعد أن أصدرت الدولة قوانينها الإشتراكية، وحصرت إستيراد المواد الغذائية الجافة والمعلّبة بوزارة التجارة بذلك العام.."المؤلف".

ذكريات عبرت أفق خيالي

ذلك ليس عنواناً لأغنية "أم كلثوم" ذائعة الصيت، بل حقيقة فرضت أوزارها على ذاتي في طريق العودة الى الثكنة... فبينما كنت أسرع الخطى فإن الذاكرة أعادتني إلى قبل ما يزيد قليلاً على (٦) سنوات، عندما سمعنا بإسم "العقيد الركن عبد السلام محمد عارف" خلال الأيام القليلة الأولى مما سُمّيَ بـ((ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨)) المباركة!!!.

كانت صبيحة يوم الإثنين الموافق ١٤ تموز ١٩٥٨ عندما كنتُ متمتعاً بالعطلة الصيفية، بعد أن إجتزت بنجاح الصف الثاني إلى الثالث المتوسط، فتىً في مقتبل العمر، حين فوجئتُ بوالدي منذ الصباح الباكر جالساً قرب المذياع، مرتبكاً بعض الشيء، وهو يتنصّت إلى كلمات وعبارات لم أفهم مغزاها ومقصدها، و((مارشات)) عسكرية وأغانٍ حماسية لم أسمعها من قبل... حين أوضح لي أن ((إنقلاباً عسكرياً)) حدث في "بغداد" فجر اليوم، وجعل من العراق "جمهورية" بعد أن كان "دولة ملكية" طيلة أكثر من (٣٦) سنة... وفسّر لي ماهية الجمهورية والملكية.

تأثرتُ من أعماقي لـ"الملك فيصل الثاني" الذي طالما أحببناه وتغنّينا بإسمه وأنشدنا لأجله طيلة سنوات الدراسة التي مضت... وقد أُعلنَ "حظر التجوال" في جميع أنحاء العراق... ولكن لا أحد في مدينة "كركوك" مَنَعَنا من التجوال في ذلك اليوم ضمن الحي أو المنطقة التي كنا نسكن فيها.

وفي اليوم التالي كان والدي قد إقتنى جريدة إسمها "الجمهورية"، عندما قرأتُ "البيان الأول" للثورة... وتوالت الأيام حتى عُلّقت على بعض جدران منازل المدينة أوراق متوسطة الحجم تحمل صورتين في آن واحد ... "الزعيم الركن عبد الكريم قاسم" في الجانب الأيمن "والعقيد الركن عبد السلام محمد عارف" في جانبها الأيسر.

أما أول مشاهدة لي لشخص "عبد السلام عارف" فقد كان في ساحة

ألعاب "معسكر كركوك"، حيث سرتُ إليها مع بعض الأصدقاء لحضور "تجمّع جماهيري" لتحية "قادة الثورة" الزائرين لمدينتنا... كان "عبد السلام" مرتدياً الزي العسكري الصيفي، وهو يحمل مسدساً كبير الحجم مشدوداً بقيطان خاكي اللون حول رقبته.. رأيتُه متوسط القامة، رشيق البنية، على عكس ما كان معروفاً عن الضباط من ذوي الرتب العالية الذين كنا نشاهدهم في شوارع مدينتنا... وقد أحاط به أو وقف إلى الخلف منه ضباط كثيرون ذوي رتب مختلفة -كان من بينهم عمي العقيد مصطفى عبد القادر-... كان هناك جنود بالعشرات ينتشرون وسط الساحة الكبيرة وحواليها وهم يحملون بنادق طويلة ذات حراب مشدودة في أعلاها، وآخرون من "الإنضباط العسكري" يحيطون بالساحة، بعضهم يحمل مسدسات وآخرون كانوا مسلّحين بـ"غدّارات"*.

مشاهد غريبة إنبثقت فجأة إلى الوجود، إذْ لم تكن مألوفة قبل أيام معدودات، سواءً لدى زيارة "الملك فيصل الثاني" أو "الأمير "عبد الإله" أو رئيس الوزراء المخضرم "نوري السعيد" لمدينة كركوك في العهد الذي بات يُسمّى في تلك الأيام بـ"العهد البائد" أو "العهد المُباد"... وكذلك عندما زارتها شخصيات غير عراقية، حيث كنا نصطفّ بهدوء ونظام على جانبي الطريق المؤدي بدءاً من محطة القطار ووصولاً الى مركز المدينة ورئاسة بلديتها، لنحيّيهم بأعلام عراقية وأناشيد تتخللها زغاريد النساء والمعلمات وطالبات المدارس.

أما اليوم فقد أمسى كل شيء مغايراً لما كان يحصل في السابق.. فجماهير محتشدة ومتحمّسة تهتف للجمهورية بما لم تطرق سمعنا من قبل... ومجاميع من الناس ترفع لافتات كتبت عليها شعارات غير مسبوقة... وآخرون يدقّون طبولاً ومزامير ويرقصون ويهتفون بحماس، كل حسب توجّهه السياسي.

وما أن أطلّ "عبد السلام عارف" من الشرفة حتى هرعت الجموع نحوه،

---

* الغدّارة:- سلاح كان مستخدماً في الجيش العراقي حتى نهاية عقد الستينيات، وهي رشاشة صغيرة ترمي إطلاقات شبيهة بتلك التي تقذفها المسدسات، وتمتاز بدقة الرمي وغزارته وخفّة الوزن مقارنة مع البنادق............."المؤلف"

وبصعوبة كبيرة سكَتَت أو خفّفت من صياحاتها الفوضوية، لنستمع الى خطاب "نائب القائد العام للقوات المسلحة العراقية" الذي لم أفهم منه شيئاً... لا لشيء، وإنما لأني لم أسمع من يخطب سابقاً... فشخصيات "العهد الملكي" لم يلقوا خطابات في أية زيارة سبقت.

قاطعت "الجماهير الثورية" الخطاب بإستمرار... كان هناك أشخاص بين الجموع يحرّضون الآخرين على الصياح والهتاف... وبين تصفيق دون توقف، لشيء أو للاشيء، وبين هتافات وصياحات ضاع الخطاب، فترك "عبد السلام عارف" الشرفة مع من كان يحيطه، إذْ عدنا قافلين الى بيوتنا بسرعة لئلاّ تغيب الشمس ويبدأ سريان حظر التجوال الذي إنحسر ضمن ساعات الليل فحسب.

توالت أيام عصيبة على "كركوك" والعديد من مدن العراق، إنْ لم نقل كلها، إذْ سيطر الشيوعيون والفوضويّون والرُعاع وشذّاذ الآفاق وآكلو الأكتاف والعديد من المنافقين -كالحال بأية ثورة في عموم التأريخ- على مقاليد الأمور والسلطات شيئاً فشيئاً، وخصوصاً بعد أن تفجَّر الصراع بين "عبد الكريم قاسم" و"عبد السلام عارف" الذي أُعفِيَ من جميع مناصبه نائباً لرئيس الوزراء ووزير الداخلية ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة، ليُعيَّن سفيراً للعراق في "بون" عاصمة "ألمانيا الإتحادية/الغربية"... وقُدِّمَ أمام "المحكمة العسكرية العليا الخاصة" التي كان "العقيد فاضل عباس المهداوي" يرأسها، وحكم عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت، وذلك مساء يوم ٥ شباط ١٩٥٩ بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم ومحاولة إغتيال "الزعيم الأوحد".

ولكن تلكم الإجراءات التي أُتُخِذَت حيال "عبد السلام عارف" جعلته يكسب الكثير والمزيد من المحبة لدى مناهضي الحكم القاسمي، حتى أمسى في أعين معظم المناوئين رمزاً لمقاومة الشيوعية وأملاً في تصحيح أوضاع البلد، وخصوصاً عندما قرر"عبد الكريم قاسم" الرأفة به وعدم تنفيذ حكم الإعدام بحقّه، وذلك وفاءً منه للصداقة التي ربطتهما قبل الثورة، وكونه من أنشط الأعضاء في "تنظيم الضباط الأحرار"، وقيادته الوحدات التي إقتحمت "بغداد"

صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، وداهمت قصرَي "الزهور والرحاب" وقضت على شخوص نظام الحكم الملكي في العراق.

على إثر ذلك لم يَبقَ "عبد السلام" في السجن سوى ما يربو على سنتين، حتى أُفرِجَ عنه، بل أن "عبدالكريم قاسم" أوصله بسيارته بصحبة آمر الإنضباط العسكري "العقيد عبد الكريم الجدة" الى داره هذه... ولكنه أُبقي تحت المراقبة وشبه الإقامة الجبرية في منزله، حتى إنبثقت "حركة ١٤ رمضان" صبيحة يوم الجمعة ٨ شباط ١٩٦٣، إذْ عيّن "عبد السلام محمد عارف" رئيساً للجمهورية وقائداً عاماً للقوات المسلحة بعد أن مُنح رتبة "مشير ركن"... وبذلك يكون قد قفز (٤) رُتَب عسكرية دفعة واحدة.

وخلال الأشهر الثمانية التي مضت من عام (١٩٦٤) الجاري بشكل خاص، بدا للناس وكأن العراق يتوجّه بعض الشيء، ولو بخطوات بطيئة، نحو الإستقرار، وبالأخص في نظر المثقفين، وذلك على الرغم من المعارضة القائمة من لدن البعثيين والشيوعيين والمَلَكيّين وبعض القوميّين والناصريّين حيال نظام حكم وشخص "عبد السلام محمد عارف".

وخلال تلك اللحظات، كنتُ قد وصلتُ الى الشارع الفرعي المحاذي لدار رئيس الجمهورية، حيث لاحظتُ أن عريف الفصيل قد قام بسحب الجنود الحراس من مواقعهم عملاً بالنهج المعتمد، ولم يُبقِ خارج الثكنة غير جنديي الحراسة في بابَيها مع ضابط الصف المسؤول عن مراقبتهما.

جلستُ في مكتبي مرهَقاً بعد طول عناء لأتمتّع بقسط من الراحة قبل أن أتناول طعام العشاء، وأتأكد من جدول توقيتات الحراسات وأسماء الجنود الذين سيكلّفون بالواجبات الإعتيادية ليلاً، وأن الجميع قد إنتهوا من تناول طعام العشاء، قبيل أن أغُطّ في هذه الليلة الثانية من الواجب بنوم يَقِظ وحَذِر، تخلّلتها طلعتان أو ثلاث الى خارج الثكنة للتأكد من يقظة الجنود وهدوء المنطقة المحيطة بنا.



الصورة (١٩)

"عبد السلام محمد عارف" لدى ترفّعه لرتبة (عقيد ركن) قبل ١٤ تموز ١٩٥٨



الصورة (٢٠)

الزعيم (العميد) الركن "عبد الكريم قاسم" والعقيد الركن "عبد السلام محمد عارف" في أول أيام ١٤ تموز ١٩٥٨



الصورة (٢١)

العقيد الركن "عبد السلام محمد عارف" في لقائه مع الرئيس "جمال عبد الناصر" في دمشق يوم ١٨ تموز ١٩٥٨



الصورة (٢٢)

المتهم العقيد الركن "عبد السلام محمد عارف" في قفص الإتهام بالمحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة المهداوي) وقد وقف الأستاذ "عبد الرحمن البزاز" مدلياً بشهادته في الجلسة السرية المنعقدة يوم ٢٨ كانون الاول ١٩٥٨



الصورة (٢٣)

العقيد الركن "عبد السلام محمد عارف" (قبيل منحه رتبة مشير) أيام ١٤ رمضان ١٩٦٣ وهو يقبل أولاده

المهمّات اللاحقة

بقيتُ مستمراً في الواجب طيلة أسبوع كامل في هذه المرة، تعرّفتُ خلالها على أمور كثيرة في المنطقة التي تحيط بالثكنة، والجيران، وبعض أقرباء رئيس الجمهورية وأصدقائه ومعارفه، مكتسباً خبرة متواضعة في إدارة فصيل الحماية وأسلوب تدريبه وتأهيله بشكل أفضل للتحرك إذا ما حدث طارئ... وزال عن كاهلي ذلك القلق الذي راودني خلال الأيام الأولى... كما إطلعتُ على بعض عادات أفراد عائلة الرئيس وسائقهم الخاص.

ويبدو أن آمر الفوج ومساعده قد وجداني خير من يمكن أن يؤدي هذه المهمة، ليس لكوني حريصاً أو أُجيد أداءَها، بل لأن مساكن جميع ضباط الفوج من آمري الفصائل الذي يمكن تكليفهم بهذا الواجب تقع في مدينة "بغداد"، وأنهم ربما ينزعجون إذا ما إستمروا في البقاء أكثر من يومين متتاليين... ولكون مسكني في "كركوك" ولازلتُ أعزباً، فلا أمل لي في التمتع بأية إجازة، وأنه لا فرق

عندي بين البقاء في الفوج أو الإستمرار في مهمة حماية هذه الدار... لذلك فقد كرّرا عليّ واجب الحماية لعشرات المرات وفي فترات متقاربة خلال فترة السنتين اللاحقتين اللّتين قضيتهما في الحرس الجمهوري، والتي لم أشعر معها بأي ملل أو ضجر في تلك المنطقة السكنية الجميلة من بغداد.

المقدم المتقاعد "قاسم البزركان"

بلّغتُ "المقدم المتقاعد قاسم البزركان" تحيات رئيس الجمهورية وطلبه الشخصي بوضوح وبكل ما إستطعت من إحترام وأصول... فكفّ الرجل عن إرتداء ملابسه العسكرية ولم يعد يحمل مسدسه الصغير... إلاّ أنه لم يكن بمقدوره أن لا يتشبث بالظهور في معظم المرات التي كان "الرئيس" يحضر إلى بيته، ويخرج الى الشارع ويتقرّب إليه ويؤدي له التحية ويصافحه.. ولا أتذكر مرة واحدة أن "عبد السلام عارف" قد تجاهله أو ردّه... ولكنه لم يكن يستقبل تصرّفه هذا بإرتياح مشهود.

مبيت الرئيس في بيته

لم يكن "عبد السلام عارف" يبيت في منزله عادة، وكما أسلفتُ... وكان موعد وصوله بعد إنتهاء الدوام الرسمي بقليل، حيث يبقى حتى صلاة المغرب وربما صلاة العشاء... ولم يَتَعدَّ عدد مرات مبيته عدد أصابع اليدين خلال فترة السنتين اللتين تكرّرت عليّ خلالهما مهمة الحماية هذه، وذلك إما في بعض ليالي الخميس/الجمعة، أو بعد غيابه عن مسكنه أياماً عديدة، سواء لدى زياراته المتواصلة إلى الألوية/المحافظات أو خارج العراق... حيث كنا ندخل في حالة إنذار ساهرين الليل بطوله حتى صباح اليوم التالي، فيما كانت إجراءات الحماية هي نفسها دون تغيير يذكر.

أسلوب عودة الرئيس إلى القصر

كان الرئيس يخرج الى شوارع الأعظمية أو غيرها لوحده، سواء بإتجاه

"ساحة عنتر" أو سواها ... فمرة يطلب أن ينتظره "الموكب" خلف "المقبرة الملكية"، ومرة أخرى في ساحة مرقد "الإمام أبي حنيفة النعمان"، حيث كان يؤدي الصلاة في الجامع الكبير قبل العودة الى القصر الجمهوري... ومرة ثالثة في "ساحة مكتبة الصباح" الواقعة على شارع "عمر بن عبدالعزيز"، ورابعة بالقرب من "جسر الصرافية/الحديدي" حيث كان يسير على "كورنيش الأعظمية" مسافة طويلة.

اللواء الركن "عمر علي" وآراؤه في السياسة وعبد السلام عارف

رأيتُ من الواجب والأمانة، وبعد أن أطرى" عبد السلام عارف" ذلك المديح بحق اللواء الركن المتقاعد "عمر علي" في أول لقاء لي معه، أن أُبلّغ ذلك الى الشخص المعني في أول فرصة ممكنة، لأعود بما يطرحه ويتحدث فيه إلى"رئيس الجمهورية" في لقاء قادم لا بد أن يقع طالما سأُكلَّف بمهمة حماية داره في أيام لاحقة.

كانت زياراتي للعم "عمر علي" في داره بمنطقة "الوزيرية" تتمّ برفقة والدي الذي كان يزور"بغداد" بمعدل مرة واحدة في كل سنة، وكان لا بد له أن يحضر في دار "عمر علي" في كل زيارة إحتراماً لمقامه، إضافة إلى علاقة الصداقة التي كانت تربطهما، مع بعض القرابة.. ولكن في هذه المرة، قررتُ زيارته لوحدي طالما تخرجت ضابطاً من جهة، ولأُخبره -ببعض التفاخر- أنني عُيّنتُ في "الحرس الجمهوري" وإلتقيت مع رئيس الجمهورية من جهة ثانية.. ولربما سأكون وسيطاً في لقاء ودّي قد يتم بينهما في قادم بالأيام.

وبعد إنقضاء أيام عديدة، وحالما حضر ضابط وتسلّم مني المهمة إرتديتُ أفضل بذلة مدنية صيفية أمتلكها، ذاهباً الى داره في "الوزيرية"... ضغطتُ على جرس المنزل فأطل "أبو بارز" بقوامه المهيب ووجهة البخيل في الإبتسامة، وشاربه الكث، وصلعته التي تحتل الجزء الأكبر من رأسه الكبير.

دخلتُ معقّباً إياه الى غرفة الإستقبال الفاخرة، وبعد دقائق من الترحاب والمجاملات والتهنئة لمناسبة تخرجي في الكلية العسكرية، وإنتسابي الى "صنف

المشاة" سيد الصفوف وأصعبها وأرقاها وأقربها الى الرجولة -حسب رأيه- فقد بادرتُ الى القول:-

- يا عم عمر.. جئتُ لأبلغك أن السيد رئيس الجمهورية ذكرك بالخير وشهد بك بطلاً من أبطال "حرب فلسطين"... كما تحدث خيراً عن "عمي مصطفى بيك" وطلب أن أُبلغكما أن أبوابه مفتوحة لكما متى ما شئتما.

نظر إلي وقد تجهّم وجهه:-

✸ أي رئيس جمهورية، وما الذي أوصلك اليه؟

- لقد نُسِّبتُ لـ"الحرس الجمهوري" بعد تخرجي، وكُلِّفتُ بحماية دار رئيس الجمهورية لبضعة أيام ماضيات، والقادمات أكثر.

✸ كلاّ يا ولدي... أنا لم أكن أتمنى لك مثل هذا التنسيب في بداية حياتك العسكرية... كان الأولى بك أن تخدم في وحدات فعالة تقاتل في الشمال كي تتعلّم القيادة وتخوض المعارك، فتتراكم لديك خبرة الحرب وإدارة الوحدات الفرعية الصغرى وقيادة الجنود والتعامل مع الأخطار.

- لم تكن لي، يا عم، يد في الموضوع، ولم أعرف بذلك حتى يوم تجمع طلاب دورتنا في "نادي الضباط" حيث تم توزيعنا على الصنوف والوحدات... وما كان للذين تنسّبوا إلى "الحرس الجمهوري" خيار في تغيير وحدتهم أو صنفهم.

✸ على أية حال... والآن يبعث "عبد السلام" معك سلامه وتحياته لي؟!!

- نعم يا عم.

وهنا تحول "عمر علي" إلى كتلة من نار، وبات يزأر كالأسد وبأعلى صوته:-

✸ إن هذا ((..............)) والأرعَن الأهوَج" في تصرفاته، الصبياني في طموحاته، قد قاد عراقنا العزيز إلى ما أمسى عليه الآن.. وأنه لو لم يهجم على "بغداد" وقصور العائلة الهاشمية ودار نوري السعيد، ولو لم يقترف ما خطاه في

ذلك اليوم المشؤوم، لما كان "عبد الكريم قاسم" قد إستطاع قلب نظام الحكم وإستحوذ على كرسي السلطة عام ١٩٥٨ ... إن "عبد السلام" هو المسؤول الأول عما قاسيناه وعاناه هذا الشعب المسكين وتعرّض له هذا البلد المعطاء وما سيتعرض له من مآسٍ ومذابح ومجازر هنا وهناك، وعمّا سيصيبنا من أوضاع غير مستقرة لسنوات طويلة قادمة.

- ولكن، يا عم عمر، الا تقدّر أن أية ثورة تقوم في أي بلد، تعقبها سنوات من عدم الإستقرار ريثما تعود الأمور إلى مجاريها؟

✱ ولماذا الثورة؟.. لماذا الثورة يا صبحي؟؟ وأية ثورة تلك التي تتحدث عنها؟؟؟ فالثوار لم يكونوا سوى ((حفنة)) من الضباط المجازفين والطامعين في تسلّم مناصب ليسوا أهلاً لها، أرادوا السيطرة على مقاليد الحكم، فسيطروا، وكان ما كان.

- ألم يخلّصونا من الإستعمار؟

✱ آآآآأوه... أي مستعمرين؟ وأي إستعمار؟؟ لم يكن العراق مُستَعمَراً بشكل مطلق منذ قام الحكم الوطني عام ١٩٢١ ... نحن لم نقبل أن يستعمرنا الإنكليز وغيرهم، ولم نكن مثل العديد من الدول العربية والإسلامية التي رضخت لإنكلترا أو خضعت لفرنسا أو إيطاليا أو سارت في ركاب هولندا.

- ولكن، ألم تكن هناك قواعد بريطانية في الحبانية والشعيبة؟

✱ أنت يا صبحي، ما زلتَ صغيراً على مثل هذه الأمور المعقدة ذات التشابكات والمصالح المتنوعة، ولا يمكن أن تتصور متعلّقاتها وتداخلاتها، ويبدو أنك متأثر بما تطرحه الصحف وكُتّاب المقالات غير الواقعية وغير المسؤولة... فنحن في العراق الذي تحيطه دول ذات أطماع ببلدنا، كان لا بد لنا أن نستند بظهرنا على قوة عظمى متنفذة في أمور العالم، كي تحمينا من جهة وتُحَيِّد تلك الدول من جهة أخرى... وأن الخطر الشيوعي-الذي ذقنا طعمه مؤخّراً- والمدعوم سوفيتياً داهم ومُحدِق بنا على طول الخط، وأن الإتحاد السوفيتي لا

يبعد عن شمالي شرقي بلدنا، والممثل بالمثلث "العراقي-الإيراني-التركي" سوى مئات من الكيلومترات.. وأن قوات "الجيش الاحمر" لو إندفعت بقدراتها المعروفة لتخترق الإراضي الايرانية أو التركية فإنها ستستقر في شمالنا خلال أيام عديدة على أكثر تقدير.. ولذلك فقد أدخَلَنا ساستنا أيام العهد الملكي في حلف قوي مع "بريطانيا"، ومن ورائها "الولايات المتحدة الأمريكية" كي يضمنوا سلامتنا، وشاركوا "ايران وتركيا" في الحلف نفسه ليصونوا العراق من خطرهما.. ولذلك ساد الهدوء والإستقرار، ليس العراق فحسب، بل عمّ الشرق الأوسط كله بشكل قلّما تنعّمت به أية منطقة ذات أهمية مشابهة في العالم، حيث أصبح للعراق وزن، ليس في مستوى المنطقة فقط، بل أمسى العالم كله ينظر نحونا بمنظار عالٍ.. إن هذه الأمور يسمّونها "سياسة التوازن" أو "توازن القوى".. ولستَ أنتَ فقط صغيرٌ على إستيعاب هذا الكلام، إنما حتى رئيس جمهوريتك لا يقّدر ماهية "التوازن" أصلاً، وذلك على الرغم من حمله "شارة الركن الحمراء" على كتفَيه... وأن العراق كان سائراً حتى عام ١٩٥٨ بخطىً رصينة نحو التقدم والإزدهار، وأن هؤلاء ((الثوار)) قد أعادونا (١٠٠) سنة الى الوراء، وأن منجزات وخطط "مجلس الاعمار" الذي تشكّل عام ١٩٥٤ خير دليل على ما أقول.

- سأتعلّها وأتفهّمها باذن الله... ولكن، يا عم عمر، ألم يكن الإستعمار يمتص دماءنا عن طريق الإستحواذ على نفطنا؟

✸ حسناً... ولكن ماذا عمل هؤلاء ((الثائرون)) حيال نفطنا؟ فها هو النفط العراقي ما زال متدفقاً منذ تموز ١٩٥٨ الى الخارج عن طريق الأجانب أنفسهم، ولم يستطع لا "عبد السلام" ولا غيره أن يقف في وجوههم... وإذا ما إقترف أحدهم خطوة ما، فإن ذلك سيكون وَبالاً على كل العراق وشعبه إن عاجلاً أو آجلاً، فالنفط شريان الحياة ولا يمكن للذين أخرجوه من بواطن أرضنا نهاية عقد العشرينيّات، وأوصلوه بالأنابيب التي مدّوها، سواء الى الخليج العربي أو البحر المتوسط، ونقلوه الى الأسواق العالمية، أن يغضّوا النظر عنه ويتركوه بين أيدينا دون تدخل... فأبلغ ذلك الى رئيس الجمهورية المحترم.

- يا عم عمر... أقولها بصراحة، أني لستُ بمستوى هذا الكلام الكبير، ولا يمكن أن أتحدث مع السيد رئيس الجمهورية إلاّ بقدر إجاباتي المحددة على أسئلة معينة قد يطرحها... ولكننا نسينا تحيات سيادته اليك.

✸ لستُ على أي إستعداد أن أرتبط مع "عبد السلام" بأية علاقة، فقد عانيتُ الضَيم من ثورتهم، وأُدخلتُ في قفص الإتهام بهذا العمر وبتلك الرتبة، وبعد كل تلك التضحيات لسببٍ تعرفه جيداً... وحُكِمَ عليّ بالإعدام شنقاً بعد ما خدمتُ هذا الجيش وهذا الوطن أكثر من (٣٠) سَنة خدمة نظيفة لا شائبة فيها... وتوفي ولدي من جراء سماعه لحكم الإعدام... وأنا الآن لستُ بحاجة إليه ولا لغيره، وسوف لا أتقرّب إليهم مهما كانت الظروف إن شاء الله... ولكن، ولكي لا تُحرَج أمامه، رُدّ إليه السلام فقط إذا ما طرح ذكري مرة أخرى.

سكت "اللواء الركن المتقاعد عمر علي" طويلاً، وبدا وكأنه سرح بأفكار في الماضي وذكرياته المُرّة، قبل أن يبادرني الى القول:-

✸ بالمناسبة يا ولدي... أنا نادم كثيراً عل عدمِ تسجيل مشاهداتي وآرائ حول أمور كثيرة في حياتي العسكرية والإدارية والعملية والشخصية وغيرها... وعندما أحاول الآن تدوينها أجد صعوبة كبيرة في إستعادة الذكريات بحكم العمر والمشاغل والمصائب خلال السنوات الأخيرة... فقد شاركتُ في معارك كثيرة، سواء أثناء الحرب العراقية-البريطانية عام ١٩٤١، أو خلال قمع عصيان "الملاّ مصطفى ١٩٤٥"، أو في "حرب فلسطين" ١٩٤٨ وغيرها، وتسلّمت مناصب قيادية متسلسلة عديدة ومهمة، ومتصرفاً (محافظاً) في "السليمانية"، وقائد فرقة... وسُجنتُ وحُوكمتُ وخرجتُ سالماً بجلدي، وجميعها مواد جيدة لكتاب ضخم، بل لكتب ضخمة... لذلك، وما دُمتَ قد بدأتَ حياتك العسكرية ضابطاً في "الحرس الجمهوري" بهذه الظروف التي يمر بها العراق، فإن عليك منذ اليوم أن تسجل مشاهداتك وملحوظاتك وآرائك في مذكرة من الحجم الكبير.. لأنك ترى ما لا يراه زملاؤك في وحدات الجيش الاعتيادية، فمجرد "التمشّي" مع "آمر فوج" قد يُعتَبَر "حسرة" على ضابط حدث، في حين تعمل ذلك مع "رئيس

الجمهورية"... وأن رؤية ضابط "ملازم" لآمر لوائه قد لا تصادفه غير مرة واحدة في الشهر، بينما ترى أنت وزراء ومسؤولين عن قرب يومياً عندما تحرس القصر الجمهوري.. وإذا ما وقعت "محاولة إنقلابية" فسوف لا يعرف بها ضباط الوحدات لربّما بعد يوم أو أيام، بينما تعيش أنت ساعاتها وأحداثها... وأن جميع هذه الأمور التي تراها اليوم وكأنها اعتيادية، فإنها ستكون في المستقبل غير البعيد تأريخاً يحسدك الكثير على مجرد معرفة تفاصيلها.

ودعتُ "العم عمر علي"، بعد أن قبّلتُ يده اليمنى إحتراماً وإعتزازاً.. ولم أنسَ في ذلك المساء أن أتوجّه إلى مكتبة في "راغبة خاتون" لأقتني أول "أجندة" في حياتي بسعر (٧٥٠) فلس، ليكون حديثه أول السطور التي سجلتها في أوراقها عن ليلة ٢٨/٢٩ آب ١٩٦٤.

المبحث الثالث

عائلة "عبد السلام عارف" وأمور أخرى

أفراد العائلة

كانت عائلة "عبد السلام محمد عارف" مكوّنة من زوجته، التي أنجبت له سبعة أولاد، أربع بنات وثلاثة بَنين... هم على التوالي "وفاء، رجاء، سناء، أحمد، جلاء، والتوأمان محمد ومحمود".

زوجته

لم أتعرّف على إسم زوجته "أم أحمد" طيلة السنتين اللتين قضيتهما في الخدمة بالحرس الجمهوري* .. كانت إمرأة في حدود الأربعين من العمر، ولربما لم تكن تتقن القراءة والكتابة.. لم أرَ سوى وجهها طيلة المرات العديدة التي رابطتُ لحماية مسكنها خلال سنتين من خدمتي في الحرس.. كانت متوسطة الجمال والقوام والبنية، ترتدي العباءة السوداء العراقية، سواءً عند خروجها من البيت لزيارة الجيران، أو لدى إستدعائها لأحد الجنود الحراس الى باب حديقة دارها لتكليفه بشيء ما، بكل أدب وأصول وأخلاق.. ولم تستدعني غير مرة واحدة الى باب الحديقة لتشكو لي بصوت خافت عن تصرّف غير مقبول لأحد الجنود مع إبنة جارة قريبة، إذ أرسلتُه مع ملابسه وتجهيزاته وسلاحه شبه موقوف الى مساعد آمر الفوج بسيارة الأرزاق ظهر اليوم نفسه.. ولم تتم

---

* أوضحت لي السيدة "وفاء عبد السلام محمد عارف" لدى زيارتي لمسكنها بحضور زوجها وابن عمّها "العقيد الطيار المتقاعد صلاح عبد السميع محمد عارف" في "حي اليرموك" ببغداد مساء يوم الثلاثاء ١٩٩٧/٤/١، أن إسم والدتها "ناهدة حسين فريد الريِّس" ....المؤلف".

معاقبته فحسب، بل نُقلَ إلى خارج وحدات الحرس الجمهوري فوراً.

كانت "أم أحمد" تبقى وحيدة في البيت منذ الصباح حين يذهب الأولاد جميعاً الى مدارسهم حتى يعودوا ظهراً... لم ألاحظ تركها لدارها إلاّ مرات قليلة لزيارات الجارات القريبات، ولم تكن تتنقل بسيارة العائلة مع السائق لوحدها بشكل مطلق إلاّ بصحبة أحد أولادها، ولم أسمع لغواً أو صياحاً مع زوجها، على الرغم مما كان يُشاع لدى عامة الناس أنهما على غير وفاق، ولكنها لم تكن تجلس مع الأولاد في الحديقة عندما يكون "عبد السلام عارف" جالساً معهم، ولربّما يكون هذا التصرف قد فرضه "أبو أحمد" عليها لسبب أو لآخر... وقد شاهدتُ خروجها مع إحدى بناتها أو بنيّها، أو جميعهم معاً بسيارة العائلة والسائق "أحمد الكرخي" لزيارة الأقارب أو الأصدقاء البعيدين، ولكننا لم نكن على معرفة بوجهتهم، فليس من واجبنا ذلك... إلاّ أن إحدى البنات كانت تحضر الى مكتبي للإتصال هاتفياً بأبيها مباشرة لإخباره بذهاب العائلة الى بيت "فلان"... وما أكثر الزائرات اللواتي كُنَّ يحضرن إليها سواءً من الجارات أو القريبات... وكيف لا؟ فهي زوجة رئيس الجمهورية، والتي يفترض أن تسمّى "السيدة الأولى" -كما هو متعارف في معظم بلدان العالم- وكانت إحدى أقرب صديقاتها التي تتزاور معها يومياً إمرأة في مثل عمرها إسمها "أم صباح" الساكنة في الركن المقابل للدار.

وفاء عبد السلام

كانت "وفاء" -الإبنة الكبرى- متزوجة من إبن عمها "ملازم أول طيار صلاح عبد السميع محمد عارف" الذي كان طياراً على طائرة قاصفة من طراز "إليوشن-٢٨" في قاعدة "كركوك" الجوية، وكانا يسكنان في إحدى دور الضباط التابعة للقاعدة المذكورة، ولم يكونا يزوران "بغداد" إلاّ عند تمتّع الزوج بإجازة، ويحضران مع إبنتهما الوحيدة "نادية" في دار رئيس الجمهورية... ولم ألاحظ خلال فترات مهماتي مبيت "وفاء" في بيت والدها مطلقاً... وقد علمتُ أنها تنزل في مسكن عمّها "عبد السميع"... ولكني لم أُقابلها أو أرى وجهها عن قرب.

رجاء عبد السلام

أما "رجاء" فقد كانت فتاة في ربيعها السادس عشر، متوسطة القامة والبنية، بيضاء البشرة، جملية يانعة، أنيقة يافعة، تلميذة في الصف الرابع العلمي، مؤدبة وخلوقة يتمناها كل شاب.

كانت تحضر مع أخيها "أحمد" أو شقيقتها "سناء" عادة يومياً كي تتصل هاتفياً بأبيها أو بإحدى صديقاتها أو قريباتها، إذْ كنت أترك المكتب لأتجوّل خارجه ريثما تفرغ وتترك المكتب... وكلما كانت تخرج لتعود الى البيت فإنها تعتذر عن الإزعاج الذي سببّته لي، وتشكرني، وخصوصاً عند إطالتها للمكالمة على عادة جميع نساء العالم، وليس العراق فحسب... وكانت تزور بنات الجيران القريبات بصحبة "سناء" أو "جلاء" كثيراً، وبالأخص في أيام الجمعة أو العطل.

سناء عبد السلام*

كانت "سناء" في الثالثة عشرة من عمرها، لونها مائل الى السُمرة، متوسطة القوام والبنية، طالبة في الصف الأول المتوسط، مؤدبة وذات أخلاق عالية حتى تبدو أكبر من عمرها، تصاحب أختها "رجاء" دائماً، ولكنها كانت تحضر لوحدها بعض المرات للإتصال بالهاتف، وكانت علاقتها مع أخيها "أحمد" سلبية، ولطالما سمعت صياحهما في حديقة الدار، والذي كان يخفت بتدخل الوالدة عادة.

أحمد عبد السلام

إما "أحمد" الذي كان يبلغ من العمر إحدى عشر سنة، أبيض البشرة، متوسط القامة والبنية، ذو وجه جذاب دائم الإبتسامة، غاية في الأدب والأخلاق والأصول، طالب في الصف السادس الابتدائي في حينه.

---

* عند تدقيقي للطبع الأوّلي لهذا الكتاب، كتب الله -سبحانه وتعالى- للسيدة "سناء عبد السلام عارف" أن تُقتَل في مسكنها بـ"بغداد" غدراً بأحد أيام شهر ك٢/يناير ٢٠٠٥ في هذه الظروف العصيبة التي يمر فيها عراقنا الجريح.. رحمها العلي القدير، وأسكنها فسيح جناته...."المؤلف".

كان حضوره في مكتبي وقت العصر، إذْ يتكلم بالهاتف مع أبيه، ويطيل في ذلك بعض الشي، حتى ينبّهه والده ليكفّ.

يهوى العسكرية ويتلهّف للتعرف على الأسلحة، ولكن "عبد السلام عارف" قد نبَّهَنا مرات عديدة بعدم إفساح المجال له لمسك سلاح بين يديه وعدم مجاملته كثيراً.

كان "أحمد عبد السلام" شغوفاً بالدراسة، ذكياً في طروحاته وإستفساراته وتساؤلاته، وطالما كان يتمشى معي داخل الثكنة لينهال عليّ بوابل من الأسئلة المتعلقة بالأسلحة وأنواع الطائرات والدبابات وطرزها، وكذلك عن العلوم والتأريخ والجغرافيا عند عدم وجود والده في البيت، وبالأخص في أيام العطل الرسمية... وبشكل عام لم يكن ميالاً إلى اللعب مع أولاد الجيران في الشارع.

الصغـار

أما الصغار "جلاء" والتوأمان "محمد ومحمود" فقد كانوا في الصفوف الأولى من الدراسة الابتدائية وقلّما كنتُ أراهم، لذلك فلم أتعرّف عليهم عن قرب.



الصورة (٢٤): "عبد السلام محمد عارف" مع بناته وأولاده عام (١٩٦٢) بعد خروجه من السجن "عبد السلام محمد عارف... الابنة البكر وفاء... رجاء... أحمد... التوأم محمد... جلاء... التوأم محمود... سناء"



الصورة (٢٥)

المشير الركن "عبد السلام" رئيس الجمهورية العراقية مع والده "الحاج محمد عارف" أيام كانون الاول (١٩٦٣)

العائلة وأفلام السينما

كانت عائلة "عبد السلام عارف" ميّالة لمشاهدة عروض الأفلام الجديدة في دور السينما -حالها حال معظم العوائل الراقية ببغداد-، وكان سائقهم يقلّهم بالسيارة الخاصة ألى "سينما الخَيّام" -أحدث دور سينمات بغداد وأرقاها في حينه- لحضور عرض فلم أجنبي جيد وقت العصر أو خلال الدَور الأول مساءً... وقد صادفتُهم جميعاً مرات عديدة وهم جالسون في "مقصورتَين" بين مقصورات الطابق الثاني من الصالة، إحداهما للبنات وأُمهنّ، والثانية للبنين. بينما كان "السائق" يجلس على مقربة من المقصورتَين في الصف الأول من مقاعد الصالة... ولربما كان الحضور هناك -من الناس الإعتياديين- لا ينتبهون إلى أن تلك العائلة هي عائلة رئيس الجمهورية، أو هم لا يبتغون الإكتراث لمثل هذا الأمر كثيراً.

السائق الخاص

كان "الحاج أحمد الكَرخي/أبو شهاب" قد جاوز الخمسين من عمره، إذْ عمل جندياً سائقاً ثم ضابط صف سائق مع شخص "عبد السلام عارف" عندما كان ضابطاً في وحدات الجيش، وكان هو سائق سيارته العسكرية حين أصبح آمر فوج برتبة "مقدم ركن" و"عقيد ركن"، بل وقاد سيارته العسكرية ايضاً حينما دخل "بغداد" صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ لتفجير ما سمّي بـ"الثورة"، وقد أُحيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية (٤٥ سنة) برتبة "رأس عرفاء وحدة آلي" -ويعادل رتبة نائب ضابط"- وظلّ على زياراته لـ"عبد السلام عارف" خلال سنوات سجنه أو عند شبه الإقامة الجبرية المفروضة عليه حتى ١٤ رمضان/ ٨ شباط ١٩٦٣... ولذلك قرر "رئيس الجمهورية" أن يجعله سائقاً لسيارته الشخصية التي تخدم العائلة والبيت، ناهيك عن حسن سيرته وأخلاقه العالية.

كانت سيارة رئيس الجمهورية ملكه الخاص، وهي مسجّلة بإسمه، وقد

إقتناها مطلع عام ١٩٦٣ بعد خروجه من السجن*، وكانت من طراز "مرسيدس-٢٢٠" موديل ١٩٦٣، سمائي اللون، وقد بُني لأجل إيوائها "كراج" صغير قرب باب الحديقة، وأُنشئ فوقه غرفة بالمساحة نفسها لمبيت السائق عند اللزوم.

كان "الحاج أحمد الكرخي" غاية في الخُلق والأدب، طويل القامة، رشيق البنية، وقد غزا الشيب قسماً من شعر رأسه، متجهّم الوجه غير مبتسم، يحسبه الناظر متكبراً في أولى اللقاءات وقد يتّهمه بالغطرسة لكونه سائق رئيس الجمهورية... إلاّ أنه سيكتشف أن ذلك طبيعة خَلقه..

كان نشيطاً في عمله، جدّياً في حركاته، حريصاً على خدمة السيارة طوال النهار، لا يعرف المزاح أو النُكتة.. وأنه على الرغم من كونه "نائب ضابط متقاعد" يرتدي الملابس المدنية، فأنه لم يقف أمامي -وأنا الضابط الحدث- إلاّ بالإستعداد... وقلّما كان يرفع نظره نحو عيني.

كان من عادته التمشّي مع عريف فصيل الحماية داخل الثكنة وخارجها، وخصوصاً لدى شعوره بالوحدة والملل في غرفة مبيته فوق "الكراج"، إذْ لم يكن يختلط بأي شخص من الجيران أو سكنة المنطقة... وكان يتناول وجبات طعامه هناك بعد أن يتسلّمها من يديَ "أحمد" نجل الرئيس، أو من إحدى البنات.

كان حضوره في "الكراج" قبيل الساعة السابعة صباحاً، في الصيف أو الشتاء، إذْ يُخرِج السيارة ليوقفها قريبة من باب الحديقة... وبُعَيدَ السابعة والنصف يستقل أولاد الرئيس السيارة لينقلهم الى مدارسهم قبل أن يعود في حدود الثامنة، ليخرج مرة أخرى لشراء اللحم والخضروات والفواكه، إذْ يرجع ليبقى بلا عمل عادة حتى الظهر حين يعود بالأولاد جميعاً من مدارسهم.

كان يقضي الظهر في غرفته حتى بعد صلاة العصر، فإذا رغبت العائلة أو

---

* أوضحت لي السيدة "وفاء عبد السلام عارف" في المقابلة نفسها، أن تلك السيارة التي كانت في البيت عام ١٩٦٤، كان "أمير الكويت" قد أهداها الى والدها شخصياً خلال عام ١٩٦٣ عند زيارة الأخير لبغداد إثر نجاح ثورة ١٤ رمضان (٨ شباط ١٩٦٣) وبعد أن تحسنت العلاقات بين البلدين بعد سنوات من الجفاء في عهد "اللواء الركن عبد الكريم قاسم" ...."المؤلف".

الأولاد بالخروج فأنه يتكلّف بذلك، وإلاّ يُدخل السيارة إلى "الكراج" ويغادر إلى مسكنه الذي لم أعرف موقعه... أما إذا حضر رئيس الجمهورية الى الدار، فأنه يبقى ملازماً فيها حتى يغادر، واذا ما رغب الرئيس أن يبيت ليلاً في بيته، فأن "الحاج أحمد" يبيت في الغرفة الصغيرة الخاصة.

كان راتبه الشهري -البالغ (٢٥) ديناراً- يدفعه "عبد السلام عارف" من جيبه الخاص، حسبما أعلمني "الحاج أحمد" شخصياً، بينما يبلغ راتبه التقاعدي (٣٨) ديناراً، وكان يُفصّل بدلة شتوية وأُخرى صيفية على نفقة رئيس الجمهورية سنوياً، إذْ لم يكن يرتدي القميص والسروال لوحدهما حتى في أشد أيام الصيف حرارة، وذلك من أجل إضفاء بعض الوقار على شخص "سائق رئيس الجمهورية"، وليخفي "المسدس براوننك" الذي كان يحمله دائماً تحت السترة.

أخوة الرئيس

أكبر أخوة "عبد السلام محمد عارف" هو "الملازم المتقاعد*" عبد السميع صاحب "مكوى النعمان" الواقع على "شارع الإمام الأعظم" وعلى مقربة من "كازينو النعمان"... لم أقابله مطلقاً، ولم يصادف أن زار دار أخيه خلال أي تواجد لي في مهمة الحماية، ولم أعرف غير نجله "ملازم أول طيار صلاح" الذي كان صهر "عبد السلام" كما أسلفت.

وكان اللواء "عبد الرحمن محمد عارف" الأخ الثاني، أكبر عمراً من "عبد السلام"، إلاّ أن الأخير قد سبقه في الدراسة والقبول في الكلية العسكرية... وكان يشغل منصب "رئيس أركان الجيش وكالة" في حينه، إذْ لم يُثَبَّت بهذا المنصب الرفيع أصالةً لعدم إشتراكه بدورة في كلية الأركان... ومثلما كان عليه الحال مع "عبد السميع"، فأنني لم أُلاحظ شخصياً أية زيارة له أو لعائلته لدار أخيه.

* كان المُشاع في الشارع العراقي خلال اواسط الستينيات، أن "عبد السميع محمد عارف" كان "مقدم متقاعد".. إلاّ أن نجله "صلاح" وزوجته السيدة "وفاء" أوضحا لي خلال المقابلة نفسها أنه كان "ملازماً متقاعداً" منذ أُحيل على التقاعد بعد فشل حركة مايس ١٩٤١ ...."المؤلف".

كان "صباح" أخوهم الأصغر، و"مُدلّل العائلة المالكة!!!" -كما كان يحلو لبعض معارضي النظام تسميته-... تخرّج في كلية الحقوق ببغداد، متوسط القامة والبنية، جميل المنظر، صديقاً لأولاد "عبد السلام" أكثر من كونه مجرد عمّ لهم.. يحضر الى البيت لوحده، إذْ كان عازباً لم يتزوج بعد، وكانوا يرحّبون به بحرارة، ويركض البنون والبنات نحوه ويتحاضنون معه ويقبّلونه ويقبّلهم. ولطالما كنتُ أسمع مزاحاتهم في حديقة الدار، ويخرج بالأولاد وصغار البنات عادة بسيارته الشخصية الصغيرة المتواضعة من طراز "فولكس واكون".

كان "صباح" يشغل منصب "الكاتب العدل" ضمن مجمع محاكم الأعظمية الواقع على "الكورنيش"، ولا يرتدي إلاّ بدلة أنيقة حتى في صيف العراق القارض، ويحمل مسدساً تحت سترته، ذلك المسدس الذي كان حديث بعض الناس الذين كانوا يتهامسون فيما بينهم فيما لو كان من حقّ أخٍ مدني لرئيس الجمهورية أن يحمل مسدساً... ولكني علمتُ من السائق "الحاج أحمد" أن "صباح محمد عارف" قد حصل على إجازة رسمية من الشرطة لحمل ذلك المسدس كونه "كاتب عدل" له مساس بمشكلات ومصالحهم الناس يومياً.

أما "عبد السلام" فقد كان يعتبره "شاباً متهوراً" لعدم إلتزامه بأصول الدين والصلاة، لذلك فلم يكن على وفاق معه.

وكانت لي مع السيد "صباح" مفارقة وكان حديث مسدسه الخاص من ضمنها.. ففي يوم من أيام صيف عام ١٩٦٥ جاءني صديق يحتاج حلاً لمشكلته لدى المحكمة الشرعية في قضاء الأعظمية، وكان لي قريب هناك إسمه "كامل حسين/أبو مؤيد" يشتهر بعصبية مزاجه وتدخينه لـ(١٠٠) سيكارة أو أكثر يومياً، ويشغل منصب "كاتب أول" لدى المحكمة نفسها... وعندما دخلتُ مكتب "أبا مؤيد" وجدتُه خالياً، حيث أفاد أحد موظفيه أنه ذهب الى مكتب "الكاتب العدل"، فتوجهت مع ذلك الصديق الى تلك الدائرة.. ولدى إقترابنا منها سمعتُ صياحاً عالياً، سرعان ما إكتشفت أنه صادر من حنجرة "أبي مؤيد"، حتى فتحتُ باب الغرفة لأجد "صباح محمد عارف" جالساً على كرسي مكتبه و"أبا

مؤيد" واقف ويداه متّكئتان على المنضدة، وهو يوجّه كلاماً جارحاً وبصوت عالٍ نحو "صباح محمد عارف"، كانت آخر عبارته:-

((.. أنظر في عيني يا ....، فأني أنصحك أن لا تحسب نفسك أخاً لرئيس الجمهورية، فإن المسدس الذي تحمل سأضعه في ....ك لو لم تكمل ما كلّفتك به))... بينما "صباح" يبتسم قائلاً:- ((حسناً، حسناً يا أبا مؤيد، طلباتك أوامر، فأنت الأكبر عمراً، وأنا أخوك الصغير"... أوانئذ خرج "أبو مؤيد" معي وهو -فوق كل ذلك- غير راضٍ عن موقف "صباح"، وظلّ يتمتم طوال إجتيازنا المم المؤدي إلى غرفته.

والحقيقة إنني لم أُقابله أو أتعرّف عليه عن قرب، فقد كان يزور بيت رئيس الجمهورية عند عدم تواجده، ولم يكن -إستناداً إلى التعليمات- خاضعاً لمساءلة عند إيقافه لسيارته المتواضعة أمام باب الحديقة مباشرة.

الأقارب والأصدقاء

لم أُشاهد بأم عيني أن زار صديق أو قريب رئيس الجمهورية لدى حضوره في بيته، عدا بعض الجيران الذين كانوا يجلسون معه في الحديقة أو داخل البيت لدقائق معدودات... فلربما كانوا يقدّرون محدودية أوقاته وكثرة مشاغله وضرورة تفرّغه مع أفراد عائلته خلال تلك الساعات القليلة.

إلاّ أن البعض منهم كانوا يُؤقّتون حضورهم قرب باب الدار مع مغادرته إياها، وخصوصاً عندما يشاهدون "الموكب" وقد حضر.. وكان "عبد السلام عارف"، بعد بعض عبارات المجاملة، يتسلّم منهم عرائضهم أو رسائلهم الشخصية المهيّأة سلفاً قبل أن يسلّمها الى مرافقه الشخصي... بينما كنا -نحن آمري فصيل الحماية- نتسلّم العرائض من المواطنين، مهما كانت صفتهم، ونجمعها قبل أن نسلّمها باليد الى "المرافق" ومن دون أن نتتبّع مصيرها أو الإجراءات المتخذة بحقّها.

ضابط الحماية في مكتبه

كان لآمر فصيل الحماية مطلق الحرية لإستقبال أي صديق أو قريب له في مكتبه، أو للجلوس معه في حديقة الثكنة، وخصوصاً عند عدم حضور رئيس الجمهورية في بيته، ويقضي معهم ساعات طويلة ويجلب لهم الطعام من أحد المطاعم القريبة.

وقد تَعوَّد معظم أصدقائي على الحضور لزيارتي بمعدل يومي، وأذكر منهم على سبيل المثال: "نجدت قاسم الصالحي، محمد أحمد الخطيب، وهبي شاكر مصطفى، ملازم أول طيار مسرور بهاء الدين، ملازم مظلي عصمت صابر عمر، ملازم -ملاّح- نهاد إسماعيل حقي".

ولم تكن وجبات الطعام تصلنا من مطعم ضباط الفوج، إذْ كنا نبعث لشراء طعام لنا وضيوفنا من مطاعم الأعظمية وعلى نفقتنا الخاصة... ولم نكن نتقبّل مطلقاً أية وجبة من بيت "رئيس الجمهورية"، على الرغم من إلحاح زوجته -في بعض المرات- عن طريق السائق "الحاج أحمد"، وخصوصاً في أيام الجُمعة أو الأعياد والعطل الرسمية.

الإمتعاض من إجراءات الحماية

كنتُ أُلاحظ أثناء إتخاذنا لإجراءات حماية دار رئيس الجمهورية، وخصوصاً عند وجود "الرئيس" فيها، إمتعاض البعض من الناس في نظراتهم الغاضبة نحونا إثر منعنا لمرور السيارات في الشارع الفرعي الذي تطلّ عليه الدار قبيل وصول موكبه... وكان البعض يتضجّر ويتمتم بعبارات غير مسموعة عادة، إذْ كنا نعتذر ونبرّر ذلك بأنها أوامر واجبة التنفيذ.

وفي مفارقة لا أنساها... وبينما كنتُ أستطلع المنطقة المحيطة بدار رئيس الجمهورية في صباح أحد أُولى الأيام التي كُلِّفتُ فيها بمهمة الحماية، وجدتُ لوحة صغيرة كتب عليها "الدكتور خيري الجَمّاس".. توقّفت عن المسير، إذْ

أعادتني الذاكرة الى سنوات قليلة مضت، فهذا الطبيب كانت عيادته في "كركوك" وتربطه صداقة حميمة مع خالي "المحامي سيد ناظم سيد نوري الصالحي"... ضغطتُ على زرّ الجرس، وتأكدتُ من سكنة الدار أنه المقصود فعلاً، وعَرَّفتُ نفسي إليهم بوضوح، واعداً إياهم بزيارة "الدكتور" ليلاً بعد عودته من العيادة وفي حدود الساعة التاسعة والنصف.

ويبدو أنه لم يصبر عند إخبار أهله له بحضور "ضابط حماية دار رئيس الجمهورية" في باب مسكنه بملابس عسكرية وهو يحمل مسدساً، عندما أخبرني أحد الجنود بأن "الدكتور خيري" واقف بإنتظاري في باب الثكنة.. فخرجتُ إليه مسرعاً، ولكنه لم يتذكرني حتى تقربت إليه تماماً فصاح:-

✸ أوووووه!!! ما الذي جاء بك إلى هنا يا صبحي؟

- تخرّجت في الكلية العسكرية قبل حوالي شهر، وتنسّبت للحرس الجمهوري، وكُلّفتُ هذه الأيام بهذا الواجب... ولكن ما الذي جاء بك أنتَ من كركوك الى بغداد بينما أنت من أهل الموصل؟

✸ أنها ((ورطة)) إبتُـلِيتُ بها.

- لماذا ورطة لا سامح الله؟

✸ لا بل أن الله هو الذي قدَّر لي هذه الورطة، فقد كان طموحي كطبيب أن افتح عيادة في "بغداد"، ونُقلتُ الى دائرة "صحة العاصمة"، وتقدمتُ لخطبة فتاة، وحاولتُ العثور على دار سكن، ففوجئتُ بالأسعار العالية للإيجارات التي لا تُطاق، وما أن عثرتُ على هذه الدار الفارغة حتى إستهواني إيجارها المنخفض جداً (١٥ دينار شهرياً فقط)، على الرغم من كونها لائقة وكبيرة وذات مساحة واسعة وحديقة لا بأس بها وغرف متسعة وعديدة... ولم أكتشف أنها ((ورطة)) إلاّ بعد أن إستقريت فيها من حيث متاخمتها لبيت رئيس الجمهورية.

- ولماذا تحسبها "ورطة" يا دكتور؟

✸ إجراءات حماية مزعجة.. جنود وأسلحة.. تحديد حركة.. منع سيارتي من المرور في بعض الأوقات.. جنود في سطح الثكنة المتاخم لسطح بيتي.. إزعاجات أخرى لا مجال لذكرها.. كل هذه ولا تحسبها "ورطة"؟؟؟!!!.

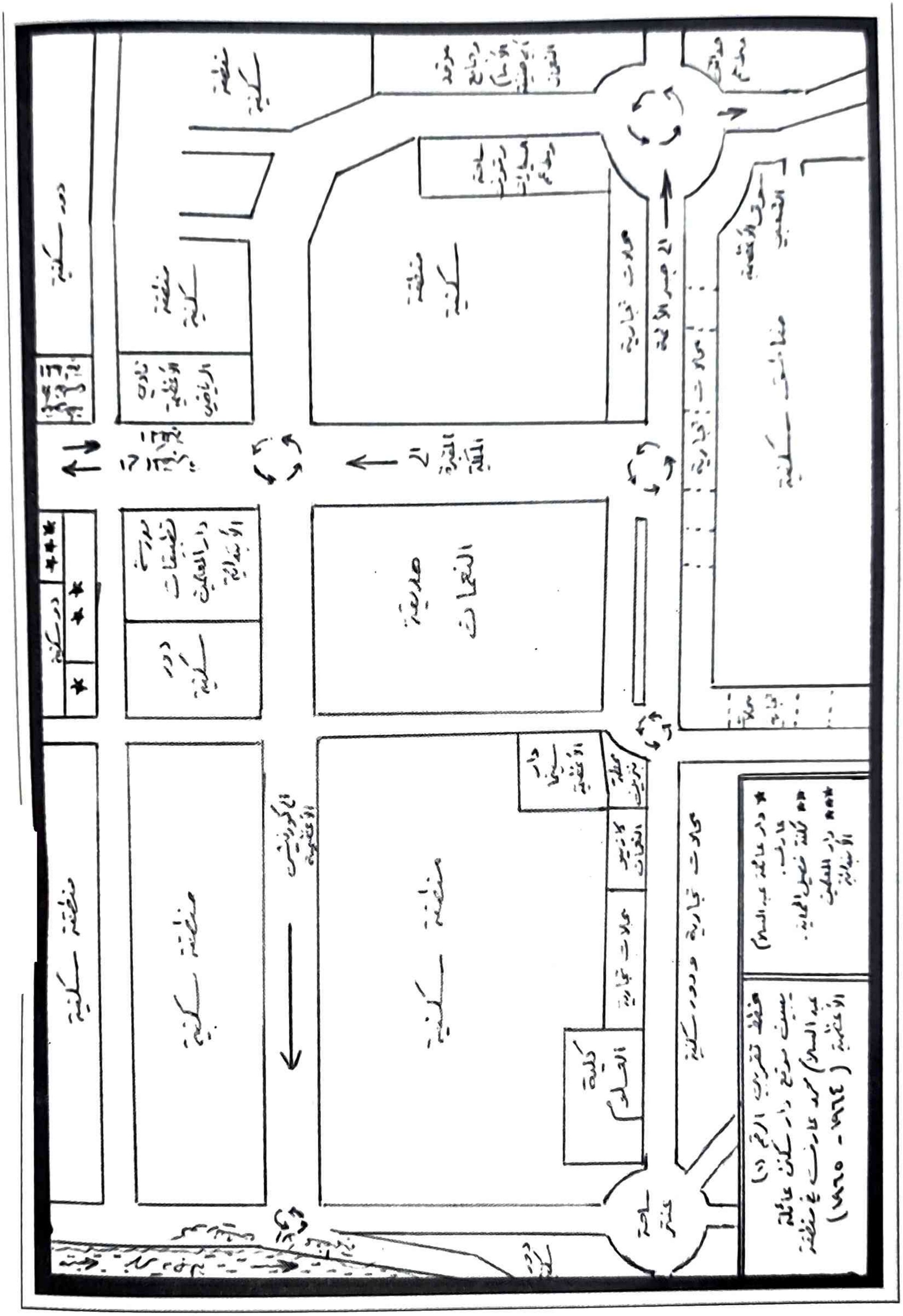
- ولكن، هل يطلّ سطح الثكنة على بيتكم؟ هل يزعجكم الجنود عند صعودهم اليه؟

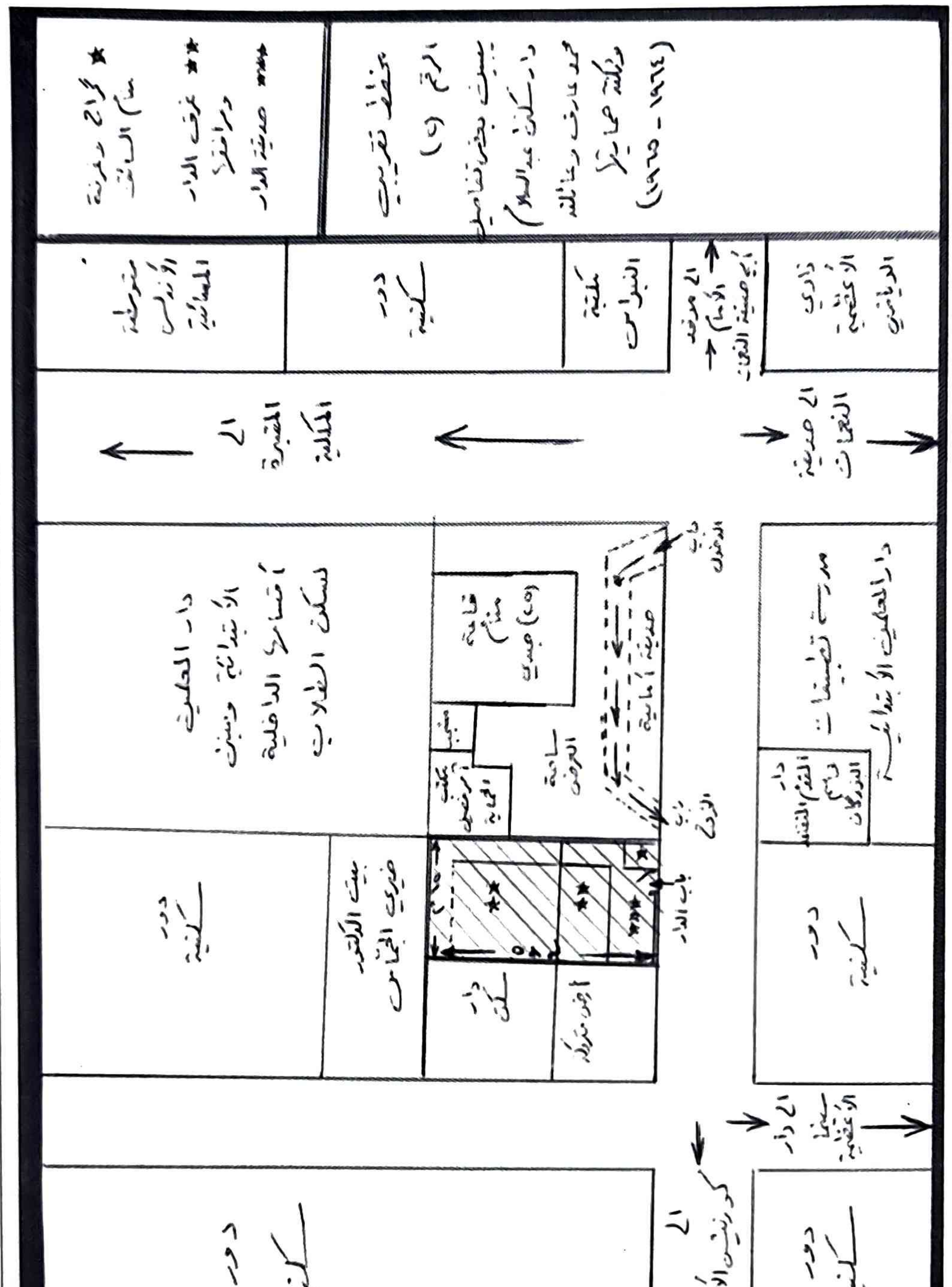
✸ إطلالة سطحكم على بيتي ليست مباشرة... والحقّ يقال، فأن الجنود لم يزعجونا.. ولكن مجرد إحساسي بوجود جنود مدجّجين بالسلاح على سطحكم يزعجني إلى حد لا أستطيع معه النوم بعد الظهر.. وأنك تقدّر جيداً أننا من أهل "الموصل" ومحافظون على تقاليدنا وعاداتنا.

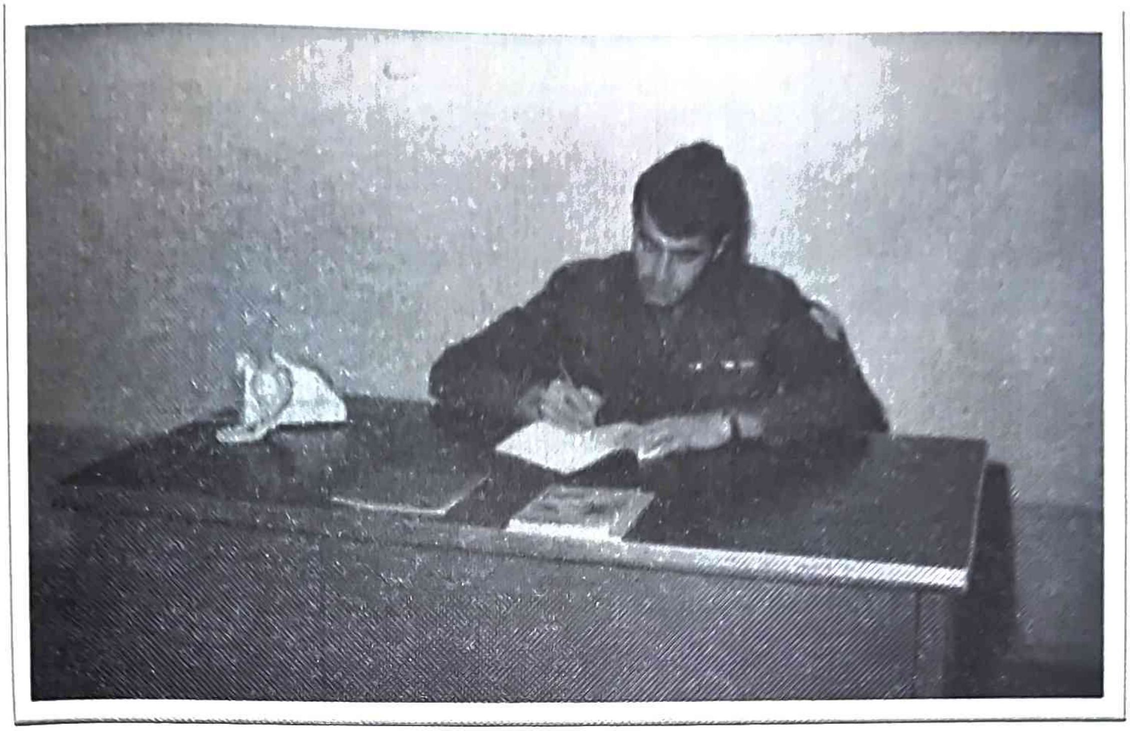
- إسمح لي يا دكتور خيري... أنك لستَ على حق في تصوراتك، وأنك تهوّل هذا الموضوع دون داعٍ.

✸ لا والله يا صبحي، فأنني الآن أُحاول العثور على دار سكن أخرى في أية منطقة من بغداد، ومهما يبلغ إيجارها، فقد ضقت ذرعاً.

ودّعتُ "الدكتور خيري الجَمّاس" في تلك الظهيرة، وزرتُه في بيته ليلاً مرّتين، وذلك قبل أن يودّعنا منتقلاً بإصرار إلى دار أخرى إستأجرها في حي "بغداد الجديدة".

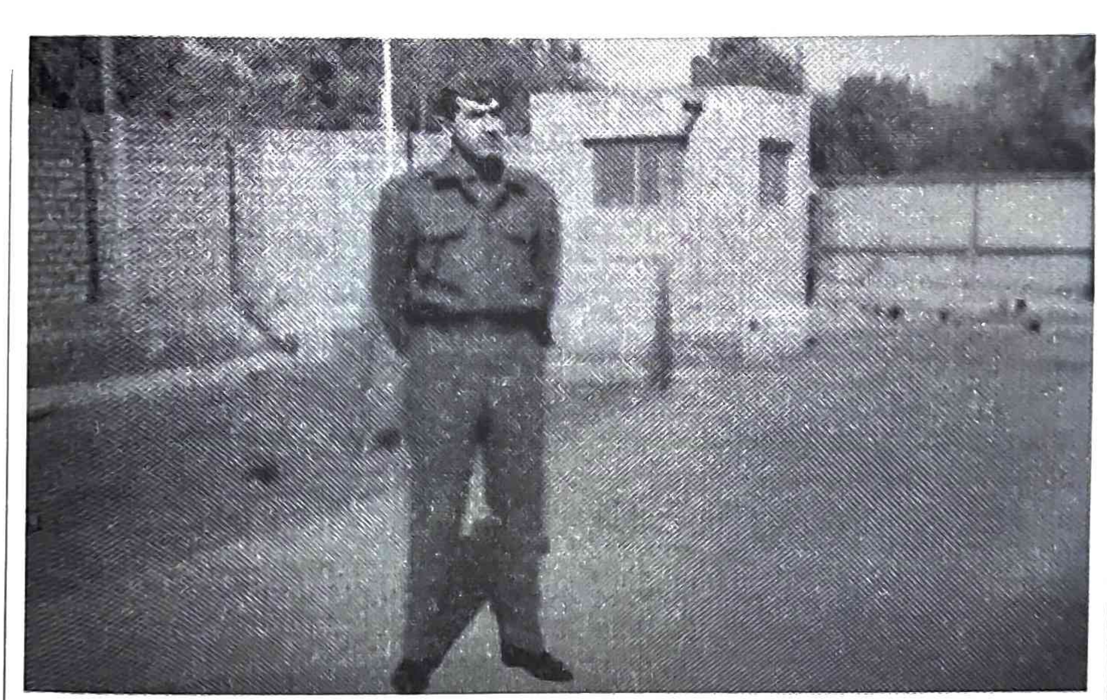

مخطط تقريبي رقم (١) يبين موقع دار سكن عائلة عبد السلام محمد عارف في منطقة الأعظمية (١٩٦٤ - ١٩٦٥)
حديقة النعمان
منطقة سكنية
كلية العلوم
ساحة عنتر
محلات تجارية
محلات تجارية ودور سكنية
دور سكنية


إلى المقبرة الملكية
دور سكنية
باب الدار
باب الدخول
ساحة الحوش
حديقة أمامية
(١٩٦٥ - ١٩٦٤)



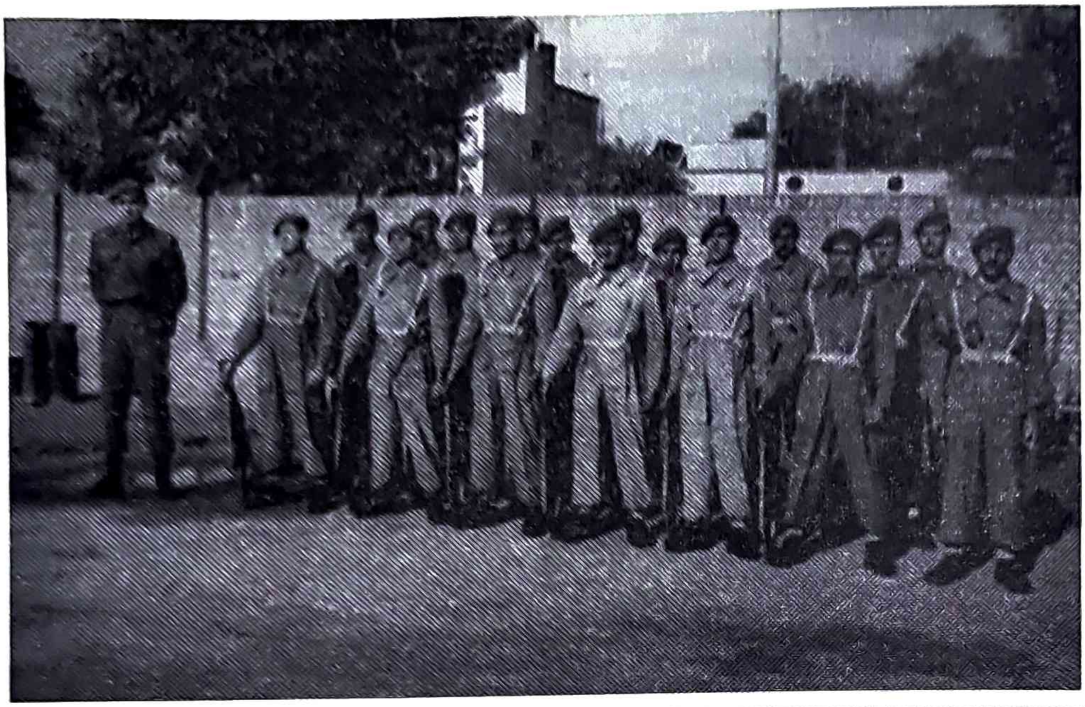
الصورة (٢٩)

"المؤلف" جالساً بمكتب قوة حماية مسكن رئيس الجمهورية



الصورة (٢٧)

"المؤلف" في ثكنة قوة حماية مسكن رئيس الجمهورية



الصورة (٢٨)

"المؤلف" إلى جانب قوة حماية مسكن رئيس الجمهورية بحي "الأعظمية" والمؤلفة من (١٧) ضابط صف وجندي أثناء العرض الصباحي



الصورة (٢٩)

"المؤلف" وسط جنوده بالثكنة نفسها وإلى يساره "العريف ساجت عبد علي"

الفصل الثاني

عبد السلام محمد عارف في إدارته للدولة

المبحث الأول

مهمّة حماية القصر الجمهوري

مهمة الحماية

كان جحفل سرية مشاة متكامل* العَدَد والعُدّة، يتكوّن من حوالي (١٥٠) جندي، معظمهم مجهزون بالبنادق الآلية "كالاشنكوف" وعدد من المسدسات والرشاشات المتنوّعة والأسلحة الخفيفة الأخرى، هو الذي يتكفّل بمهمة حماية القصر الجمهوري، إذْ تَشُدُ السرية رحالها بكامل تجهيزاتها ومعدّاتها تاركة قاعات منامها الأساس ضمن ثكنة فوج الحرس الجمهوري، لتنتشر حوالي سياج القصر وعلى أبراج المراقبة المنشأة على جانبيه وفي الجزء الخلفي منه، والذي يطلّ على نهر "دجلة" الفاصل بينه وبين منطقة الكرادة الشرقية وإمتداد الكورنيش المسمى "شارع أبي نؤاس".

ومثلما آنفتُ ذكره في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، فإن حماية مبنى القصر الجمهوري كانت هي المهمة الأساس لفوج الحرس الجمهوري الأوّل الذي إلتحقتُ إليه أواخر أيام شهر تموز ١٩٦٤، لذلك فإن حوالي "ثُلث" مجموع الفوج يتفرّغ لأداء هذا الواجب طيلة شهر كامل أو شهرين متتاليين.

كان جحفل السرية مُزوّداً بالأسلحة الساندة الخفيفة، إضافة الى ما لدى سرية المشاة الواحدة من بنادق ومسدسات وهي:-

---

* سرية المشاة:- كانت تتألف في الجيش العراقي أوانئذ من حوالي (١٢٥) جندي، معظمهم مسلحون بالبنادق والبعض منهم بالرشاشات والهاونات الخفيفة... أما (جحفل السرية) فإنه سرية مشاة تلحق معها من سرية إسناد الفوج عدد من أسلحة المشاة الأثقل كالرشاشات المتوسطة والهاونات المتوسطة ومدافع مقاومة الدبابات......................."المؤلف".

(٩) رشاشات خفيفة من طراز "دكتريوف" سوفييتية المنشأ.

(٩) قاذفات خفيفة ضد الدبابات تُرمى من الكتف "آر بي جي ٢".

(٣) قاذفات متوسطة خفيفة ضد الدبابات تُرمى من الكتف عيار (٣,٥) عُقدة -أمريكية المنشأ.

(٣) هاونات خفيفة عيار (٢) عقدة -بريطانية المنشأ.

أما الفصيل المختلط الناقص من سرية إسناد الفوج، والذي يتجحفل مع السرية فأنه يجلب معه أسلحة الإسناد التالية:-

(٢) رشاشة متوسطة من طراز "كورينوف" يمكن إستخدامها لمقاومة الطائرات.

(٢) قاذفة متوسطة ضد الدبابات عيار (١٠٦) ملم- أمريكية المنشأ.

وعند إلتحاقي بالفوج كانت السرية الأولى مكلَّفة بهذه المهمة بقيادة "ملازم أول صلاح شاكر الأسوَد" وآمري فصائله هم الملازمان "مشعَل تركي الراشد، عبد الأمير عُبيد" قبل أن يلتحق ثالثهم مؤخراً "الملازم قاسم علي" الذي تخرّج معي في الكلّية العسكرية.

كنت أستشعر وأتحسس تماماً مَعالِم التعب والإرهاق على وجه "الملازم أول صلاح" في معظم أيام الواجب، فيما أضاف التوجيه الجديد الذي صدر في تلكم الأيام -والذي نصَّ على تمديد مدة بقاء سريته في هذه المهمة لشهر كامل آخر لتنتهي مع نهاية شهر أيلول- تجهُماً فوق تجهّم وجهه العَبوس الذي قلّما كان يعرف الإبتسامة نحو الآخرين عموماً، على الرغم من كونه ضابطاً جيداً ذا شخصية ووقار ومعلومات عسكرية وأفكار وطروحات مقبولة.

خطط حماية القصر الجمهوري

تعرّفت بإنقضاء الأيام على أساليب وخطط حماية القصر الجمهوري والذي يمكن إيجازه كما يأتي:-

أولاً: نقطتا حرس البابَين النظاميين، إحداهما في بوّابة الدخول، والأخرى في بوّابة الخروج... يقف في كل نقطة ضابِطا صف و(٤) جنود يرتدون ملابس "حرس الشرف" أثناء ساعات النهار، وبدلات العرض ذات اللون الخاكي ليلاً، ولا يحملون سوى بنادق "كالاشنكوف".

ثانياً: حضيرة واحدة مؤلفة من (٩) جنود، يقودهم ضابط صف واحد، تكون مسؤولة عن إشغال برج حماية ومراقبة واحد من مجموع الأبراج التسعة المحيطة بالقصر من ثلاثة إتجاهات، حيث كانت الواجهة الأمامية له من دون أبراج... والحضيرة الواحدة مزودة بـ(٨) بنادق "كالاشنكوف" وقاذفة "آر بي جي ٢" ورشاشة خفيفة واحدة.

ثالثاً: قاذفة متوسطة واحدة ضد الدبابات قرب السياج المطل على الشارع العام المؤدي الى القصر من إتجاه "جسر الجمهورية/الباب الشرقي"، وأخرى خلف القصر قبالة "شارع أبي نُؤاس".

رابعاً: رشاشتان متوسّطتان منصوبتان في أبراج القصر الخلفية المطلّة على نهر دجلة.

خامساً: ينقسم الجنود وضباط الصف، ومعظمهم من أهالي المحافظات "خارج بغداد"، الى ثلاث وجبات، تتمتع كل وجبة بالنزول الى "بغداد" للراحة والإستجمام عصراً، حيث يبيت المتزوجون من أهالي "بغداد" في بيوتهم على أن يحضروا العرض الصباحي لليوم التالي... أما العُزّاب فيعودون إلى الواجب قبل منتصف الليل... ويُمنح كل جندي من أهالي المحافظات البعيدة إجازة دورية أمدها (٧) أيام كل (٥) اسابيع، ولأهالي المحافظات القريبة (٥) أيام كل (٣) أسابيع، وذلك في الظروف الإعتيادية، إذْ يُمنع النزول والتمتع بالإجازات في أية حالات سواها.

سادساً: أما الضباط الأربعة -ومن ضمنهم آمر السرية- فأنهم ينقسمون الى وجبتَين، يغادر إثنان منهم الى "بغداد" بين يوم وآخر... وبينما يبيت المتزوّج

في مسكنه فإن على الآخر العودة الى القصر قبل منتصف الليل -إذا كان أعزباً- ليستقرَّ في غرفة مخصصة للضباط دون أن يُكلَّفَ بواجب ليلي في الظروف الإعتيادية... وأن الضابطَين اللذين يبقَيان في القصر، فإن أحدهما يجلس في غرفة التشريفات عادة كي يَردَّ على الهواتف العديدة بعد إنقضاء ساعات الدوام الرسمي بالقصر في الساعة الثانية من بعد الظهر، ويستقبل الزائرين ويستضيفهم، وينظّم توقيتات مقابلتهم لكبار المسؤولين، فيما يتجوَّل الآخر حوالي القصر على نقاط الحراسة وأبراج المراقبة... وبإمكانهما تبادل الواجب كل ساعتين تقريباً، ولا يجوز لأي منهما الخلود إلى النوم ليلاً، بل يعملان ذلك في صباح اليوم التالي، إذْ يُعفَيان من التدريب والدوام الرسمي حتى الظهر قبل النزول الى "بغداد".

تكليف سريتنا لحماية القصر الجمهوري

أتى الدور على سريتنا الثالثة يوم ١٩٦٤/١٢/١، فإنتقلنا بعد تهيّؤ طال ساعات الليل كله، وبكامل الأسلحة والتجهيزات والأعتدة، ضمن رتل طويل من سيارات الشحن العسكرية طراز "زيل" من ثكنة الفوج الى القصر الجمهوري المجاور منذ الصباح الباكر، وبإشراف مباشر من لدن آمر الفوج ومساعده الجديد "ملازم أول عبد الصمد جابر العاني"* ... وقد طال تسلّم الواجبات في عموم النقاط والأبراج ساعات عديدة دون طارئ يذكر.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أدخل فيها القصر الجمهوري، فقد زرتُ ضباط السرية الثانية خلال الشهرين الماضيين -بحكم الصداقة- مرات عديدة، سواءً في قاطع منامهم أو في غرفة التشريفات، ولكن من دون أن أتجوّل في أروقة القصر وممراته ونقاط حمايته.

---

* في يوم ٥ أيلول ١٩٦٤ تم توقيف المساعد السابق "الملازم أول حامد جاسم الدليمي" بتهمة مشاركته في محاولة لقلب نظام الحكم قام بها أشخاص قيل أنهم ينتمون الى حزب البعث العربي الإشتراكي، وإستهدفت أيضاً-حسبما قيل-إسقاط طائرة "عبد السلام محمد عارف" عند إقلاعها من مطار بغداد الدولي في طريقها إلى القاهرة" ...."المؤلف".

وفي ذلك اليوم كنتُ بصحبة صديقي العزيز وابن خالتي "الملازم سعد عبد الهادي العَسّاف" في جولة طويلة ونظرة ثاقبة على الأمور وأسئلة جادة وأجوبة خطيرة، طالما تكلّفنا بمهمة تُعتَبَر لدى العراق ودول العالم الثالث خصوصاً، وجميع دول العالم عموماً، من أخطر المهمات التي يتكلّف بها أشخاص مسؤولون عن الحفاظ على رأس الدولة أو النظام، بغضّ النظر عن توجّهاته ورؤاه وشخصيته... وخلال تلك الساعات توضّحت لي أمور كثيرة كنتُ أجهلها تماماً.

أن هذا القصر الجمهوري قد بوشر ببنائه خلال السنتين الأخيرتين من العهد الملكي، حيث وضع حجره الأساس عام ١٩٥٦، وتكامل هيكله قبل أن يُزَيَّنَ بالمرمر والرخام حتى وقع إنقلاب تموز ١٩٥٨، ليُترك ويُهمل تماماً خلال عهد "عبد الكريم قاسم" الذي طال حوالي أربع سنوات ونصف السنة.. ولكن فوج مشاة تَشكَّلَ على أنقاض "كتيبة خيالة الهاشمي" وسُمّيَ "الفوج الثالث من لواء المشاة الخامس والعشرين" بقيادة "المقدم مصطفى طَيّفور" قد رابط في ثكنة فوجنا الحالي حتى إندلاع حركة ١٤ رمضان/٨شباط ١٩٦٣، ذلك الفوج الذي تحوَّل الى "فوج الحرس الجمهوري" قبل أن يُعاد التفكير والمباشرة لإكمال بناء القصر ليصبح "جمهورياً".

تفاصيل مبنى القصر

كان القصر الجمهوري، في حينه، مكوّناً مما يأتي- راجع المخطط (٣) المرفق:-

أولاً: سياج على شكل أعمدة كونكريتية مسلحة، إرتفاع كل منها (٣) أمتار، ومقاطعها الأُفقية مربّعة الشكل (١×١)متر، تعلو حائطاً منخفضاً من الكونكريت والصخر إرتفاعه عن الارض (١) متر، وتفصل مسافة (٥) أمتار بين عمود كونكريتي وآخر حيث زُيِّنَت بسياج من قضبان حديد متوازية.. ويحيط السياج بالقصر من جميع جوانبه الأربعة، وتقع في كل جانب بوّابتان واسعتان من قضبان الحديد أُغلقت كلها، عدا بَوّابَتَي الدخول والخروج المُطلّتين على

الشارع العام الرئيس لحي "كرادة مريم"، بينما يشترك سياجه الجنوبي/الأيسر مع ثكنة فوج الحرس الجمهوري الأول.

ثانياً: (٩) أبراج مراقبة وحماية بمحاذاة السياج من ثلاثة جوانب، حيث يخلو السياج الأمامي من أي منها... ويستوعب كل برج حضيرة كاملة مؤلفة من (١٠) جنود يمكنهم الرمي بأسلحتهم الى كل الإتجاهات.

ثالثاً: مبنى رئيس الفخم يشتمل في أروقته أجنحة وغرفاً واسعة وقاعات كبيرة تمّ توضيحها ضمن المخطط المرفق.. ويحيط به شارع مبلّط بالأسفلت يتوسّط حدائق غنّاء كبيرة ومنظّمة، يشرف عليها مهندس زراعي متفرّغ.

رابعاً: سياج خلفي يطلّ على نهر دجلة، ويتقابل مع شارع "أبي نواس" وحي "الكرادة داخل" الواقعين على الضفة الأخرى... فيما كان السياج الأيمن/الشمالي متقابلاً مع سياج مبنى سفارة "الولايات المتحدة الأمريكية" والذي لم يكن يبعد عنه سوى حوالي (٢٠٠) متر.

أسلوب الحماية

بعد أن تأكدنا -نحن آمري الفصائل- من إستقرار جنودنا في خيمهم التي نُصِبَتِ قرب نقاط الحراسة والحماية والأبراج، بكامل أسلحتهم وتجهيزاتهم ومعداتهم، وأن ضباط الصف قد إستَوعبوا واجباتهم ومسؤولياتهم من نُظَرائهم لدى السرية الثانية التي تهيّأت للعودة الى ثكنة الفوج، إجتمعنا ظهراً في غرفة آمر سريتنا "الملازم أول هشام عبد الكريم سيد علي" الذي بادر القول موضحاً:-

أولاً: تقدّرون، يا إخوتي الضباط، مدى أهمية الواجب الذي تكلّفنا به إعتباراً من هذا اليوم، والذي سيدوم لفترة شهرين قادمين مع إحتمالات التمديد في ظروف أمنية غير مستقرة في البلد... وأني على يقين تام إنكم ستبذلون قصارى جهودكم في سبيل إنجازه، كي نودّع هذا القصر بوجه أبيض ونعود الى ثكنة الفوج بسلام.

ثانياً: أودّ أن أُوجّه حديثي بشكل خاص الى الملازمين "عبد الجبار جسّام

وصبحي ناظم"، بإعتبارهما سيؤديان هذه المهمة للمرة الأولى، ومن الأجدر لهما أن يستحضرا نفسَيهما جيداً بعد تفهّمهما الواجب وإستطلاعهما نقاط الحماية والحراسة وأبراج المراقبة وخطة الدفاع عن القصر وأساليب العمل، وأن يتعرّفا على السادة المسؤولين وكبار الموظفين، وعلى واجباتهما وأسلوب تصرفهما أثناء ساعات الدوام الرسمي وبعد إنتهائه، وكيفية التصرف في المواقف الطارئة، والتعامل مع الباب النظامي وإستقبال الزائرين والمراجعين، وعلى أماكن تواجدهما المحددة ليلاً بشكل خاص، وأساليب الإجابة على الهواتف العديدة المنصوبة في غرفة التشريفات، وخصوصاً عند تواجد السيد رئيس الجمهورية في القصر كالعادة.

ثالثاً: وإذا ما إبتغيتُ إيجاز ما أوردتُه آنفاً، فأنني أُجملها بالنقاط الآتية، والتي ينبغي أن تسجّلوها في أوراقكم الخاصة، إذْ يتوجّب مراجعتها مع ملحوظاتكم المسجلة عليها يومياً، حتى تتعوّدوا على أساليب العمل خلال الأيام القليلة القادمة:-

١. لقد تعرّفتم على مبنى القصر الجمهوري والمنطقة التي تحيطه، وتفاصيل سياجه ونقاط الحماية المنتشرة على مداره، والأبراج المنصوبة لهذا الغرض، وعلمتم التفاصيل خلال تجوالكم مع ضباط السرية الثانية التي غادرت، أو هي في طور المغادرة بهذه الساعة، فلا حاجة لتكرارها... فالمهم أن يكون الجنديّان المكلّفان بالواجب في كل نقطة حماية في حالة يقظة وإنتباه ليل نهار، بينما يرتاح الآخرون في الخيمة المنصوبة قربها بموجودهم الكامل، عدا الذين ينزلون الى "بغداد" في ذلك اليوم.

٢. عليكم أن تعلموا أن الجنود، بشكل عام، ما لم يراقبهم الضباط ويحاسبوهم، وما لم يشرفوا عليهم بجولات مستمرة، فإنهم قد يميلون الى الخمول، ولذلك فإن تطبيقهم لمنهج التدريب الصباحي يجب أن يستمر خلال الساعات المخصصة والمقررة بقدر المستطاع، إذْ يبقى جندي واحد في كل برج مراقبة، بينما يتجمع أفراد الحضيرة أو المفرزة الواحدة قرب ذلك البرج ليتدرّبوا

ساعتين متتاليتين صباحاً... وينبغي على الضابط المكلَّف أن يتجول بين النقاط ومواقع الأبراج في تلك الفترة، ولا يُعفى من التدريب سوى منتسبو نقاط الحراسة في كل من البابَين النظاميّين للقصر والمطلّين على الشارع العام، والأبواب الثلاثة للمبنى الرئيس.

٣. ومثلما علمتم، فأن ضابطين من سريتنا ينزلان الى "بغداد" يومياً، ويبقى الإثنان الآخران في الواجب بعد إنقضاء الدوام الرسمي مع حلول الساعة الثانية ظهراً... وقد قرّرتُ أن يكون الملازم "فاهم مالك" معي في الوجبة، بينما تكون الوجبة الأخرى مكوّنة من "الملازمَين عبد الجبار وصبحي"، والتي ستستمر هذا اليوم في الواجب. وعليهما ملاحظة ما يأتي بدقة -راجع المخطط (٣) المرفق:-

أ. الإنتقال إلى غرفة التشريفات بالساعة الواحدة والنصف ظهر هذا اليوم.

ب. التعرّف التام على الهواتف الموجودة هناك وضبط أرقامها وكيفية إستخدامها، وعلى الجهازَين اللاسكيّين المرتبطَين مع شرطتَي النجدة والمرور ناهيك عن الهاتف المباشر الخاص مع السيد رئيس الجمهورية.

ج. الإطلاع على توقيتات عمل السيد رئيس الجمهورية لهذا اليوم. وخصوصاً خلال ساعات الدوام المسائي، وقائمة الزائرين، وأية ملحوظات يُبديها أو يدرجها مدير التشريفات قبل مغادرته المكتب، ومعرفة فيما إذا كان أحد موظفي التشريفات سيحضر هذا اليوم في ساعات الدوام المسائي من عدمه.

د. تنسيق العمل بين "صبحي وعبد الجبار" بحيث يبقى أحدهما ساعتين كاملتين في غرفة التشريفات، بينما يقوم الآخر بجولة على نقاط الحماية قبل أن يتبادلا واجبَيهما، ويستمرّان في متابعة هذا الأسلوب طيلة النهار والليل وحتى بدء الدوام الرسمي ليوم غد، إذْ بعد حضوري والأخ "فاهم" إلى القصر فإنهما يخلدان الى غرفة منامهما لنيل الراحة والنوم وحتى إنتهاء الدوام الرسمي ظهراً لينزلا إلى "بغداد"... وبذلك فإنكم ترون أن كل وجبة من الضباط تعمل لـ(٢٤) ساعة متتالية دون راحة تُذكر.

هـ. بعد أن تتأكد الوجبة الخافرة من إنتهاء إلتزامات السيد رئيس الجمهورية ليلاً، وعادة ما يتم ذلك ليس قبل الساعة العاشرة ليلاً، أوانئذ يمكن للضابط المتواجد في غرفة التشريفات أخذ قسط من الراحة المؤقتة في الغرفة نفسها، وعلى إحدى الأرائك، ريثما ينتهي الضابط الآخر من جولته حول نقاط الحماية، أو ينتقل الى الباحة الوسطى لمبنى القصر تحت "القبّة الزرقاء".

و. وينبغي أن أُذكّركما، كونكما ضابطين جديدين تعملان في القصر الجمهوري للمرة الأولى، أنكما يجب أن تكونا على أعلى مراتب الأدب واللياقة والأصول والأخلاق العسكرية في تصرفاتكما مع الجميع، وخصوصاً عند إستقبالكما الزائرين والمراجعين، أو لدى توديعكما لهم... وأن لا تحسبا نفسيكما، ما دمتما تحميان هذا القصر، أنكما تؤديان واجباً إستثنائياً يجعلكما تغتّران بمنصبيكما -إن جاز التعبير- بل ينبغي أن تكون علاقاتكما سوية، بل ومتواضعة، إذْ عليكما أن تتذكّرا أنكما ضابطان في الجيش قبل أن تكونا ضابطَين في الحرس أو القصر الجمهوري... فإذا كنتما اليوم هنا فلربما تكونان غداً في أية وحدة من وحدات جيشنا، سواء في شمالي العراق أو جنوبه، في شرقه وغربه، أو مرابطين في حدود العراق مع دول الجوار.

ز. أن وجبات طعام الجنود يتم جلبها من مطبخ الفوج بسيارة الأرزاق حسب التوقيتات اليومية المعتادة، وتنقل السيارة التابعة للضباط طعامهم من مطعم الفوج... ولكن، يحقّ للضابط الجالس في غرفة التشريفات طلب وجبة طعام واحدة وعصير الفواكه والشاي والقهوة من مطبخ القصر الجمهوري ليلاً، إن إحتاج الى ذلك قبل حلول منتصف الليل، وهو الوقت الذي يُغلق فيه ذلك مطبخ القصر.. ولكني أنصحكم بإستبعاد طلب تلك الوجبة أو غيرها -عدا الشاي أو المرطبات- إلاّ في حالة الحاجة القصوى، كي تبقى النظرة الى الضباط عالية في نفوس الأشخاص العاملين في خدمة القصر.

ح. وفي الختام، علينا أن نعلم أن سريتنا، وبعد أن كُلِّفَت بهذه المهمة، فإن إرتباطها يُعتبَر مُنفَكّاً من مقر الفوج من الناحية العملية، وتكون بإمرة ديوان رئاسة الجمهورية، وتنفذ الأوامر التي يصدرها كبار الأشخاص المسؤولين فيه، وأن معظم المعاضل ينبغي أن نعرضها أمام السكرتير العام أو المرافق العسكري الأقدم للسيد الرئيس.

وهنا، كان الوقت قد قارب الواحدة والنصف ظهراً، حين توجّهتُ والملازم عبد الجبار جسّام الى غرفة التشريفات لتتوضّح لنا بعض تفاصيل واجب اليوم الأول في حماية القصر الجمهوري.

المبحث الثاني

رئيس الجمهورية خلال الدوام الرسمي وفي وقته الخاص

خلال الدوم الرسمي

لم تكن لنا، نحن ضباط سرية حماية القصر الجمهوري، أية علاقة بما يجري من أعمال في أروقة ودوائر القصر خلال ساعات الدوام الرسمي من الصباح وحتى بعد الظهر.. فالضابط الخافر يغادر "غرفة التشريفات" في حدود الساعة الثامنة صباحاً، وبُعَيدَ حضور الموظف المسؤول وإيجازه عما جرى في الليلة السابقة وتسلّمه الأضابير التي ربما تحتوي أوراقاً مهمة وردت من وزارت أو دوائر ضمن البريد المسائي للقصر الجمهوري، أو تلك التي صدرت من لدن رئيس الجمهورية في وقت متأخر من الليل.

كنتُ والملازم "عبدالجبار جسّام" نَخلدُ الى نوم عميق في غرفة منام الضباط في يوم يقوم آمر سريتنا والملازم "فاهم مالك" بالإشراف على التدريب الصباحي والتجوال بين ساعة وأخرى حول نقاط الحماية، إذْ لا يعودان إلى غرفة المنام إلاّ لأخذ قسط من الراحة، أو لتناول طعام الفطور أو الغداء، بينما يجري العكس في نهار اليوم التالي.

أما القصر الجمهوري نفسه، فإن الحركة فيه تكون دائبة منذ قُبَيلَ الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الثانية ونيّف ظهراً، فمن سيارات الموظفين بالعشرات وسيارات بعض الوزراء وكبار موظفي الدولة والضباط الأقدمين من ذوي المناصب المتقدمة لدى القوات المسلحة والذين يطلب رئيس

الجمهورية مقابلتهم وإستشارتهم في أمور الدولة، والى سيارات القصر التي تقوم بخدمات محددة تراها داخلة وخارجة الى ومن القصر أو سائرة في شوارعها... بينما يكتظ الشارع العام لمنطقة "كرادة مريم" المار أمام سياج القصر الجمهوري مباشرة بعشرات، بل مئات، من سيارات المواطنين ودراجاتهم البخارية أو الهوائية، وحافلات مصلحة نقل الركاب التي لا يجوز لها التوقّف ضمن المسافة المحدودة بين رُكنَي السياج الأمامي فقط، والتي يبلغ عرضها حوالي (٢٥٠) متر.

كان" رئيس الجمهورية" ينشغل بالإجتماعات الرسمية ومقابلات كبار رجالات الدولة، وطالما يغادر القصر للقيام بجولة في إحدى مدن العراق بين فترة وأخرى، أو لزيارة إحدى الوزارات أو الدوائر والمؤسسات والمعامل والمعسكرات بمعدل يومي عادةً، أو لحضور إحتفال رسمي أو شعبي، أو لإفتتاح مشاريع معينة... فقد كان "عبد السلام عارف" نشطاً في هذا المجال بشكل ملحوظ لا يعرف الكلل أو الملل... أما مواجهة المواطِنين الإعتياديين ممّن يحملون هموماً ومشاكل وطلبات، فقد كانت تجري خلال ساعات الدوام الرسمي ليوم الخميس أو بعد إنتهاء الدوام الرسمي ليوم الأربعاء من كل أسبوع وبشكل منتظم... وفي حالة غيابه لأي سبب كان، فإنه يخوِّل أحد كبار المسؤولين بهذه المهمة، وفي مقدمتهم سكرتيره العام "الرائد عبد اللّه مجيد".

في وقته الخاص

قلّما كنت أُلاحظ "عبد السلام عارف" وهو يخلد إلى الراحة بعد إنتهاء الدوام الرسمي، وقد علمتُ بمرور الأيام أنه لا يحبّذ "تمشية البريد اليومي" أثناء ساعات الدوام إلاّ إذا إحتوى على حالات عاجلة لايمكن تأجيلها، إذْ يتفرّغ لذلك عادة بُعَيدَ الساعة الثانية ظهراً وحتى حلول موعد صلاة العصر عادةً، حين يخلد إلى "قيلولة" لا تزيد على ساعة واحدة حتى قُبَيلَ موعد صلاة المغرب، وبالأخص في موسم الصيف، وذلك إذا ما تواجد في القصر ولم يذهب الى بيته أو مكان آخر... وإذا ما غادر القصر فإنه يؤجّل أوراق البريد الإعتيادي الى ما بعد عودته ليلاً.

كان "عبد السلام عارف" يزور بيته يومَين متفرِّقَين على الأقل، أو لربما ثلاثة أيام في الأسبوع الواحد، إذْ يغادر موكبه القصر الجمهوري بعد إنتهاء الدوام الرسمي، قبل أن يعود أدراجه قُبيلَ صلاة العشاء عادة، أو بعدها بقليل.. ولا أتذكر سوى مرات قليلة إتصل فيها ضابط حماية داره بغرفة التشريفات ليطلب أمراً معيناً، ولربما يكمن السبب في ذلك أن الضابط المذكور كان يتصل - إستناداً الى التعليمات- بالمرافق الأقدم أو السكرتير العام أو المرافق الشخصي الذين كانوا يحضرون عادةً الى القصر الجمهوري قُبيل موعد أذان المغرب، سواءً أكان رئيس الجمهورية موجوداً في القصر أو في بيته.

كان معظم زيارته خارج القصر عصراً -عدا زيارته لعائلته- لحضور مباريات كرة القدم في ملعب" الكشافة"، فقد كانت تلك الرياضة – ذات الشعبية الواسعة في عموم العراق- من أعزّ هواياته الرياضية، تُضاف إليها "السباحة".

كان "عبد السلام عارف" يؤدي صلاة المغرب في جناحه الخاص، ولكني شاهدتُه مرات عديدة وهو يؤدّيها في حديقة القصر الخلفية أو الحديقة الجانبية.. أما صلاة العشاء فقد كان يؤخّرها إلى قُبيل النوم، إذْ يتلو بعضاً من القرآن بعدها بصوت مسموع ويدعو كثيراً، قبل أن يُقيم "صلاة الوتر" ويخلد إلى الراحة.

وبينما كانت إجتماعاته المسائية مع رئيس الوزراء أو بعض الوزراء أو مسؤول أو ضابط كبير تجري بعد صلاة المغرب، فإنه، وفي أيام عديدة، يستقبل أصدقاءَه إنْ لم يكن منشغلاً بإجتماع رسمي، أو بعد الإنتهاء من إلتزاماته الرسمية، ليخرج معهم مشياً على الأقدام بجولة في حدائق القصر، ولربما إلى خارجه في بعض المرات.

كان أكثر الاشخاص المسؤولين حضوراً الى القصر للإجتماع برئيس الجمهورية مساءً خلال تكليف سريتنا بمهمة حماية القصر للمرة الأولى (كانون أول ١٩٦٤- كانون الثاني ١٩٦٥)، والذين ربما كانوا يخرجون معه للتجوال في حدائق القصر، هم:-

١. الفريق طاهر يحيى – رئيس الوزراء.

٢. العقيد الركن صبحي عبد الحميد- وزير الداخلية، وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة.

٣. اللواء الركن ناجي طالب- العضو المتفرّغ في "مجلس الرئاسة المشترك للجمهورية العربية المتحدة والعراق" قبل تسنّمه منصب وزير الخارجية.

٤. اللواء الركن محسن حسين الحبيب – وزير الدفاع.

٥. العميد الركن عبد الكريم فرحان – وزير الثقافة والإرشاد.

٦. الدكتور عبد العزيز الوَتّاري – وزير النفط.

٧. الدكتور عبد الرزاق محي الدين- وزير الوحدة.

٨. اللواء عبد الرحمن عارف – رئيس أركان الجيش وكالةً.

٩. العميد سعيد صلَيْبي – قائد موقع بغداد وآمر الإنضباط العسكري العام، وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة.

١٠. عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق- قائد القوة الجوية وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة.

١١. السيد أمين هويدي – سفير"ج ع م " في "بغداد".

١٢. العقيد الركن بشير الطالب – آمر لواء الحرس الجمهوري.

١٣. الرائد الركن عبد الرزاق صالح العُبَيدي – آمر فوجنا.

لم نكن – نحن ضباط سرية حماية القصر- مسؤولين عن تفتيش أي مسؤول أو أي مُراجع يحضر لمقابلة رئيس الجمهورية، ومن الطبيعي أن لا تكون تلك المسؤولية مُلقاة على كاهل جنود يحرسون الباب النظامي للقصر... ولم أتعرّف شخصياً على ما كان يقوم به آمر أو جنود فصيل حمايته الشخصية المرتدين للملابس المدنية من إجراءات أمنية في الجناح الخاص لرئيس

الجمهورية... ولكني شخصياً لم أتعرّض بشكل مطلق لأي تفتيش أو إعاقة قبل إجتياز الممر المؤدي الى مكتب السيد الرئيس ولمرات محدودة جداً، وذلك في طريقي لتقديم بريد مستعجل في وقت متأخر من الليل، أو لتسلّم أمر معيّن بطلب من فخامته، وقت لا يتواجد فيه لا السكرتير العام ولا المرافقون في القصر... وفي ذلك دليل قاطع أن أي مسؤول في الدولة لم يكن ليتعرّض الى التفتيش قبل مواجهته مع الرئيس "عبد السلام عارف".

كان "عبد السلام عارف" مُغرَماً بالمشي والتجوال في حدائق القصر أو على ضفاف نهر دجلة، ولربما كانت حياته العسكرية الطويلة نسبياً قد عوّدته على ذلك، ولا سيما أنه كان من صنف "المشاة"، وطالما كان مرافقه العسكري الأقدم" العميد زاهد محمد صالح" يرافقه مستمعاً، فكان يترك القصر إلى خارجه متوجّهاً إلى "الجسر المُعلَّق/١٤ تموز" عادة، أو نحو "جسر الجمهورية/الباب الشرقي" في مرات قليلة، أو إلى وجهة أخرى أجهلها، مرة واحدة في الأسبوع على الأقل، وخصوصاً في غير موسم الشتاء، إذ لا يعود إلى القصر إلاّ قبيل منتصف الليل.

تمشية البريد اليومي

كان يجلس في مكتبة طويلاً، ويقضي معظم ساعات الليل فيه، ولا يخرج إلاّ لممارسة المشي، عصراً في بعض الأيام، وليلاً بمعدل يومي... ولكننا لم نكن – نحن ضباط سرية الحماية- نرى ما يعمله وكيف يتصرّف، ولم أدخل مكتبه شخصياً سوى مرّتين فقط خلال الفترات الثلاث التي كُلِّفَتْ سريتنا بتلك المهمة في مدة السنتين اللتين قضيتهما في الخدمة بالحرس الجمهوري... وفي المرتين المذكورتين كان الوقت قارب منتصف الليل، إذْ وجدتُه جالساً خلف منضدة كبيرة وسط غرفة واسعة ذات إنارة هادئة، وقد إنتصب قرب رأسه مصباح كهربائي قوي الإنارة مسلّط على الأوراق الموضوعة بشكل منتظم على عموم مساحة المنضدة... شاهدتُه مرتدياً بدلة غامقة اللون، وعلى عينيه نظارة طبّية لم يكن يستخدمها خارج المكتب، ويبدو أنه كان يعاني، كأي شخص جاوز الأربعين من

عمره، مما يسمّى عامة "بُعدُ نظر" وصحيحه "بُعدُ بَصَر"... إستعدتُ وأدّيتُ له التحية العسكرية قبل أن يردّها بوضوح، فقدمتُ له ما أمر به، فشكرني قبل أن أؤدّي أمامه تحيّة الخروج، إذْ أعاد الأوراق داخل الإضبارة نفسها بيد أحد جنود حمايته الخاصة، وقد علّق عليها بقلم حبر أحمر في صفحتها الأخيرة:-

"**السكرتير**: لقد تفاهمتُ حول هذا الموضوع مع وزير الداخلية... الرجاء المتابعة معه خلال هذه الأيام".

كان البريد عندما يَردُ الى القصر الجمهوري بعد إنتهاء الدوام الرسمي، فإن أحد موظّفي مكتب السكرتير العام لديوان الرئاسة هو الذي يتسلّمه من حامله، سواءً في حالة وجود السكرتير بدائرته من عدمه... وفي حالة غيابهما فإن الضابط الموجود في" غرفة التشريفات" هو الذي يقوم بتسلّمه، ويرسل" السري والشخصي" وكذلك "المستعجل" الى رئيس الجمهورية في أقرب وقت ممكن بيد أحد جنود حمايته الخاصة، بينما يستبقي "الإعتيادي" من البريد إلى صباح اليوم التالي... وكذلك الحال بالنسبة للبريد الخارج من مكتب رئيس الجمهورية في وقت متأخر من الليل، إذْ كنا نرسل البريد العاجل إلى الوزارات أو الدوائر المهمة ذات العلاقة في أية ساعة بإحدى سيارات القصر.

وقد دفعني فضولي مرات كثيرة إلى تصفّح الأوراق والإطلاع عليها، وعلى هوامش رئيس الجمهورية المثبتة في متونها... كانت تعليقاته واضحة وبخط بَيِّن، ولكنه ليس بجميل، وعبارات مفهومة لا لبس فيها، ومعظمها كان على شكل أوامر لا مجاملة فيها، ولكنها تحتوي في بعض الأحيان أمثالاً شعبية ساخرة لوحدها أو مصحوبة بكلمات كتبها باللهجة العامية، أتذكر منها:-

"اللي يدري يدري، واللي ما يدري كضبة عدس"

"عصفور كفل زرزور، وإثنينهم طيّارة"

"ماطار طير وإرتفع، إلاّ كما طار وقع"

"دفعة مَردي وعصا الكُردي"... أو "دفعة مَردي وعصا ((ذاك الرجّال))".

"عادت حليمة إلى عادتها القديمة... ولا حول ولا قوة إلاّ بالله".

أمور شتى

كان طعام عشائه المفضل يحتوي "اللبن والخبز والشاي" وفاكهة حسب الموسم، وقلّما كان يتناول لحوماً أو مقليّات، ويكتفي بتكريم ضيوفه بالقهوة والشاي وبعض الفاكهة، ولا يسمح بتقديم السكائر إليهم، فقد كان كارهاً للتدخين بل ومُحارباً له، ولم يكن أحد يدخّن السكائر أثناء مرافقته له في تجواله اليومي إحتراماً لشخص رئيس الجمهورية.

كان ينهض فجراً، ويؤدي صلاته بخشوع ملحوظ ويطيل بدعائه، قبل أن يتلو القرآن الكريم بصوت مسموع طيلة ساعة كاملة تقريباً، وقبل أن يرتدي بذلته الأنيقة ويخرج بمفرده في جولة مبكرة وسط الحدائق الخلفية للقصر أو على ضفاف "دجلة" خارج السياج، وقلّما كان يتجوّل بمحاذاة السياجَين الجانبيين، وفي جميع الأحوال كان يردّ التحية العسكرية على الجنود الذين كانوا يحيّونه عند مروره بالقرب من أبراج المراقبة، مستفسراً عن راحتهم وطعامهم ومُتفَقِّداً خِيَمَهُم المتواضعة... وإذا ما صادف ضابطاً من سرية الحماية وهو يقوم بواجبه الإعتيادي في ذلك الوقت فلا يُمانع أن يُرافقه ويسير إلى جنبه... إذْ كنتُ أراه في هذا التصرف وكأنه يعمل على شاكلة "آمر فوج" ما زال في خدمة الجيش أكثر من كونه رئيس جمهورية، وأُلاحظه كمن يستمتع بذلك.

أما في أيام الجمعة، فلا أتذكر أنه تأخّر عن أداء صلاتها يوماً ما، وكان يحضرها كل أسبوع في أحد جوامع "بغداد"... فمرّة في جامع "أبي حنيفة النعمان"، وثانية في "الست نفيسة" بالكرخ، وثالثة في "الأزبك" بالباب المعظّم، وأخرى في "العسّاف" بـ"راغبة خاتون"، ثم في "العاني" بالوزيرية، وهكذا... ولم يكن ذلك خافياً على الصحافة، إذْ كانت تُنشَر ذلك دائماً في صفحة الشؤون الداخلية ليوم السبت... وفي مرات كثيرة فإن الجامع الذي سيؤدي "عبد السلام عارف" صلاة الجمعة فيه كان يُنشر إسمه في صحف يوم الخميس الذي يسبق.

فقدان أثر رئيس الجمهورية لبعض الوقت!!؟؟

مضى أسبوعان أو ثلاثة على تواجد سريتنا داخل القصر الجمهوري لأغراض الحماية، وقد أمست مشاهدتنا لشخص "عبد السلام عارف" شيئاً عادياً في كل يوم... وكان الدوام الرسمي قد إنقضى، وقد بلغت الساعة الثالثة عصراً، إذْ كانت أروقة القصر وأجنحته قد خلت من جميع موظفيه، بمن فيهم أولئك الذين تأخروا لبعض الوقت لإنهاء أعمالهم التي لم يستطيعوا إكمالها خلال الساعات المقررة، حتى غادر السكرتير العام لديوان الرئاسة والمرافق العسكري الأقدم لرئيس الجمهورية مكتبيهما بسيارتيهما الرسميتين الى مسكنيهما.

تجوّلتُ على نقاط الحماية، وعدتُ الى غرفة التشريفات في حوالي الساعة الرابعة عصراً، وخرج "الملازم عبد الجبار" ليقوم بجولته الإعتيادية التي كان يحاول دائماً إنهاءَها بكل سرعة ليتفرّغ لصلوات "النافلة" وتلاوة القرآن الكريم دوماً في فترات الليل أو النهار، وكثيراً ما كان يدعوني بحرارة أن أبقى بشكل دائم في غرفة التشريفات، بينما يؤدي هو الواجب الآخر طمعاً في أداء عبادات أفضل.

لم يَمضِ على جلوسي في تلك الغرفة المكيّفة مركزياً نصف ساعة حين رنَّ جرس الهاتف على تلك المنضدة المتّسعة ذات النقوش البارزة، وكان المتكلّم على الجانب الآخر "نائب العريف رشيد مجيد" آمر حرس الباب النظامي للقصر-أحد ضباط صف فصيلي أصلاً- وهو يتحدّث بإرتباك ملحوظ وصوت عالٍ:-

-سيدي.. سيدي.. السيد الرئيس خرج من القصر في سيارة لوحده دون حماية.

★ ماذا؟ متى حصل ذلك، وما نوع السيارة؟

- الآن وقبل دقيقة واحدة سيدي... وبسيارة مكشوفة "تَنتَه" وليست تلك الرسمية التي يستخدمها عادةً.

★ ومن الذي كان يقودها؟

- سائقه "ن.ض ستار" سيدي.

كانت المرة الأولى التي أُصادف مثل هذا الموقف، إذْ لم أعرف مسبقاً أو أسمع بخروج رئيس الجمهورية لوحده بسيارة دون حماية، ولم يبلّغني أي من الضباط الذين سبقونا في مهمة حماية القصر بموقف مشابه... فما الذي ينبغي أن أعمله؟ وكيف أتصرف؟ وبمن أتصل؟ ولمن أُخبر؟.

كان أقرب الاشخاص الذين قفزوا الى ذهني هو مساعد آمر الفوج "الملازم أول عبد الصمد جابر" الذي يبدو أنه قد إمتعض من رَنّة جرس هاتفه في تلك الساعة من قيلولته العزيزة ما بعد الظهر، والذي بدا من إجابته السلبية بأن هذا الأمر ليس من إختصاصه لكون سرية حماية القصر الجمهوري هي بإمرة ديوان رئاسة الجمهورية، وأن إرتباطها بمقر الفوج ينبغي أن يكون للحالات الطارئة، وذلك قبل أن يغلق سماعة الهاتف بشدة واضحة، ومن دون أن يرشدني الى تصرّف مقبول.

تأثّرتُ كثيراً من إجابته بهذا الأسلوب السلبي، ولم أجد أمامي بُدّاً من الإتصال مباشرة بدار "المُرافق العسكري الأقدم" :-

– سيدي... آسف على إزعاجك في هذه الساعة، ولكني مضطر أن أُبلغكم بأن السيد الرئيس قد غادر القصر حوالي الساعة الرابعة والنصف بسيارة مكشوفة ومن دون حماية.

★ حسناً. ولكن ألم ترافقه سيارة مرور أو شرطة نجدة من تلك التي تُرابط دائماً أمام القصر؟

– لا أعرف ذلك، سيدي، ولكن أستطيع التأكد من ذلك.

★ طيب، تأكد وأخبرني... ولكن لماذا تُهَوِّل الأمر، فهذه ليست المرة الأولى التي يترك فيها السيد الرئيس القصر بمفرده، فسيادته من جَلاّبيَ المشاكل!!؟

– أنا ضابط جديد ولم أُكلَّف بحماية القصر سابقاً، ولم أُصادف موقفاً كهذا... وأكرّر أسفي على إزعاجكم.

وفي هذه اللحظة دخل الى غرفة التشريفات شخص بَدين، متوسّط القامة، يلبس نظارة طبية ويرتدي ملابس عسكرية إعتيادية... أدّى التحية العسكرية ووقف أمامي بالإستعداد وهو يلهث ويتصبّب عرقاً غزيراً، على الرغم من الطقس البارد هو الذي كان سائداً، قبل أن يقول:-

- أنا نائب ضابط "ستار"، سائق السيد رئيس الجمهورية، سيدي.

✱ أهلاً بك يا أخي هل كنت سائق السيارة التي خرج بها السيد الرئيس؟

- نعم سيدي.. وقد أوصلتُه الى "محلّة المُشاهَدة" في الكرخ قبل أن يترجل ويأمرني بالعودة.

✱ ومن الذي بقي معه؟

- لا أحد سيدي!!

✱ هل رافقتكم سيارة مرور أو نجدة من تلك التي تُرابط قرب القصر؟

- كلا سيدي، لم يرافقنا أحد، فقد خرجنا لوحدنا.

✱ وكيف حصل ذلك؟

- بعث السيد الرئيس بأحد جنوده وأمرني بتهيئة السيارة المكشوفة.. وبينما كنتُ أُدقّق مستويات دهن المحرك وماء المبردة، فوجئتُ بالسيد الرئيس وقد إقترب ماشياً نحو سقيفة إيواء السيارات، وأمر بتشغيل محرك السيارة، وجلس بقربي وخرجنا.

✱ حسناً، ولكن كيف تترك السيد الرئيس في "محلة المشاهدة" وتعود؟

- سيدي بالله عليك، إذا ما أمرك السيد رئيس الجمهورية وأنت في موقف كهذا، هل تعود الى القصر أم ترفض؟

✱ لا بالله كنتُ أعود... والآن ألم تلاحظ إلى أين إتّجه السيد الرئيس بعد ترجّله من السيارة؟

- "إنحشَرَ" بين جموع الناس على الرصيف وظلّ يسير حتى غاب عن نظري.

✵ الحقيقة أقولها لك الآن، أنني كنتُ لا أعود والحالة هذه، بل أجعله أمام نظري وأبقى أتتبّعه، سواءً بالسيارة أو مشياً على الأقدام، كي أتأكد من وجهته الأخيرة على الأقل.

- سيدي وأقولها بصراحة، فهذه ليست المرة الأولى التي ((يُورّطنا)) السيد الرئيس بمثل هذه المواقف.

✵ على أية حال. إنتظر خارج الغرفة ريثما أتصل بالسيد المرافق الأقدم

نصحني السيد "العميد زاهد محمد صالح" بعد أن إستشعر بإرتباكي في حديثي معه، أن لا أقلق أكثر من اللازم في هذا الصدد، وكرّر بأن هذه المرة ليست غير مسبوقة وطالما خرج السيد الرئيس إلى بيت صديق أو قريب أو جار قديم، أو بجولة في الشوارع... ولكنه أمرني بإتخاذ الإجراءات المحددة الآتية:-

أولاً: **ألاّ أتحدث حول هذا الأمر على الجهازَين اللاسلكيين المرتبطَين على شبكة شرطتَي النجدة والمرور، وتبليغ الأمر نفسه إلى آمرَي السيارتين التابعتين لهما والمرابِطتَين أمام القصر، وذلك لأن جميع سيارات الشرطة في بغداد ستسمع ذلك الحديث**

ثانياً: **إخراج أربعة جنود في سيارة تابعة لفصيل الحماية الشخصية لرئيس الجمهورية إلى منطقة "المشاهدة"، فهم بشكل عام قد يعرفون إلى أين يذهب السيد الرئيس في مثل هذه الحالات، وربما يعثرون عليه... على أن يكون السائق" نائب ضابط ستار" بشخصه معهم في سيارته**

ثالثاً: **أن أخبره هاتفياً متى ما حصلتُ على معلومة جديدة**

إنقضت حوالي (٣) ساعات على مغادرة "عبد السلام عارف" للقصر، حتى أخبرني"نائب ضابط ستار"، وهو يستخدم هاتفاً في محل أحد معارفه

بمنطقة "الكرخ"، ليذكر لي بأن السيد الرئيس جالس ببيت صديق قديم له في محلة "سوق حَمادة"، وأنه وبصحبته جنود الحماية ينتظرون خروج سيادته، في حين كان كل من "المُرافق الأقدم وسكرتير عام ديوان الرئاسة" قد حضرا إلى مكتبَيهما في أول الليل، حيث أخبرتُهما بالأمر.

عاد "الموكب المصغّر" -والمؤلّف من السيارة التي أقلّت"عبد السلام عارف" وسيارة فصيل الحماية- إلى القصر في حدود الساعة الثامنة والنصف ليلاً، ولم أنسَ أن أطلب حضور "نائب الضابط ستار" أمامي في غرفة التشريفات، حين قلتُ له بلهجة حساب، وهو يقف أمامي في حالة الاستعداد :-

✸ لماذا تحمل مسدسك على نطاقك في الجانب الأيمن؟

- أنا متعوّد على ذلك، سيدي.

✸ ما الذي تعنيه بالتعوّد؟؟؟؟ ألا تعرف أن أوامر الجيش تقضي أن تحمله على الجانب الأيسر؟

- نعم، أعرف ذلك سيدي... ولكني تعوّدتُ على ذلك، وأن إستخدامه أسهل... وأنني أُلاحظ بعض الضباط وضباط الصف يحملونه في جانبهم الايمن.

✸ أولئك الذين ذكرتَهم، ربما هم من صنف الخيالة أساساً أو من صنف الدروع، وأن أوامر الجيش ذات العلاقة بالقيافة العسكرية تقضي لهم بذلك، فإذا كنتَ من منتسبي الصنفَين المذكورَين فلك كل الحق، ولكن لكونك من صنف"النقلية الآلية" فأن عليك حمل مسدسك في الجانب الأيسر من النطاق، ولا جدال في ذلك... أما إذا كنت تعتبر نفسك فوق أوامر الجيش وتعليماته، لكونك تعمل سائقاً لدى السيد رئيس الجمهورية، فلا حقَّ لك في ذلك مطلقاً- وأن مثل هذه التصرفات تعتبَر مخالفة للأوامر، وأن "ذنوب الجيش أخْوَفُ عليهم من عدوِّهم" كما يقول سيدنا "عمر بن الخطاب" (رض)، وأن ضبّاط الصف والجنود الآخرين عندما يرونَك فلربما يقلّدونك، فتسري هذه المخالفة على الكثير منهم يوماً بعد يوم

وقد جلب نظري فعلاً خلال الأيام اللاحقة، أن السائق المذكور وزملاءَه وسواهم من الذين يعملون قريباً من شخص رئيس الجمهورية، قد طبّقوا ما وَجَّهتُ "ن ض ستار" به.

وفي حين لم أُصادف خلال الأشهر العديدة الأخرى التي قضيتها في مرات لاحقات بمهمة حماية القصر الجمهوري مثل ذلك الموقف، إلاّ أن زملائي الضباط من السريتين الأُخرَيَين كانوا يتحدّثون عن مواقف مشابهة جابهتهم أثناء تواجدهم في القصر، والعثور على "عبد السلام عارف" في مناطق مختلفة من بغداد، وخصوصاً في أحياء "الكرخ، العُطَيفية، الوَزيرية، المنصور، الزُوِيّة" وغيرها.

وقد علمتُ من آمر فصيل الحماية الخاصة "الملازم شهاب أحمد الدليمي" أن المقرَّبين إلى شخص"عبد السلام عارف" حينما كانوا يرجونه بعدم الخروج لوحده دون حماية، فأنه كان يردّ عليهم ما نُسبَ في حينه إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ر ض):-"عَدلتَ فأَمنتَ فَنمتَ"... والآية الكريمة:- "يُدرِكُكُم المَوتُ ولو كُنتُم في بُروجٍ مُشَيّدة.... ناصَحاً إياهم بعدم الإكتراث بالقَدَر-الذي إنْ جاء بأجَل أيٍّ مَن كان- فلا يستأخر ساعة.

تصرّفات منبوذة من ضعفاء نفوس

لم تكن لـ"عبد السلام عارف" حماية أكثر مما تحدّثتُ عنها، سواء في هذا المبحث أو في غيره... ولكن بعض ضباط وحدات الحرس الجمهوري من "الأدعياء" الذين كانوا يحاولون إظهار شخوصهم بأكبر ممّا هم عليها أمام أصدقائهم ومعارفهم وأقاربهم، ناهيك عن التقرّب والنفاق.. وأخصّ منهم زميلاً من فوجنا، وآخر من سرية الدبابات وثالثاً من فوج الحرس الجمهوري الثاني*.

أن زيارات "عبد السلام عارف" لأماكن كثيرة كانت تُعلَنُ جهاراً في الصحف قبل يوم واحد، أو لربما أيام عديدة من تنفيذها... أما زياراته المفاجئة لأماكن معينة في "بغداد" فإنها لم تكن مفاجِئةً لضباط الحرس الجمهوري،

---

* أعتذر عن ذكر أسمائهم لتفادي الإحراج أو التشهير........................"المؤلف"

وخصوصاً ضباط السرية المكلَّفة بمهمة حماية القصر الجمهوري من داخله... بينما كان حضوره لأداء فريضة صلاة الجمعة معروفاً منذ صباح كل يوم جمعة، أو قبله بيوم واحد أو يومَين... لذلك، فإن أولئك الضباط الثلاثة خصوصاً- وكانوا جميعاً من سكنة منطقة الكرخ- يرتدون الملابس المدنية، ويحملون مسدّساتهم محاولين إظهارها للعَيان بشتى الطرق، ويقفون مجتمعين أو فُرادى قرب الموقع الذي سيزوره رئيس الجمهورية، قبل أو لدى حضوره هناك، أو خارج الجامع الذي سيؤدي فيه الصلاة، ويتصرّفون بشكل يُوحي للناس المجتمعين على الأرصفة والشوارع المحيطة بذلك الموقع، وكأنهم مكلّفون بحماية "عبد السلام عارف"... وأنهم، لكونهم ضباطاً في الحرس الجمهوري، فإن أفراد فصيل الحماية الخاصة لا يجرأون على التصدّي لهم للحدّ من تصرفاتهم... وإمعاناً منهم لإثبات إدّعائهم ومزاعمهم، فإنهم كانوا يتّصلون هاتفياً ببعض أصدقائهم وأقربائهم مُدَّعين أنهم مُكلّفون في تلك الساعة بـ"واجب خاص" يمنعهم من تنفيذ وعود أبرموها ومواعيد إتّفقوا عليها — ضمن السيناريو نفسه — معهم!!

ولقد علمتُ خلال تكليف سريتنا بمهمة حماية القصر الجمهوري للمر الثانية في شهرَي "حزيران وتموز ١٩٦٥"، أن المرافق الأقدم لرئيس الجمهوريه قد إستدعاهم جميعاً إلى مكتبه، وحاسَبَهم بشدة وبعبارات لاذعة وغير مستساغة، آمِراً إياهم بالكفّ عن تكرار مثل تلكم التصرفات غير اللائقة لأخلاقيات ضباط الجيش العراقي... ولكنهم لم يمتنعوا سوى بضعة أسابيع لتعود "حليمة إلى عادتها القديمة" -كما يقول المَثَل البغدادي الشائع-.

وقد عرفتُ أيضاً، وبإنقضاء الأيام، أن أولئك لم يكونوا يمارسون مثل تلك التصرفات مع رئيس الجمهورية دون علمه فحسب، بل حتى مع أشخاص مهمّين دونه على مستوى الدولة، من أمثال السادة "رئيس الوزراء، وبعض الوزراء، ورئيس أركان الجيش وكالة، وقائد القوة الجوية في حينه"... وفي الوقت الذي كانوا يُثيرون إستهجان معظم ضباط الحرس الجمهوري، فأنهم كانوا يتمتّعون

بدعوات وعزائم وولائم وحفلات وسهرات يُقيمها لهم بعض ضعاف النفوس من الأثرياء والمُنافقين وأصحاب المصالح بشكل خاص... وكانت تلكم الجلسات مليئة ببعض الحقائق الملموسة عمّا يشاهده أولئك الضباط أو يعرفونه، مصحوبة بأكاذيب ومزاعم وإدّعاءات لم يكن لها وجود حقيقي عن صميمية العلاقات السائدة بينهم وبين السادة المسؤولين على الإطلاق!!



الصورة (٣٠)

"المؤلف" ينظم صَفّي حرس الشرف

الذي يتهيأ لإستقبال رئيس الجمهورية في ساحة الجندي المجهول



الصورة (٣١)

"المؤلف" حامل علم العراق وسط حرس الشرف في ساحة الجندي المجهول



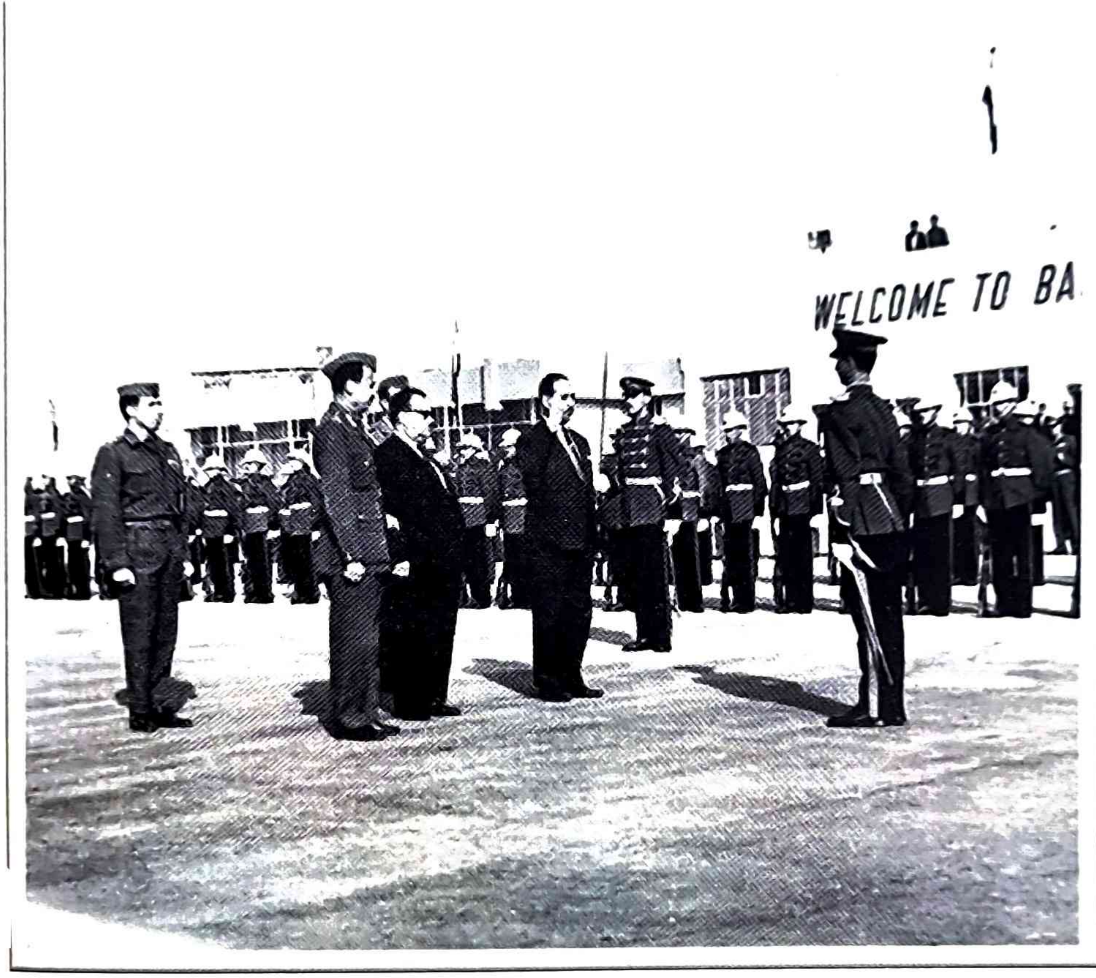
الصورة (٣٢)

الرئيس عب السلام محمد عارف وإلى جانبه السيد عبد الرحمن البزاز – رئيس الوزراء– واللواء الركن عبد العزيز العُقَيلي – وزير الدفاع، واللواء عبد الرحمن محمد عارف رئيس أركان الجيش وكالةً



الصورة (٣٣)

الرئيس عبد السلام محمد عارف مستقبلاً الرئيس "موديبو كيتا" عام ١٩٦٤ بمطار بغداد الدولي، وإلى جانبه اللواء عبد الرحمن محمد عارف – رئيس أركان الجيش وكالةً، والعميد زاهد محمد صالح- المرافق العسكري الأقدم لرئيس الجمهورية ويظهر ((المؤلف)) من بُعد معاوناً لآمر حرس الشرف النقيب كاظم عزيز



الصورة (٣٤)

الرئيس عبد السلام محمد عارف مُنهياً إستعراض حرس الشرف لدى مغادرته مطار بغداد الدولي عام ١٩٦٤، وإلى جانبه رئيس الوزراء الفريق طاهر يحيى، ورئيس أركان الجيش وكالةً اللواء عبد الرحمن محمد عارف❖❖❖ ويظهر في الصورة، "الملازم أول ماجد محمد توفيق" المرافق العسكري لرئيس أركان الجيش وكذلك النقيب كاظم عزيز آمر حرس الشرف،،، وكذلك"المؤلِّف" حاملاً السيف معاوناً لآمر حرس الشرف

الرئيسان عبد السلام وعبد الناصر

تعلّق عبد السلام بعبد الناصر

كان الرئيس"عبد السلام عارف"، كما كان يبدو في معظم تصرّفاته وتصريحاته وأحاديثه، من أشدّ المُعجَبين بشخص الرئيس" جمال عبد الناصر" ومن أعنف مؤيّديه، مُعتبراً إياه مَثَلَه الأعلى في النضال ضد الإستعمار والرجعية والكفاح في سبيل الأمة العربية، متمنّياً بكل ما أُوتي من قوة، أن يحقّق وحدة يكون "عبد الناصر" رئيس دولتها، لتضمّ أساساً كلاً من "مصر وسوريا والعراق" بمثابة خطوة أولى نحو تحقيق وحدة الأمة العربية من المحيط الى الخليج، وربما كان من أهم أسباب الخلاف المبكّر الذي نشب بينه وبين "عبد الكريم قاسم" هو المطالبة المُلِحّة بوحدة فورية مع "الجمهورية العربية المتحدة"*.

وقد سمعتُ الرئيس "عبد السلام" وهو يتحدث أكثر من مرة عن الرئيس "جمال عبد الناصر" بحماس شديد أثناء تجواله في حدائق القصر الجمهوري مع مرافقيه أو مع مسؤولين في الدولة، وضرورة، بل وحتمية الوحدة مع "مصر" وإتخاذ خطوات جادة لتحقيقها... كما كان الناس يسمعون بالإذاعة والتلفزيون

---

* الجمهورية العربية المتحدة – والتي كان يطلق عليها إختصاراً بالأحرف (ج ع م) :- هي التسمية الرسمية لدولة الوحدة التي قامت بين "مصر وسوريا" عام ١٩٥٨، وإنفصلت عنها "سوريا" في إنقلاب عسكري قاده اللواء"عبد الكريم النحلاوي" عام ١٩٦١ ... ولكن الرئيس "عبد الناصر" أبقى على هذه التسمية على الرغم من بقاء "مصر" لوحدها ضمن الجمهورية المذكورة وحتى وفاته في أيلول/سبتمبر عام ١٩٧٠، حيث تم إبدال التسمية الى "جمهورية مصر العربية" في عهد الرئيس "أنور السادات" ...."المؤلف".

في خطاباته، والتي كانت مرتجَلة في معظمها، خلال المناسبات الرسمية وغيرها، أو لدى زياراته لمدن العراق والمعسكرات، أو تصريحاته داخل القطر وخارجه، كما يقرأون مقابلاته في الصحف العراقية أو تصريحاته عند إستقباله لأشخاص مصريين أو عرب أو أجانب.

كانت الصحف اليومية في العراق تنشر مقالات إفتتاحية مُركَّزة، وبحوثاً طويلة في الصفحات الداخلية، تمتدح نهج الوحدة العربية، وفي مقدمتها ضرورة الوحدة مع "ج.ع.م" بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر... ولا يخفى على الجميع أن صحف العراق ووسائل إعلامه الأخرى، المسموعة منها والمرئية والمقروءة، ومنذ ١٤تموز ١٩٥٨، كانت واقعة ضمن نهج "المراقبة على المطبوعات والإعلام الموجّه مركزياً" والذي تمسك الدولة عن طريق وزارة الثقافة والإرشاد بخيوطه، ناهيك عن بعض الكُتّاب والصحفيين الذي يحاولون التقرّب من النظام وسياسة الدولة ويؤيّدونها في كل صغيرة وكبيرة، كما هو الحال في معظم دول العالم الثالث في حينه، ومازال... فيما كان معظم صحف العراق يشنّ حملات إعلامية شديدة على نظام الحكم البعثي الذي كان قائماً في "سوريا" برئاسة "الفريق أمين الحافظ".

وفي خطوة إيجابية نحو تحقيق الوحدة العسكرية، كمرحلة أولى، كان هناك إتفاق رسمي قد أُبرِمَ بين البلدين على مرابطة "جحفل قوة مصرية" في العراق، والتي سنأتي على تفاصيلها في مبحث لاحق.

وقلّما كان العراق خلال عامَي ١٩٦٤-١٩٦٥ يخلو من شخصية مصرية مسؤولة أو وفد رسمي أو شعبي أو جماهيري أو عسكري، يزوره لتوطيد العلاقة بين البلدين، يقابله شخصية عراقية مع وفد رسمي أو شعبي أو جماهيري أو عسكري يزور "مصر" بمعدّل شهري... ولم يكن الرئيس "عبد السلام عارف" يألو جهداً في إستقبالهم والإطراء عليهم وعلى دور الرئيس "عبد الناصر" القيادي ودور "مصر" الريادي في تحقيق وحدة الأمة العربية... فيما كان للسيد "أمين هُوَيدي" سفير "ج.ع.م" في بغداد الأسبقية في الدخول الى مكتب الرئيس "عبد السلام" متى ما شاء نهاراً أو ليلاً.

ويبدو أن الرئيس "عبد السلام" كان يعتقد أنه كلّما تقرّب من شخص الرئيس "عبد الناصر" وكلّما إمتدحه وإمتدح "ج.ع.م"، وإنتهج نهجاً شبيهاً لنهج قيادته بإدارة الحكم في بلاده، وكلّما أسنده في تصريحاته وأحاديثه ومقابلاته وذكره في خطاباته وأطرى عليه في عباراته، فإن سُمعَتَه ستعلو، ليس في العراق وحسب، بل على مستوى الوطن العربي الذي كان موقِناً أن "عبد الناصر" يقوده ويتزعّمه...

ولكن الرئيس المصري لم يكن يجامل الرئيس العراقي إلاّ قليلاً في إطلاق تصريحات مقابلة أو مديح أو ذكرٍ لإسمه في خطاباته. وكان هذا الموضوع حديث الكثير من الناس في الشارع العراقي... كما كان الرئيس "عبد السلام" يحاول توطيد علاقات العراق مع كل دولة عربية أو إسلامية أو سواها من التي لها علاقات حسنة مع "مصر"، ويبتغي التقرّب من كل زعيم عربي أو غيره ممّن يرتبط بعلاقات مع الرئيس المصري، ومعاداة كل من يُعاديه.

ومُجمل القول، كما يبدو للمؤلّف، أن الرئيس "عبد السلام" كان "مُقَلِّداً" بشكل أو بآخر للرئيس "عبد الناصر" في معظم أمور السياسة الداخلية والخارجية، وفي العديد من تصرّفاته، ولكن من دون مقابل معنوي يُذكَر... وقد إتخذ خطوات عديدة تدلّ على ذلك، يمكن إجمال أهمّها فيما يأتي:-

أولاً- إصدار قرارات بتأميم العديد من الشركات والمعامل والبنوك العراقية يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ .

ثانياً:- إنشاء "مجلس رئاسة مشترك"* يترأّسه الرئيسان، مكوّناً من ثلاثة أعضاء لكلا الطرفين، وتنسيب السادة "ناجي طالب، أديب الجادر، وعبد الستار علي الحسين" أعضاء متفرّغين فيه من الجانب العراقي.

ثالثاً:- تأسيس "الإتحاد الاشتراكي العربي" في العراق أُسوةً بـ"الإتحاد الإشتراكي العربي" في مصر، وعقد جلسته التأسيسية الأولى برعاية وبحضور السيد "حسين الشافعي" نائب رئيس ج.ع.م يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ .

---

* سنأتي على تفاصيل"مجلس الرئاسة المشترك" و"القيادة السياسة الموحدة" في فصل قادم من هذا الكتاب........................"المؤلف".

رابعاً:- جعل أسماء بعض المؤسسات العراقية شبيهة بمُسمّياتها لدى "ج.ع.م"، وخصوصاً تلك المؤسسات الإشتراكية التي تشكّلت ضمن قرارات التأميم.

خامساً:- إتخاذ خطوات جدية وتشكيل لجان لتوحيد الرُتَب والمصطلحات العسكرية المستخدمة لدى القوات المسلحة للبلدين.

سادساً:- إستحداث "المؤسسة الإقتصادية" لتضم (٢٨) شركة أو معملاً كبيراً تم تأميمها وفقاً للقانون وأُسوة بما هو عليه لدى "ج.ع.م".

سابعاً:- إلغاء جوازات السفر وسمات الدخول بين البلدين والإكتفاء بالهوية الشخصية.

ثامناً:- تأسيس "القيادة السياسية الموحدة" بمثابة أعلى سلطة سياسية للبلدين برئاسة رئيسَي الجمهوريّتين وعضوية (١٢) مصرياً و(١١) عراقياً من كبار مسؤولي الدولتَين.

تاسعاً:- جعل شعار الجمهورية والسلام الجمهوري العراقيين مشابهَين تماماً لشعار الجمهورية العربية المتحدة وسلامها الوطني.

مناصب مهمة للضباط القوميين

إنقضت شهور عديدة على خدمتي العسكرية ضابطاً في الحرس الجمهوري، حيث تعرّفت بشكل مباشر على معظم مسؤولي الدولة من خلال جلوس بعضهم في غرفة التشريفات وإنتظارهم لبضع دقائق أو عَشَراتها، وخصوصاً في المساء بعد إنتهاء الدوام الرسمي، أو بشكل غير مباشر عن بُعد من خلال حضورهم إلى القصر الجمهوري، من أولئك الذين عَيَّنَهم الرئيس "عبد السلام عارف" بمناصب غايةً في الأهمية تمسك بأمور الدولة التي تُعنى بإستقرار الحكم وأمنه، وعلمتُ أيضاً أنهم من "الكتلة القومية" التي تؤيّد بكل ما أُوتيت من قوة سياسة الرئيس "جمال عبد الناصر" وتُناصره بشدّة، وهم:-

١. عميد الجو الركن "عارف عبد الرزاق" – قائد القوة الجوية.

٢. العميد الركن "عبد الكريم فرحان" – وزير الثقافة والإرشاد.

٣.المقدم الركن -العقيد الركن فيما بعد- "صبحي عبد الحميد"- وزير الخارجية/ وزير الداخلية بعدئذ.

٤.المقدم الركن -العقيد الركن فيما بعد- "هادي خماس" - مدير الإستخبارات العسكرية.

٥.المقدم الركن "رشيد محسن" - مدير الأمن العام.

٦.المقدم الركن -العقيد الركن فيما بعد- "عرفان عبد القادر وجدي" - آمر الكلّية العسكرية.

إن التغيير الوحيد الذي حصل في مناصب أولئك بعدئذ هو تعيين السيد "صبحي عبد الحميد" وزيراً للداخلية بدلاً من الخارجية بمرسوم جمهوري صدر يوم ١٩٦٤/١١/١٤، حين تم تشكيل وزارة "الفريق طاهر يحيى" الثالثة التي ضمّت (٢١) حقيبة وزارية، إذْ أصبحت "وزارة الخارجية" من نصيب "اللواء الركن ناجي طالب" أحد أبرز الذين يحترمهم "عبد السلام عارف" والذي كان من أهم الأعضاء المتفرّغين في "مجلس الرئاسة المشترك" الذي تشكّل بعد إتفاق ٢٦ مايس/أيار ١٩٦٤ لتوحيد الجمهوريتين "العربية المتحدة والعراق".

موقف إيجابي

ولكن التغيير المفاجئ الذي حدث وأدّى إلى إنتشار إشاعات واسعة عن وجود خلافات بين العراق ومصر وبين "عبد السلام" و"عبد الناصر"، على الرغم من محاولات جدية قامت بها الصحف العراقية لتكذيبها أو التخفيف منها، هو صدور مرسوم جمهوري يوم ١١ تموز ١٩٦٥ ينصّ على ((قبول تخلي)) كل من السيدين "عبد الكريم فرحان" من منصب وزير الثقافة والإرشاد و"صبحي عبد الحميد" من منصب وزير الداخلية* ... ولكن الأربعة الآخرين الذين ذكرتُهم في صفحات هذا المبحث ظلّوا محتفظين بمواقعهم المهمة.

---

* سنأتي على تفاصيل هذا الموضوع والذي أدّى إلى حدوث أزمة وزارية خطيرة مهّدت لإشتراك ضباط (الكتلة القومية) بمحاولة إنقلابية في فصل لاحق............"المؤلف".

والحقّ يُقال، أن "عبد السلام عارف" و"طاهر يحيى" وكذلك "ناجي طالب" وزير الخارجية، ناهيك عن الصحف ووسائل الإعلام المتنوعة، لم يبدوا أي إيحاء أو تلميح في التصريحات أو التصرفات اللاحقة إلى أُمور سلبية، سواء بين البلدين أو بين رئيسَي الدولتين الشقيقتين، بل كان العكس هو الصحيح، فقد جرى بعد ذلك التأريخ ما يأتي:-

أولاً: ذكر "عبد السلام عارف" في خطابه الشامل يوم ١٤ تموز ١٩٦٥ وبمناسبة الذكرى السابعة لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عبارات طويلة عن وحدة العراق مع مصر كنقطة إنطلاق لجمع شمل الأمة العربية، وأن العراق سائر بخطوات ثابتة وواقعية لبناء تلك الوحدة على الوجه الأكمل، وأنه سينهض بـ"الإتحاد الاشتراكي العربي" في العراق على دعائم شعبية ثابتة.

ثانياً: أرسل العراق وفداً عالي المستوى في تموز ١٩٦٥ برئاسة رئيس الوزراء "الفريق طاهر يحيى" وعضوية عدد كبير من الوزراء وكبار الضباط لحضور إحتفالات "مصر" بذكرى ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢ .

ثالثاً: زار "عبد السلام عارف" القوات المصرية المرابطة في "معسكر التاجي" يرافقه وزير الدفاع "اللواء الركن محسن حسين الحبيب"، حيث إستقبله هناك السفير المصري "أمين هويدي" وقائد تلك القوات "المقدم الركن إبراهيم عرابي"، وألقى خطاباً مرتجلاً بين الضباط والجنود ذكر خلاله عبارات إفتخار بشخص الرئيس"عبد الناصر"

رابعاً: كذّب "عبد السلام" في مقابلة مع صحيفة "الجمهورية" العراقية الصادرة يوم ٢٧ تموز ١٩٦٥ الإشاعات الرائجة حول خلافات بين "العراق وج.ع.م" حين قال:- (أن الجمهوريتين العراقية والعربية المتحدة رَسَمَتا طريق الوحدة وإلتَزَمَتا بمسؤولياتهما كاملة).

خامساً: وأخيراً أقدَمَ "عبد السلام" على خطوة أهمّ، ومن دون إشاعات أو أقاويل كانت تملأ الشارع العراقي عادة قُبيل أيام أو بضعة أسابيع عن أية

تغييرات أو تعديلات وزارية، حين فاجأهم بقبول إستقالة وزارة "الفريق طاهر يحيى" الثالثة، وتشكيل وزارة جديدة يرأسها "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" بمرسوم جمهوري صدر يوم الإثنين ٦ أيلول ١٩٦٥ ، وأناط به منصب "وزير الدفاع وكالة" أيضاً، ومن دون تعيين قائد للقوة الجوية يحلّ محلّه.

عارف عبد الرزاق ومحاولته الانقلابية

كان إجتماع الملوك والرؤساء العرب ضمن "مؤتمر القمة العربية الثالث" يوم ١٣ أيلول ١٩٦٥ قد تقرّر بشكله النهائي منذ يوم ٢٥ آب، وتمّت تسمية الوفد العراقي برئاسة "عبد السلام" شخصياً وعضوية (١١) شخصيةً، إذْ غادروا جميعاً مطار بغداد الدولي صباح يوم الأحد ١٢ أيلول.

وقبل المغادرة بيوم واحد فقط صدر مرسوم جمهوري بتشكيل "مجلس جمهوري" للنيابة عن رئيس الجمهورية خلال مدة غيابه عن العراق ضم(٣) شخصيات، وهم*:-

١. عارف عبد الرزاق — رئيس الوزراء ووزير الدفاع وكالةً.
٢. عبد اللطيف جاسم الدراجي — وزير الداخلية.
٣. اللواء عبد الرحمن محمد عارف — رئيس أركان الجيش وكالةً.

ولكننا فوجئنا في اليوم الثالث من إجتماعات مؤتمر القمة العربية الثالث، وبالذات مساء يوم ١٥ أيلول ١٩٦٥ بدخول فوجنا أقصى درجات الإنذار، منتشرين حوالي سياج القصر الجمهوري وقاطعين حركة السيارات والأهلين على الشارع العام لـ"كرادة مريم"، لنبقى على ذلك الوضع ليومَين متتاليين، وعندما إجتمع بنا آمر الفوج أعلمنا أن محاولة انقلابية قام بها "رئيس الوزراء" وأقدم الأعضاء في المجلس النيابي المذكور مع أشخاص عديدين آخرين، وحينما إنكشفت حركتهم إستقلّوا طائرة نقل خاصة وإتجهوا بها إلى "القاهرة"!!!

---

* سنأتي على تفاصيل هذه الأحداث والحركة الإنقلابية في فصل لاحق لأهميّتها وكثرة مفارقاتها ...."المؤلف".

إستمرّت حالة الإنذار القصوى في وحدات لواء الحرس الجمهوري والوحدات العسكرية المتواجدة في بغداد خلال الأيام التالية، حتى عاد "رئيس الجمهورية" عن طريق الجو وهبط في "بغداد" عصر يوم السبت ١٨ أيلول.

وعلى الرغم من هذا الحدث الخطير، ولجوء الإنقلابيّين الى "مصر"، فإن الصحف العراقية ووسائل الإعلام الأخرى ظلّت هادئة وخَلَتْ من أية إشارة للواقعة الأليمة سوى ببيان رسمي يتيم مُقتضَب تحت عنوان :- "إستتاب الأمن بعد فشل المؤامرة الرَعناء يوم الأربعاء الماضي"، وقد نُشِرَ على صفحات "المحلّيات" الداخلية يوم الإثنين ٢٠ أيلول ١٩٦٥ ومن دون ذكر إسم أي من الأشخاص أو الجهة التي إلتجأوا اليها بعد (فرارهم) * إلى الخارج... ولم تنشر الصحف بعد ذلك سوى العشرات من برقيات التأييد لـ"عبد السلام عارف" والتهنئة بعودته سالماً من "المغرب"... ولم تُشَنّ أية هجمات إعلامية على أية جهة ، بما فيها شخص "عارف عبد الرزاق".

موقف "عبد السلام" بعد الحركة الإنقلابية

ويبدو أن "عبد السلام عارف" لم يشأ أن يعطي للحدث أهمية ظاهرة. ويدخل نفسه أو العراق في مشاكل مع الرئيس "عبد الناصر" أو مع مصر، أو ربما إستشعر بخجل أو إحراج من جراء تعلّقه بالرئيس المصري طيلة السنتَين السابقتَين من حكمه، ويحتمل أيضاً أنه قدّر أن أية مشاكل تحدث مع "مصر" بالذات ستؤدي إلى تصدع أكثر في العلاقات العربية – العربية.

ولكن، ومنذ ذلك اليوم تحديداً، لم يحاول "عبد السلام عارف" مرة أخرى أن يورد أسم الرئيس "جمال عبد الناصر" في خطاباته الرسمية والإرتجالية، ولم يعد ميّالاً -كما يبدو- إلى تحقيق الوحدة مع "ج.ع.م"، وقد بدا أياماً طويلة منزعجاً بشدة، بل أننا لم نلاحظ إبتسامة على وجهة طيلة أسابيع، ولكنه كان

* سنأتي على ذكر تفاصيل هذه الأحداث والحركة الإنقلابية في فصل لاحق لأهميتها وكثرة مفارقاتها ...."المؤلف".

يورد في تصريحاته ومقابلاته مع مراسلي الصحف والوكالات أن "الوحدة ستظل هدفنا الأسمَى"، وأن القيادة السياسية المُوحَّدة للعراق و ج.ع.م تواصل دراساتها لوضع أفضل صيغة للوحدة بين ((البلدين الشقيقين))، ولكن من دون أن يذكر الرئيس "جمال عبد الناصر" بالإسم، بل كان يكتفي بعبارة "الشقيقة الكبرى العربية المتحدة".

لم يقرّر "عبد السلام عارف" إعادة القوة المصرية المتواجدة في "معسكر التاجي" إلى وطنها، ولم يَخْطُ أية خطوة لقطع العلاقات الدبلوماسية مع" مصر" أو تحجيمها أو تقليصها، بل ظلّ يبدي ترحاباً كبيراً لقائد القوة المصرية الذي تابع زياراته الشخصية للقصر الجمهوري قبل أن تقرّر "مصر" من جانبها تبديل "المقدم الركن إبراهيم عُرابي" بـ"العقيد الركن عبد الحميد حمدي عبد العزيز".

ولكن تصرّفاته ومجاملاته مع السيد "أمين هُويدي" السفير المصري ببغداد كان على غير نهجه السابق، فإنه لم يستقبله في القصر الجمهوري سوى مرة واحدة وبشكل رسمي، قبل أن يعيّنه الرئيس "عبد الناصر" بمنصب "وزير الإرشاد القومي" في الوزارة التي شكّلها السيد "زكريا محي الدين" يوم ٣٠ أيلول بعد إستقالة وزارة السيد "علي صبري"، ومرة ثانية عندما عاد لتصفية أعماله في العراق قبل أن يرجع الى "القاهرة" مساء يوم ١٩٦٥/١١/٤ بشكل نهائي، حيث سُمّي "الدكتور حسين خلاف" سفيراً جديداً في "بغداد".

أما الصحف العراقية، فعلى الرغم من عدم شنّها أية هجمات إعلامية على الرئيس "عبد الناصر" أو غيره، بل وحتى عدم تطرّقها الى الحركة الإنقلابية الفاشلة فإنها لم تَعُدْ تنشر مقالات مديح أو إطراء بحقّه، ولكنها ظلّت تغطّي أخباره وتحرّكاته وتصريحاته وزياراته، وتنشر صوراً له في الصفحات الأولى أو الداخلية منها بين فترة وأخرى، ولكن ليس بالشكل الذي إعتادت عليه قبل ذلك الحدث... كما كانت تنشر تصريحات لرئيس الوزراء الجديد السيد "عبد الرحمن البزاز" حول سلامة العلاقات مع ج.ع.م، وقرب زيارة الرئيس"عبد السلام عارف" للقاهرة، وتصريحات أخرى لوزير الوحدة "الدكتور عبد الرزاق

محي الدين " حول إجتماع القيادة السياسية الموحدة المتوقع قبل حلول شهر رمضان المبارك ١٣٨٥هـ ، وتأجيله إلى ما بعد عيد الفطر المبارك، وكذلك أنباء زيارتَيهما الرسميتين إلى "القاهرة" .

الموقف النهائي واللقاء الأخير

ويبدو على السطح أن "عبد السلام عارف" لم يتراجع عن الوحدة مع ج.ع.م ، ففي يوم ٧ شباط ١٩٦٦ غادر رئيس الوزراء "عبد الرحمن البزاز" إلى "القاهرة" ليمهّد لإجتماع القيادة السياسية الموحَّدة للبلدين، وعقد إجتماعاً مع الرئيس "عبد الناصر" يوم ٩ شباط، ثم ما لبث أن تقرّر سفر "عبد السلام" مع أعضاء الجانب العراقي في القيادة المذكورة إلى "القاهرة" يوم ١٢ شباط، حيث عقد إجتماعاً مع الرئيس المصري على إنفراد في اليوم التالي، حين نشرت الصحف العراقية صوراً كبيرة للرئيسين وهما يتعانقان... وتواصلت الإجتماعات حتى الجلسة الختامية يوم ١٨ شباط قبل أن يعود الرئيس "عبد السلام" إلى بغداد يوم ١٩ منه، حيث أُذيع بيان مشترك مساء ذلك اليوم وفي توقيت واحد من إذاعتي "القاهرة وبغداد"، نصّ على النقاط المهمة الآتية:-

أولاً: التأكيد على وحدة التراب العراقي والوقوف بوجه كل محاولة لإقتطاع جزء منه.

ثانياً: الإرتياح للتنسيق القائم بين سياسة البلدين.

ثالثاً: تأييد خطوات العراق لتوثيق علاقاته مع دول الجوار.

وتحسّنت العلاقات بين البلدين بعد أن أصابتها شوائب عديدة إثر حدث يوم ١٥ أيلول ١٩٦٥ المذكور آنفاً، وما كان من الرئيس "عبد الناصر" إلا أن يُحيّي العراق ورئيسه في خطابه الرسمي الذي ألقاه يوم ٢٢ شباط ١٩٦٦ بمناسبة ذكرى الوحدة مع "سوريا" عام ١٩٥٨ .

ولكن ذلك كان آخر لقاء بين الرئيسين، والزيارة الأخيرة لـ"عبد السلام عارف" الى "القاهرة" قبل حادث سقوط طائرته بعد ذلك بشهرين.

المبحث الرابع

عبد السلام والقوة المصرية في معسكر التاجي

القوّة المدرّعة المصرية

ذكرتُ فيما سبق، أن قوّة مدرّعة مصرية كانت قد تقرّر أن تتواجد بشكل دائم في العراق، وكان ((الهدف المُعلَن)) من ذلك إجراء تمارين ومناورات مشتركة مع وحدات من الجيش العراقي، إضافة الى تحقيق لقاءات وصداقات بين ضباط من الجيشين، كي يتعرّف كل جانب على إمكانات وخواص وأساليب عمل الجانب الآخر وحتى مستوى ضباط الصف والجنود، من خلال التدريب المشترك، كخطوة أُولى نحو تحقيق الوحدة العسكرية بين الجيشين وصولاً الى الوحدة السياسية بين البلدين.

ولدى إلتحاقي الى "الحرس الجمهوري" مطلع شهر آب ١٩٦٤ ، علمتُ أن تلك القوة ستستقر في "معسكر التاجي" الواقع على بعد (٤٠) كيلو متراً من قلب بغداد... وكان الرأي السائد آنذاك، وبخاصة في الشارع العراقي، أن القوة المذكورة هي التي ستكلّف بمهمة حماية "بغداد" من أية تحركات عسكرية قد تحاول الوصول الى العاصمة لتنفيذ محاولة إنقلابية ضد الرئيس "عبد السلام عارف"، إذْ كان العراقيون يتحدثون عن ذلك جهاراً.

ولكن الحقيقة كانت غير ذلك في قناعتي، فنحن ضباط الحرس الجمهوري، وعلى الرغم من إطلاع آمرينا لنا على بعض تفاصيل "خطة أمن بغداد" في أول الأمر، والتعديلات التي أُجرِيَتْ عليها لاحقاً، لم نتعرّف على أيّ دور للقوة المدرعة المصرية ضمن تلكم الخطة، ولا لأي تنسيق معها في هذا

الشأن... وإذا ما إفترضنا أن لها دوراً ما، فلربما كان بتنسيق مباشر بين ديوان رئاسة الجمهورية والدوائر الكبرى المسؤولة في وزارة الدفاع وبين قائد القوة المصرية من دون أن نطّلع عليها.

وصلت طلائع تلك القوة فعلاً الى قاعدة الرشيد الجوية شرقيّ بغداد، على متن طائرة نقل عسكرية يوم ٥ أيلول ١٩٦٤، والتي حملت بضع عشرات من الضباط وضباط الصف المصريين الذين إنحسرت مهمتهم في تأمين إسكان القوة التي ستصل لاحقاً، وأُسلوب إعاشتها والبحث في تفاصيل أمورها الإدارية والمعيشية، وتحديد ثكناتها وتسلّم تجهيزاتها ومعداتها وأسلحتها، وتوزيع أفرادها على القاعات المخصصة لمنامهم، وكيفية التنسيق مع الدوائر العسكرية العراقية ذات العلاقة، وتحديد نهج الإرتباط بين قيادتها ورئاسة أركان الجيش العراقي.

وبإنقضاء الأيام وصولاً الى نهاية عام ١٩٦٤، علمتُ من زملائي الضباط حقائق محددة، لا بدّ من ذكرها في هذا الصدد، ولكني وغيري من الضباط لم نطّلع عليها في وثائق مكتوبة، أو نسمعها من شخص مسؤول في الدولة، إنما كان حديثاً متداوَلاً في بهو الضباط وغرف منامهم:-

أولاً: أن ضباط ومراتب القوة المدرعة المصرية قد تمّ نقلهم الى العراق على متن طائرات نقل عسكرية عراقية، وعلى نفقة الحكومة العراقية، تنفيذا لبرتوكول الوحدة العسكرية المزمع إقامتها مع "ج.ع.م" إستناداً إلى إتفاقية ٢٦ مايس/أيار ١٩٦٤، والتي أرْسَتْ الأُسس الأولى للوحدة.

ثانياً: أن القوة المذكورة لم تجلب معها سوى الملابس العسكرية والتجهيزات الشخصية، وأن الجيش العراقي قد تَكَلَّفَ بتجهيزها بعشرات الدبابات من طراز (ت-٥٤) وناقلات الاشخاص المدرعة من طراز (ب.ت.ر-١٥٢) وبعض المدرعات سوفييتية الصنع، وبمختلف الأسلحة الشخصية والمَدافع والأعتدة والمُعدّات والسيارات والأجهزة اللاسلكية والسلكية، والتجهيزات العسكرية الضرورية، والآثاث، والتجهيزات المكتبية، وفقاً لملاك متكامل وعلى نفقة الدولة العراقية.

ثالثاً: أن القوة المصرية، لدى قيامها بإجراء التمارين والمناورات في الأراضي العراقية، فأنها تطبّقها في منطقتي" الثرثار والحَبّانية"، وأن ناقلات دبابات وشاحنات عسكرية عراقية هي التي تنقلها إلى المنطقتين، وأن طائرات القوة الجوية العراقية تقوم بإسنادها بالعتاد الحي.

رابعاً: أن جميع ضباط ومراتب القوة يتسلّمون راتبَي شهرين معاً بـ"العملة الصعبة" من خزينة الدولة العراقية (البنك المركزي)... يُدفَع أحدهما الى عوائلهم في "مصر" والثاني إلى شخوصهم في العراق... وأن الحكومة المصرية التي تتسلّم مجموع الراتبَين معاً، فإنها لا تدفع مبالغها إلى منتسبي القوة بـ"العملة الصعبة" بل بـ"الجنيه المصري"... ولمّا كانت هناك إتفاقية إقتصادية بين الحكومتين تقضي بمعادلة" الجنيه المصري" بـ"الدينار العراقي" لدى" البنك المركزي" للدولتين، فإن الضابط أو الجندي المصري لدى تسلّمه راتبه في "معسكر التاجي" بالعملة المصرية، فإن له الحق في مراجعة "البنك المركزي العراقي" أو أحد فروع مصرف الرافدين في "بغداد" لتبديل ما يحمله من جنيهات مصرية بـ"الدينار العراقي"، ممّا يكلّف خزينة العراق مبالغ كبيرة مُضافة.

خامساً: أن تلك القوة ليست" كتيبة دبابات" لوحدها، بل أنها "جحفل" متكامل، أي أنها تضم أفراد فوج مشاة آلي/ميكانيكي وكتيبة مدفعية إسناد قريب، وسرية مغاوير، وسرية تموين ونقل، ومعمل تصليح، ووحدة ميدان طبية وغيرها... وأن تعداد أفرادها يبلغ حوالي (٢٢٠٠) شخص يعيشون ويتمتّعون من موارد العراق ما يشكّلون عبئاً ملحوظاً على ميزانية الدولة.

كان معظم ضباط فوجنا-وأنا من ضمنهم- يتحدّثون بإمتعاض عن هذا ((البذخ)) الذي لم يكن له مُوجِب في قناعتنا، وحينما نصل الى باب مغلق في المناقشة الدائرة، نعود إلى ترديد المثل المصري الذي كان سائداً في حينه، والقائل ((ما لنا وما للسياسة))، فالقرار السياسي الذي يتّخذه رئيس الجمهورية لا قدرة لنا على مناقشته أو تغيير توجّهاته.

قائد القوّة المدرّعة المصرية

خلال الأيام الأولى من تكليف سريتنا بواجب حماية القصر الجمهوري إعتباراً من ١٩٦٤/١٢/١، شاهدتُ ليلاً ضابطاً يرتدي ملابس عسكرية غير عراقية وقبّعة رأس (كاسكيت)، طويل القامة، رشيق البنية، أحمر الشعر، وقد وضع على عينيه مناظر طبية ذات عدستين ملوّنتين، يحمل تحت إبطه "عصا تَبَخْتُر"، يسير بخطوات متّزنة مُوحَّدة مع خطوات "عبد السلام عارف" الذي كان مستمراً في حديثه، وقد خرجا من أروقة الجناح الخاص لرئيس الجمهورية إلى وسط الباحة الوسطى للقصر، وتوجّها نحو الباب الرئيسي وصولاً الى خارج المبنى حيث الحديقة الأمامية الكبرى... وقد علمتُ -بعد الإستفسار- أنه "المقدم الركن إبراهيم عُرابي" قائد المدرعة المصرية المتمركزة في العراق، وأن تسمية منصبه الرسمي هو "قائد القوات العربية في العراق"، وأنه يزور "عبد السلام عارف" بمعدل مرة واحدة كل شهر على أقل تقدير، ولكنه مخوَّل بالحضور في القصر الجمهوري في أي يوم يشاء، وأن رئيس الجمهورية يَكُنُّ لشخصه إحتراماً خاصاً، لا لكونه قائداً للقوة المصرية فحسب، بل لأنه من عائلة الزعيم المصري الراحل "أحمد عُرابي"*، وبوصفه أحد الضباط المقربين الى شخص الرئيس "جمال عبد الناصر"، ناهيك عن وصف "عبد السلام عارف" إياه بأنه "ضيف عربي عزيز على قلبه".

---

* أحمد عُرابي:- ولد عام ١٨٣٩ وسط عائلة فلاحية، أصبح ضابطاً في الجيش المصري برتبه "عقيد" عام ١٨٧٩، إذْ لمس ما كان يعانيه الشعب من الظلم والإستبداد حين فرض الإنكليز والفرنسيون إبدال "الخديوي إسماعيل" بإبنه "الخديوي توفيق" وتدخّلهم في شؤون مصر وتسلّمهم لإدارة البلد عام ١٨٧٦، عندها تحرّك "أحمد عرابي" مع فوجه يوم ١٨٨١/٩/٩ إلى قصر "عابدين" مطالباً الخديوي الجديد بإسقاط الوزارة وتشكيل مجلس نواب... وبتأييد من الجيش المصري نظَّمَ "الجبهة الوطنية" لمنع الأسطول الأنكلو-فرنسي من حماية الأوروبيين في مدينة الإسكندرية، والتي إحتلّتها القوات الإنكليزية وهزمت "عُرابي" يوم ١٨٨٣/٩/١٣ وتمّ إلقاء القبض عليه ونفيه الى جزيرة "سيلان"، حتى صدر العفو عنه ليعود إلى وطنه عام ١٩٠١ ويمضي ما تبقّى من حياته قبل أن يُتوفّى يوم ١٩١١/٩/٢١ ...."المؤلف".

لم أُقابل "إبراهيم عرابي" وجهاً لوجه، إذْ لم يصادف وأن مَرَّ أو جلس في "غرفة التشريفات"، بل كان يدخل الى القصر من بابه الرئيس ويتوجّه مباشرة إلى الجناح الخاص لرئيس الجمهورية مصحوباً بأحد المُرافقين دون إنتظار... ولكن، عندما أوعَزَ ديوان الرئاسة الى آمر فوجنا بضرورة تكوين وإدامة علاقات شخصية مع ضباط القوة المدرعة المصرية، تكون بدايتها مأدبة إفطار كبيرة لهم يقيمها فوجنا خلال الأيام الأولى من شهر رمضان المبارك ١٣٨٤هـ والتي صادفت الأيام الأولى من شهر كانون الثاني ١٩٦٥، إذْ حضرها أكثر من (٥٠) ضابطاً مصرياً لتناول طعام الإفطار في مطعم ضباط فوجنا... فقد رأيتُ ذلك القائد عن قرب.

كان "إبراهيم عرابي" ذا شخصية متسلّطة، لا يضحك ولا يبتسم حتى مع ضباطه الأقدمين، قليل الكلام، هادئ الحركات... لم يتناول من الطعام إلاّ قليلاً، على الرغم من إحتواء مائدة الإفطار على ما لذّ وطاب من اللحوم الحمراء والبيضاء، والفواكه والحلويات، وذلك قبل أن يؤدي صلاة المغرب بخشوع تام أمام جمع من ضباطه الذين إصطفّوا خلفه... لاحظناه مستمعاً جيداً قبل أن يكون متكلّماً دقيقاً يستقي عباراته وطروحاته وإجاباته بحذر وذكاء... وبينما حضر الضباط المدعوّون قبل ما يزيد على نصف ساعة من موعد الإفطار، فإنه لم يحضر سوى قبل بضع دقائق منه، إذْ نهض الجميع إحتراماً له.

قابلتُه للمرة الثانية عندما أقامت قيادة القوة المذكورة حفل عشاء لضباط من فوجنا في معسكر التاجي، ولم يحضره "إبراهيم عرابي"، بل قام بزيارة القاعة التي كنّا جالسين فيها بوقت متأخر بعد صلاة العشاء، ولبضع دقائق وقوفاً، ومن دون أن يكلّف نفسه بالجلوس معنا.

لم أتلمّس تأثيراً يُذكر، بعد الحساسية السلبية التي أحدثَها تصرّف الرئيس "جمال عبد الناصر" بمنح اللجوء السياسي لعدد من كبار الضباط العراقيين الذين حاولوا القيام بحركتهم الإنقلابية يوم ١٥ أيلول ١٩٦٥، على

العلاقة الشخصية الحميمة التي كانت قائمة بين "عبد السلام عارف" و"المقدم الركن إبراهيم عرابي"، إذْ ظلّت زياراته متوالية الى القصر الجمهوري، وتجواله مع الرئيس في حدائق القصر وأروقته قائماً، وذلك قبل أن يتم تبديله بـ"العقيد الركن عبد الحميد حمدي عبد العزيز"... حتى أن كتيبة الدبابات وسرية المغاوير التابعة للقوة المصرية تقرّر إشراكهما في إستعراض الجيش العراقي لمناسبة الذكرى (٤٥) لتأسيسه، والذي صادف يوم ١٩٦٦/١/٦، إذْ حضرت الكتيبة المذكورة بدباباتها الـ(٣٣) وسرية المغاوير المصرية لتُقيما في ثكنة فوجنا طيلة شهر كامل قبل موعد الإستعراض.

علاقاتنا مع الضباط المصريين

توالت لقاءاتنا مع الضباط المصريين حتى تكوّنت مع بعضهم صداقات شخصية، ومن دون دعوات أو مناسبات رسمية، إذْ كان أعداد منهم يزوروننا في بهو الضباط، ونردّ لهم الزيارات بالمثل في"معسكر التاجي"... وفي مرات عديدة كنا ننزل سوية إلى "بغداد" لنحضر معاً عروض أحدث الأفلام الغربية في دور السينما، والتي كانوا محرومين من مشاهدتها في بلدهم، وذلك قبل أن نتناول طعام العشاء في مطاعم إعتيادية، ومن الطبيعي أن يكون "الدجاج/الفراخ المشوي" ضمن وجباتهم المفضلة، والتي كانوا يتناولونها بشراهة ملحوظة.

كانوا في أُولى لقاءاتنا معهم حذرين من طرح آراء سياسية صريحة... وبينما كنا نتصور أن معظم المصريين-إن لم نقل جميعهم- يُقدِّسون شخص زعيمهم "جمال عبد الناصر"، بل ربّما يعبدونه تعظيماً وإجلالاً من هَول ما كنّا نقرأه ونشاهده في الصحف والمجلات والأفلام المصرية التي توفّرت بشكل منتظم في الشارع العراقي وبمعدّل يومي خلال تلك السنوات، ومثلما كان عليه "الناصريون" من العراقيين الذين باتوا يشكّلون أعداداً غير قليلة من الطبقات المختلفة في المجتمع العراقي، ونخصّ منهم الشباب، فمن المُسَلَّم به أن يكون صغار الضباط المصريين، وهم من الجيل الذي عاصَرَ ثورة يوليو ١٩٥٢ والتي مضى على نجاحها أكثر من (١٢) سنة، والذين تَشَرَّبوا بدروس ومحاضرات

"الثقافة القومية والإشتراكية" التي تلّقوها في مراحل دراساتهم المختلفة ومحاضرات "التوجيه المعنوي" والتي كانوا يحضرونها بمعدل يومي، أن يكونوا من المتحمّسين الأشداء لسياسة الرئيس المصري دون أدنى شك.

وفي حين لم يطرحوا بشكل مطلق أي موضوع سياسي في بهو ضباط فوجنا، فأن معظمهم، وبعد أن إطمأنّوا إلينا خلال جولاتنا داخل مدينة "بغداد" وقامت بيننا أواصر صداقة، فقد باتوا يُبدون إستياءَهم الشديد من سياسة الرئيس"عبد الناصر"، موجّهين نحوه نقداً لاذعاً وبعض الشتائم والسباب في بعض الأحيان، لكونه أوقَع "مصر" في مشاكل إقتصادية واجتماعية خطيرة، وأحدَثَ شرخاً عميقاً في علاقاتها مع العديد من الأقطار العربية والدول الإسلامية، ومع دول العالَمين الرأسمالي والشيوعي على حد سواء، حيث لا يوجد سوى "العراق" ممّن يؤيّد سياسته الرعناء -حسب قولهم- بحرارة.. وأنه قد غدر بالعديد من رجالات "مصر" وشخصياتها وفئاتها التي ساندت الثورة التي قادها عام ١٩٥٢، وأولئك الذين لهم تأريخ مجيد وحافل في مقارعة الإستعمار البريطاني، وبالعديد من أصدقائه الذين شاركوه الثورة والمسيرة.

كان الضباط المصريون مستائين بشدة من وضعهم المادي والمعاشي، إذْ لا يزيد راتب الضابط برتبة"ملازم" عن (٢٥) جنيهاً مصرياً، يحوّله لهم ضابط حساباتهم إلى (٢٥) دينار عراقي.. وكانوا يستغربون، بل أن بعضهم لم يكن بإقتداره إخفاء حسده من تسلّمنا راتباً قدره أكثر من (٥٠) دينار عراقي، والذي يعادل حوالي (١٥٥) دولار أمريكي... ولكنهم كانوا يهمسون في أسماعنا أنْ لا نتحدّث معهم في مثل هذه الأمور أمام بعض زملائهم من الضباط الذين يُشكّ بإنتمائهم إلى "المخابرات المصرية" ... وكانوا يَشكُون تماماً من أنهم تحوّلوا الى مرضى مصابين بـ"إزدواج/ أو إنفصام الشخصية" حين يتحدّثون مع جنودهم خلال محاضرات "التوجيه المعنوي" -مُجبَرين- حديثاً مُعاكساً تماماً لما هم مؤمنون.

كان معظم الزملاء من الضباط المصريين لطيفين في معشرهم، سلسين في أفكارهم، لبقين في كلامهم، كثيري النكات، مَوزونين بشكل عام في

تصرّفاتهم، ولم نتعرض في جولاتنا وسفراتنا العديدة معهم إلى مواقف محرجة، ولم أجد بينهم من يشرب الخمر أو يحاول ملاحقة النساء... وكان الكثير منهم يؤدون الصلوات، والبعض منهم يحرص على أدائها في مواعيدها، ولا أحد منهم إستَحرَمَ حضور عروض الأفلام الأجنبية في دور السينما... ولكني لم أجدهم منطلقين بشكل ملحوظ إلاّ عندما حضر الى "بغداد" عام ١٩٦٥-بدعوة من العراق- نخبة من المطربين والمطربات المصريّات، ومن بينهم "عبد الحليم حافظ، نجاة الصغيرة، فايدة كامل، أحمد غانم، لبلبة، محمد عبد المطلب، شكوكو" وغيرهم، حيث أقاموا حفلات غنائية لثلاثة أيام متتالية في قاعة "سينما النصر" بشارع السعدون، إذْ كان الضباط المصريين يغنّون معهم والبعض يرقص طرباً دون تحرّج.

عبد السلام عارف والشيخ الشبيبي

شيخ يدخل القصر عنوة

كنا في القصر الجمهوري قد أُنذِرنا في أحد ايام منتصف شهر كانون أول ١٩٦٤ عن إحتمال حدوث حركة إنقلابية، إذ يتطلّب الأمر إتخاذ الحيطة والحذر من لدن الجميع... وكان من ضمن الإجراءات التي نخوضها في مثل هذه المواقف هو تحديد دخول الأشخاص غير المخوَّلين الى القصر.

كنتُ في "غرفة التشريفات" قبل المغيب عندما أخبرني آمر حرس باب الدخول للقصر هاتفياً، بأن شخصاً كبيراً في السن إسمه "الشيخ محمد رضا الشبيبي" يروم الدخول إلى القصر بسيارته... ولما كان هذا "الشيخ العلاّمة" قد قرأنا عنه في مراحل دراستنا*، وهو عَلَم من أعلام عراقنا العزيز، أوعزتُ بدخوله فوراً، قبل أن أسرع إلى باب التشريفات لأستقبله.

توقّفت سيارته الفاخرة، وترَجَّل هو من الباب الأيمن الخلفي، فيما بقي سائقه في معقده، قبل أن يتوجّه إلى رحبة وقوف سيارات الزائرين.

رجل مَهيب، معتدل القامة والبنية، ذو لحية خفيفة، يرتدي قباءً داكن

---

* ذكَّرَني صديق العمر "الأستاذ نجدت قاسم الصالحي" بقصيدة المرحوم "الشيخ محمد رضا الشبيبي" ضمن أبياتها الموجّهة إلى الشباب:-

أنـــتم مُتّعـــتُم بالــسُؤدد   يـا شـباب اليوم أشياخ الغد
يـا شـباباً درسـوا وإجتهـدوا   لينـــالوا غايـــة المُجتهـــد

......."المؤلف"

اللون وعباءة سوداء، وعلى رأسه عمامة بيضاء، والوقار بائن على وجهه المائل للسمرة، يبلغ من العمر نحو سبعين سنة أو يزيد .

رحَّبتُ بمَقدَمه بحرارة، ولكنه لم يكترث بي كثيراً، فقد كان غاضباً إلى حدٍّ كانت معه يده اليمنى ترتجف بشكل ملحوظ، حتى صاح بصوت عالٍ غير معتاد في القصر الجمهوري:-

- "وأين الحجي"؟؟؟؟

إستغربتُ من تصرّف الشيخ العلامة، فقد كان الذين يحضرون إلى "غرفة التشريفات" -ومعظمهم من كبار مسؤولي الدولة- يجاملوننا كثيراً إلى درجة نخجل حيالهم من أنفسنا في بعض المرّات... ولما سَكَتُّ وبانَت الحيرة في مُحيّاي، صاح للمرة الثانية:-

- "وأين الحجي"؟؟؟!!!

توقّعت أن مشكلة كبيرة قد حدثت له... فرجوتُ منه الدخول إلى غرفة التشريفات، فتوجّه إليها وهو يتمتم بعبارات لم أعرف مقصده منها .

عبد السلام عارف يستقبل الشيخ الغاضب

فوجئتُ بـ"عبد السلام عارف" وهو يدخل إلى غرفة التشريفات مُسرِعاً، وهو يقول:-

- ✱ أهلاً، أهلاً بشيخنا العزيز.

- "لا أهلاً ولا مرحباً"... نطقها الشيخ وهو ما يزال واقفاً.

- ✱ خيراً إن شاء الله.

- وهل تتوقّع خيراً مع مثل هذه التصرفات يا حجي؟

- ✱ خيراً إن شاء الله... ما الذي حدث؟

- حجّي، هذه هي المرة الثانية التي أحضر فيها إلى قصركم العامر

وللسبب نفسه، فقبل سنة ونصف تقريباً حضرتُ لأشكو لك تصرّف أشخاص أرادوا تفتيش سيارتي في شارع عام، وكان الوضع في العراق غير ما هو قائم الآن... واليوم يجابهني موقف مشابه تماماً، فقد أوقفني بعض الشباب، مُدّعين أنهم من أفراد الأمن والإستخبارات، ولم يخجلوا حين طلبوا بكل وقاحة تفتيش سيارتي، على الرغم من كون عائلتي وبناتي معي، وأني قد بلغتُ من العمر ما يَرَون... إن أقلَّ وصفٍ لمثل هذه الوقاحة يمكن تسميته "سقوطاً أخلاقياً"... فأين الشرف؟ وأين القيم؟.

✸ صحيح ذلك، وأنتم الصادقون، وأنتم على حق، وليس من حقّهم ذلك يا شيخنا.

وهنا، هدأ الشيخ الشبيبي، ونطق بعد أن جلس على مقعد، بينما ظلّ "عبد السلام عارف" واقفاً:-

- أودّ أن أُوضّح لك يا حجّي، إنك تدّعي تصحيح الأوضاع السياسية في البلد، فما الفرق الآن عن شرطة "نوري السعيد وسعيد القزاز" وعن قوات المقاومة الشعبية التابعة للشيوعيين، وعن أجهزة أمن "عبد الكريم قاسم" وعن "الحرس القومي" البعثي... هل هناك تغيير في الوجوه فحسب وفي صفات الأشخاص القائمين على أمور الدولة؟

✸ لا يا شيخنا... أرجو ان لا تتعدّى علينَا.

- بالله عليك.. هل تنبيهك، يا حجّي، نحو سلبيات أو أخطاء تُقتَرَفُ هو إعتداء عليك؟؟!!.. أنت المسؤول يا أخي، أنت المسؤول عن هذه الأمور، ولابد من وضع حدّ لها.. مواطن يسير بالشارع في أمان الله، وجماعة يشكّون بأمره لمجرد الشك، فيُوقفونَه ليفتّشوه من دون موجِب أو سبب.. والله أنه الكفر بعينه.

✸ حسناً.. "إحسبها عليّ يا شيخنا".. فأنت أستاذنا و..

- طبعاً أحسبها عليك.. فأنت إن لم تكن المسؤول الأخير، فأنك المسؤول الأول.. ألم يَقُلْ الخلفية "عمر" ((إن عثرت بقرة في العراق بصخرة فأنه

مُحاسَب على ذلك))؟؟!!. وقد قالها عن العراق وهو في دار الخلافة بالمدينة المنورة، بينما تقع مثل هذه التصرفات في شوارع "بغداد" وأنت جالس في حكم "بغداد"... فكيف لا أحسبها عليك؟

★ صحيح جداً ما تفضلتم به.. هدئ من روعك، وَصَلِّ على النبيِّ وآله.. فلنَقُم الى الصلاة التي قال عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم):- "أرِحْنا بها يا بِلال".. فقد قرب حلول الظلام.

-أنا لا أصلّي معك.

★ قُمْ يا شيخ، وإستَعذْ بالله من الشيطان الرجيم.. فمثل هذا (الزعل) لا يمكن أن يصدر من علاّمة وشيخ وأستاذ، ومن أحفاد سيدنا علي (كرم الله وجهه).. فإننا نعتبرك معلّمنا وأستاذنا ومُربّينا... قُمْ يا شيخ، لتكن أنت الإمام، وأنا تابعك.

التراضي

ردّد الشيخ الشبيبي عبارة "أستغفر الله العظيم" مرات عديدة، قبل أن يسبق "عبد السلام عارف" لدى خروجهما من غرفة التشريفات، بينما تابعتُهُما بأنظاري، وهما يسيران نحو "الجناح الخاص"، وأنا مُستغرِب ممّا حدث خلال الدقائق الماضيات أمام ناظريّ، وما سمعته أُذناي... فإن "عبد السلام محمد عارف" الذي طرق سمعنا شراسته ومزاجه الحاد، قد وجدته أمامي وَدوداً وَديعاً مع شيخنا العلاّمة.

هذا، وقد وافى الأجل المحتوم الشيخ العلامة "محمد رضا الشبيبي" - وكان رئيساً للمجمع العلمي العراقي- بعد ذلك بـ(١١) شهراً، وفي فجر يوم الجمعة ١٩٦٥/١١/٢٦ تحديداً، إذْ أوفَدَ "عبد السلام عارف" كلاً من وزير التربية "خضر عبد الغفور" ووزير الدولة "سلمان الصفواني" ممثّلَين عنه وعن الحكومة العراقية لحضور مراسيم تشييعه إنطلاقاً من "حُسَينيّة الكرادة الشرقية" إلى مدينة "كربلاء" حيث حضرا تشييعه من هناك إلى مثواه الأخير في "النجف الاشرف" في صباح اليوم التالي.

المبحث السادس

عبد السلام وعبد الرحمن البزاز

عبد الرحمن البزاز في القصر

كنتُ جالساً في غرفة التشريفات بالقصر الجمهوري مساء يوم الأحد ١٩٦٤/١٢/٦، بينما كان دَور "الملازم عبد الجبار جَسّام" بالتجوال على نقاط الحماية كالعادة، وكان رئيس الجمهورية قد طلب حضور الأستاذ "عبد الرحمن البَزّاز" سفير العراق في "لندن" ويشغل في الوقت نفسه منصب السكرتير العام لمنظمة الدول المصدرة للنفط "أوبك"، وذلك في مكتبه الرئاسي لمناقشة بعض الأمور في تمام الساعة السابعة مساءً.

لمْ أرَ الأستاذ "عبد الرحمن البَزّاز" لدى دخوله الى القصر الجمهوري، ولكن في حدود الساعة الثامنة مساء طرق سمعي كلام مُنَمَّق ومُركَّز يطلقه شخصٌ ما في الممرّ المؤدّي من الجناح الرئاسي إلى باب مبنى القصر الجانبي قرب غرفة التشريفات، ولمّا نهضتُ شاهدتُ الأستاذ "البزاز" متحدّثاً و"عبد السلام عارف" مستمعاً، وذلك قبل أن يخرجا إلى الساحة المبلّطة التي تطلّ عليها نافذة غرفة التشريفات، ليظلاّ ذاهبَين آيبَين على مقربة من النافذة التي كنتُ قد فتحتُها مسبقاً لغرض التهوية للحرارة التي شعرتُ بها بتأثير الإشتغال المستمر لأجهزة التكييف المركزي الكفوءة، على الرغم من برودة طقس العراق في تلكم الأيام من فصل الشتاء.

الحديث الذي دار بين الإثنين

ولما كنتُ معجباً أشد الإعجاب بشخص "الأستاذ البزاز" ودرجة الدكتوراه في القانون التي يحملها -حسب إعتقادي في حينه- فقد زاد فضولي، لأتحوَّل كلّياً الى آذانٍ صاغية*:-

التأميم في العراق والإصلاح الزراعي

-أنك تعلم يا "حجي" مواقفي السابقة، سواءً خلال العهد الملكي أو أبان حكم "عبد الكريم قاسم"، ولكني أقول أن الخطوة التي إتخذتموها بصدد التأميم كانت خاطئة وغير مدروسة... فالعراق المُعاصر الذي تأسس منذ عام ١٩٢١ دولةٌ لم تكن رأسمالية مطلقاً لكي نطبق الإشتراكية فيها ونُؤمِّم مصالح الناس لديها... فالدولة كانت تملك جميع المصالح الأساسية لتمشية الإقتصاد الوطني على أكمل وجه، فالقطارات حكومية والخطوط الجوية كذلك، ومصلحة نقل الركاب والبريد والتلفونات والطرق البرية والجسور والمستشفيات الكبرى والموانئ والسفن الكبيرة كلها تابعة للدولة، ورؤوس أموالها تبلغ عشرات الملايين لكل مؤسسة على حدة... إذنْ، فهل كان هناك داعٍ لتأميم معامل غزل ونسيج وشركات صغيرة لا يتعدى رأسمالها مليون دينار فقط من تلك التي كانت تزوِّد السوق العراقية بمنتجاتها البديعة وتُصدِّر الفائض منها الى الخارج، لتُعيل بذلك آلاف العمال والموظفين وعوائلهم وتُشارك في القضاء على البطالة التي لم يعد لها وجود في العراق... إعملوا إحصائية منذ الآن، أو مع مطلع السنة الجديدة، لتَرَوا النقص الذي سيبرز في إنتاج تلك المعامل والشركات، ولاحظوا الخسارة الكبيرة التي أصابت أو ستُصيب العراق من جراء التأميم... والحقيقة الأهم أن الموظف أو العامل عندما يتيقَّن أنه مُصانٌ جداً وأن راتبه مضمون، فإنه يتحوَّل

---

* كان الأستاذ "عبد الرحمن البزّاز" يتكلّم باللهجة العامية الدارجة... ومن المنطقي أن أُحوّلها إلى اللغة العربية الفصحى، ولربما أثّر ذلك على ما كان يعنيه من أمور وأفكار وطروحات، لذا وجب عليَّ تنبيه القارئ الكريم... علماً أن صياغتي الحالية لربما تؤثر على أسلوب العرض من ناحية أخرى......................."المؤلف".

إلى إنسان غير مسؤول، وأنه إذا ما تمتّع بإجازات طويلة أو لم يتمتع، وإن أجاد العمل أو أخفق، فإن راتبه الحكومي يتسلّمه حتماً... وأن ذلك يؤمّن له ما يبتغي من معيشة لائقة، لذلك فلا يرى حاجة ليُرهِق نفسه في الإنتاج.

وأقولها لك صراحة، أن الذي توصّلتُ إليه، أنكم أقبَلتُم على خطوة التأميم وإتخذتموها سيراً على ((المودة/التقليعة)) التي إجتاحت دول العالم النامي بشكل عام، وأنكم تأثرتم بالتجربة المصرية في هذا الشأن، فما دام الرئيس "جمال عبد الناصر" قد أمَّمَ فإنكم أمَّمْتُم، وأنه ما دام قد إتّخذ الخطوة الفلانية، فإنكم يجب أن تقلّدوه... كان عليكم، قبل كل شيء، أن تدرسوا بعناية، ما آل اليه التأميم من نتائج في "مصر" وما أحدثه من وَيلات وإنتكاسات في المجتمع المصري وإقتصاده قبل أن تُؤمِّموا.

وحتى بالنسبة لـ"الإصلاح الزراعي" -والذي أنتَ غير مسؤول عنه- فقد بات وَبالاً آخرَ على العراق، فبلدنا الذي كان مُصَدِّراً لأنواع الحبوب والسمسم والأذرة وغيرها، ومن بعدها "الماشية" المرتبطة في الأساس بالزراعة، فإنه أصبح مستورداً لها... ودعني أعطيك مثالاً بسيطاً، ولكنه خطر جداً في نتائجه، فأن "القاهرة" التي لم يكن تعداد نفوسها يزيد عن "مليون واحد" من البشر عام ثورة يوليو ١٩٥٢، فقد أمست الآن تقارب (٧) ملايين أو يزيد، ليس بسبب الزيادة التي طرأت على السكان التي يدّعونها، بل بتأثير هجرة الناس إلى "القاهرة" من جراء الفشل الذي أصاب الزراعة في الريف المصري وتوقّف العمل في المصانع والمعامل بالمدن الأخرى وإخفاق الدولة في إدارتها، ما جعل العامل والفلاّح يتحوّل من ((مُنتِج)) الى ((مُستهلِك)) يبحث عن لقمة العيش له ولعائلته لقاء أية خدمة يؤدّيها أو بيع مواد جاهزة على الأرصفة، وبات يعيش "فوق السطوح" أو في غرف منفردة وصولاً إلى المبيت في الدرابين والأزقّة وما بين المَوتى وسط المقابر.. لقد كانت، والله، بِدعة، وكل بِدعة ضَلالة، وكل ضَلالة في النار.

تأميم النفط

* وما رأيك يا دكتور بصدد تأميم النفط... إذا ما إتخذنا مثل هذه الخطوة؟

- تأميم النفط موضوع مُغاير يتطلّب قراراً سياسياً يتوجّب دراسته من جميع مناحيه، وتقدير ما ستتخذه الدول الأخرى من مواقف محددة تجاهه، وخصوصاً الدول العظمى المتنفذة في أمور العالم المعاصر-شئنا ذلك أم أبَينا- إذ أن النفط يعتبر شريان الحياة المعاصرة، فالسيارات والسفن والطائرات والقاطرات والآلات والمضخات والمعامل والمصانع وغيرها تعمل جميعاً بمنتجات النفط، وقد أُضيفت إليها "البتروكيميائيات" التي أُدخلت في صناعات النسيج والمواد المنزلية والأبنية الجاهزة وصولاً إلى الصناعات الثقيلة، هذا ناهيك عن الآلة الحربية في كل دولة... لذلك، فإن الحياة تتوقّف فعلاً في أي بلد صغير بدون النفط، فكيف الحال إذا كانت الدولة صناعية كبيرة أو عظيمة؟... لذلك، فإنهم لا يسكتون مطلقاً ولا يمكن أن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا ما أمّمنا النفط، لا سيّما وأنهم يعتبرون أنفسهم أصحاب فضل علينا وعلى دول "أوبك"، فلولاهم-حسب رأيهم- لما أُكتُشِفَ النفط، ولما أُستُخرج من باطن الأرض أو البحر، ولما تطورت الصناعات النفطية... وفي إعتقادي، فإنهم لو سكتوا تجاه أي قرار لتأميم النفط، فإنهم سيخطّطون للإنتقام مستقبلاً، والذي لن يكون بعيداً في عدد سنواته، وسيدخلوننا في مخاضٍ عسير لسنا أهلاً للخروج منه سالمين مُعافين، وسندخل في صراعات لا يُحمدُ عقباها.

فمن رأيي، وما دمنا نمتلك أكثر من ٥٠٪ من حصص الشركات النفطية الأجنبية العاملة في العراق، أن نكتفي بإجراء المفاوضات الدائرة حالياً معهم لزيادة حصصنا لأقصى قدر ممكن لغرض تحسين أوضاعنا وإقتصادنا... وإذا ما لم ننجح بهذا المنحى، فلا أرى معضلة كبيرة في ذلك، ولا داعي لإثارة مشاكل كبيرة وعميقة، وعلينا أن نتوكل على الله ونسير بخطى رصينة ولكنها مدروسة، ومن دون "تطبيل أو تزمير"، ولا داعي أيضاً لخُطىً ثورية قد تجلب علينا أذىً لا نحتمله.

ولا يمكن أن أنسى ما قيل عن الزعيم الروسي"خروشوف" في توضيحه للرئيس"عبد الناصر" خلال مفاوضات شراء الأسلحة عام ١٩٥٥، بـ((أن"الاتحاد السوفيتي" ليس على إستعداد لإطلاق طلقة واحدة في سبيل

"الشرق الاوسط"، ولكن "الغرب" مستعد لإشعال حرب عالمية ثالثة في سبيل الحفاظ على مصالحها في المنطقة نفسها)).

جمال عبد الناصر

✱ ولكني لا زلتُ معجباً بالرئيس" جمال"، وأعتبره أخاً كبيراً، ونحن سائرون في طريق الوحدة معه بإذن الله.

- يا"حجي" إسمح لي أن أكون معك في غاية الصراحة، فالرئيس "جمال" قاد ثورة أفاقت الجماهير العربية وأبهرتها، ولكنه جعل "مصر" تنتكس إنتكاستين مُخجلَتَين... إحداهما أن إحتلّت (إسرائيل) كل صحراء "سيناء" وبلغت قواتها "قناة السويس" خلال أيام معدودات عام ١٩٥٦، في حين كان هو يشغل منصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية، ولكنه إستطاع بوسائل إعلامه المقتدرة أن يبرّر ذلك تحت غطاء "العدوان الثلاثي" ومشاركة دولتَين عُظمَيَين في تنفيذه... وأنه لولا الضغط الأمريكي بزعامة "آيزنهاور" بشكل خاص، إضافة الى الضغط السوفييتي، لما إنسحبت (إسرائيل) من القناة وسيناء مطلقاً... وثانيتهما هي إنفصال "سوريا" عن الجمهورية العربية المتحدة، وفشل أول تجربة وحدة عربية في التأريخ المعاصر، إذْ كانت تصرفات القيادة المصرية وممثّليها في "الشام" وراء الإنفصال عنوة وبإنقلاب عسكري... وقد حاول "عبد الناصر" تبرير ذلك بقذف اللوم على الإستعمار والإمبريالية والرجعية العربية -كعادته دائماً-... ولكني على يقين بأن القادة السياسيين والعسكريين المصريين الذين عيّنهم الرئيس"عبد الناصر" بنفسه، هم الذين تسبّبوا في تأجيج المشاعر التي أدت إلى الإنفصال... فإن كان "سيادته" على دراية بذلك فتلك مصيبة، وإن كان لا يدري فالمصيبة أعظم... وحتى إذا ما إفترضنا أن أولئك القادة كانوا عُمَلاء مثلاً، أو مستغلّين، أو طغاة جائرين، فإن الذي بعثهم هو المسؤول الأول والأخير.

ثم أن الرئيس "عبد الناصر" يحكم بالنار والحديد وبالإرهاب الذي يفرضه "المباحث" تارة و"المخابرات" تارة أخرى، و"الإتحاد الإشتراكي" تارة ثالثة... وما بعض المؤسسات -التي يسميّها بالديمقراطية- سوى واجهات "إعلانية"

وأكرّر أنها "إعلانية" وليست "إعلامية"... لقد ((تَبَهذَلَتْ)) مصر العربية، وحَجْم دورها، وأمست في الحضيض، وأنه لولا إسنادك يا سيادة الرئيس لأخيك "عبد الناصر" سواء بعد "ثورة رمضان" أو بعد "ثورة تشرين" بحرارة لما إستطاع الوقوف على قدميه... فـ"الجزائر" لازالت منشغلة بهمومها بعد أن نالت إستقلالها حديثاً، و"اليمن" التي تورّط فيها "جمال" عسكرياً لا ثقل لها في جميع المستويات، و"دخول الحمّام ليس مثل الخروج منه" -كما يقول المثل المصري- وستثبت الأيام القادمات ما أقوله الآن، فالمُصارع مهما بلغ من قوة فأنه لا يستطيع مقارعة عدد من المصارعين الأقوياء، والرئيس"عبد الناصر" على خلاف مع معظم الزعماء العرب، ولاعب القمار الجيد ذو الدخل المحدود، لا يستطيع الغَلَبة على "مليونير" لا يَنفَد ماله بسهولة، والرئيس"جمال" يُعادي جميع الدول المتنفذة في سياسة العالم بشكل أو بآخر، وأنه بسبب تهوّره في إتخاذ القرارات فإنه سيغرق "مصر" في خضمّ نكسة ثالثة أكبر من سابقتَيها، وعندئذ سيبقى العالم متفرجاً عليه، إن لم يكن يُعاديه.

وأودّ القول، أنه ليس من الشجاعة أن يتّخذ رئيس دولة قراراً جريئاً لم يدرس أو يُقدِّر نتائجه بشخصه... فمن الوارد أن يبقى سالماً محافظاً على حياته ومحتفظاً بسلطته وكرسي حكمه، دون أن يتحسّس بما يُعانيه الوطن من مهانة والشعب من ضَنَك العيش والمَرارة والجوع والمرض والحرمان، بينما يتمتّع هو والمحيطين من حوله بملذّات العيش الرغيد.

توزيع الصلاحيات

وفي رأيي أيضاً يا "حجي" وما دام الموضوع قد تعمّقنا فيه بهذا القدر من الصراحة، أن تُعيد توزيع صلاحياتك على السادة رئيس الوزراء والوزراء والمسؤولين الآخرين، وإلاّ ((فمَن يُحاسبُ مَنْ))؟؟؟ إذا ما كنتَ أنتَ تحتفظ بمعظمها... فإنهم إن أخطأوا في أمر ما أو أخفقوا، فسيقذفون باللائمة عليك... كما أن عليك التفكير بإعادة إنشاء مؤسسات ديمقراطية ذات قابلية على إبداء الرأي بكل حرية وصراحة، ولتكن هناك "معارضة مُعلَنة" تمثّلها أحزاب مُجازة

رسمياً لها صحفها ومجلاّتها ... فقيادة الدولة لا يمكن أن تتعرّف على سلبياتها إلاّ في هذه الحالة فقط، وإلاّ فأنها ستبقى كـ"النعامة" التي تعتقد أن الناس لا يرونَها ما دامت هي لا تراهم، وكفى تشّبثاً بالفترة الإنتقالية والأوضاع القلقة والظروف المصيرية والدستور المؤقت، فقد ضاق منها الشعب ومَلَّ.

التمرد القائم في الشمال

★ أُريد سماع رأيك حول التمرّد القائم في المنطقة الشمالية.

- لقد "وقع الفأس الرأس" -كما يقول المثل الشعبي- ولابد من حل، وإلاّ فالعراق سيتعب كثيراً، وستكون نتائجه وخيمة وقد لا تظهر الآن أو في المستقبل القريب، بل تمتد آثاره الى المستقبل البعيد والأجيال اللاحقة إذا لم نستطع إقناع "الملاّ مصطفى البارزاني" بالجلوس معنا في مفاوضات جدية... ولكني لا أرى في قدرتنا العسكرية ثقلاً يضطر معها "الملاّ" لذلك، وأن إتفاق إيقاف إطلاق النار القائم معه حالياً يعتبر هشّاً، إذْ يمكن أن يندلع القتال في أي يوم بسبب تصرّف أهوج من لدن أحد الطرفين.

"عبد السلام عارف" مقاطعاً:-

★ ولكن يا دكتور لدينا (٥) فرق عسكرية متكاملة يمكن تحشيدها، ولدينا قوة جوية مقتدرة، ولدينا كذلك أفواج من الأكراد مستعدة للقتال ضده.

- حتى لو (٥) جيوش، فإنها ستضيع بالجبال وبين الوديان والغابات... فالوضع ليس كما كان عليه في عقد الأربعينيّات حين كان التمرّد مقتصراً على منطقة "بارزان" لوحدها، حيث إستطاع الجيش العراقي بفرقة واحدة أوانئذ محاصرة "الملاّ مصطفى" الذي إضطر للهرب خارج الحدود إلى "إيران" قبل أن يلتجئ الى الإتحاد السوفيتي بعدئذ، ولم يكن أحد من دول الجوار –وخصوصاً حكومة طهران- يسنده... أما وقد عاد "الملاّ" إلى العراق عام ١٩٥٩ بقوّة، وبات رمزاً قومياً للأكراد وإلتفّوا حوله، فقد إنقلب الحال... فهذا العصر هو عصر القوميات وليس الأديان والحدود الجغرافية... ولكن "الملا مصطفى" إستطاع

جمع الدين مع القومية مما أضاف قوة متزايدة إلى قدراته، وأما أفواج الأكراد العاملين مع الدولة فأنني لا أراهم سوى مجاميع من "المرتزقة" ولربما يكون معظمهم ذوي وجهين.

والذي أنا على يقين منه، أن الحلّ العسكري سوف لا يوصلنا إلى نتيجة مرضية، وقد كانت هناك تجارب كثيرة عبر التأريخ، وإذا ما إكتفينا بتجارب التأريخ المعاصر، فإننا نجد معظم الحركات المشابهة ممن وصفتها الحكومات بـ"العصيان أو التمرد"، لم يَفِدْ معها إستخدام القوة العسكرية حتى بمستوى الدول الكبرى التي دفعت جيوشاً هائلة العدد والعُدَد... وفي أيامنا هذه هناك تمرّد في "آيرلندا" ضد الحكومة البريطانية منذ عام ١٩٦١، وهناك تمرّد في "فييتنام، ولاوس، وكمبوديا"، بينما فشلت تجربة الجيوش الفرنسية في إخماد الجزائريين، وهناك مشاكل مشابهة في "جنوب أفريقيا" وبقاع عديدة من القارة السوداء... جميعها لم، ولا، ولن تُحلّ عسكرياً.

وإذا ما إستمرّينا في نهجنا الحالي بشأن الشمال فسنستنزف قوات جيشنا ونُرهق إقتصادنا ونُريق دماءً لا تُعوَّض، ونستهلك مدافعنا ودباباتنا وطائراتنا داخل بلدنا بحيث عندما يحدق بنا خطر أكبر وأكثر مصيرياً وأعظم، نكون حينذاك غير ذوي إقتدار على مجابهته، ما سيعرِّض كل الوطن إلى الضياع... وينبغي أن نُحسِّن علاقتنا مع "إيران" التي تُسند "الملاّ مصطفى" بشكل واضح، وعندئذ فقط يكون في موقف أقرب إلى المفاوضات.

ثم أن طلبات "الملاّ" ليست بالمستحيلة أو الصعبة جداً، فهو لا يريد بوضعه الحالي -على الأقل- الإنفصال عن العراق، لذلك فلا أرى مشكلة في منح الأكراد حكماً ذاتياً وحقوقاً قومية مشروعة، إذْ سنخلّص أنفسنا من مشاكلهم، ونحسّن صورتنا أمام العالم المتحضِّر من بعد سنوات من الغليان الثوري، فيتحسّن إقتصادنا ونسير نحو الإزدهار وخطط التنمية، وتستقر ميزانية الدولة، ونخطط لخمس أو لعشر سنوات قادمات، وتزدهر السياحة في عراقنا، سواء في الشمال حيث المصايف، أو في الوسط والجنوب حيث المراقد

المشرّفة، وفي عموم القطر حيث الآثار التي تمتدّ في عمق التأريخ ممّا يتوق إليها الأجانب بشدة.

تحسين العلاقات مع الجوار

وبهذه المناسبة أقول- وأنتم سيد العارفين- أن هناك عشرات من دول العالم لا تمتلك معادن ثمينة أو نفطاً أو صناعات ثقيلة أو زراعة مقتدرة، بل تعتمد ميزانيتها أساساً على السياحة، ومنها "سويسرا، النمسا وبلغاريا" على سبيل المثال. ومن الدول العربية هناك "لبنان وتونس والمغرب" ناهيك عن "مصر"... لذلك فلنتّكل على الله ونخطو إيجابياً لإجتياز هذه المعضلة العويصة التي طال أمدها، فالموضوع لا يحتاج إلاّ لقرار سياسي جرئ وصائب وواقعي يستند إلى المنطق.

كما يجب أن نفكر جدياً بتحسين علاقات الجوار مع غير "إيران" إذْ لا يمكن أن نبقى في قطيعة أو علاقات سلبية معها... فـ"تركيا" لنا معها مصالح مشتركة يمكن أن نطوّرها نحو الأفضل ليسود في حدودنا المشتركة معها الهدوء والأمان فنكون نحن المستفيدين... و"الأردن" ينبغي نسيان الماضي معها، فإننا نحن الذين قتلنا أبناء عمومة "الملك حسين"... و"الكويت" يجب أن نمحو من عقول أُمرائها مطالبتنا بأراضيهم عام ١٩٦١ أو قبله... و"السعودية" لا يجوز أن نعادي حكّامها بسبب موقف الرئيس "عبد الناصر" منهم أو بسبب تورّطها في مشاكل "اليمن"... ومن المُعيب علينا أن نبقى مع "سوريا" في أتون حملات إعلامية لا تجدي نفعاً، بل تجعلنا أُضحوكة أمام العالم المتحضّر.

تطوير الجيش

ومن ضمن الأمور التي يجب تقديرها بخصوص الفرق العسكرية الخمس، أن تطوير الجيش وتسليحه يعتبر ضرورياً لتأمين الدفاع عن الوطن أو لربما التدخل لإستتباب الأمن الداخلي في حالات الضرورة القصوى، ولكن ليس على حساب تطوير إقتصاد الوطن وعمرانه وتحسين أداء مصانعه ومعامله وإنتاجها... فإستتباب الأمن يتم إعتيادياً عن طريق جهازي الشرطة والأمن،

وهما يكلّفان أقل بكثير من تطوير الجيش ويعوّضان عنه في الأمور الداخلية... وعلينا أن نقدّر أن إطلاق مدفع لقنبلة واحدة قد يعادل مبلغاً يمكن به مضاعفة راتب شهري لمهندس أو طبيب عراقي... وأن تحليق طائرة واحدة لساعة واحدة ربما يكلّف الدولة ما يتم صرفه لتبليط شارع... وأن تزويد كتيبة دبابات واحدة بالأسلحة اللازمة يمكن أن يُعوَّضَ عنه بإنشاء حي سكني راقٍ... إعملوا إحصائية بسيطة لتتوصّلوا الى المبلغ الذي يُصرَف يومياً على إدامة جندي واحد يجلس على قمة جبل في الشمال بسبب خلاف دبّ بين أبناء العراق الواحد... وأنه بدلاً من هذا الصرف على عشرات الآلاف من الجنود يمكننا فتح معمل كبير في حجمه وإنتاجه، ليتقدم بتشغيله البلد بأكمله ويعمل فيه مئات من العمال لتعيش عوائلهم برواتبهم المتواضعة عيشاً مقبولاً على أقل تقدير.

الحرس الجمهوري

ولا أخفي رأيي في أن الجنود المكلّفين بحمايتك، هنا وفي بيتك، وحماية الإذاعة والتلفزيون ومواقع أخرى عديدة، فإنهم يكلّفون الدولة مبالغ طائلة أيضاً... ولكن، إذا ما إستقرت ظروف البلد بعد إتخاذ إجراءات وخطوات معقولة، فلا حاجة أوانئذ لمثل هذه المظاهر المسلَّحة والمصاريف الهائلة التي لا موجب لها، إذْ ستَخُفّ عمّا عليها الآن... ولكني في الوقت نفسه لا أبتغي القول بأن هذه الحماية يجب أن تُصَفَّر ولا يبقى لها وجود بشكل مطلق، فهي ضرورية لإستقرار الحكم والأمن الداخلي، ولكن لا ضرورة لمئات من الجنود لحماية القصر الجمهوري، وآخرين للإذاعة والتلفزيون والمُرسلات وغيرها، ومئات آخرون يقفون متهيّئين للطوارئ، فمثل هذه الأعداد لا وجود لها ولا حاجة بها لا في "البيت الابيض" ولا في "الكرملين" ولا لأجل "قصر بننكهام".

ولكني أعود إلى القول بأن حماية الزعماء والقادة والرؤساء ضرورية، فالخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم جميعاً)، رغم كونهم قد حكموا في صدر الإسلام وكانوا من صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم)، قُتِلُوا جميعاً -عدا سيدنا "أبي بكر"- على أيدٍ خبيثة مجرمة، إثنان منهم مع الصلاة والآخر وهو

يتلو القرآن... فأين ظروفنا الآن من تلكم الظروف؟ وأين نحن -كأشخاص- من أولئك الصحابة الكرام؟.

حرية الصحافة والرأي

سكت "عبد السلام عارف" قليلاً قبل أن يبادر:-

✱ في لقاء سابق، يا دكتور، كان بيننا خلاف واضح حول "حرية الصحافة" والإستمرار في مراقبة المطبوعات من عدمها... فهل ما زلتَ على الرأي نفسه؟ وهل آن الأوان لإطلاقها في ظروفنا الحالية؟

- سيادة الرئيس، أودّ أن أوضح لكم أنه لا يوجد أوانٌ محدّد أو حدّ فاصل لأية حرّية، ومن ضمنها "حرية الصحافة"... ولكن الساسة غير الراغبين في إطلاقها يتذرّعون بالظروف والمواقف والمستجدّات وغيرها من المصطلحات لتبرير تقييدهم للصحافة أو لحريات أخرى... ومن رأيي أن "الصحافة الحرة" هي التي يمكن أن تُنبِّه سلطات الدولة المختلفة -التشريعية منها أو القضائية أو التنفيذية- لأخطائها وسلبيّاتها كي تتمكّن من تصحيحها وإتخاذ إجراءات محددة وضرورية للحدّ منها، وهي شبيهة تماماً لصديق أو شخص ينبِّهك إلى "أوساخ" قد تكون عالقة في وجهك أو رأسك أو ظهرك لا يمكنك ملاحظتها أو مشاهدتها بأمّ عينيك كي تُزيلها.

الصحافيون هم من الطبقة المثقفة عادة، وأن معظمهم قد يمكن إعتبارهم أهلاً لطرح أفكار مُجدية تفيد البلد، أو سلبيات ينبغي تقويمها، إذْ لا يمكن، أو يصعب، أن يراها الذين يُديرون السلطة التنفيذية أو من العاملين ضمن السلطتين التشريعية أو القضائية... لذلك، فان العديد من الدول المتحضِّرة تعتبر الصحافة "سلطة رابعة".

ومن المعلوم والثابت في التأريخ، أن الأمم قد تقدَّمت، وصولاً لأعلى مراحل الرُقي بتأثير حرية الفكر والتعبير، وليس بالقمع والإرهاب وتقييد الحريات... وبما أن (٦) سنوات قد إنقضت على ثورة تموز، وحوالي ثلاث

سنوات على "ثورة رمضان" وما يزيد عن سنة على "ثورة ١٨ تشرين"... وأن ما أسميناه بـ"الفترة الإنتقالية" إلى الحكم السوي ينبغي أن لا تزيد عن سنة واحدة، فإني مازلتُ على رأيي السابق في إطلاق "حرية الصحافة"، فحينئذ فقط تكبر "حكومة الثورة" في نظر الشعب وعلى المستوى العالمي أجمع... وإذا ما طُرِحَتْ "أفكار هدّامة" في الصحافة، أوائنذ يمكن إحالة أصحابها للقضاء لمحاسبة المقصِّر وفقاً للقانون، ولا ضَير في ذلك.

أما "الرقابة على المطبوعات" فأراها ضرورية، ولكن ليس على النواحي السياسية، إنما على النواحي الأخلاقية والدينية والمذهبية، فلا يمكن أن يُسمح بصدور كتاب يحتوي خلاعة، أو مؤلّفات تمسّ الدين، أو تتسبَّب في خلافات مذهبية أو طائفية أو عرقية نحن في غنىً عنها .

كتلة عدم الإنحياز

✸ دكتور، بإعتبارك ضليعاً في القانون الدولي، كيف ترى مستقبل دو "كتلة عدم الانحياز" التي تنتهج سياسة لا تميل الى الشرق أو الغرب؟

- من حيث المبدأ، يا سيادة الرئيس، فأن "عدم الإنحياز" لا غُبار عليه، فالحِياد تجاه الصراعات المعلنة وتلك الخفية الدائرة بين كُتلَتَي العالم القائمتَين ضروري لدولة متواضعة مثل العراق وغيره... إلاّ أن هذا التكتّل لا يشكّل ثقلاً مؤثراً على السياسة العالمية ضمن أمور عديدة، قد يكون أوّلها أنه لا يمتلك قوة سياسية وعسكرية وإقتصادية موحدة أو متقاربة مثلما تمتلكها الكتلتان العظيمتان، وسوف لا يتمكن من إمتلاكها في المستقبل القريب وحتى البعيد... وثانيها، أنه "تكتّل" غير متجانس، لأن فيه العديد من الدول الرأسمالية وأخرى شيوعية وثالثة إشتراكية ورابعة (تائهة) بين هذه وتلك، ودولاً ديمقراطية وأخرى دكتاتورية، ويحكمها زعماء دول ليبراليون وآخرون إشتراكيون أو شيوعيون، وهناك من يدّعي بين هؤلاء وأولئك، وأن معظمهم لو ماتوا أو أُخرِجوا من الحكم لأي سبب، فإن الذي يليه يقلب سياسة الدولة رأساً على عقب ويمحو عادة كل ما أنجزه أو عمله سَلَفُه، فمعظم تلك الدول لا توجد في أنظمة حكمها سياسة

مركزية تعتمد على مؤسسات مستقرة، بل هي سياسة شخوص زعماء ورؤساء... وثالثها، أن هذا "التكتّل" لا يمكنها تغيير موازين القوى في العالم المعاصر، وأن أية دولة منها لو مالت أو لم تَملْ، وإذا حادَت أو لم تَحدْ، فأنها ليست بذات تأثير على أي من الغرب أو الشرق.

لذلك فإنني أرى مستقبل "عدم الإنحياز" لا تبشر خيراً، وأنه سوف لا يدوم إلاّ قليلاً، وإذا ما طال عمره بضعة عقود من الزمن فأنه لا يتعدى مستوى الإعلام.

ولكن، هناك بعض الدول التي إستطاعت البقاء على الحياد التام في ظروف صعبة للغاية، وفي مقدمتها "سويسرا" المؤلفة من (٤) قوميات مختلفة، والتي إستطاع قادتها تجنيب بلادهم -وهي تتوسّط القارة الأوربية- حربَين عالميّتين متقاربتين في ظرف كانت البقاع المحاذية لحدودها الصعبة ملتهبة بنيران الحروب... فهل نستطيع نحن في "العراق" أن نكون كما كانوا في "سويسرا"؟ وهل لقادتنا مثل تلك النظرة وذلك التوجّه وبُعد البصيرة التي كان أولئك القادة متمتّعين بها؟ وهل يساعدنا وضعنا الإقليمي على إتّباع ذلك النهج؟ وهل يمكن أن تدعنا الدول ذات المصالح السياسية والعسكرية أو النفطية والإقتصادية في المنطقة أن نبقى على الحياد؟

وهنا سكت "عبد السلام عارف" بعد أن توقّف عن المسير، وظلّ ينظر بعيداً نحو السماء المتلألئة بملايين النجوم، قبل أن يدقّق في ساعته اليدوية، وينطق:-

✵ آه... لقد قاربت الساعة من العاشرة... لقد تمشّينا في هذا الطقس البارد ما يقارب الساعتين... شكراً يا دكتور على هذه الأفكار والطروحات... إنني فخور بك... صاحبتك السلامة.

إستقلّ "عبد الرحمن البزّاز" سيارته الشخصية، وقادها نحو بوابة الخروج من القصر، بينما كان رئيس الجمهورية يودّعه واقفاً بالقرب من باب التشريفات.

وما أن دخل"عبد السلام عارف" إلى جناحه الخاص، حتى هرعتُ لأُخرِج مذكّرتي الشخصية السنوية لعام ١٩٦٤ لأُسجّل في صفحة يوم ٦ كانون أول منها رؤوس نقاط عما تفوَّه به "عبد الرحمن البزّاز" في حديثه مع "عبد السلام عارف"، قبل أن أرجو زميلي "الملازم عبد الجبار جسام" لإتاحة الفرصة لي بتلك الليلة كي أُسجّل تفاصيلها، والذي إستغرق ساعات الليل حتى الثالثة فجراً، بينما يتجوّل هو على نقاط المراقبة والحماية حوالي القصر الجمهوري... وعندما عاد وإستقر على مقعد بغرفة التشريفات، ووجدني غارقاً في الكتابة ظلّ يلومني على هذا ((الجنون)) بدلاً من أداء صلوات النافلة والتهجُد.

مآدب الإفطار في القصر الجمهوري

شاءت الصدف أن تكون سريتنا مكلّفة بواجب حماية القصر الجمهوري خلال جميع أيام شهر رمضان المبارك عام ١٣٨٤ هجري، والتي توافقت مع الأيام (١/٣-١/٣١/١٩٦٥)، إذْ بُلِّغْنا بالتهيؤ للمشاركة في إستقبال المدعوين لمآدب الإفطار التي قرّر عليها "رئيس الجمهورية" في أيام متفرّقة من ذلك الشهر الكريم، حيث تم توزيع قوائم بأسماء ومناصب الأشخاص الذين سوف يحضرونها، وكانت هناك نسخة منها معلّقة في "غرفة التشريفات" قبل أن يتم نشرها في الصحف اليومية.. وقد تمّ تطبيقها كما يأتي:-

- في **اليوم الأول**، حضرها رئيس الوزراء وأعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة، جميع الوزراء، كبار ضباط القوات المسلحة وقادتها، رئيس جامعة "بغداد" وعمداء كلياتها والأساتذة جميعاً، رجال السلك الدبلوماسي العربي والإسلامي، كبار موظفي الدولة، مُفتي الديار العراقية، رجال الدين، ورجال الصحافة.

- في **يومه الخامس**، كان هناك لفيف من المواطنين... ولكن الذي حدث أن "العقيد هواري بومدين"* -نائب رئيس الجمهورية الجزائرية ووزير دفاعها- والوفد المرافق له قد حضرها مع أولئك المواطنين.

---

* كنتُ من المعجبين بثورة الجزائر ذات "المليون شهيد"، لذلك فقد تقرّبتُ فضولاً أثناء مأدبة الإفطار من مائدة رئيس الجمهورية لإلقاء نظرة على وجه "العقيد هواري بومدين" الشديد القساوة والذي لا يعرف الإبتسامة، ومن دون أن يخطر ببالي، ولربما ببال جميع الحضور، أنه سيَقدِم على إنقلاب على رئيسه "أحمد بن بيللا" بعد (٥) أشهر من ذلك اليوم......."المؤلّف".

▪ **في اليوم الثامن**، حضر المأدبة (٥٠٠) طالب وطالبة من مختلف كلّيات ومعاهد جامعة بغداد، أُضيف إليهم وفد كشفي أردني كان قائماً بزيارة العراق في تلك الأيام.

▪ **وفي اليوم العاشر**، كان الحضور كبار موظفي الدولة وضباط القوات المسلحة، وقد أُضيف إليهم وفد من مُدرّسي ومُدرّسات المملكة الأردنية الهاشمية كان زائراً لبغداد في ذلك اليوم.

▪ **في اليوم الثاني عشر**، تواجد في القصر عدد آخر من كبار موظفي الدولة وضباط القوات المسلحة من الذين يشغلون مناصب عليا خارج بغداد.

▪ **وفي اليوم الخامس عشر**، حضر حفل الإفطار رئيس وأعضاء الهيئة الإدارية لنقابة المحامين، وموظفو المؤسسة الإقتصادية، وعدد من ضباط القوات المسلحة، وآخرون من الضباط المصريين العاملين ضمن القوة المدرعة المصرية المتمركزة بمعسكر التاجي، وعدد من رجال الأعمال، ووفد من رؤساء/آغَوات العشائر الكردية من لواء "أربيل" وقضاة "عَقرة".

▪ **وفي اليوم العشرين**، كان الحضور لفيفاً من المواطنين الإعتياديين مر بغداد وعموم الألوية (المحافظات).

▪ **في اليوم الثاني والعشرين**، كان هناك لفيف آخر من المواطنين بحضور رئيس الوزراء "الفريق طاهر يحيى" وأعضاء اللجنة التنفيذية العليا للإتحاد الإشتراكي العربي العراقي وعدد من أعضائه. وقد أُضيف اليهم وفد طلاّبي كويتي كان يزور العراق.

▪ **وفي اليوم الرابع والعشرين**، كانت المأدبة مخصصة للهيئات الإدارية للنقابات المهنية والجمعيات العلمية والخيرية والدينية والإنسانية، وعدد من ضباط القوات المسلحة، ووفود من ألوية (محافظات) العراق الشمالية.

▪ **وفي مساء اليوم التاسع والعشرين**، كانت هناك مئات المآدب، ولكن بأسلوب آخر، فعلى نفقة القصر الجمهوري أُقيمت كُبراها في "جامع ثُرَيّا" بكرخ

بغداد، وقد حضرها رئيس الجمهورية وسط جمهور غفير من المواطنين... كما كانت هناك مآدب بالعشرات في جوامع وحُسَينيات "بغداد" حضر رئيس الوزراء إحداها، فيما حضر كل وزير في جامع أو حُسَينية معينة... ومآدب في جميع ألوية (محافظات) العراق وأقضيته ونواحيه، والتي حضرها المُتَصَرِّفون (المحافظون) وكبار موظفيهم في مراكز المدن، والقائمَّقامون في الأقضية، ومديرو النواحي في نواحيهم.

كنا -نحن ضباط سرية الحماية- مدعوّين غير رسميّين للحضور في جميع المآدب دون إستثناء، وكان الرئيس "عبد السلام عارف" يجلس في صدر القاعة بالطبع، ويحرص على الحضور اليها قبل حوالي ساعة كاملة من موعد أذان المغرب، ويصافح الحضور فرداً فرداً قبل ان يجلسوا... بينما كُلِّفَ موظفو التشريفات بتوجيه المدعوين إلى أماكن جلوسهم غير المحددة... أما ضباط الحرس الجمهوري الآخرون -عدا المكلَّفين بمهمّات في ثكناتهم- فكانوا مُخَيَّرين بالحضور في أية مأدبة يشاؤون دون إستثناء.

كان التحدّث بين عموم الحضور مسموحاً حتى يبدأ المقرئ "الشيخ محمود خليل الحُصَري" -الضيف المصري على شخص رئيس الجمهورية- تلاوة القرآن الكريم قبل نصف ساعة من موعد الأذان، إذْ يمتنع "الرئيس" عن الكلام مع أي أحد، بل ولا يسمح لأي من المدعوين بذلك، حيث تعمّ القاعة هيبة "القرآن المجيد".

ومع أذان المغرب، يتناول الجميع عدداً من حبّات التَمر وقدحاً من اللبن، وذلك قبل أن يتوجّه "الرئيس" إلى القاعة المجاورة المخصصة لأداء فريضة الصلاة، حيث يقف في الصف الأول خلف سماحة الشيخ "نجم الدين الواعظ" مفتي الديار العراقية، والذي كان من ضمن الحضور في جميع مآدب الإفطار، وذلك قبل أن يكمِّل "عبد السلام عارف" صلاته بركعتي السُنّة النبوية، ويتوجّه إلى المناضد العامرة التي فُرِشَ عليها ما لذّ وطاب من الطعام والشرابت والفواكه والحلويات الراقية.

كان "عبد السلام عارف" يتصرّف أثناء تناول الطعام وكأنه صاحب الدار، حيث يتنقل من منضدة طعام إلى أُخرى ليُجامل الجميع عن قرب، ويخصّ منهم المواطنين الإعتياديين في أيام حضورهم وفق ما ذُكر... ولا ينصرف المدعوون من القصر الجمهوري حتى يقف سيادته أمام الباب الرئيس لمبنى القصر عادةً ويصافحهم جميعاً قبل أن يغادروه ممتنّين.

كان الأشخاص الإعتياديون من المواطنين المدعوين إلى المآدب هم الوحيدون الذين يخضعون لتفتيش أجسادهم قرب الباب النظامي للقصر لغرض التأكد من خلوها من الأسلحة، إذْ يقوم به عدد من أفراد فصيل الحماية الخاصة لرئيس الجمهورية... أما الآخرون فهم يدخلون القصر بسياراتهم الرسمية أو الشخصية إلى ساحات الوقوف المخصصة... فيما يصل الوزراء وكبار ضباط القوات المسلحة وموظفي الدولة بسياراتهم الرسمية حتى يترجّلوا منها أمام باب الدخول الرئيس لمبنى القصر الجمهوري قبل أن تتوجّه السيارات للوقوف وسط الساحة الخاصة.

أما جنودنا -نحن سرية حماية القصر- فأن "صينيّة" كاملة مليئة بالطعام كانت تصل إليهم وبمعدل واحدة لكل نقطة حراسة أو برج حماية دون إستثناء، وفي جميع أيام رمضان المبارك، وليس في أيام مآدب الأفطار فحسب.

لم تختلف مآدب الإفطار خلال شهر رمضان التالي عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥/١٢/٢٤-١٩٦٦/١/٢١) عن سابقاتها، إذْ بلغ عددها (١٠) مآدب.. ولكن ضيف رئيس الجمهورية في هذه المرة كان القارئ المصري "الشيخ عبد الباسط محمد عبد الصمد".. وأن "عبد السلام عارف" -مصحوباً برئيس الوزراء وجميع الوزراء وكبار رجالات الدولة والقوات المسلحة- قد حضروا مأدبتين عامَّتَين... أُولاها، في "الروضة الكاظمية" مساء يوم ٢٥ رمضان أقامها أهالي منطقة "الكاظمية"، والثانية في "جامع الإمام أبي حنيفة النعمان" كان أهالي منطقة "الأعظمية" قد تكلّفوا بها يوم ٢٧ منه.

أما المدعوّون إلى المآدب العَشْر التي أُقيمت في أروقة القصر الجمهوري، فقد كانوا مجموعات تسلسلت أيام حضورها كالآتي:-

- رئيس الوزراء والوزراء جميعاً، رئيس أركان الجيش وكالةً، وفد سوداني زائر، رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية، قادة الجيش وكبار ضباط القوات المسلحة.
- رجال الدين والقانون والقضاء العسكري، مع لفيف من المواطنين.
- رئيس جامعة بغداد وعمداء كلياتها ومعاهدها وأساتذتها جميعاً.
- رجال الأعمال ورؤساء الهيئات الاقتصادية والتجارية وأعضائها.
- ضباط الجيش من رتبة "عقيد" فما فوق، والمحاربين القدماء (الضباط المتقاعدون).
- منتسبو النقابات المهنية والجمعيات الخيرية والأدبية والنوادي الرياضية ورجال التعليم.
- طالبات وطلاب جامعة بغداد.
- الفلاحون والعمال.
- جميع طلاب دورات الكلية العسكرية وكلّيتي الضباط الإحتياط والشرطة.
- رجال الأعمال والصحافة وموظفو وزارة الثقافة والإرشاد.



الصورة (٣٥)

"المؤلف" مع صديقه الملازم سعد عبد الهادي العساف بقيافة الدوام الرسمي الصيفية أوائل خدمتهما في الحرس الجمهوري عام ١٩٦٤.



الصورة (٣٦)

"المؤلف" مع "ملازم أول عبد الصمد جابر العاني" مساعد آمر فوج الحرس الجمهورية الأول



الصورة (٣٧)

عدد من ضباط فوج الحرس الجمهوري الأول يوم إفتتاح مقر لواء الحرس ١٦/١٠/١٩٦٥م ـ وهم الملازمون: وليد جسام، قاسم فرحان، "المؤلف"، عبد مطلك الجبوري.



الصورة (٣٨)

العميد الركن حسين عبد الجبار – آمر كلية الضباط الإحتياط – مدعواً لحضور حفل إفتتاح مقر لواء الحرس الجمهوري ١٦/١٠/١٩٦٥ وإلى جانبه "النقيب كاظم عزيز"، والوقوف هم «حسب الأبعد إلى الأقرب»:- الملازمون "عبد مطلك، موفق جميل،

المؤلف، عدنان العزاوي، لطيف رشيد".



الصورة (٣٩)

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" يتناول طعام الغداء بالمناسبة نفسها، وقد وقف إلى الخلف منه الملازمون "قاسم فرحان، عبد مطلك، المؤلف"، وإلى جانبه الرائد الركن كمال جميل عبود.



الصورة (٤٠)

"المؤلف" بالمناسبة ذاتها متناولاً طعام الغداء إلى جانب الرائد الركن "فاضل مصطفى أحمد" – مقدم لواء الحرس الجمهوري – وقد ظهر الرائد عبد الله مجيد، سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية الأقرب

إلى عدسة التصوير.



الصورة (٤١)
"المؤلف" في غرفة تشريفات القصر الجمهوري
أواخر عام ١٩٦٤.



الصورة (٤٢)

"المؤلف" في مكتب تشريفات القصر الجمهوري أواخر عام ١٩٦٤



الصورة (٤٣)

الملازم عبد مطلك الجبوري جالساً مع "المؤلف" ...

ويظهر "الملازم شهاب أحمد الدليمي". آمر فصيل الحماية الشخصية لرئيس الجمهورية واضعاً يديه على ظهر مقعد عريض في القصر الجمهوري



الصورة (٤٤)

"المؤلف"، فالملازم وليد صالح، ملازم أول قاسم محمد صكر، فالملازم "موفق محمد جميل"



الصورة (٤٥)

"المؤلف" بالملابس المدني مكلفاً بالإشراف على الحماية غير المنظورة لرئيس الجمهورية في ساحة الكشافة أيام مونديال كأس العرب (نيسان ١٩٦٦) جالساً إلى جانب الملازمين "طالب عليوي، عدنان العزاوي، سعد شمس الدين"

رجال حول الرئيس

سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية

كان "الرائد عبد الله مجيد" يشغل هذا المنصب الرفيع منذ عام ١٩٦٤ وحتى نيسان ١٩٦٦ ... يبلغ من العمر (٣٥) سنة، ضعيف البينة، متوسط القامة ومائل الى القصَر، أبيض اللون، دائم الإبتسامة، قليل الكلام، يبدو على محيّاه الذكاء وبعض المكَر... وقد علمت بمرور الأيام أنه كان ضابطاً في الجيش برتبة رئيس (نقيب) في تموز ١٩٥٨ عندما إشترك مع "العقيد الركن عبد السلام محمد عارف" في الإنقلاب الذي أطاح بالحكم الملكي، ورافقه في زياراته لألوية (محافظات) العراق بعد نجاحه. وشارك في حركتَي ١٤ رمضان/٨ شباط ١٩٦٣ و "١٨ تشرين الثاني١٩٦٣" إذْ عَيَّنَه "عبد السلام" بهذا المنصب الرفيع والحسّاس ذي الدرجة الخاصة بمرسوم جمهوري، فأُعتُبِرَ-طوعاً- مُحالاً على التقاعد... أما صنفه في الجيش فقد كان "الهندسة الآلية الكهربائية" والتي أنهى دورتَها الأساسية لدى الجيش البريطاني عام ١٩٥٦.

كان نشطاً في عمله، مسيطراً بشخصيته على عموم الموظفين العاملين تحت إمرته في "المكتب الخاص" ودوائر السكرتارية الأخرى... يحضر إلى الدوام الرسمي في موعده المحدّد، وينشغل دون أن يتمتع بأية إستراحة حتى إنتهاء ساعاته المقررة، بل طالما كان يتأخر حتى الثالثة أو الرابعة عصراً وبمعدل يومي، حتى في حالة مغادرة رئيس الجمهورية للقصر إلى بيته... فيما كان يصاحبه دائماً -بحكم مسؤولياته- في جميع زياراته خارج بغداد أو العراق.

كان متواضعاً بعض الشيء، أنيقاً جداً في ملابسه وحريصاً على تناسق ألوانها، تنقله سيارته الرسمية من وإلى القصر الجمهوري قبل الدوام الرسمي وبعد

إنتهائه... ولكنه كان يحضر للقصر مساءً بسيارته الشخصية الصغيرة من طراز "أوبل ١٩٦٤" آلمانية المنشأ -والتي لم يغيّرها بشكل مطلق- بما فيها أيام الجمع والعطل الرسمية... وعلى العكس من المُرافق العسكري الأقدم، فقد كان قليل الخروج من دائرته للتجوال مع رئيس الجمهورية في حدائق القصر الجمهوري، ولربما كان بريده اليومي الضخم وإلتزاماته الهاتفية يمنعانه من ذلك، وكان حرصه هذا قد جعله محطّ إحترام "عبد السلام عارف" بشكل خاص.

أكبر ظني أنه لم يكن متديّناً، ولم يكن يصلّي الاّ حين يضطرّ إلى ذلك- إعلامياً- عندما يكون بصحبة رئيس الجمهورية.

كان أقرانه وزملاؤه من الضباط المستمرين في خدمة القوات المسلحة وكذلك بعض كبار ضباط الجيش وقادته من الذين يحضرون في "غرفه التشريفات" قُبَيل الدخول إلى أروقة القصر لمقابلته هو أو لمواجهة المرافق العسكري الأقدم أو لزيارة أشخاص آخرين، يحسدونه على هذا المنصب الذي كان قد تَبَوّأه على الرغم أن الكثير كانوا يتقرّبون إليه ويتزلّفون له... وقد سمعتُ عبارات صدرت من بعضهم تتّهم "عبد اللّه مجيد" بالترفّع والأنانية وحبّ الذات... إذْ بينما كان يشغل هذا المنصب الرفيع ويجلس في القصر الجمهوري قريباً من "رأس هرم الدولة"، ويتّصل مع كبار المسؤولين قاطبة وينقل إليهم توجيهات رئيس الجمهورية وأوامره، ويلتقي مع ملوك ورؤساء جمهوريات وشخصيات عربية وإسلامية وعالمية، فإن زملاءه من الذين تخرّجوا معه في الكلية العسكرية لا تتعدى مناصبهم أكثر من آمر فوج أو كتيبة أو معمل تصليح أو سرية نقلية، وذلك إذا ما كان الحظّ حليفهم في تسنّم مثل هذه المناصب.

حدث مرة وكنتُ في زيارة لصديقي "الملازم عبد مُطلَك الجُبُوري" في غرفة التشريفات مساءً، أنْ دخلها "عبد اللّه مجيد" طالباً من كلَينا أن نرافقه لحضور مجلس الفاتحة المقامة على روح والد "المقدم الركن رشيد محسَن" مدير الأمن العام، وذلك في جامع ١٤ رمضان قرب نصب الجندي المجهول* .. فقاد سيارته الشخصية وقد جلس

* كان نصب الجندي المجهول في عقد الستّينيّات وسط ساحة يحيط بها حالياً فندقا (شيراتون وميريديان) قبل بنائه في عقد الثمانينيّات بموقعه الجديد قرب "ساحة الإحتفالات الكبرى"..."المؤلّف".

"عبد مطلك" قربه في المقعد الأمامي، بينما جلستُ في وسط المقعد الخلفي.

كان مجلس الفاتحة مزدحماً بالمُؤاسين بطبيعة الحال... رَحَّبَ به أصحاب المتوفّى كثيراً، بينما حيّاه العشرات من الجلوس بعبارة "مَسّاكُم الله بالخير". فيما تقرَّب إليه عشرات آخرون يصافحوه ويحضنونه ويقبّلونه بحرارة، بصدق أو بغيره... وعند المغادرة كنا نسير خلفه مباشرة، إذْ صافح العديد من الوقوف قرب باب القاعة حتى وصل إلى "رشيد محسن" ليصافحه ويقبّله ويؤاسيه... وبعد عبارات المؤاساة الإعتيادية ترحُماً على والده، أخرج ظرفاً رسمياً من جيب سترته الأنيقة، ليقول:-

✸ يا أخ رشيد .. هذا مبلغ متواضع من المال بعثه السيد رئيس الجمهورية لكم.

- ولماذا؟

✸ لتغطية مصاريف الفاتحة.

- نحن، يا أخ عبد الله، لسنا بحاجة لمثل هذه الأمور، وأنتَ أعلم بذلك.

✸ ولكنه عُرْفٌ سائد.

- حسناً ... ولكن هل المبلغ من عند السيد الرئيس ومن ماله الخاص؟

✸ كلا، أنه من "نثرية القصر".

- لذلك لا أتقبّله... سلامي مع تحياتي أرجو تبليغهما للسيد رئيس الجمهورية... وقُلْ له أنه متى ما أصبح لديه القدرة على إكرامنا من ماله الخاص، فإننا سنتقبّله ممتنّين.

✸ ولكن، يا رشيد، لا يجوز أن تردّه، فذلك شيء معيب.

- كلاً، وقسماً بالله العظيم.. وأرجو أن تعتبر هذا الموضوع وقد إنتهى.

أعاد "عبد الله مجيد" الظرف المغلّف ذي اللون الأسمر إلى جيبه خائباً، وخرجنا بصحبته من ذلك الجامع وهو ممتعض من ذلك التصرّف، فيما ظلّ يردّد طوال الطريق بعض عبارات الغضب... ولم نستطع -نحن الضابطان المرافقان له- تقدير إنْ كان موقف "رشيد محسن" نابعاً من حرصه على أموال الدولة، أم من سوء علاقته غير الظاهرة في حينه مع شخص رئيس الجمهورية، حتى إشترك مع "عميد

الجو الركن عارف عبد الرزاق" في حركة لقلب نظام حكم "عبد السلام عارف" أيام شهر أيلول ١٩٦٥، والتي سنورد تفاصيلها في مبحث لاحق.

المُرافق الأقدم

كما أوردتُ في مباحث سابقة من هذا الكتاب، فأن "العميد زاهد محمد صالح" هو الذي كان يشغل هذا المنصب الرفيع... ضابط طويل القامة، رشيق البنية، ظهره محنيّ بعض الشي، أبيض اللون، ذو أنف ظاهر وسط وجهه المائل الى الطول... وأنه على الرغم من شَيب ضئيل بانَ على شعر رأسه، فأنه كان يبدو متقدّماً بعض الشيء في العمر... مستمع جيد، قليل الكلام، وربما عديم الكلام مع رئيس الجمهورية... محدود المجاملة، ميّال إلى الجدّ كثيراً، عديم المزاح والإبتسامة، نشط في عمله، أنيق في ملابسه العسكرية، كثير المَشي مع "عبد السلام عارف"، يُلازمه طول الوقت في القصر الجمهوري أو لدى زياراته لخارجه... يتكلم "اللهجة الموصلّية" مع الجميع... جدّي مع الضباط إلى حدّ القسوة، ولكنه كان عطوفاً بشكل ملحوظ أزاء الجنود إلى درجة الأبُوّة... وقد كان يشغل منصب "آمر مدرسة المشاة" بمعسكر الوشاش ببغداد قبل تسنّمه هذا المنصب.

لم أرَ هذا الرجل في أي يوم من الأيام مرتدياً ملابس مدنية، ولربما كان على ذلك بحكم منصبه، ولم تشأ الصدف أن أقف قبالته وجهاً لوجه، على الرغم من العديد من المكالمات الهاتفية معه، سواء في مسكنه أو دائرته، سوى مرة واحدة، وذلك لدى مثولي أمامه لتسلّم توجيهاته المحددة، عندما كُلِّفتُ أن أقود فصيلاً مُرتَّباً لحماية مهابط طائرات الهليكوبتر الثلاث، قبل مصرعه بستة أيام*.

كان زملاؤه وأصدقاؤه ممن يجلسون في غرفة التشريفات قُبَيلَ الحضور إلى مكتبه، أو حتى من بعد مصرعه، يصفونه بـ"إسْمٌ على مُسَمّىً"، كونه ((زاهداً)) في حياته، وربما في إلتزاماته بالدين الحنيف ومناسكه، كثير الصلاة والتعبّد، صائمٌ بشكل عام في كل أيام الإثنين والخميس طيلة السنة.

---

* هذه المهمة التي تهيأتُ لها خلال شهر نيسان ١٩٦٦ أُلغيَتْ... وسنرد على تفاصيلها خلال البحث في الفصل الأخير من هذا الكتاب عن "مصرع عبد السلام عارف" ...."المؤلف".

المبحث التاسع

إجراءات الأمن في القصر الجمهوري والسيارات والطائرات

نبذة مختصرة

خلال تواجد سريتنا بمهمة حماية القصر الجمهوري بأبوابه وحوالَي سياجه، لاحظتُ أن إجراءات أمن أخرى كانت تُتَّخَذ بإشراف "المرافق الأقدم لرئيس الجمهورية" الذي كان تحت إمرته كل من المُرافق الشخصي"الملازم أول رشيد علوان المهداوي" وآمر فصيل الحماية الخاصة "الملازم شهاب أحمد الدليمي"، إذْ يمكن تلخيص تلكم الإجراءات فيما يأتي:-

أولاً: أن فصيل الحماية الشخصية لرئيس الجمهورية، والمُكوَّن من (٤٠) ضابط صف وجندي يرتدون الملابس المدنية -كما أسلفنا-، مهمته تأمين الحماية لشخص رئيس الجمهورية في جناحه الخاص، ولدى مغادرته القصر الجمهوري لأي غرض كان... وأن البعض منهم يتواجد بشكل خفيّ قبل وصول رئيس الجمهورية لموقع مُعلَن أو غير مُعلَن عنه ببضع ساعات، أو ساعة واحدة على الأقل.

ثانياً: يُسمَح لغير السيارات التابعة للقصر الجمهوري الدخول الى شوارعه الداخلية، إذْ كان الركوب فيها من ذوي المناصب الكبرى في الدولة (رئيس الوزراء، الوزراء، رئيس أركان الجيش ومعاونوه، قادة الفرق العسكرية، مديرو دوائر وزارة الدفاع، مديرو الأجهزة الامنية، المدراء العامون لدى الوزارات، وذوي

المناصب المعيّنون بمراسيم جمهورية، رئيس جامعة بغداد وعمداء كلياتها ومعاهدها)... أما السيارات الأخرى فعليها الوقوف في ساحة خاصة قرب الباب النظامي للقصر، فيما تتوجّه السيارات المخوّلة لها بالدخول إلى باب التشريفات، حيث ما أن يترجّل منها راكبوها، فإنها تتّجه للوقوف في ساحة خاصة مقابل الباب المذكور... فيما كان معظم الوزراء يحضرون بسياراتهم الشخصية -التي يقودونها بأنفسهم- إلى القصر مساءً لحضور إجتماعات معينة ومن دون أن يصطحبوا معهم أفراد حماية خاصة.

ثالثاً: لا يخضع أي شخص ذو درجة خاصة من الذين ذكرناهم في "ثانياً" لأي تفتيش... ولكني لم أطلع على خضوعهم لذلك قبل دخولهم مباشرة إلى الجناح الخاص لرئيس الجمهورية، سواءً لمقابلته أو لدى زيارتهم للسكرتير العام أو المرافق الأقدم... بينما يخضع الزائرون الإعتياديون لذلك، إلاّ إذا كان أحد المسؤولين في القصر-بما فيهم نحن ضباط سرية الحماية- قد أمر بغير ذلك.

السيارات التابعة للقصر الجمهوري

كانت هناك سيارتان فاخرتان سوداوان طويلتان "ليموزين" من طراز "مرسيدس" موديل ١٩٦٤ رسميّتان، تحملان شعار الجمهورية العراقية "الصقر العربي" على بابَيهما الخلفيّين الأيمن والأيسر... وقد ثُبِّتَتْ على واقيتَي الطين الأماميتين ساريتا علم مُصغَّرتَين، تحمل اليمنى منهما علم الجمهورية العراقية، بينما تخصص السارية اليسرى لتثبيت علم أي دولة يزور زعيمها العراق رسمياً.

كان رئيس الجمهورية يتنقل في إحداهما، بينما تظلّ الثانية مُرابطة في رحبة سيارات القصر إحتياطاً جاهزاً للتحرّك فوراً.

وكانت هناك سيارة ثالثة مكشوفة أحمر اللون من طراز "لنكولن" أمريكية الصنع من موروثات العهد الملكي موديل ١٩٥٨، يستقلّها رئيس الجمهورية عادة لدى تجواله ببغداد أو المحافظات، عندما يرغب بذلك.

وفي القصر (١٠) سيارات مدنية معظمها من طراز (شفروليت) بألوان

مختلفة موديل ١٩٦٣ أمريكية الصنع، وهي مخصصة لأفراد فصيل الحماية الشخصية، يتنقل بها أفراد ذلك الفصيل مرتدين ملابس مدنية لدى تكليفهم بمرافقة "الرئيس" عند خروجه من القصر وبمعدل سيارة واحدة أو سيارتين ضمن "الموكب".. ولم يتم تبديل تلكم السيارات بأحدث منها حتى عام ١٩٦٦.

كما كانت في "الرحبة" سيارتان قديمتان... إحداهما من طراز "رولز - رويس" بريطانية الصنع موديل ١٩٥٧، ضخمة جداً، سوداء اللون، وقد قيلَ أنها من ممتلكات "القصر الملكي" سابقاً، وكانت مخصصة أساساً لركوب "الملك فيصل الثاني" مع خاله الوصي على عرش العراق وولي العهد "الأمير عبد الإله".. والثانية أغرب بكثير من الأولى، فقد كانت من طراز "مرسيدس" موديل ١٩٣٧ بباب منفرد في كل جانب، ولا تستوعب سوى شخصين، وهي مصبوغة باللونَين الأصفر والأزرق، ذات محرك غير إعتيادي وطويل وضخم جداً يحوي (٢٤) إسطوانة، وقد نُقشَ علي بابها الأيسر حرفا "غ.ف" باللغة العربية رمزاً لإسم الملك الراحل "غازي فيصل" الذي جلس على عرش العراق منذ وفاة أبيه (١٩٣٣) وحتى مصرعه يوم ٤ نيسان عام ١٩٣٩ في ظروف مازالت غامضة... وقد قيل أن الزعيم النازي الألماني "آدولف هتلر" قد أهداها الى شخص ذلك الملك عام ١٩٣٧ رمزاً للصداقة الشخصية بينهما.. وقيلَ أيضاً أن عدد السيارات التي صُنعت من هذا الطراز لم يَتعَدَّ سوى (٤) سيارات في العالم أجمع.

وإذا إحتاج القصر الجمهوري إلى عدد إضافي من السيارات، فإن "دائرة التشريفات" التابعة لوزارة الخارجية كانت ترسلها عند الطلب ليوم واحد أو لعدة أيام وإستناداً إلى منهج زيارة معينة.

اما الأشخاص من ذوي المناصب العليا في القصر الجمهوري فكانت لهم سياراتهم الرسمية التي يتنقلون بها من والى القصر الجمهوري... فيما كان معظمهم يحضرون للقصر الجمهوري بعد ساعات الدوام الرسمي بسياراتهم الشخصية التي كانوا يقودونها بأنفسهم، بمن فيهم "عبد الله مجيد" سكرتير عام ديوان الرئاسة... ولكن المرافق العسكري الأقدم "العميد زاهد محمد صالح" لم أُشاهده يقود سيارته الشخصية في يوم ما، بل كان يحضر بسيارته الرسمية في جميع الأوقات.

طائرات الرفّ الجمهوري

كان "الرَفّ الملكي"-الذي تبدَّلَتْ تسميته إلى "الرفّ الجمهوري" بعد ١٤ تموز ١٩٥٨- يحتوي طائرتَين صغيرتَين مدنيّتين للركاب ذات محركين مروحيّتين من طراز "دوف" "DOVE" بريطانية الصنع بـ(٨) مقاعد، مضافاً إليهما طائرة ركاب واحدة أكبر قليلاً منهما تحتضن (١٠) مقاعد من طراز (هيرون HERON) بريطانية المنشأ أيضاً لنقل كبار ضباط الجيش والوزراء في بعض المرات داخل العراق وبين مدنه التي تتوفر فيها مطارات أو مَهابط، ولكن "عبد الكريم قاسم" لم يشأ إستخدامها مطلقاً لكونها أساساً مخصصة لتنقّل أفراد العائلة المالكة*.

ظلَّت فعاليات "الرف الجمهوري" خامدة أو محدودة طيلة (٥) سنوات، حتى حلّ عام ١٩٦٤ وإستقر "عبد السلام محمد عارف" على كرسي الحكم، إذْ تضاعفت نشاطات الرفّ مع إزدياد فعاليات رئيس الجمهورية في زياراته للألوية (المحافظات)... وعندما توطّدت علاقات "العراق" مع "مصر" بشكل خاص، ظهرت الحاجة لوجود طائرة خاصة للرئيس العراقي يمكنها أن تصل إلى "القاهرة" دون توقّف في مطار وسطي، فتمّ إستيراد طائرتين للركاب ذات محركين نفّاثين من طراز "توبوليف ١٢٤" من الإتحاد السوفيتي، متوسّطي الحجم، تشتملان مقاعد ومناضد محوّرة للجلوس المريح لكبار الشخصيات في جلسات عمل أثناء الطيران، إذْ ضُمَّتا إلى "الرف الجمهوري" وخُصِّصَتا لشخص رئيس الجمهورية لإستخدامهما في زياراته الى خارج القطر.

وقد تعرّفتُ في حينها بقائدَي الطائرتَين عن قرب، وهما "الرائد الطيار عدنان أمين خاكي والنقيب الطيار طاهر صالح التكريتي"، وذلك من جراء تكليفي بمهمة حمل العلم العراقي، أو بمنصب معاون آمر حرس الشرف عند توديع رئيس الجمهورية أو إستقباله بمطار بغداد الدولي (مطار المثنى بعدئذ).

* عدنان أمين خاكي:- مقدم طيار متقاعد، آمر الرف الجمهوري (١٩٦٤-١٩٦٨). مقابلة شخصية معه في دار سكناه بحي اليرموك ببغداد، يوم ١٤/٥/١٩٩٧ ...."المؤلّف".

وعند رغبة رئيس الجمهورية بالتنقّل جواً داخل العراق، فكان يستقلّ إما طائرة "هيرون" أو إحدى طائرتي "دوف" القديمتين نسبياً، أو أن واحدة أو أكثر من طائرات الهليكوبتر تحطّ في مهبط خاص داخل سياج القصر الجمهوري وحسب الإحتياج، تأتي من "قاعدة الرشيد الجوية" عادة. وكانت من طراز (مي-٤) السوفيتية المنشأ خلال عام ١٩٦٤ أو "ويسّكس WESSEX" بريطانية الصنع بعد أن جُهِّزَتْ بها القوة الجوية العراقية عام ١٩٦٥. إذْ يستوعب كل منها (١٠) أشخاص... ولم أعلم -في حينه- ما إنْ كان طيّاروها من ذوي مواصفات أمنية خاصة، أم كانوا يُكلَّفون بهذه المهمة تباعاً*.

* سنرد على تفاصيل هذا الموضوع في بحثنا عن "مصرع عبد السلام محمد عارف".... "المؤلِّف".

رواتب ضباط الحرس الجمهوري ومراتبه ومكافآتهم

رواتب ومكافآت الضباط

لم يكن راتب الضابط الذي يعمل في وحدات الحرس الجمهوري خلال الأعوام ١٩٦٤-١٩٦٦ ليختلف عن أي ضابط يخدم في أية وحدة من وحدات الجيش العراقي في جميع أنحاء القطر... فنحن الضباط الأحداث لدى تخرّجنا في الكلية العسكرية وتعييننا بالحرس الجمهوري كنا نتسلّم (٤٨) ديناراً في الشهر الواحد، وهو الراتب المحدد قانوناً لأي ضابط يحمل رتبة "ملازم ثانٍ" تخرّج لتوّه في الكلية.

أما مخصصات الإنذار الأقصى "الدرجة- ج"، والتي كان فوجنا مشمولاً بها، فقد بلغت (١٨) ديناراً في الشهر الواحد -أي بمعدل (٦٠٠) فلس يومياً-، وهي المخصصات نفسها التي كانت تُمنح لأي ضابط شملت وحدته العسكرية بالإنذار (ج)، وأينما تكون تلك الوحدة.

وقد وقعت بشأن تلك المخصصات مفارقة يجدر ذكرها... فبعد أن إلتحقنا لفوج الحرس الجمهوري الأول بحدود شهرين، إعترضت مديرية الحسابات العسكرية عليها، وأثارت موضوعاً متعلّقاً بأوامر وتعليمات منح تلكم المخصصات للمشمولين بها، طارحة بأن ضباط فوجنا ما داموا يتركون الثكنة بين يوم وآخر، فإنهم لا يستحقّون سوى مخصصات الإنذار درجة (ب) البالغة (٤٠٠) فلس يومياً، وقد أيّدَتها في ذلك "مديرية الحركات العسكرية" بوزارة الدفاع.

وبعد مكاتبات متبادلة وإتصالات هاتفية عديدة أجراها آمر فوجنا ومساعده مع المديريّتين المذكورتَين لم يُحلّ الإشكال ليتحوّل إلى عقدة إستعصى الخروج منها، حينئذ تقرّر عرض الموضوع على ديوان الرئاسة... إذْ علمنا بعدئذ أن "المرافق الأقدم" قد أعطى الحقّ لوجهة نظر الحسابات العسكرية بشأن المخصّصات، فأمسى ضباط الحرس الجمهوري يتسلمون (١٢) ديناراً شهرياً بدلاً من (١٨) ديناراً.

أما مكافآت الضباط المادية، فلم يكن لها وجود بشكل مطلق، وكان كل من "عبدالسلام عارف"، وكذلك وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش يعتبرون مكافأة الضباط مادياً شيئاً مُعيباً ونِكايةً بشخصه، بل وتنزيلاً من قيمته... لذلك فإن أي ضابط في الحرس الجمهوري لم يتسلّم فلساً واحداً من لدنهم طيلة الفترة التي قضيتُها في فوج الحرس الجمهوري.

والحقيقة، أن رواتبنا كانت مُجزِية لطعامنا وشرابنا وكافية لملابسنا وجميع مصاريفنا... حتى أن بعض الزملاء قد إقتنوا سيارات ذات طُرُز مقبولة بعد إنقضاء سنة واحدة أو سنتين من تخرّجنا... وأن آخرين تزوّجوا وأثّثوا مساكنهم من المبالغ التي إستطاعوا إدّخارها خلال تلك الفترة من مجاميع رواتبهم... وإذا ما إعتبرنا أنفسنا -نحن الضباط العاملين في "بغداد"- إننا كنا نصرف الكثير شهرياً بحكم إرتيادنا للمطاعم ودور السينما والمقاهي وأماكن عديدة أخرى، فإن زملاءنا العاملين في وحدات الشمال أو الجنوب، أو في غرب العراق وشرقه، كانوا يوفّرون من رواتبهم -إن شاؤوا ذلك- أضعاف ما إستطعنا توفيره.

رواتب المراتب ومكافآتهم

كان مَثَلُهم مَثَل الضباط من حيث تساوي رواتبهم لأقرانهم في عموم وحدات الجيش، فالجندي المتطوع كان يستلم (١٢) ديناراً، والمكلّف (المُجَنَّد) يبلغ راتبه (٨) دنانير فحسب، ويضاف إلى راتبه (٩) دنانير مخصصات الإنذار، وذلك

قبل أن يتم إختصارها إلى (٦) دنانير شهرياً بعد المُعضلة التي أثارتها مديرية الحسابات العسكرية.

لا أستطيع القول أن رواتب المراتب كانت مُجزية، ولكننا لو علمنا أن ملابسهم وأحذيتهم وصولاً إلى ملابسهم الداخلية، وكذلك طعامهم وشرابهم جميعاً، كانت على نفقة الجيش -على العكس من الضباط- فإننا نتوصل إلى أن المبالغ التي كانوا يتسلّمونها شهرياً تعتبر "مصرف جيب" لا أكثر.

أما عن المكافآت التي تُمنح لهم فقد جلبت نظري عندما قرأتُ "مذكرة" تقدَّم بها سكرتير عام ديوان الرئاسة "الرائد عبد الله مجيد" الى رئيس الجمهورية تتضمن مقترحاً لمنح كل "ضابط صف وجندي" في جميع وحدات الحرس الجمهوري (٥) دنانير بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك لعام ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م، إذ علّق "عبد السلام عارف" بتأريخ ١٩٦٥/١/٢٤ على مذكرة سكرتيره العام ما يأتي:-

١. هل تقترحون (عيديّة) لمراتب الحرس الجمهوري فقط؟.. إتّقوا الله يا ناس.

٢. ما ذنب (وُلْد الخايبة)* في وحدات الجيش الأخرى والقوات المسلحة؟

٣. يُمنح جميع مراتب الجيش والقوات المسلحة (ضباط صف وجنود) مبلغ (٥) دنانير، ويُصرف لهم مع راتب هذا الشهر محسوباً على (نثرية القصر).

٤. يُنَسِّق السكرتير العام مع حسابات القصر بغية توفير المبالغ التي تصرف على أمور أخرى من نثرية القصر... بما فيها إلغاء الولائم خلال شهر شباط القادم".

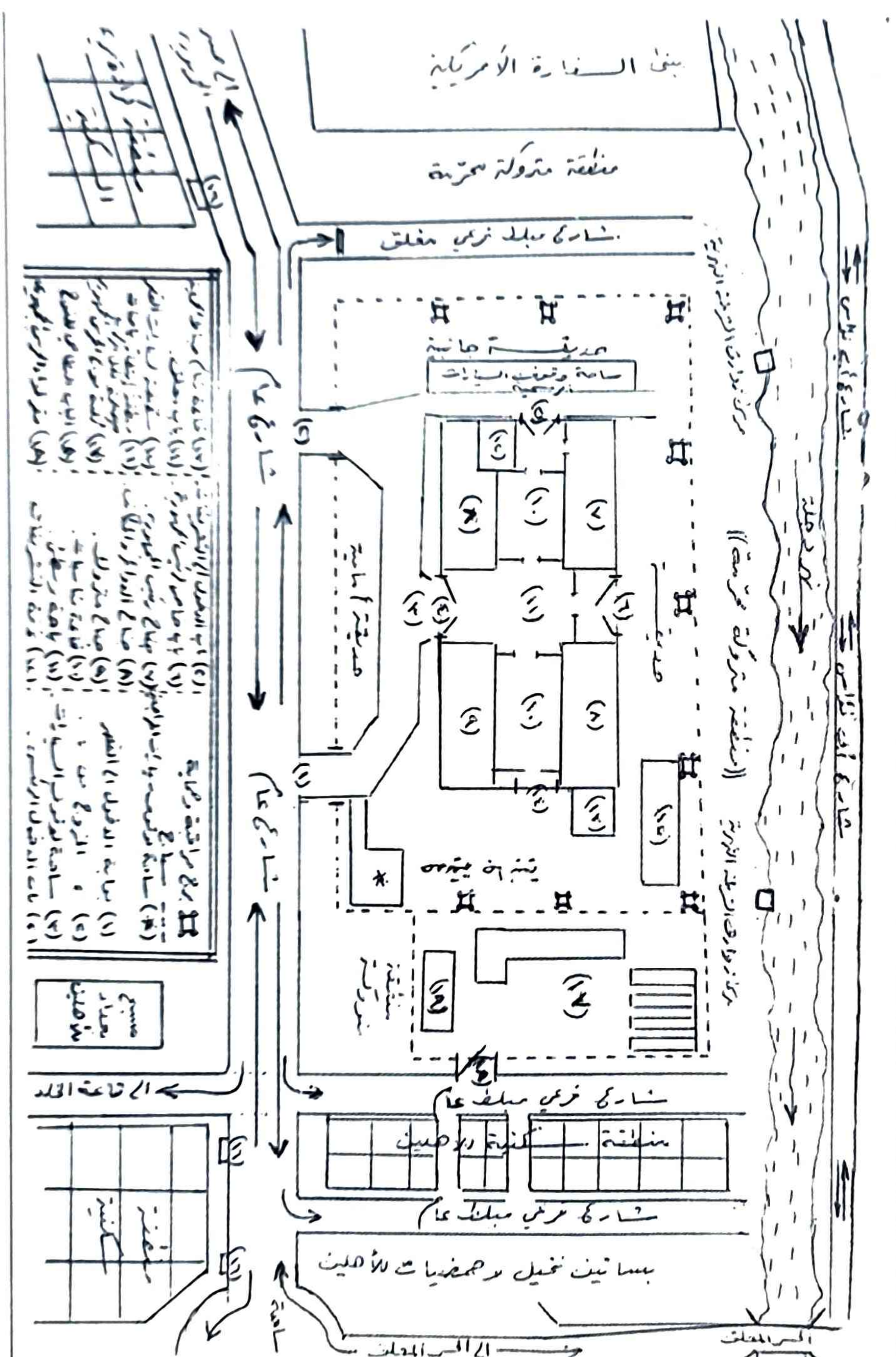
هذا، وقد تكرّرت المكافآت الممنوحة للمراتب خلال عيد الأضحى وذكرى ١٤ تموز ١٩٥٨ و ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ فقط خلال تلك السنة.

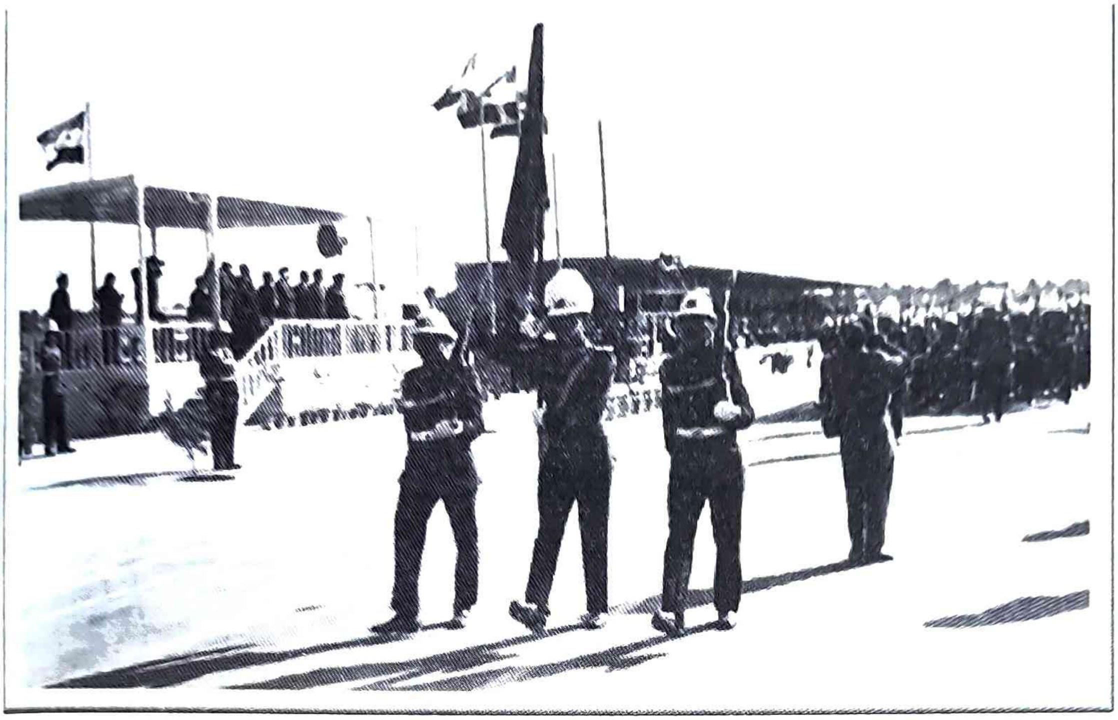
---

* وُلْد الخايبة:- عبارة شائعة في اللهجة العامية العراقية تُرادف كلمة "المساكين"......."المؤلِّف".

المكافآت العينية

كانت المكافآت العينية، كالساعات اليدوية والمسدّسات الشخصية والكؤوس، يمنحها رئيس الجمهورية للرياضيين من الضباط أو المراتب الذين يسجّلون أرقاماً متقدمة في السباقات دون غيرهم، وكذلك للضباط المتفوقين عند تخرّجهم في كلّية الأركان أو تلاميذ الكلّية العسكرية.. أو الضباط الذين يبرزون في إستعراض الجيش، والطيارون الذين يُجرون بطائراتهم ألعاباً جوية خطرة تجلب الأنظار... هذا، ولازلتُ أحتفظ بذلك الكأس الشخصي الذي تسلّمتُه من الرئيس "عبد السلام عارف" لمناسبة حصولي على مرتبة الفائز الأول في الرمي بسلاحَي "المسدس والغَدّارة" للضباط خلال سباقات الرمي السنوي للجيش نهاية عام ١٩٦٤.


مبنى السفارة الأمريكية
منطقة متروكة مهجورة
شارع مبلط فرعي مغلق
حديقة عامة
ساحة وقوف السيارات
شارع فرعي مبلط عام
بساتين نخيل وخضراوات للأهلين
الى الجسر المعلق



الصورة (٤٦)

"المؤلف" وهو يحمل علم الحرس الجمهوري أمام كردوس الحرس الجمهوري في إستعراض القوات المسلحة العراقية يوم ١٩٦٥/١/٦



الصورة (٤٧)

"المؤلف" مخفضاً علم الحرس الجمهوري أمام منصة التحية

التي يقف فيها الرئيس عبد السلام محمد عارف وكبار رجالات القوات المسلحة



الصورة (٤٨)

الملازم "سعد عبد الهادي العساف" مع "المؤلف"

أيام التهيؤ لإستعراض القوات المسلحة العراقية مطلع عام١٩٦٦



الصورة (٤٩)

الضابطان نفساهما قرب الدبابات التي ستشارك

في إستعراض يوم تأسيس الجيش العراقي مطلع عام ١٩٦٦



الصورة (٥٠)

الملازم سعد عبد الهادي، الملازم جلال شكور – من مغاير الفرقة الثانية، فالمؤلف، فأحد ضبط المغاوير أيام التهيؤ لإستعراض ١٩٦٦/١/٦



الصورة (٥١)

"المؤلف" يقود كردوس الحرس الجمهوري أمام منصة التحية في إستعراض الذكرى السنويه (٤٥) لتأسيس الجيش العراقي

الفصل الثالث

عبد السلام محمد عارف والإرهاصات السياسية

المبحث الأول

الكتل السياسية في العراق ١٩٦٤-١٩٦٥

المؤيدون للحكم الملكي

من المعروف أن "العقيد الركن عبد السلام محمد عارف" هو الذي قاد أفواج "لواء المشاة العشرين" التي هاجمت "قصر الرحاب الملكي" أو حاصرت مع بعض مساكن كبار مسؤولي النظام وعدداً من المؤسسات الحكومية والثكنات العسكرية صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، وأدّى إلى إنهيار النظام الملكي في العراق، وهو الذي أذاع "البيان الأول للثورة" بصوته من دار الإذاعة العراقية في "الصالحية". وأن "الزعيم/العميد الركن عبد الكريم قاسم" لم يدخل "بغداد" مع وحدات لوائه "التاسع عشر" إلاّ قبيل ظهر ذلك اليوم.

وقد أُعتُقلَ العشرات من دعائم ذلك النظام، وطُردوا من مناصبهم أو أُحيلوا على التقاعد، وَقُدِّمَ الكثير منهم أمام "المحكمة العسكرية العليا الخاصة" التي تشكلت أساساً لهذا الغرض برئاسة "العقيد فاضل عباس المهداوي"، بل وأُهينوا أيّما إهانة، وصدرت بحقهم أحكام بالإعدام والسجن المؤبّد أو لمُدَد طويلة.

وبعد أن ألغت حكومة الثورة نظام دعاوى العشائر، وعند إصدارها لـ"قانون الإصلاح الزراعي" فقد حُرِمَ "الإقطاعيون" ومُلاّك الأراضي الشاسعة وذوي الجاه والنفوذ من أراضيهم ومعظم ممتلكاتهم وسطوتهم، وإضطر العديد -ممن ظلّوا في قمة الثراء والجاه خلال العهد الملكي- إلى ترك البقاع التي كانوا متنفّذين فيها طيلة عقود مضت تحت ضغط من الفلاحين والرُعاع الذين إنضموا إلى جمعيات وإتحادات ذات مسمّيات مختلفة من تلك التي تُسندها الدولة ومؤسساتها وبعض الأحزاب الثورية.

وعلى الرغم من عدم تنفيذ أحكام الإعدام بشكل عام -إلاّ بحق عدد محدود من رجالات النظام الملكي- وإطلاق سراح المسجونين والمعتقلين منهم في عهد "عبد الكريم قاسم" نفسه، وعودة بعض النفوذ إلى رؤساء العشائر عملياً بحكم تأصّل العادات والطبائع والأعراف العشائرية في معظم مناطق العراق، والتي لم يستطع معظم العراقيين تركَها أو الإستغناء عنها... إلاّ أن الرجال الذين كانوا محسوبين على العهد الملكي ظلّوا حاقدين على رجالات الثورة، وفي مقدمتهم شخص "عبد السلام عارف" بشكل أو بآخر... ولمّا كان معظمهم أشخاصاً محترمين وذوي ثقل إجتماعي ومثقفين عموماً، فقد تواصل تأثيرهم على الشارع العراقي.

ولكن، ولكونهم مرصودين، وبعضهم مراقَبين، ولم يجمعهم أساساً حزب قوي أو قاعدة جماهيرية أو تنظيم ذو ثقل*، فإنهم لم يكونوا قادرين على التحرّك بتأثير ملحوظ على مجريات الأمور حيال نظام الحكم القائم بشكل جدّي.

الشيوعيين ومؤيِّدو شخص "عبد الكريم قاسم"

أضحى الشيوعيون العراقيون قاب قوسين أو أدنى من السيطرة على الحكم في العراق خلال النصف الأول من عام ١٩٥٩ ... ولو لا المذابح البشعة التي إقترفوها -أو أُقتُرِفَت بإسمهم- في كل من "الموصل" أيام شهر آذار/مارس ١٩٥٩ بعد "حركة العقيد الشواف"، وفي "كركوك" أواسط شهر تموز/يوليو من العام نفسه، فلربّما إستطاعوا نَيلَ مأربهم.

وعلى الرغم من ضربة موجعة سدّدها "عبد الكريم قاسم" نحوهم بعد "مذبحة كركوك"، فإنهم وبعد إنقضاء أشهر قلائل أعادوا تأثيرهم الملحوظ على

---

* علمتُ في حينه أن مؤيدي الحكم الملكي يحاولون تشكيل تنظيم أو أكثر لهم، عندما فاتحني بعضهم -ومعي الملازم المظلي عصمت صابر عمر- خلال عام (١٩٦٦) كي ننضم إلى ((خلية سرية)) تخطط لقلب نظام الحكم الجمهوري وإعادة الملكية إلى ربوع العراق... ولكني رفضتُ ذلك بهدوء، من دون أن أُخبر جهة بهم............."المؤلِّف".

نظام الحكم القائم في حينه، ولحوالي ثلاث سنوات متلاحقات، وحتى نجاح ثورة ١٤ رمضان/٨ شباط/فبراير ١٩٦٣ التي أنهت دورهم في العراق بشكل شبه نهائي، وذلك بمقتل المئات منهم وتشريد الآخرين وتقديم أعداد غير يسيرة منهم أمام المحاكم المختلفة وتنفيذ حكم الإعدام بالعديد منهم وتصفية آخرين جسدياً من دون محاكمات، وإعتقال المئات وسجنهم وملاحقة الباقين دون هوادة.

ويُضاف إلى من تبقّى من الشيوعيين، مؤيّدو شخص "عبد الكريم قاسم" ونظام حكمه من الساسة وكبار العسكريين الذين إنعدمت سطوتهم واضمحل نفوذهم بعد ١٤ رمضان حين بات الثقل السياسي والميداني بيد قادة حزب البعث العربي الإشتراكي، ناهيك عن نسبة كبيرة من الفقراء والمساكين وذوي الدخل المحدود الذين كانوا يرَونَ في شخص "عبد الكريم قاسم" مُنقذاً لهم وراعياً لمطاليبهم في حينه.

أن هؤلاء وأولئك، وبعد ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، وعلى الرغم من إطلاق سراح معظمهم من السجون والمعتقلات، لمجرد نشرهم إعلاناً في الصحف يشيرون من خلاله تبرُؤَهُم من المبادئ "الشيوعية والفوضوية"، فإنهم ولاشك ظلّوا حاقدين على شخص "عبد السلام عارف"، وذوي تأثير ملحوظ على نفوس الكثير من العراقيين المحبّين لشخص "عبد الكريم قاسم" وآرائه.

الأكـــراد

كانت الأغلبية من أكراد العراق خلال عقد الستّينيّات قد إنحازت إلى الحركة التي كان "الملاّ مصطفى البارزاني" يقودها منذ شهر أيلول ١٩٦٠، وقد تسبّب القتال الذي زُجَّ فيه معظم فرق الجيش العراقي وقوّته الجوية في قتل الكثير من الأكراد وتشريد الآلاف من أهالي قرى المنطقة الشمالية من العراق وأريافها من مساكنهم، وحُرِمُوا من ممتلكاتهم وبساتينهم وحقولهم وأراضيهم التي عاشوا فيها أباً عن جدٍّ.

وعلى الرغم من إعلان وقف هشّ لإطلاق النار في المناطق الكردية بعد

١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ مباشرة، وذلك بعد الحملة الضخمة والقاسية التي شنّتها قوات الجيش العراقي هناك خلال بعض صيف وخريف العام نفسه.. إلاّ أن التوتر بين الجانبين ظلّ قائماً ومنذراً بعودتهما الى القتال... وذلك ما كان يُؤلِّب معظم الأكراد -إن لم نقل جميعهم- للتضادد مع شخص "عبد السلام عارف" ونظام حكمه.

ولكون الأكراد يشكّلون ما يقارب من سُدس سكان العراق في حينه، فإن نظام حكم "عبد السلام عارف" قد خسرهم، أو جعلهم غير مرتاحين لسياسته، ولا سيما بعد أن إندلع القتال مجدداً خلال شهر مايس/آيار/مايو ١٩٦٥.

البعثيّون

شكّل "البعثيّون" قوة سياسية مؤثّرة في الشارع العراقي منذ النصف الثاني من عقد الخمسينيّات... ولكن صيتهم ذاع بشكل ملحوظ إثر مناهضتهم لحكم "عبد الكريم قاسم" ومقاومتهم للشيوعيين الذين خطّطوا للإستحواذ على الحكم أواخر عام ١٩٥٨ وأوائل ١٩٥٩، حتى إرتبط إسم "البعث" بكل فئة أو كتلة تُناهض نظام "عبد الكريم قاسم"، وأمست الطبقة غير المثقّفة من الشيوعيين بشكل خاص، ومناصري ذلك النظام بشكل عام، يطلقون تسمية "بعثي" على كل شخص يناوئهم، سواءً في صحفهم أو هتافاتهم وشعاراتهم وأهازيجهم.

وعلى الرغم من مشاركة عدد غير قليل من ضباط الجيش والقوة الجوية من ذوي إتجاهات مختلفة ومن المنتمين إلى أحزاب وفئات وتكتّلات عديدة مناوئة لنظام حكم "عبد الكريم قاسم" في ثورة ١٤ رمضان/٨ شباط ١٩٦٣، وتنصيب "عبد السلام محمد عارف" رئيساً للجمهورية من دون أن يكون له دور فيها، إلاّ أن التخطيط للثورة وقيادتها والدور الريادي فيها كان لقادة حزب البعث العربي الإشتراكي الذي تسلّم الحكم وقاد الدولة عملياً طيلة فترة ناهزت (٩) أشهر، حتى حدثت خلافات كبيرة بين بعض أقطابه، وبشكل خاص بين جناحَيه المدني والعسكري، تصاعدت إلى إنشقاق خطير بين صفوفه في أواسط

شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، والذي كان يُنذر بإندلاع قتال في شوارع "بغداد" ومعسكراتها.... وإذْ لم يتوفّق كبار قادة البعث من القطر السوري، والذين حضروا بطائرة خاصة من "دمشق"، في تحقيق مصالحة بين المنشقّين، فقد إستثمر الرئيس "عبد السلام عارف" تلكم الخلافات ليستقطب حوله عدداً من أصدقائه ومحبّيه وبعض أقربائه ومقرّبيه، مستغلاً ذلك الإنشقاق والتحرّكات التي وقعت منذ يوم ١١ تشرين الثاني، وبمؤازرة كبرى من لدن ضباط "الكتلة القومية"* من ذوي المناصب المهمة في دوائر وزارة الدفاع والقوات المسلحة، وفضلاً عن عدد من القادة العسكريين البعثيين من ذوي المناصب العليا في النظام القائم نفسه، ليقوم صبيحة يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ بحركة إنقلابية ناجحة وسريعة، ويسيطر على نظام الحكم.

وبعد فترة وجيزة أبعَدَ "عبد السلام عارف" القادة البعثيين الذين أسندوه في حركته تلك، بينما إبتعد آخرون عن التعاون معه، إذْ صفا الجو السياسي له ولضباط "الكتلة القومية"... فعلى الرغم من تعيين "أحمد حسن البكر" رئيس الوزراء في حكومة البعث (٨ شباط/فبراير –١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣) نائباً لرئيس الجمهورية بعد نجاح حركة ١٨ تشرين، فإنه لم يمارس عمله في منصبه الجديد على الإطلاق، قبل أن يُعلِنَ إعتزاله عن العمل السياسي يوم ١٩٦٤/١/١٢ لينصرف الى حياته الخاصة وأمور عائلته**.

أما "زعيم/عميد الجو الركن حَردان عبد الغفار التكريتي" الذي عُيِّن وزيراً للدفاع ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة، وربما لولاه لما نجحت الحركة من حيث الأساس، فإنه لم يَبقَ في منصبه سوى شهرين... فقد حضر مع "عبد السلام عارف" إجتماعات مؤتمر القمة العربي الأول (١٢-١٨/١/١٩٦٤) حيث إفترق عنه في مطار "القاهرة" عند عودة الوفد العراقي الى "بغداد" يوم

* سنرد على بعض تفاصيل "الكتلة القومية" في الصفحات اللاحقة............"المؤلِّف".

** أعلن السيد "أحمد حسن البكر" ذلك في رسالة مقتضبة كتبها بخط يده، ونشرتها الصحف العراقية الصادرة في "بغداد" صبيحة يوم ١٩٦٤/١/١٢ ...."المؤلِّف".

١٩٦٤/١/١٩ ليغادرها بطائرة متوجّهة إلى "لندن"... وإنقطعت أخباره في الصحف العراقية حتى صدور مرسوم جمهوري يوم ١٩٦٤/٣/٣ بتعيينه "سفيراً في وزارة الخارجية" وإعفائه من منصب نائب القائد العام... فيما أُعفي "المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف" من منصب "وزير المواصلات" الذي شغله بعد نجاح حركة (١٨ تشرين) إذْ تم تعيينه كذلك "سفيراً في وزارة الخارجية".

إعتبر حزب البعث التحرّك الذي قام به "عبد السلام عارف" ليس إستغلالاً للظروف فحسب، بل غدراً وخيانة للعهد، وخنجراً في الظهر وإستحواذاً على كرسي الحكم... وأنه على الرغم من إطلاق سراح معظم الضباط والمدنيين البعثيين من المعتقلات بعد إنقضاء عدة أشهر، إلاّ أنهم أُبعِدوا عن المناصب الحساسة والصنوف المقاتلة في القوات المسلحة، من تلك التي قد يكون لها دور مؤثر في أية محاولة إنقلابية -وخصوصاً صنفَي الدروع والقوة الجوية- ونُقِلوا إلى مناطق نائية عن العاصمة "بغداد"، ليعملوا بصفة ((ضباط مشاة)) في وحدات مقاتلة.

ولما كانت تنظيمات حزب البعث متغلغلة في القوات المسلحة والعديد من دوائر الدولة ومؤسساتها والمنظمات الجماهيرية والكليات والمعاهد، فإن نظام حكم "عبد السلام عارف" كان يحسب للبعثيين حساباً كبيراً من خلال أعمال الأجهزة الأمنية، بل وكان قلقاً من إحتمال قيامهم بحركة إنقلابية خطيرة في أي يوم.

هذا، وقد كنتُ شخصياً أطّلع -فضولاً- على بعض التقارير اليومية أو سواها من تلك التي كان "مدير الأمن العام" و "مدير الإستخبارات العسكرية" يرفعانها أمام أنظار "رئيس الجمهورية" خلال تواجدي في "غرفة التشريفات" بالقصر الجمهوري في بعض الأيام، إذْ كان لنشاطات البعثيّين في عموم البلد أو القوات المسلحة حقل أكبر من باقي الأحزاب والفئات المعارضة للنظام.

الكتلة القومية

كانت هذه الكتلة تؤيّد سياسة الرئيس "جمال عبد الناصر" نصّاً وروحاً،

وتَتُوقُ بحرارة إلى الوحدة الفورية أو السريعة مع "الجمهورية العربية المتحدة"، وكان معظم أقطابها من بعض كبار الضباط ذوي المناصب المتقدمة والخطيرة في القوات المسلحة العراقية، ومن اللامعين والأذكياء والأوائل على دوراتهم، سواءً لدى تخرّجهم في الكلية العسكرية أو كلية الأركان، وقد إشترك العديد منهم بدورات طويلة الأمد نسبياً لدى مؤسسات عسكرية أجنبية، وشارك العديد منهم في ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، فيما خطّط معظمهم -إنْ لم نقل جميعهم- لتفجير ثورة ١٤ رمضان/٨ شباط ١٩٦٣ أو آزَروها فور وقوعها، وبذلك تبوّأوا مناصب مهمة نسبياً بعد نجاحها.

كانت هذه الكتلة مؤثرة بشكل خاص على الساحة السياسية العراقية، وذلك لتغلغل تنظيماتها في تشكيلات ووحدات القوات المسلحة وكثرة مؤيّديها إثر تعاظم الشعور الإيجابي في الشارع العراقي تجاه الرئيس "جمال عبد الناصر"، وكانت حكومة البعث التي قادت الدولة خلال عام ١٩٦٣ تحسب لها حساباً ملحوظاً.

وكانت الكتلة قريبة من شخص "عبد السلام عارف" كونَه يؤيد سياسة الرئيس "عبد الناصر" منذ عام ١٩٥٨ وينادي بالوحدة الفورية مع "ج ع م"، والذي على إثره إنشقّ عن "عبد الكريم قاسم" وحُوكِم وزُجّ به في السجن طيلة فترة قاربت ثلاث سنوات متتالية.

ولما حدث الإنشقاق المعروف في صفوف بعض قادة حزب البعث الحاكم خلال النصف الأول من شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣ -كما آنفنا ذكره- فقد إعتمد "عبد السلام عارف" بشكل كبير على هذه الكتلة للقيام باتخطيط لحركة ١٨ تشرين وتنفيذ تفاصيلها لتأمين السيطرة العسكرية على مدينة "بغداد" وضواحيها ومدن العراق المهمة... وبحكم هذه المشاركة الفعالة، فقد تم تعيين قادة هذه الكتلة في مناصب عليا ذات أهمية قصوى لتأمين إستقرار نظام الحكم.

وعلى إثر نصيحة جادة قدّمها الرئيس "عبد الناصر" الى الرئيس "عبد

السلام عارف" خلال زيارة الأخير للقاهرة بضرورة إعتماد أي رئيس أو زعيم دولة على كتلة من كبار ضباط القوات المسلحة تعاونه أو تُؤازره عند وقوع أية أزمة سياسية في بلده، وخصوصاً إنْ لم تكن الدولة مستقرّة، فقد طلب "عبد السلام عارف" من السيد "صبحي عبد الحميد"* شخصياً خلال شهر شباط/فبراير ١٩٦٤ الإبقاء على "الكتلة القومية" التي تألّفت قيادتها من السادة الآتية

---

* صبحي عبد الحميد:- ضابط عسكري محترف.. ولد في بغداد (١٩٢٤) من أب كان ضابطاً في الجيش العراقي برتبة (رئيس أول/رائد)..قُبلَ في الكلية العسكرية (١٩٤٥) وتخرج فيها برتبة ملازم ثان (١٩٤٨).. خدم في "الحرس الملكيّ" (١٩٤٨-١٩٥٣).. إشترك بدورة الأركان العراقية (١٩٥٣) وتخرج فيها بإمتياز (١٩٥٥) وحصل على قدم لمدة سنتين.. إلتحق بكلية الأركان البريطانية/كامبرلي (١٩٥٧) وعمل بعد عودته مدرساً في كلية الأركان العراقية (١٩٥٨-١٩٦٣).

إنتمى علي يد "المقدم رفعت الحاج سري" إلى منظمة الضباط الاحرار (١٩٥٢) برتبة "ملازم أول"، وبات عضواً في "الحلقة الوسطى" (١٩٥٧).. أُوقفَ بعد فشل "حركة العقيد الشواف" (١٩٥٩).. أصبح عضواً بارزاً في قيادة تنظيم الضباط الأحرار" (١٩٦٠).. إلتحق بالقائمين على ثورة (١٤ رمضان/٨ شباط ١٩٦٣) وعين بمنصب "مدير الحركات العسكرية" برتبة "مقدم ركن".. شارك في "ثورة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وتسنَّم منصب "وزير الخارجية" (١٩٦٣-١٩٦٤) ثم "وزير الداخلية" (١٩٦٤-١٩٦٥).. عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة (١٩٦٤-١٩٦٥).. إختلف مع "عبد السلام محمد عارف" وقدم إستقالته من جميع مناصبه (تموز ١٩٦٥) بما فيها عضويته في "مجلس الرئاسة المشترك" و"القيادة السياسية الموحدة" للعراق وج.ع.م.

كان عضواً في اللجنة التنفيذية للإتحاد الإشتراكي العربي (١٩٦٤-١٩٦٥)، وبعد إنهياره غدا أمين سر حزب الوحدة الإشتراكي (١٩٦٨).. أقام في "القاهرة (١٩٦٩)" وقرر ترك العمل السياسي (١٩٧٢) قبل أن يعود إلى "بغداد" (١٩٧٥).

وبحكم مناصبه العليا العديدة فقد شارك في جميع مؤتمرات القمة العربية ودول عدم الإنحياز، وإلتقى بمعظم زعماء الدول وقادتها.. وإجتمع بالرئيس "جمال عبد الناصر" أكثر من (٢٠) مرة، ونشأت بينهما وكذلك مع المُشير"عبد الحكيم عامر" علاقات مودة وصداقة عميقة.

كتب سلسلة من المقالات العسكرية، وأصدر (٣) كتب وعدداً من الكراسات... وألقى محاضرات مهمة لدى الجمعيات والمؤسسات... حصل على (١٠) أنواط وأوسمة.. ورد ذكره في جميع الكتب التي بحثت عن ثورتي (١٤ تموز ١٩٥٨) و(١٨ تشرين ١٩٦٣) و"عبد الكريم قاسم" وأوضاع العراق الجمهوري خلال عقد الستينيات... وهو مصدر مهم لمعظم طلبة الدراسات العليا التي تصبّ رسائلهم وأطاريحهم في تأريخ العراق المعاصر، وقد فتح بيته العامر لهذا الغرض منذ ثلاثة عقود ...."المؤلّف".

أسماؤهم، ولكن من دون أن يوافق "صبحي عبد الحميد" خلال عام (١٩٦٤) ولغاية شهره الأخير أن يُنتَخَب رئيساً لها *:-

١. العميد الركن عبد الكريم فرحان – وزير الثقافة والإرشاد.
٢. عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق – قائد القوة الجوية.
٣. العميد الركن محمد مجيد – معاون رئيس أركان الجيش.
٤. العميد نهاد فخري – مدير مخابرة الجيش.
٥. العقيد الركن صبحي عبد الحميد – وزير الخارجية، ثم الداخلية.
٦. العميد الركن محمد خالد – آمر اللواء المدرع السادس في معسكر "التاجي".
٧. العقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي – آمر الكلية العسكرية.
٨. العقيد الركن هادي خماس – مدير الإستخبارات العسكرية.
٩. العقيد الركن فيصل شَرهان العرس – مدير التدريب العسكري.
١٠. العقيد الركن عدنان أيوب صبري – سكرتير رئيس أركان الجيش.
١١. المقدم الركن رشيد محسن – مدير الأمن العام.
١٢. المقدم الركن فاروق صبري عبد القادر – معاون مدير الإستخبارات العسكرية.

وكان أكثر من (٢٠٠) ضابط شاب برتب مختلفة ومناصب متنوعة يتبعون هذه القيادة، وهم موزّعون ضمن تنظيمات خلايا على تشكيلات ووحدات الجيش والقوات المسلحة.

وإضافة لتلك المناصب المهمة التي تبوّأها قادة هذا التنظيم، فقد كان العديد منهم أعضاءً دائمين في "المجلس الوطني لقيادة الثورة" الذي تشكّل خلال شهر نيسان/أبريل ١٩٦٤ ليمثّل أعلى سلطة تشريعية في دولة العراق وحتى أيلول/سبتمبر ١٩٦٥.

ظلّت هذه الكتلة طيلة عام ١٩٦٤ الفئة السياسية – العسكرية المؤثرة

* سنرد على تفاصيل الخلافات وتلك الأزمات والمحاولة الإنقلابية في المباحث اللاحقة......"المؤلِّف".

الأعظم التي تُؤازر نظام حكم "عبد السلام عارف" من دون منازع... بل قوي مركزها بعد إنبثاق "الإتحاد الإشتراكي العربي" الذي تأسست تنظيماته الأساسية على يد هذه الكتلة... وتضاعف نفوذه بإسناد الرئيس "جمال عبد الناصر" لها معنوياً، إضافة إلى إحتمالات تحقيق الوحدة مع ج ع م، كما كان يبدو على السطح آنذاك.

ولكن الأمور كانت على غير ذلك في الخفاء ووراء الكواليس، فقد إختلفت "الكتلة القومية" مع الرئيس "عبد السلام عارف"، وأدّى تفاقم المشاكل بين الطرفين إلى تقديم إثنين من أبرز قادتها إستقالتهما من منصبَيهما الوزاريّين أواسط عام ١٩٦٥، والتي قادت إلى أزمة وزراية عقيمة ستؤدي إلى نقطة اللاعودة، بل و إلى قيام الكتلة بمحاولة إنقلابية أواسط شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٥.

ومن ضمن قادة الكتلة من الأعضاء الدائمين في "المجلس الوطني لقيادة الثورة" من ذوي التأثير والنفوذ في أمور الدولة والمجلس على السواء وقراراتهما المهمة، كان "الخُماسي" المؤلَّف من" عبد الكريم فرحان، عارف عبد الرزاق، محمد مجيد، صبحي عبد الحميد، وهادي خماس"، أولئك الذي أطلَق عليهم الرئيس "عبد السلام عارف" تسمية ((الشركة الخُماسية))* على سبيل المزاح.

وقد تسبّبت تلكم الخلافات والأزمات الى خسارة "عبد السلام عارف" لأكبر وأخطر فئة سياسية آزَرَته بقوة حوالي سنتَين من حكمه، بل وكسب عداءَها.

كان السيد "صبحي عبد الحميد" الزعيم الفعلي للكتلة المذكورة، حتى أمست

---

* الشركة الخماسية:- هي في الأصل شركة تجارية حكومية إندامجية، تأسست في القطر السوري عام (١٩٥٩) بعد حوالي سنة واحدة على قيام الوحدة بين"سوريا ومصر" وإنبثاق الجمهورية العربية المتحدة وتطبيق النهج الإشتراكي لديها. وقد تشكلت إثر إندماج (٥) شركات تجارية بعد تأميمها في شركة كبيرة واحدة.. وراقَ للرئيس" عبد السلام عارف" إطلاق هذه التسمية على الخماسي" المذكور لتكاتفهم دائماً في التصويت -إيجاباً أم سلباً- على مشاريع القرارات التي كان "المجلس الوطني لقيادة الثورة" يناقشها في إجتماعاته.........................."المؤلف" بالإستناد إلى توضيح السيد"صبحي عبد الحميد" ضمن المقابلات المشار إليها آنفاً.

التسمية المُشاعة لها في عموم الشارع العراقي وعموم القوات المسلحة ((كتلة صبحي عبد الحميد))* ... ولكن السيد "صبحي عبد الحميد" ذاته لم يكن ليرضى بذلك، إذْ لم يكن مؤمناً من حيث الأساس بإنتخاب رئيس يتزعّم الكتلة لإيمانه المبدئي بالقيادة الجماعية... ولمّا أصرّ- وقد أيّده "عبد الكريم فرحان" في هذا النهج المبدئي- قرّرت قيادة هذا التنظيم إنتخاب رئيس لها، فإجتمع قادتها الآخرون خلال شهر كانون أول/ديسمبر ١٩٦٤ وإنتخبوا "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" رئيساً لهم**.

كانت هذه الكتلة تعتبر نفسها – وهي على حقّ في ذلك- أنها هي التي أوصَلَت "عبد السلام محمد عارف" إلى سدّة الحكم الحقيقي من خلال قيادتها لحركة ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، بعد أن ظلّ مجرد رئيس جمهورية بالإسم خلال حكم حزب البعث (٨ شباط/فبراير- ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣)***.

مؤيِّدو شخص "عبد السلام عارف"

يبدو من مجريات الأحداث وتطورات الأمور بعد نجاح حركة (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣)، أن "عبد السلام محمد عارف" لم يشأ أن يكتفي بمؤازرة "الكتلة القومية" له كتنظيم سياسي-عسكري وحيد يمكن أن يتحكّم في أمور الدولة...

---

* طارق محمود شكري، فريق ركن متقاعد، المفتش العام للقوات المسلحة العراقية (١٩٨٣ – ١٩٨٥) مقابلة شخصية معه صباح يوم الأربعاء ١٩٩٧/٥/٢١ في دار سكناه......."المؤلِّف"

** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها ...."المؤلف".

*** عند قراءته لمتن مبيّضة هذا المبحث، أبدى السيد ناجي طالب (أربع) صفحات من ملحوظاته القيّمة، وأودعها لي-مشكوراً- يوم ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٥، ذاكراً في بعض سطورها :- ((أن أصل الصراع الذي كان دائراً في العراق منذ عام (١٩٥٨) لم يكن حول هذه القضية أو تلك، والتي كانت مجرد ذرائع وواجهات، إنما "التنافس على الزعامة" هو الذي كان "البذرة" التي ولّدت كل هذه المتاعب يومذاك، وتواصلت أوزارها حتى أوصلتنا الى ما نحن عليه منذ يوم ٢٠٠٣/٤/٩)).."المؤلِّف".

لذلك، فقد أوعز شخصياً إلى قادة آخرين بتأسيس "كتل عسكرية–سياسية" ضمن تشكيلات القوات المسلحة تعتمد الولاءات الشخصية أو العشائرية أو الإقليمية/المناطقية العراقية... فكان من ضمنها خلال عام (١٩٦٤) أن تم تأليف ما يأتي*:-

أولاً: كتلة شقيقه "اللواء عبد الرحمن عارف"

والذي كان يشغل منصب رئيس أركان الجيش وكالة**، وقد ضمّت كلاً من "المقدم الركن عبد الرزاق النايف" معاون مدير الإستخبارات العسكرية و"المقدم إبراهيم عبد الرحمن الداود" آمر فوج الحرس الجمهوري الثاني، وذلك قبل أن تنتقل ولاؤهما الى "العميد الركن عبد الغني محمد سعيد الراوي" قائد الفرقة الرابعة قبل تعيين الأخير وزيراً للزراعة يوم ١٦/٣/١٩٦٤ ثم سفيراً في وزارة الخارجية يوم (١٤/١١/١٩٦٤)... وقد إعتمدت هذه الكتلة ضباطاً ينتمون الى منطقة "الدُلَيم"***، ويرتبط أحدهم بالآخر بأصول عشائرية أو إقليمية.

ثانياً: كتلة "العقيد الركن بشير عبد الرزاق الطالب"

الذي شغل منصب آمر لواء الحرس الجمهوري طيلة عهد "عبد السلام عارف"، إذْ إعتمد على ضباط ينتمون الى لواء الموصل/محافظة نينوى حالياً... وهي التي تشكلت أساساً إبان عهد "عبد الكريم قاسم" عندما إجتمع العديد من الضباط الموصلّيّين وأقسموا اليمين على أن ينتقموا من الشيوعيين الذين أباحوا مدينتهم إثر فشل "حركة الشوّاف" يوم (٨/٣/١٩٥٩)... إذْ أمره "عبد السلام

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها ...."المؤلِّف"

** ظل اللواء عبد الرحمن عارف يشغل هذا المنصب "وكالة" لكونه لم يتخرج في كلية الأركان، إذْ ينص قانون وزارة الدفاع على ضرورة إشغال هذا المنصب من لدن ضابط تخرج في تلك الكلية ومُنِحَ لقب "ركن"......"المؤلف"

*** منطقة الدليم:- هي البقاع الواقعة في الغرب الأوسط من العراق، وقد أُطلقت عليها تسمية "لواء الدليم" قبل تبديلها الى "لواء الرمادي"، وتسمى منذ منذ أواسط السبعينيات بـ"محافظة الانبار" ومركزها "مدينة الرمادي"...... "المؤلف"

عارف" بإعادة تنظيم هذه الكتلة عام (١٩٦٤).... وقد ظلّ ولاؤها لشخص "اللواء الركن عبد العزيز العُقَيلي" وزير الدفاع اللاحق في حكومة السيد "عبد الرحمن البزّاز" والذي إعتبروه الأب الروحي لهذه الكتلة*.

ثالثاً: كتلة "العميد سعيد صليبي"

عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة وقائد موقع بغداد وآمر الإنضباط العسكري**، وقد إستندت هذه الكتلة إلى عدد من أصدقاء "سعيد صليبي" الشخصيين من الضباط الذين إنشقّوا على حزب البعث خلال ثورة ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣.

ولكن الكتل الثلاث المذكورات لم تكن لها قواعد شعبية، وربما لم تؤسس لها خلايا في عموم تشكيلات ووحدات الجيش والقوات المسلحة، إنما إعتمدت على أشخاص ذوي نفوذ ومناصب عسكرية مؤثرة داخل "بغداد" وضواحيها فحسب، ولكنها ربما إثَّرَ تحريكها للسيطرة على عموم "بغداد" في أواسط أيلول/سبتمبر ١٩٦٥، فقد أفشلت تلك المحاولة الإنقلابية التي عزمت "الكتلة القومية" بقيادة "عارف عبد الرزاق" الإقدام عليها، والتي سنأتي على تفاصيلها في مبحث لاحق.

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات نفسها........"المؤلف".

** يطلق معظم الجيوش العربية تسمية ((قائد الشرطة العسكرية)) على منصب ((آمر الانضباط العسكري)) المستخدم لدى الجيش العراقي.................. "المؤلف".

المبحث الثاني

عبد السلام عارف وإرهاصات الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة

ميثاق ١٧ نيسان/أبريل ١٩٦٣)

لم يكن "المُشير الركن عبد السلام محمد عارف" إثر نجاح ثورة (١٤ رمضان/٨ شباط ١٩٦٣) سوى شخصية مهمة إستثمره حزب البعث للسيطرة على مقاليد الحكم في العراق بجميع مفرداته، نظراً للشعبية التي إكتسبها هذا الرجل المعروف بشجاعته الفردية من جراء خلافاته الملحوظة مع "الزعيم عبد الكريم قاسم" ومثوله أمام المحكمة الخاصة وصدور الحكم عليه بالإعدام وبقاءه مسجوناً لفترة غير قصيرة، ناهيك عن الشعور العام الذي ساد العديد من شخوص العراقيين بأن لولاه لما حصلت (ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨)... ولم يكن منصبا "رئيس الجمهورية العراقية، والقائد العام للقوات المسلحة" اللذان تمتع بإشغالهما سوى منصبَين فخريين، لم يكن له فيها حَولٌ ولا قوة تُذكر.

لذلك، فإن "عبد السلام عارف" لم يُبدِ دوراً أو حراكاً مؤثّراً في التخطيط لميثاق (١٧ نيسان ١٩٦٣) أو عند إبرامه، بل أن رئيس الوزراء "أحمد حسن البكر" وأعضاء وزارته وقادة حزب البعث هم الذين ترأّسوا جميع مفاوضات ذلك الميثاق الذي نصّ على تأسيس دولة عربية سميت بـ"الجمهورية العربية المتحدة" لتضم كلاً من "مصر، العراق، سوريا".



الصورة (٥٢)

"عبد السلام عارف" (من اليمين وقوفاً) وإلى جانبه عبد الكريم قاسم



الصورة (٥٣)

عبد السلام محمد عارف بعد منحه منصب رئيس الجمهورية ورتبة "مشير ركن" وإلى جانبيه "أحمد حسن البكر" رئيس الوزراء و "الفريق طاهر يحيى" رئيس أركان الجيش، والى الخلف منهم "حردان عبد الغفار التكريتي -قائد القوة الجوية" وإلى الجنب منهم "المقدم الركن صبحي عبد الحميد -مدير الحركات العسكرية"... وباقي الوزراء.



الصورة (٥٤)

"عبد السلام محمد عارف" رئيس الجمهورية العراقية في مكتبه بالقصر الجمهوري عام ١٩٦٣



الصورة (٥٥)

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" متحدثاً مع رئيس مجلس قيادة الثورة السوري الفريق "أمين الحافظ" في دمشق يوم ٢ أيلول /سبتمبر ١٩٦٣

موت الميثاق في مهده

جرت المفاوضات سريعة، وكأنّ قادة البعث الحاكم في كل من "بغداد ودمشق" كانوا على عُجالة من أمرهم في هذا الشأن، ويبدو أن النيّات لم تكن صافية بشكل عام بين القيادتين السياسيّتين في كل من العاصمتَين حيال "القاهرة"، حيث لم تَمضِ سوى أيام على إعلان الميثاق حتى طفحت على السطوح بوادر خلافات عميقة تسبّبت في أن تغدو بنوده المسطّرة بعبارات مُتقَنة وطَموحة، مجرّد حبر على ورق، حين ظهرت على الصفحات الأولى من الصحف اليومية -الرسمية منها أو شبه الرسمية- في كل من العراق وسوريا من جهة، ومصر من جهة أخرى، مقالات إفتتاحية ودراسات لا تتضمّن سوى تهجّمات مُتقاذَفة يتبادلها كُتّابها، قبل أن تتصاعد سِراعاً نحو بيانات رسمية وعبارات شائنة أتت على ألسنة كبار المسؤولين والقادة، كل يقذف باللائمة على الطرف

الآخر دون إستحياء، حتى حلّ مساء يوم (٢٢تموز/يوليو ١٩٦٣) ليُلقي الرئيس "جمال عبد الناصر" -بعد نفاد صبره- خطاباً بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لثورة (٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢)، كانت العبارات التي تلفّظها بمثابة الإجهاز المُبرَم على ذلك الميثاق الذي لم يَطُلْ عمره سوى ثلاثة أشهر.



المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة

الصورة (٥٦)

الصورة الرسمية الوحيدة التي عُلقت في جميع دوائر الدولة لثلاث سنوات (١٩٦٣-١٩٦٦)



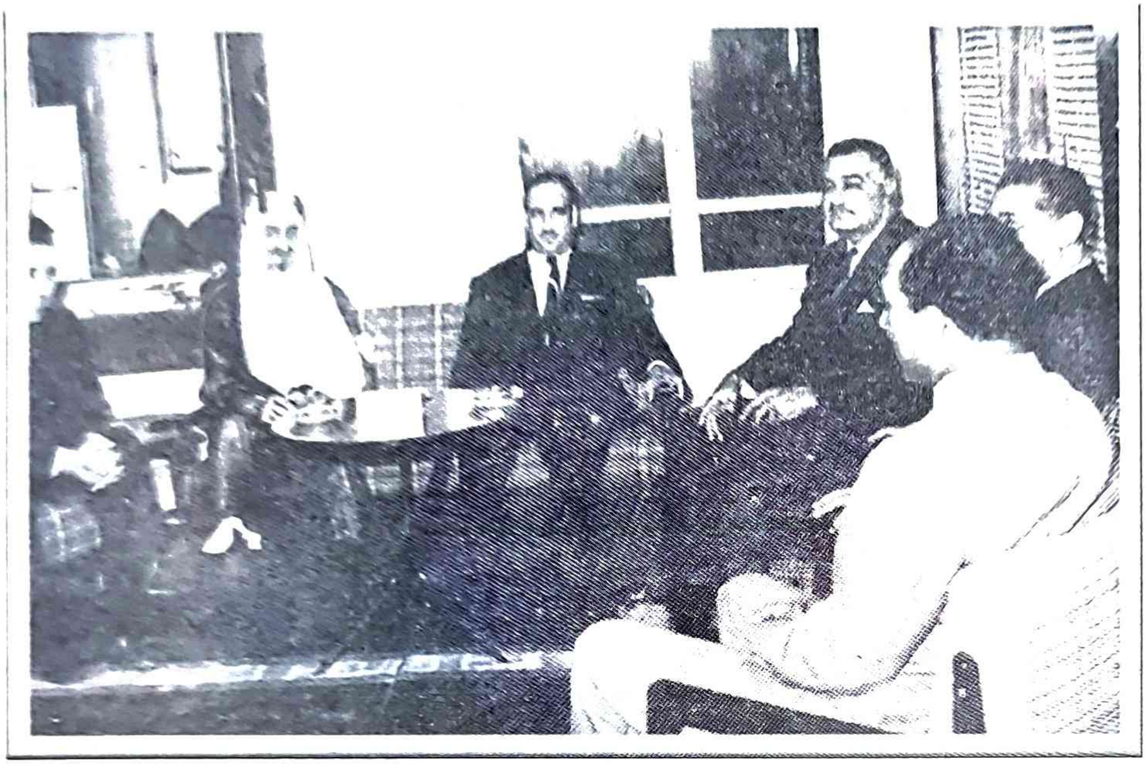
الصورة (٥٧)

السيد "صبحي عبد الحميد-وزير الخارجية"... المشير "عبد الحكيم عامر" النائب الأول لرئيس ج.ع.م.. الرئيس "عبد السلام محمد عارف". الفريق "طاهر يحيى" رئيس الوزراء خلال زيارة المشير "عامر" إلى العراق عام (١٩٦٤)



الصورة (٥٨)

الرؤساء العرب: "جمال عبد الناصر... الحبيب بورقيبة... أحمد بن بيللا... عبد السلام محمد عارف"



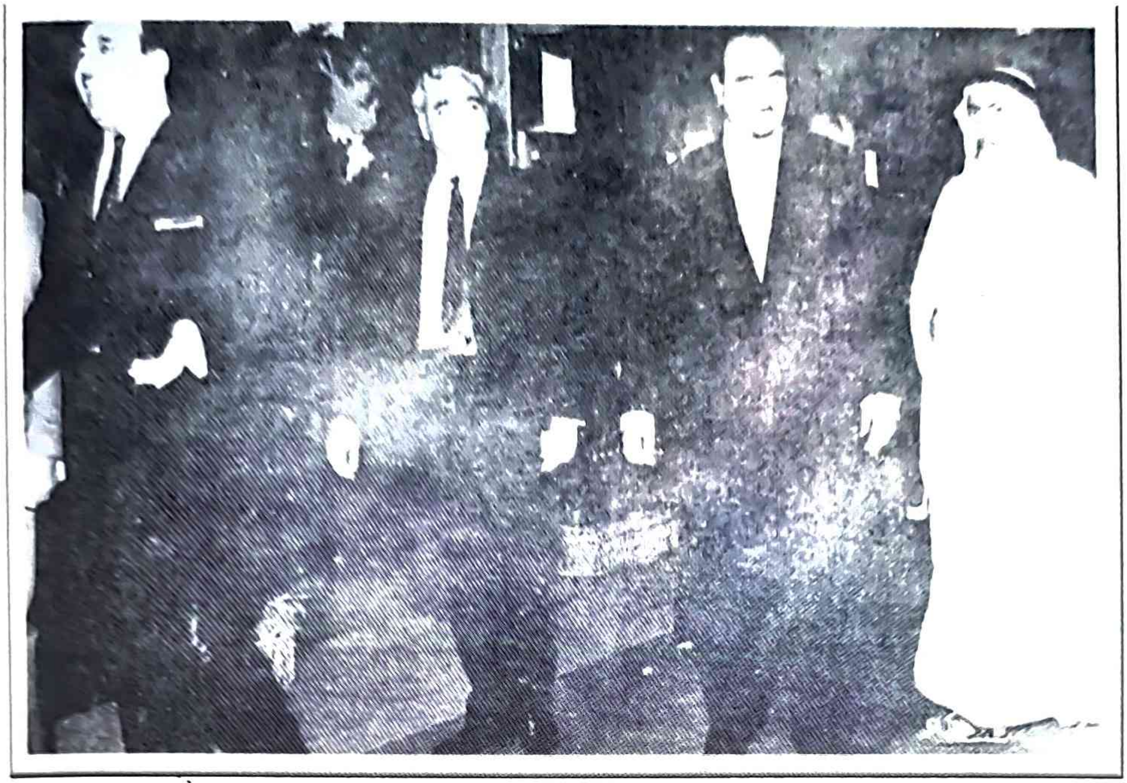
الصورة (٥٩)

جلسة على هامش مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة ١٩٦٤ تجمع الرئيس الجزائري "أحمد بن بيللا"... العاهل السعودي "الملك فيصل"... الرئيس "عبد السلام محمد عارف"... الرئيس "جمال عبد الناصر"... المشير "عبد الحكيم عامر"... السيد "أنور السادات"



الصورة (٦٠)

في الجلسة نفسها بالجناح الخاص للرئيس "عبد السلام عارف": المشير "عبد الحكيم عامر". الرئيس "جمال عبد الناصر. الرئيس "عبد السلام محمد عارف"... الملك "فيصل".



الصورة (٦١)

أمير الكويت "عبد الله السالم الصباح"... رئيس جمهورية اليمن "عبد الله السلال"... الرئيس السوري "أمين الحافظ" ... و"عبد السلام محمد عارف" في مؤتمر القمة العربي الأول بالقاهرة (١٩٦٤).

ثورة ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣)

عاش العراق ظرفاً عصيباً لا يُحسَد عليه، وسادته صراعات على السلطه بين قادة مليشيات الحرس القومي (البعثي) من جهة وبين قادة حزب البعث الحاكم من جهة أخرى، وقادة الجيش والقوات المسلحة العراقية من جهة ثالثة، فتفاقمت الأوضاع الأمنية بشكل يُنذِر نحو خوض حرب أهلية مُريعة خلال النصف الأول من شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣ ... ولم تضع الصراعات أوزارها حتى أقحم "عبد السلام عارف" ومؤيّدوه وحدات عديدة من الجيش العراقي لتحسم الأمور وفق خطة سريعة ومُتقَنة تم تنفيذها مع فجر يوم الإثنين (١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣)، إذْ سيطرت وحدات القوات المسلحة الرسمية على "بغداد" مُلغيةً وجود "الحرس القومي" لتستحوذ على مقاليد الحكم في عموم البلاد، وينبثق من جديد

"مجلس وطني لقيادة الثورة" برئاسة "عبد السلام محمد عارف"، في حين تشكّلت وزارة جديدة أُنيطت رئاسته إلى "الفريق طاهر يحيى التكريتي"، وكان من أهدافها المُعلَنة تحقيق الوحدة مع "القاهرة".

إتفاقية التنسيق السياسي (٢٦ آيار/ مايو١٩٦٤)

إلتفّت العناصر القومية، وخصوصاً الضباط القوميون -الذين كان لهم الدور الأساس في إنجاح (ثورة ١٨ تشرين)- حول "عبد السلام عارف" في منحى الوحدة مع مصر والتي طالما تمنّوها، فتوصّلت الوفود ذات المستويات الرفيعة المتبادلة بين القطرين لأشهر عديدة من عام (١٩٦٤)، إلى تحقيق أُولى أهم الخطوات العملية للسير نحو الوحدة المنشودة، متمثّلة بالتوقيع على "إتفاقية التنسيق السياسي" التي أُبرِمت بين العراق و"ج. م. ع" في القاهرة، حيث أمضى عليها الرئيسان "جمال عبد الناصر" و"عبد السلام محمد عارف"... وقضى أهم نصوصها على ما يأتي:-

أولاً: يشكَّل "مجلس رئاسة مشترك" لكل من ج. م. ع والجمهورية العراقية، من رئيسَي الدولتين وعدد من الأعضاء.

ثانياً: يجتمع "المجلس" مرة كل ثلاثة أشهر... وفي الحالات الضرورية، بإتفاق رئيسي الجمهوريتين.

ثالثاً: تكون "القاهرة" مقراً للمجلس... ويجوز دعوته للإنعقاد في مكان آخر بناءً على إتفاق الرئيسَين.

رابعاً: تعتبر قرارات المجلس إلزامية ونافذة بمجرد التصديق عليها، عدا تلك التي تحتاج إلى إستصدار قانون تنص عليه النظم الدستورية في كل من البلدين(*).

(*) الفقرات المدرجة تم نقلها عن: ((أمين هويدي:- كنتُ سفيراً في العراق (١٩٦٣-١٩٦٥)، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ٢١٧-٢١٨))................"المؤلف".



الصورة (٦٢)

في مؤتمر القمة العربية الأول بالقاهرة (١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٦٤)

الأمير "عبد الله السالم الصباح"... الرئيس "عبد السلام محمد عارف"... الرئيس "جمال عبد الناصر". "الملك فيصل بن عبد العزيز "



الصورة (٦٣)

الرؤساء والملوك العرب يستقبلون المدعوّين لحفل العشاء في مؤتمر القمة العربية (١٣ كانون الثاني/يناير ١٩٦٤)

"عبد السالم الصباح". "جمال عبد الناصر". "أحمد بن بيللا". "عبد السلام محمد عارف". "شارل الحلو". الملك الحسين بن طلال"

مجلس الرئاسة المشترك*

نصّت "إتفاقية التنسيق السياسي" الموقّعة بين العراق و ج.م.ع يوم (٢٦ مايس/مايو ١٩٦٤) -ضمن أمور أساسية أخرى ذكرناها آنفاً- على تشكيل مجلس أعلى للعمل من أجل إقامة الوحدة بين الجمهوريّتين سُمّي بـ"مجلس الرئاسة المشترك"، يُستَهدَف منه دراسة وتنفيذ الخطوات التي تؤدي الى تحقيق وحدتهما، ويرأسه رئيسا البلدين، ويتألف من (٣) أعضاء متفرّغين من كلا الجانبَين، يُضاف اليهم (٣) أعضاء آخرين غير متفرّغين من الحكومتين.

تم تسمية الأعضاء المتفرّغين، وأُعلنَتْ أسماؤهم رسمياً، إذْ خُصِّصَ لهم مبنىً متواضعاً في "القاهرة" حيث إستقروا في أروقته مدة ثلاثة أشهر متتالية. وهم السادة:-

من الجانب العراقي	من الجانب المصري
ناجي طالب	شَعراوي جمعة
أديب الجادر	كمال الدين الحنّاوي
عبد الستار علي الحسين	علي سيد علي

بينما تنسَّب السيد "فتحي الديب" أميناً عاماً للمجلس.

تضمّنت أوراق "مشروع اللائحة الداخلية" للمجلس المذكور فقرات وعبارات كانت طَموحة للغاية، وهي إن لم تكن مستحيلة التنفيذ، فقد كانت صعبة التطبيق من جميع النواحي العملية والواقعية، إذْ أشارت إلى أن "مجلس الرئاسة المشترك" يختص بما يأتي:-

أولاً. دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لإقامة الوحدة بين البلدين.

* المعلومات التي يتضمنها هذا العنوان مستقاة من المقابلات التي أجريتُها مع السيدين ((ناجي طالب وصبحي عبد الحميد))، إضافة إلى أوراق تحت عنوان "مشروع اللائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك" التي أهداها السيد "صبحي عبد الحميد" لي مشكوراً.... ((يُنظَر كذلك إلى الملاحق المرفقة بهذا الكتاب))..........................."المؤلِّف".

ثانياً. تخطيط وتنسيق سياسة البلدين في المجالات السياسية والعسكرية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية، وفي ميدان الإعلام.

ثالثاً. تحقيق الوحدة الفكرية بين شعبي ج.ع.م والعراق عن طريق التنظيمَين الشعبيَّين* في البلدَين، والعمل على توحيد التنظيمَين في المستقبل**.

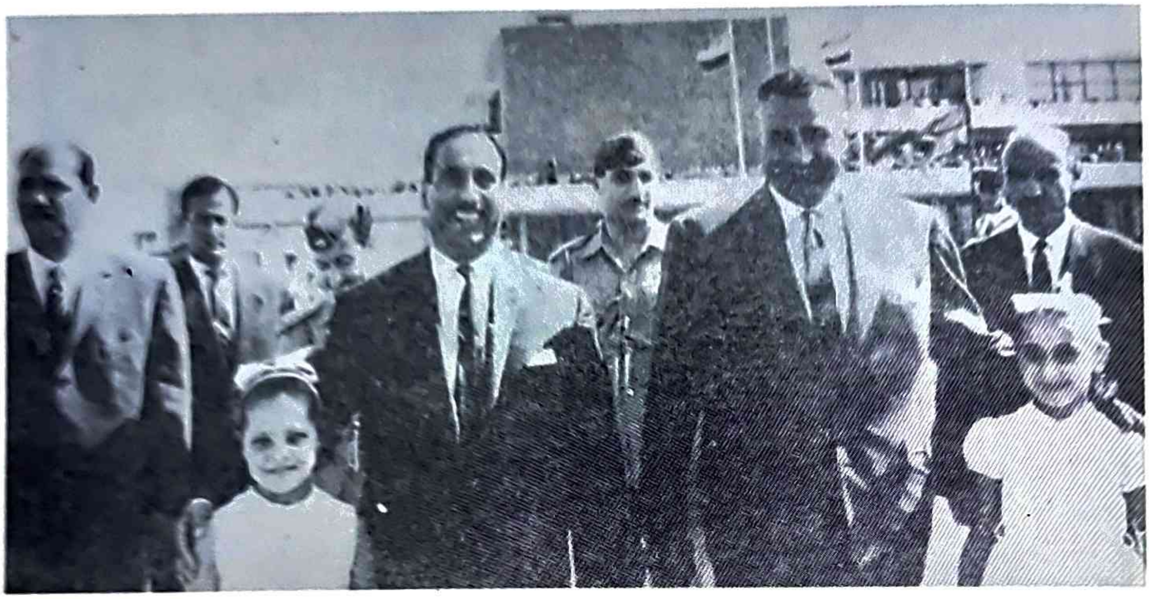


الصورة (٦٤)

"جمال عبد الناصر" و"عبد السلام محمد عارف" والى الخلف منهما وزيرا خارجيتهما "الدكتور أحمد فوزي والسيد صبحي عبد الحميد"

* المقصد بالتنظيمَين الشعبيَّين هو (الإتحاد الإشتراكي العربي) في العراق ومصر....."المؤلِّف".

** مشروع اللائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك، الباب الاول، المادة(٢).... يُنظَر للملاحق المرفقة بهذا الكتاب للاطلاع على التفاصيل............"المؤلِّف".



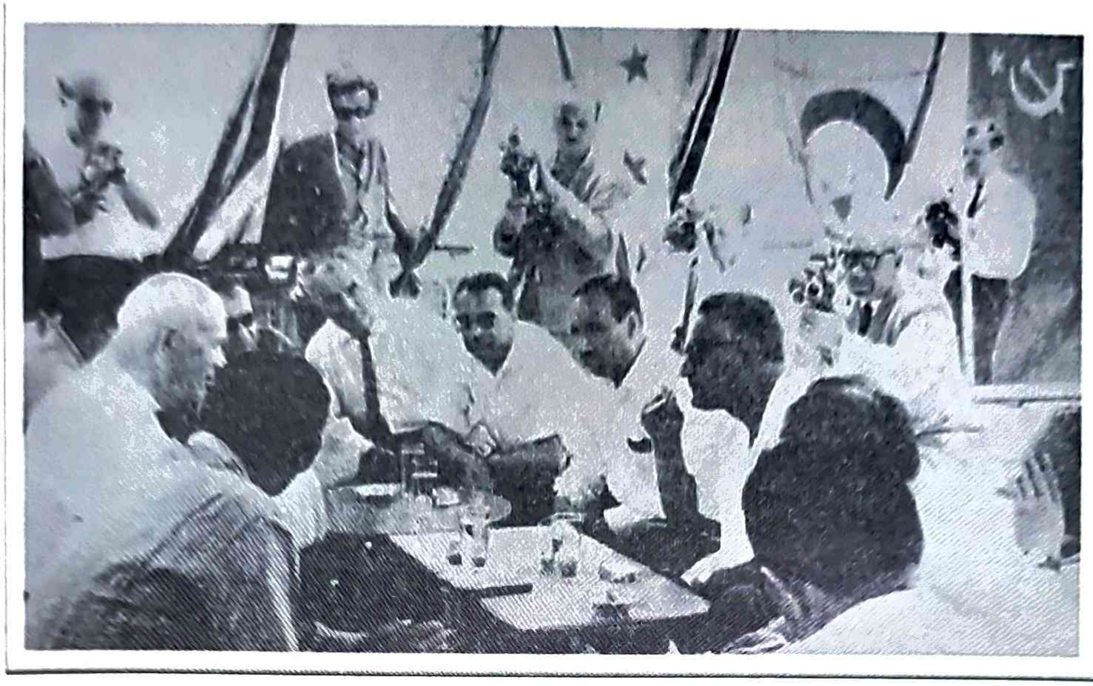
الصورة (٦٥)

الرئيس "جمال عبد الناصر" يودّع ضيفه "عبد السلام محمد عارف" في مطار "القاهرة" (٢٦ مايس/ مايو ١٩٦٤)



الصورة (٦٦)

الرئيس "جمال عبد الناصر"، فالزعيم السوفيتي "نيكيتا خروشوف"، و"الرئيس عبد السلام محمد عارف" لدى حضورهم حفل إفتتاح المرحلة الأولى للسد العالي (١٤ مايس/ مايو ١٩٦٤)



الصورة (٦٧)

على اليخت الرئاسي في مياه البحر الأحمر (١٥ مايس/مايو ١٩٦٤)

الرئيسان "جمال عبد الناصر "عبد السلام محمد عارف" والسيد "صبحي عبد الحميد" في محادثات مع الزعيم السوفييتي "نيكيتا خروتشوف"

التقارير التي رُفِعَتْ

بعد إنقضاء الأشهر الثلاثة المقررة للأعضاء المتفرّغين للمجلس لإنهاء عملهم. فقد قدّموا بعض الدراسات والافكار الفردية، والتي من خلالها قدّروا أنها قد تَفيد في تحقيق الغاية المرجوّة*، إذْ تضمّنت التقارير المدرجة عناوينها وكالآتي**:-

أولاً- "القيادة العسكرية"- للسيد ناجي طالب.

ثانياً- "اللجنة السياسية للمجلس"- للسيد عبد الستار علي الحسين.

ثالثاً- اللجنة الإقتصادية للمجلس"- للسيد أديب الجادر.

رابعاً- "لجنة الثقافة والإعلام للمجلس" - للسيد كمال الدين الحناوي.

---

* ناجي طالب:- المقابلات الشخصية نفسها .... "المؤلِّف".

** تقرير الأمين العام عن الإجراءات التي أُتُخذت منذ توقيع إتفاق (٢٦مايو/آيار١٩٦٤)... يُنظر بالملاحق المرفقة بهذا الكتاب للإطلاع على التفاصيل، والتي تُنشر -حسب معلوماتنا- للمرة الأولى........................ "المؤلِّف".

خامساً- "لجنة الفكر الإشتراكي العربي للمجلس" – للسيد شعراوي جمعة.

سادساً- "لجنة التنظيم الشعبي للمجلس"- للسيد علي سيد علي.

موقف "عبد السلام عارف"

إلاّ أن تلك الدراسات والتقارير لم تُبحَث ولم تُناقَش!!!!!!!!!! سواءً على صعيد "اللجان" التي لم تكن قد تشكّلت أصلاً، أو على صعيد "مجلس الرئاسة المشترك" نفسه* خلال إجتماعه الرسمي الأول الذي إنعقد في مدينة "الاسكندرية" يوم ١٤/٩/١٩٦٤، وذلك بُعَيدَ إنتهاء إجتماعات "مؤتمر القمة العربي الثاني" مباشرة... إذْ بدأ الرئيس "عبد السلام عارف" حديثه المُوجّه نحو الرئيس "جمال عبد الناصر"، رافعاً بين يديه تلكم الدراسات المفتوحة أوراقها أمامه، فأغلقَها قبل أن يقول:-

((سيادة الرئيس.. أنا لا أُريد دراسات وأوراق ومقترحات... أنا أُريد الوحدة))**.

وبذلك ذهَبَت جهود وعمل الأعضاء المتفرّغين لمجلس الرئاسة المشترك، والأموال التي صُرِفَت لأجلهم خلال الأشهر الثلاثة هباءً بعبارة واحدة أطلقَها الرئيس "عبد السلام عارف"، ممّا إنزعج منه أولئك الأعضاء كثيراً***.

موقف "الرئيس عبد الناصر"

إستدرك الرئيس "عبد الناصر" الموقف المفاجئ ليطرح سؤالاً محدّداً، طلب من خلاله أن يُبدي كل من في الإجتماع من الجانب المصري رأيه بصدد الوحدة بين القطرين، فدار ما يأتي:-

---

* ناجي طالب:- المقابلات الشخصية نفسها .... "المؤلِّف".

** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

*** يُنظَر بالتقارير المرفوعة في الملاحق المرفقة بهذا الكتاب، والتي تُنشَر -حسب معلوماتنا- للمرة الأولى.

أولاً- كان "أمين هويدي" سفير ج. ع. م. ببغداد -والعضو غير المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك- ضدّ قيام الوحدة مع العراق قبل أن تُحَلّ جميع مشاكل العراق القائمة في حينه ويُقدَم على تنفيذ الوحدة المزمعة.

ثانياً- كان "المشير عبد الحكيم عامر" النائب الأول لرئيس ج. ع. م. والسيد "شعراوي جمعة"، تماماً مع فكرة الوحدة.

ثالثاً- أما الآخرون، فقد داروا حول الموضوع من قريبٍ ومن بعيد، ولكن من دون أن يصرّحوا برأي واضح وجازم.

حينها تدَخَّل الرئيس "عبد الناصر"، ليقول:-

((أنه مُجازف، وهو معروف بالمجازفة، وعلى إستعداد أن يركب البحر مُجازفاً، ولكن تلك المجازفة يجب أن تكون محسوبة))... وقد قالها بالعبارة الانكليزية **Calculated Risk**"*.

وهنا بادر "المُشير عبد الحكيم عامر" قائلاً:-

((الوحدة بمثابة معركة طويلة ومصيرية ينبغي أن نخوضها، إذْ يجب أن تكون لها خطة متقنة، ولمّا كانت أية خطة بحاجة إلى "تقدير موقف" فإنه ليس مستعداً لإجراء ذلك "التقدير" بمفرده وشخصه، لذا فإن الواجب يقتضي مشاركة شخص آخر مسؤول من الجانب العراقي"**.

ويُضيف السيد "صبحي عبد الحميد" في هذا المجال قائلاً:-

((وهنا إرتأى الرئيس "عبد الناصر" أن أبقى في "القاهرة" لأُمثّل الجانب العراقي في إجراء "تقدير الموقف" بالمشاركة مع "عبد الحكيم عامر"... ولكن الرئيس "عبد السلام عارف" عارض ذلك لحاجته لي في الإعداد لمؤتمر "قمة دول عدم الإنحياز" والذي كان على وشك الإنعقاد في "القاهرة" بعد أقل من

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** المصدر نفسه.

شهر من ذلك اليوم، وعرض على الرئيس "عبد الناصر" أن يشترك الأعضاء العراقيون الثلاثة المتفرّغون في "مجلس الرئاسة المشترك" بإجرائه ما داموا هم أساساً مُقيمون في "مصر".... وقد تم الإتفاق على ذلك*)).

ولمّا إنفضّ الإجتماع على النحو الذي ذكرناه، قال الرئيس "عبد الناصر" للسيد "صبحي عبد الحميد" على إنفراد:-

((الرئيس عبد السلام عارف غير جاد في الوحدة، لذلك فإنه يتمنى أن يظلّ العراق من دون وحدة مع مصر... ولكن من الضروري أن يبقى قوياً ليتعاون معنا ويواصل حلّ مشاكله القائمة، إذْ أن وحدة الهدف بين البلدين الشقيقين وتضامنهما في هذه المرحلة يُعتَبَران أهم من الوحدة نفسها"**)).

ولكن، ومن الجانب الآخر للموضوع ذاته، فإن ((تقدير الموقف)) الذي إقترحه "المشير عبد الحكيم عامر" لم يَجْرِ مطلقاً، ولم يُستَدْعَ أي عضو عراقي متفرّغ مُقيم في "القاهرة" من أعضاء "مجلس الرئاسة المشترك" لإجرائه***.

وقُبيل إنعقاد مؤتمر "قمة دول عدم الإنحياز" في "القاهرة" خلال شهر تشرين أول/أكتوبر ١٩٦٤، دعا "المشير عامر" السيدَين "صبحي عبد الحميد" وزير الخارجية و"عبد الكريم فرحان" وزير الثقافة والإرشاد، والمتواجدَين في "القاهرة" الى مكتبه، ليقول لهما:-

((لا تضغطوا على الرئيس عبد السلام، فلقد توصّلنا إلى أن تحقيق الوحدة بين دولتَينا غير وراد بالوقت الحاضر، ولذلك سوف نقترح أسلوباً أفضل من مجلس الرئاسة المشترك"****))

ولم يكن ذلك ((الأسلوب الأفضل)) سوى تشكيل "القيادة السياسية الموحدة" للبلدين... فقد جلب الرئيس "عبد السلام عارف" مسوَّدة إتفاقيّتها

---

* المصدر نفسه.

** المصدر نفسه.

*** ناجي طالب: المقابلات نفسها.

**** صبحي عبد الحميد: المقابلات نفسها.

عند عودته من "القاهرة" يوم ١٩٦٤/١٠/١٦، إذْ أقرَّها "المجلس الوطني لقيادة الثورة" بإجماع الأصوات خلال إجتماع خاص عُقِدَ لمناقشة بنودها في "القصر الجمهوري" يوم ١٩ من الشهر نفسه*.

هذا، ولمّـا سمع الأعضاء العراقيون المتفرّغون في "مجلس الرئاسة المشترك" أن مجلسهم قد أُلغِي عملياً، على الرغم من عدم تبليغهم رسمياً بذلك، وعدم صدور بيان رسمي ينص على الإلغاء، فقد تركوا "القاهرة" عائدين الى "بغداد"**.

وزارة "طاهر يحيى" الثالثة

لم يَمضِ سوى شهر واحد على تشكيل "القيادة السياسية الموحدة" حتى كلَّف الرئيس "عبد السلام عارف" رئيس وزرائه "الفريق طاهر يحيى" بتشكيل وزارة جديدة برئاسته للمرة الثالثة على التوالي -خلال سنة واحدة منذ حركة تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣- وكان المُلاحظ فيها ما يأتي:-

أولاً- تنسيب (٣) حقائب وزارية إلى الأعضاء المتفرّغين السابقين في "مجلس الرئاسة المشترك" المَلغي... وحقيبة رابعة لسفير العراق في "القاهرة"***.

ثانياً- عدم ورود إسم "العميد رشيد مُصلح" -وزير الداخلية السابق والحاكم العسكري العام في العراق- ضمن الوزراء****.

ثالثاً- تغيير منصب السيد "صبحي عبد الحميد" من وزير الخارجية الى "الداخلية"*****.

---

* صحيفة "الجمهورية"، ١٩٦٤/١٠/٢٠، بغداد، العراق.

** ناجي طالب: المقابلات نفسها.

*** نقصد به السيد "شكري صالح زكي" والذي حلّ محلّه بعد حوالي شهرين من ذلك التأريخ "العميد المهندس رجب عبد المجيد" أحد أبرز الأشخاص في "تنظيم الضباط الأحرار" السري في العهد الملكي قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .... "المؤلِّف".

**** سنرد على نبذة عن السيد "رشيد مصلح" في صفحات لاحقة..........."المؤلِّف".

***** خلال صفحات لاحقة يشرح السيد "السيد صبحي عبد الحميد" أسباب هذا التغيير في منصبه................"المؤلِّف".

رابعاً- تسنّم "اللواء الركن ناجي طالب" -العضو المتفرغ السابق في "مجلس الرئاسة المشترك" الملغي- منصب "وزير الخارجية"*.

خامساً- تعيين وزير دفاع جديد، هو "اللواء الركن محسن حسين الحبيب".

سادساً- إحتفاظ "العميد الركن عبد الكريم فرحان" أحد الأعضاء المهمّين في "الكتلة القومية" المُنادية بالوحدة الفورية مع ج.ع.م بمنصب "وزير الثقافة والإرشاد".

سابعاً- تعيين السيد "فؤاد الركابي" وزيراً للشؤون البلدية والقروية، وهو أحد مؤسسي حزب البعث العربي الإشتراكي في العراق، والوزير السابق في الحكومة التي قادها هذا الحزب عام ١٩٦٣ ... إذْ تبيَّن أن توجّهه الجديد قد أمسى مع "الكتلة القومية".

هذا، وقد ورد في "كتاب التكليف" الذي وجّهه الرئيس "عبد السلام عارف" إلى "الفريق طاهر يحيى" أمور مهمة برزت على سطح السياسة في العراق للمرة الاولى، وهي**:-

أولاً- إعادة الحياة الدستورية، وقيام الحياة النيابية في العراق خلال مدة لا تتجاوز سنة واحدة.

ثانياً- الإسراع في إعادة إعمار شمالي العراق، وحلّ جميع القضايا المعلّقة الناجمة عن التمرّد القائم هناك، وبما يضمن الوحدة الوطنية***.

ثالثاً- إقامة "مجلس شورى الدولة" خلال شهر واحد.

* وكذلك سنأتي على أسباب هذا التكليف................ "المؤلِّف".

** صحيفة الجمهورية ليوم ١٩٦٤/١١/١٥، بغداد، العراق.

*** كان القتال في شمالي العراق قد توقف عملياً بعيد نجاح ثورة تشرين الثاني ١٩٦٣، قبل ان يتم اقرار ذلك رسمياً يوم ١٠ شباط ١٩٦٤.. ولكنه لا يلبث وان يعود مرة اخرى في نيسان ١٩٦٥ وبضراوة.."المؤلف".

رابعاً- الإهتمام ببناء الجيش والقوات المسلحة، وإبعادها عن السياسة كلّياً*.

خامساً. إنجاز ما يترتّب على ما ورد في "إتفاقية ١٩٦٤/١٠/١٦" الوحدوية**.

أما الوزراء، فقد كانوا السادة الآتية أسماؤهم:-

١- ناجي طالب – الخارجية.
٢- صبحي عبد الحميد- الداخلية.
٣- اللواء الركن محسن حسين الحبيب- الدفاع.
٤- عبد الكريم فرحان- الثقافة والغرشاد.
٥- محمد جواد العُبُوسي- المالية.
٦- عبد الستار علي الحسين – العدل.
٧- شكري صالح زكي- التربية.
٨- الدكتور عبد العزيز الوَتّاري- النفط.
٩- عزيز الحافظ- الإقتصاد.
١٠- الدكتور شامل السامرائي- الصحة.
١١- عبد الصاحب علوان- الإصلاح الزراعي.
١٢- عبد الفتاح الآلوسي- الأشغال والإسكان.
١٣- عبد المجيد سعيد- المواصلات.
١٤- أديب الجادر- الصناعة.
١٥- عبد الهادي الراوي- الزراعة.

* عبارة "إبعاد الجيش والقوات المسلحة عن السياسة كلياً" ستكون ضمن الاسباب المهمة في إبتعاد "الكتلة القومية" عن "عبد السلام عارف" وحدوث خلافات عميقة بينهما خلال الاشهر القادمة............."المؤلف".

** يقصد بها إتفاقية "القيادة السياسية الموحدة"، والتي سنأتي على تفاصيلها ضمن الصفحات اللاحقة................"المؤلف".

١٦- الدكتور عبد الحسن زلزلة- التخطيط.

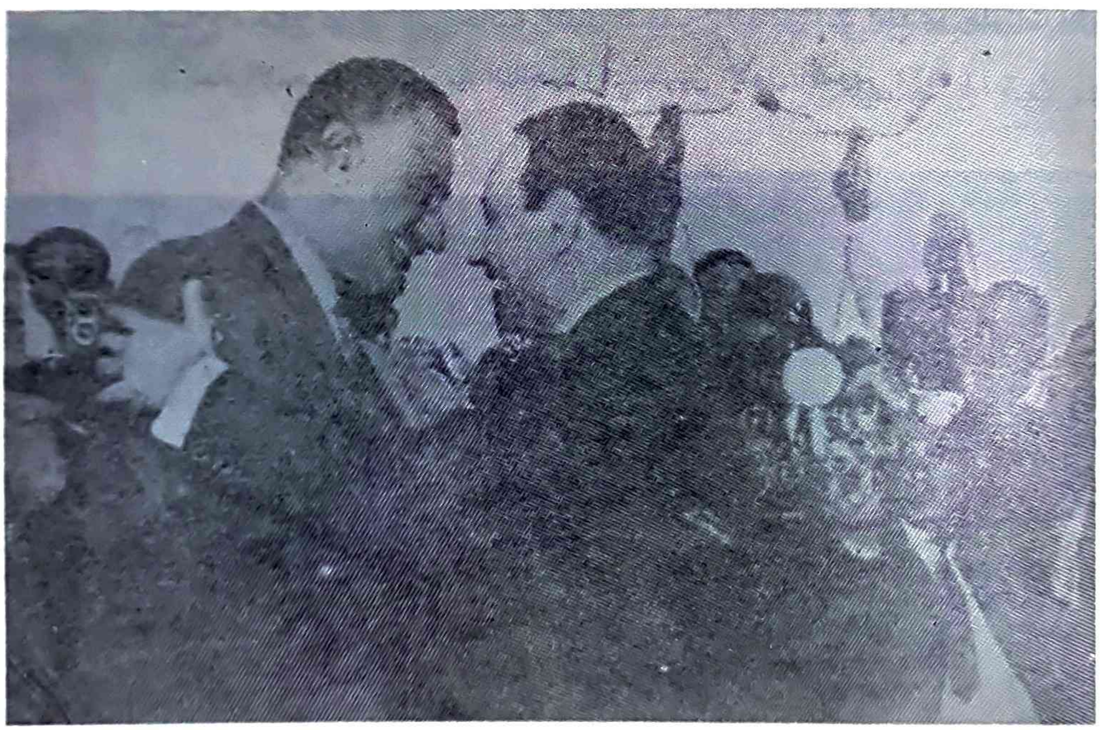
١٧- فؤاد الركابي- الشؤون البلدية والقروية.

١٨- عبد الكريم هاني- العمل والشؤون الإجتماعية.

١٩- مصلح النقشبندي-الاوقاف.

٢٠- الدكتور عبد الرزاق محي الدين- الوحدة.

٢١- مسعود محمد- وزيراً للدولة.



الصورة (٦٨)

الرئيس "عبد الناصر" يودّع ضيفه في مطار القاهرة (١٤ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٤) بعد إنتهاء إجتماعات مؤتمر القمة العربي الثاني ومجلس الرئاسة المشترك بين الجمهوريتين العراقية والعربية المتحدة



الصورة (٦٩)

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" إلى جانب "الملك الحسين الثاني" في إحدى جلسات مؤتمر دول عدم الإنحياز المنعقد في القاهرة (٤ تشرين الاول/أكتوبر ١٩٦٤)



الصورة (٧٠)

(من آرشيف الأستاذ صبحي عبد الحميد)

جلسة خاصة تجمع الرئيسين عبد السلام وعبد الناصر،،،،

فالسادة "صبحي عبد الحميد، المشير عبد الحكيم عامر، أنور السادات"

تقوّلات الشارع العراقي

أثار تغيير منصب السيد "صبحي عبد الحميد" من موقع "وزير الخارجية" إلى "وزير الداخلية" تقوّلات كثيرة في الشارع العراقي عن وجود خلافات وراء الكواليس بين "الكتلة القومية" التي كان يرأسها وبين رئيس الجمهورية، وذلك على الرغم من أن منصبه الجديد لا يَدنَى في أهميته عن سابقه في العراق أو في دول العالم الثالث بشكل خاص.

فقد زعم البعض في أقاويلهم أن "عبد السلام عارف" أراد أن يحرمه من أن يلتقي كثيراً بالرئيس "جمال عبد الناصر" من خلال زياراته العديدة والمتكررة -بحكم منصبه- إلى "القاهرة"، أو أثناء توقّفه فيها عند تنقّله الى عواصم عربية أو أفريقية أو أجنبية.

رأي السيد "صبحي عبد الحميد"

ولكن السيد "صبحي عبد الحميد" بشخصه ينفي أن يكون ذلك قد حدث بسبب خلاف في حينه بين كتلته القومية مع "عبد السلام عارف"، إذْ أوضح تفاصيل تغيير منصبه قائلاً* :-

((الحقيقة، أنني لم أكن راضياً في قرارة نفسي من ذلك التغيير، فقد كنتُ أميل الى منصب وزير الخارجية... ولكن ذلك لم يقع بسبب خلاف بيننا وبين "عبد السلام عارف"، وإنما لإجماع في آراء أعضاء "المجلس الوطني لقيادة الثورة" بضرورة إعفاء "العميد رشيد مُصلِح" من منصب وزير الداخلية، وذلك لعدم إيمانه المُطلَق، بل ومعارضته الشديدة للقرارات الإشتراكية التي أصدرتها قيادة الدولة وأعلنتها يوم ١٤ تموز ١٩٦٤ بل ومجاهرته في ذلك، إذْ أُعتُبر تصرّفه هذا غير مقبول بالمرّة... فـ"رشيد مصلح" كان عضواً في "المجلس الوطني لقيادة الثورة" من جهة ووزيراً للداخلية من جهة أخرى، ناهيك عن كونه حاكماً عسكرياً عاماً لعموم العراق... فهل يُعقَل أن لا يُؤمن صاحب جميع تلكم

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

المناصب المهمة جميعاً بقرارات أساسية وخطوات جادة تصدرها وتخطوها الدولة سيراً نحو الوحدة المزمعة مع ج. ع. م؟؟؟.. وقد كان بعض الأعضاء والوزراء ينتقدونه جَهراً، وفي مقدمتهم "العميد الركن عبد الكريم فرحان" وزير الثقافة والإرشاد الذي رفض بشدة منصب "وزير الداخلية" حينما عُرِضَ عليه، كي لا يُفَسَّر ذلك على أساس الخلاف القائم الذي حدث بينه وبين شخص "رشيد مصلح".

ولما تقرّر وجوب التغيير، عُرِضَ عليّ منصب "وزير الداخلية" فقبلتُه، بعد أن ألَحَّ الجميع على أن أتولاّه لأهميته في ذلك الوقت، بينما أُسنِدَ منصب وزير الخارجية إلى السيد "اللواء الركن ناجي طالب" الذي سبق وأن رفض منصب وزير الدفاع متذرِّعاً أنه سيبقى بين "المطرقة" المُتمثِّلة بشخص "عبد السلام عارف" القائد العام للقوات المسلحة، و"السندان" المتمثّل بأخيه "اللواء عبد الرحمن عارف "رئيس أركان الجيش وكالة، والذي كان "عبد السلام" يصرّ على ضرورة إستمراره في منصبه هذا.

وكان من بين جملة الأسباب التي حملت الجميع على الإصرار لأتولّى منصب وزارة الداخلية، كوني عسكرياً، وكونَهم يفضّلون أن يتسنّمه أحد الضباط من جهة، وذلك فضلاً عن عضويتي في اللجنة التنفيذية للإتحاد الإشتراكي العربي في العراق، إذْ كانوا يعتقدون أن أي وزير من خارج تلك اللجنة ربما سيصطدم باللجان الفرعية للإتحاد الإشتراكي العربي المنتشرة في عموم العراق، وقد يتسبّب ذلك في مشاكل لغير مصلحة البلد وتوجّهات الدولة.

القيادة السياسية الموحدة

في مساء يوم ١٩٦٤/١٢/٢٠ أُذيع بيان رسمي مشترك في كل من إذاعتي "بغداد والقاهرة" وهو يحمل نبأ مولد "القيادة السياسية الموحدة" للجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية لتمثّل أعلى سلطة سياسية لدى البلدين الشقيقين، وقد ضمّت

كلاً من السادة أدناه – من دون ذكر مناصبهم في القيادة المذكورة– ★:-

١- جمال عبد الناصر- رئيس ج.ع.م.

٢- عبد السلام محمد عارف – رئيس الجمهورية العراقية.

٣- المُشير عبد الحكيم عامر- النائب الأول لرئيس ج. ع.م. ونائب القائد العام للقوات المسلحة.

٤- الفريق طاهر يحيى- رئيس وزراء الجمهورية العراقية.

٥- زكريا محي الدين- نائب رئيس ج.ع.م.

٦- صبحي عبد الحميد- وزير داخلية الجمهورية العراقية.

٧- أنور السادات- رئيس مجلس الأمة في ج.ع.م.

٨- عبد الكريم فرحان- وزير الثقافة والإرشاد في الجمهورية العراقية.

٩- حسين الشافعي- نائب رئيس ج.ع.م.

١٠- عبد الستار علي الحسين- وزير العدل في الجمهورية العراقية.

١١- حسن إبراهيم- نائب رئيس ج.ع.م.

١٢- أديب الجادر- وزير الصناعة في الجمهورية العراقية.

١٣- علي صبري- رئيس وزراء ج.ع.م.

١٤- ناجي طالب- وزير خارجية الجمهورية العراقية.

١٥- د. نور الدين طرّاف- نائب رئيس وزراء ج.ع.م.

١٦- د. عبد الحسن زلزلة- وزير التخطيط في الجمهورية العراقية.

١٧- أحمد عبدُه الشَرْباحي- نائب رئيس وزراء ج.ع.م.

١٨- شكري صالح زكي- وزير التربية في الجمهورية العراقية.

١٩- كمال الدين رفعت – نائب رئيس وزراء ج.ع.م..

٢٠- محسن حسين الحبيب- وزير الدفاع في الجمهورية العراقية.

★ نقلاً عن جريدة الجمهورية، العدد ١٧١٥، ١٩٦٤/١٢/٢١، بغداد، العراق.

٢١- عباس رضوان- نائب رئيس وزراء ج.ع.م.

٢٢- د. عبد الرزاق محي الدين- وزير الوحدة في الجمهورية العراقية.

٢٣- د. عبد القادر حاتم- نائب رئيس وزراء ج.ع.م.

٢٤- سفير العراق في القاهرة*.

٢٥- سفير ج.ع.م في بغداد**.

"القيادة السياسية الموحدة" على أرض الواقع

على الرغم من تلك التسمية الرنّانة ((القيادة السياسية الموحدة)) وتأليفها من رئيسَي الدولتين وكبار المسؤولين التنفيذيين والتشريعيين لديهما. إنّ صحّ التعبير فيهما، فإنها ظلّت -في الواقع- مجرّد خطوة ((إعلانية)) ومن دون حراك عملي يُذكر طيلة حوالي (٥) أشهر من تأريخ تشكيلها، إذْ لم يَزُرْ أي من أعضائها الدولة المقابلة، ولم يصدر شي آخر بعد البيان المشترك يشير إلى تنفيذ الخطوات العملية اللازمة لتحقيق الوحدة المزمعة، أو غيرها من الأمور.

ويلخّص السيد "ناجي طالب"*** رأيه بصدد تشكيل كل من "مجلس الرئاسة المشترك" و"القيادة السياسية الموحدة" بما ياتي:-

أولاً- أن "مجلس الرئاسة المشترك" كان قد تألّف كجزء من إتفاقية "التنسيق السياسي" المُبرَمة بين العراق وج.ع.م. بتأريخ ٢٦ مايس/مايو ١٩٦٤ ... وكانت مهمته دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لإقامة وحدة متكاملة بين الدولتين.

---

* لم يُذكر إسما السفيرين كونهما عضوين دائمين في القيادة موضوع بحثنا، وأنهما سيبقيان كذلك حتى عند تبديل شخصيهما.. ومما يجدر ذكره أن السيد "أمين هويدي" كان خلال هذه الفترة سفير ج.ع.م. في العراق، بينما كان منصب سفير العراق في "القاهرة" شاغراً بعد تعيين السيد "شكري صالح زكي" وزيراً للتربية منذ أواسط شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٤، أي قبل حوالي شهر واحد من تشكيل هذه القيادة............................"المؤلّف".

** المصدر نفسه.

*** ناجي طالب: المقابلات الشخصية.

غير أن هذه الصيغة لم تكن مقبولة من وجهة نظر "الكتلة القومية" فحسب، بل هي في الأساس لم تكن وافية بإلتزامات تحقيق الوحدة مع ج.ع.م في أقرب فرصة ممكنة، وفقاً لما مدرج بالمادة الأولى من الدستور العراقي المؤقت.. ولذلك ظلّ قادة تلك الكتلة في ضغط مستمر على الرئيس "عبد السلام عارف" من أجل إقامة وحدة فورية أو مبكرة.

ولكن الضغط المذكور لم يتمخّض سوى عن تحقيق إتفاق شكلي، وذلك بإستبدال إتفاقية "التنسيق السياسي" بإتفاقية "القيادة السياسية الموحدة" مُضافاً إليها تحديد سقف زمني أمده "سنتان" لتحقيق حلم قيام وحدة دستورية بين العراق ومصر.

ثانياً- لم تكن عملية إقامة "وحدة دستورية" بين العراق و ج.ع.م. بالمهمة السهلة البسيطة، والتي يمكن إنجازها بين يوم وليلة -كما كان البعض يعتقد- بل أنها عملية بناء ضخمة ومعقّدة وطويلة، ولا سيّما إذا ما وضعنا نصب عينينا البُعد الجغرافي بين القطرين والآثار النفسية التي خيّمت على الأمة العربية يومذاك إثر عملية الإنفصال بين "سوريا ومصر" منذ أواخر عام (١٩٦١)، ناهيك عن الإختلافات الواضحة بين شعبَي العراق ومصر في نواحيها السياسية والثقافية والإقتصادية والإجتماعية والنفسية وغيرها.

ثالثاً- كانت فكرة تكوين "مجلس الرئاسة المشترك" وخطوة إستبداله بعد بضعة أشهر بـ"القيادة السياسية الموحدة" من بين محاولات قُصِدَ بها القيام بخطوات ونشاطات وأعمال وإجراءات مشتركة قد تمهِّد للوصول إلى صيغة عملية لإقامة "وحدة دستورية" متوازنة وناجحة في إطار الممكن والمفيد.

ولكننا لو عُدنا إلى نصوص اتفاقية تكوين "القيادة" المذكورة، وأمعنّا النظر في دراسة المهام والمسؤوليات التي أُوكلَت اليها، فإننا نجد أنها كانت ضخمة جداً وواسعة للغاية، وتستلزم إستحداث أجهزة مقتدرة وتكوين تنظيمات ومؤسسات عظيمة وذات إختصاصات متنوّعة ليكون بإقتدارها مجرد إجراء دراسات وبحوث مختلفة ومفصلة لدى القطرين لخدمة المتطلّبات العملية لدولة الوحدة

من الناحية الفعلية.... ناهيك عن الإجراءات والخطوات العملية الهائلة التي ينبغي الخوض فيها لتحقيق تلك الدراسات وتطبيق البحوث وتنفيذها.

رابعاً- أن الأجهزة والتشكيلات -التي سمّيت ضمن الإتفاقية بـ"اللجان المشتركة"- لم تُؤلَّف ابداً، لأن العملية الاساسية -ومنذ بداياتها- إصطدمت بصراعات وأحقاد داخل القيادة السياسية في الجانب العراقي... وتلك حالة لم تكن بالطبع لتشجّع على إقامة الوحدة، ولا حتى لمجرد بحثها أصلاً، كما أعتقد.

خامساً- ومما لا شك فيه، أن القيادة العراقية، حتى وإنْ كانت متّحدة الآراء فعلاً، ومنسجمة في شخوصها وتوجهاتها ونواياها ورؤاها، فإن عملية إقامة الوحدة الدستورية كان ولا بدّ أن تستغرق وقتاً طويلاً جداً، وذلك بسبب الواقع السياسي والإقتصادي والإجتماعي الذي كان القطران يعيشانه كلٌ على إنفراد.... ناهيك عن واقع ما يسمى بـ"الجيو بولوتيك" الذي يعني الإعتبارات السياسية والجغرافية والعسكرية الإقليمية والدولية، والتي آلت بعد أقل من ثلاث سنوات الى هزيمة العرب الساحقة في "حرب حزيران" التي وقعت عام ١٩٦٧.

الزيارة المرتقبة للرئيس "عبد الناصر" الى العراق

كانت زيارات الرئيس "عبد السلام عارف" للجمهورية العربية المتحدة ولقاءاته وإجتماعاته بالرئيس "جمال عبد الناصر" عديدة ومتتالية... فقد تواجد في "أرض الكنانة" خلال عام ١٩٦٣ مرّتين، وحضرها للمرة الثالثة خلال شهر كانون الثاني/يِناير ١٩٦٤ ليشارك في "مؤتمر القمة العربي الأول"، وللمرة الرابعة خلال شهر أيلول/سبتمبر من العام نفسه لحضور إجتماعات "مؤتمر القمة العربي الثاني" قبل أن ينعقد بعدها الإجتماع البِكر لـ"مجلس الرئاسة المشترك" للدولتين في "الإسكندرية"، وللمرة الخامسة أيام شهر تشرين أول/أكتوبر من العام نفسه ليحضر إجتماعات "مؤتمر قمة دول عدم الإنحياز".

وكان من المفترض دبلوماسياً أن يردّ الرئيس "جمال عبد الناصر" ولو زيارة واحدة للعراق مقابل الزيارات الخمس المذكورة، لا سيّما وأن الفئات القومية كانت

توّاقة لإستقبال الزعيم العربي الكبير في شوارع وساحات "بغداد" نظراً للشعبية الواسعة التي كان الرئيس المصري يتمتّع بها في العراق، هذا فضلاً عن وجود نصّ في إتفاقية "التنسيق السياسي" الصادرة يوم ٢٦ مايس/مايو ١٩٦٤، وكذلك في إتفاقية "القيادة السياسية الموحدة" المعلَنة يوم ١٦ تشرين أول/أكتوبر ١٩٦٤، وهما يشيران بوضوح إلى أن الإجتماعات المشتركة تنعقد مرة في "القاهرة" وأُخرى في "بغداد".

وبين فترة وأخرى، كانت صحف العراق تنشر على لسان وزير الثقافة والإرشاد "عبد الكريم فرحان"، ووزير الوحدة "الدكتور عبد الرزاق محي الدين"، ومن قبلهما "الدكتور شامل السامرائي" وزير الصحة، تصريحات عن زيارة قريبة سيقوم بها الرئيس "عبد الناصر" الى "بغداد"... بل وأنها نشرت يوم ٢٥ أيلول/سبتمبر ١٩٦٤ تصريحات لشخص الرئيس "عبد السلام عارف" عن تلك الزيارة المزمعة التي طال إنتظارها.

وخلال عام ١٩٦٤، وعلى الرغم من تبادل زيارات عديدة، تُعَدُّ بالعشرات، لمسؤولين ووفود عسكرية وحكومية وشعبية بين الدولتين، إلاّ أن أكبر مسؤول مصري زار العراق للمشاركة في إحتفالات تموز ١٩٦٤ كان نائب رئيس ج.ع.م. "السيد حسين الشافعي".

أثار تردّد الرئيس "عبد الناصر" وعدم إستجابته للدعوات المتكرّرة التي وُجِّهَت إليه بشكل رسمي، وعدم إيفائه لوعوده العديدة لزيارة العراق إمتعاض الرئيس "عبد السلام عارف" وإستياءَه، معتبراً تصرفه ذاك إستصغاراً لشخصه، إذْ قرّر عِدم القيام بزيارة سادسة الى "مصر" على الرغم من إعلان "القيادة السياسة الموحدة" رسمياً منذ يوم ١٩٦٤/١٠/٢٠، ورأى ضرورة عقد غجتماعها الأول -على الأقل- في "بغداد" بدلاً من "القاهرة".

ويبدو أن "القاهرة" قد أُشعرَت أو هي شعرت بذلك، في حين رأت "الكتلة القومية" في العراق -وهي المهتمة كثيراً بالوحدة مع ج.ع.م، بل والضاغطة على "عبد السلام عارف" بضرورة تحقيقها- أن إتفاقية "القيادة السياسية الموحدة" ما لم يتحقق إجتماعها الأول، أينما يُعقَد، فإنها ستبقى حبراً على أوراق، وبدأت تحاول إعادة ترغيب رئيس الجمهورية بالعدول عن رأيه وإصراره، والسفر على رأس الوفد العراقي في القيادة المذكورة إلى "القاهرة".. ولكن من دون جدوى.

ولغرض التوصّل إلى حل للإشكال القائم، أرسلت "القاهرة" مبعوثاً خاصاً إلى "بغداد" في زيارة لم يُعلَن عنها بشكل مطلق، تمثّل في ((رئيس جهاز مباحث أمن الدولة"*)) وذلك في أوائل أيام عام ١٩٦٥ للتباحث في زيارة الرئيس "عبد

---

* هذه الزيارة السرية كشف عنها السيد "صبحي عبد الحميد"، وذلك اثناء المقابلة التي أجريتها بحضوره مع السيد "ناجي طالب" في دار سكنى الأخير يوم ١٩٩٧/٧/٢، إذ لم تسعفه ذاكرته لكشف اسم رئيس جهاز المباحث المصري [أجرى "المؤلف" مقابلات مسهبة مع السيد "ناجي طالب" في الأيام (٧/٢، ٧/٢٢، ٨/١٥، ٩/٢٣) عام١٩٩٧].. وبعد حصولي على معلومات وفيره، فقد صقلّها سيادته شيئاً فشيئاً عندما تكررت زياراتي الشخصية لمقامه خلال الأعوام التالية ولغاية الإنتهاء من إعداد هذا الكتاب عام (٢٠٠٤) .... يُنظر كذلك تفاصيل حديث السيد ناجي طالب والتي كتب بعض صفحاتها بخط يده وتلك التي صححّها بقلمه" وهي مرفقة في نهاية هذا الكتاب............ "المؤلّف".

والأستاذ "ناجي طالب": [هو ناجي إبن الحاج طالب محمد علي... ولد عام (١٩١٧) في مدينة (الناصرية)، وأكمل فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة، قبل أن ينتقل إلى "بغداد" ليتخرج في الدراسة الثانوية... قُبل في الكلية العسكرية العراقية وتخرج برتبة "ملازم" (١٩٣٨)، وأُوفد إلى "إنكلترا" للدراسة في اكاديمية (وولج) (١٩٣٨-١٩٣٩) وإختار صنف (المدفعية).. شاركت وحدته في حركة (مايس ١٩٤١) وقاتلت البريطانيين في "الحبانية"... عيّن بمنصب "مرافق الملك فيصل الثاني" (١٩٤٤) قبل أن يشترك بدورة كلية الأركان العراقية (١٩٤٥-١٩٤٦)، وأُعيد إلى منصب "مرافق الملك"، (١٩٤٦).

عمل مدرساً في الكلية العسكرية (١٩٤٧) ثم في كلية الأركان (١٩٤٩)، وأُوفد إلى كلية الأركان البريطانية (كامبرلي) (١٩٥٠) وعاد مدرساً في كلية الأركان العراقية (١٩٥١).. عُيّن ملحقاً عسكرياً في (لندن) برتبة (عقيد ركن) (١٩٥٤)، وعاد إلى العراق (١٩٥٦) بمنصب "آمر مدرسة الضباط الأقدمين" قبل أن ينضم الى "قيادة حركة الضباط الأحرار" أواخر (١٩٥٦).. أصبح مديراً للتدريب العسكري (١٩٥٧)، وحال ترقيته إلى رتبة (زعيم/عميد ركن) نقل إلى منصب آمر لواء المشاة/١٥ وآمراً لموقع البصرة العسكري (١٩٥٨).

عندما قامت ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨) وقف إلى جانبها وأغلق الحدود والموانئ والمطارات، وكفل بحماية المنشآت النفطية، رافضاً تلقّي أوامر قائد الفرقة الأولى (اللواء الركن عمر علي) بشأن التصدي للحركة.

عيّن في أول وزارة شكّلت بعد الثورة بمنصب "وزير العمل والشؤون الاجتماعية" وإستقال يوم ١٩٥٩/٢/٢ لعدم إستجابة رئيس الوزراء "عبد الكريم قاسم" لافكاره لدرء الأخطار المحدقة بالبلاد... وغادر العراق وأقام في "فيينا" (١٩٥٩-١٩٦٢).

عيّن وزيراً للصناعة بعد ثورة (١٤ رمضان ١٩٦٣)، وإستقال من هذا المنصب إثر تفاقم أوضاع البلد يوم (١٩٦٣/١٠/٧).

بعد ثورة (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣)، وتوقيع إتفاقية الوحدة بين "العراق ومصر" عيّن عضواً متفرغاً في "مجلس الرئاسة المشترك" (١٩٦٤).. وأصبح عضواً في "القيادة السياسية الموحدة" للقطرين بحكم تولّيه منصب وزير الخارجية (١٩٦٤/١١/١٤) ولغاية إستقالته (١٩٦٥/٥/٩).

أُسند إليه رئاسة مجلس الوزراء (١٩٦٦/٨/٩) قبل أن يستقيل (١٩٦٧/٥/٩)، ويتفرغ للحياة مع اسرته لغاية يومنا هذا (٢٠٠٤/٧/٣١)، جاعلاً من دار سكناه ملاذاً للباحثين ومؤرّخي العراق المعاصر وطلبة الدراسات العليا من العراقيين وغيرهم من العرب والأجانب، وديواناً للمثقفين والأُدباء صباح كل يوم جمعة من كل أسبوع.] ...."المؤلّف".

الناصر" المرتقبة للعراق، ومدى إمكانية تأمين الحماية الشخصية له.. فإجتمع طويلاً مع مدير الأمن العام "المقدم الركن رشيد محسن" ومدير الإستخبارات العسكرية "المقدم الركن هادي خماس" -وكلاهما من أعضاء قيادة "الكتلة القومية"- قبل ان يبحث الموضوع مع "العميد سعيد صليبي" قائد موقع بغداد وآمر الإنضباط العسكري العام- لكونه المسؤول المباشر عن تحريك ونشر القوات المكلَّفة بحماية مدينة "بغداد" وضواحيها، ولأن أفراد "الإنضباط العسكري" هم أيضاً مسؤولون عن تطبيق جزء من "خطة أمن بغداد".

ومن غرائب الأقدار أن أولئك الثلاثة أوضحوا جميعاً أنه يصعب كثيراً تأمين سلامة الرئيس "عبد الناصر" في تلكم الظروف لسببَين أساسين... أوّلهما :- كثرة أعدائه وإحتمال وقوع محاولة تستهدف حياته.. وثانيهما :- كونه محبوباً وذا شعبية واسعة لدى جماهير العراق، إذْ لا يمكن معها العمل على منع أو تحديد إندفاعها وتقرّبها من موكبه أينما سار في "بغداد" أو مدن العراق الأخرى، حيث يمكن إستغلال ذلك الإندفاع ليَندَسّ أحد الأعداء ويتقرّب إليه ويحدث ما لا يُحمَد عقباه، فتخسر الأمة العربية شخص الرئيس "عبد الناصر"، ويخسر العراق سمعته*.

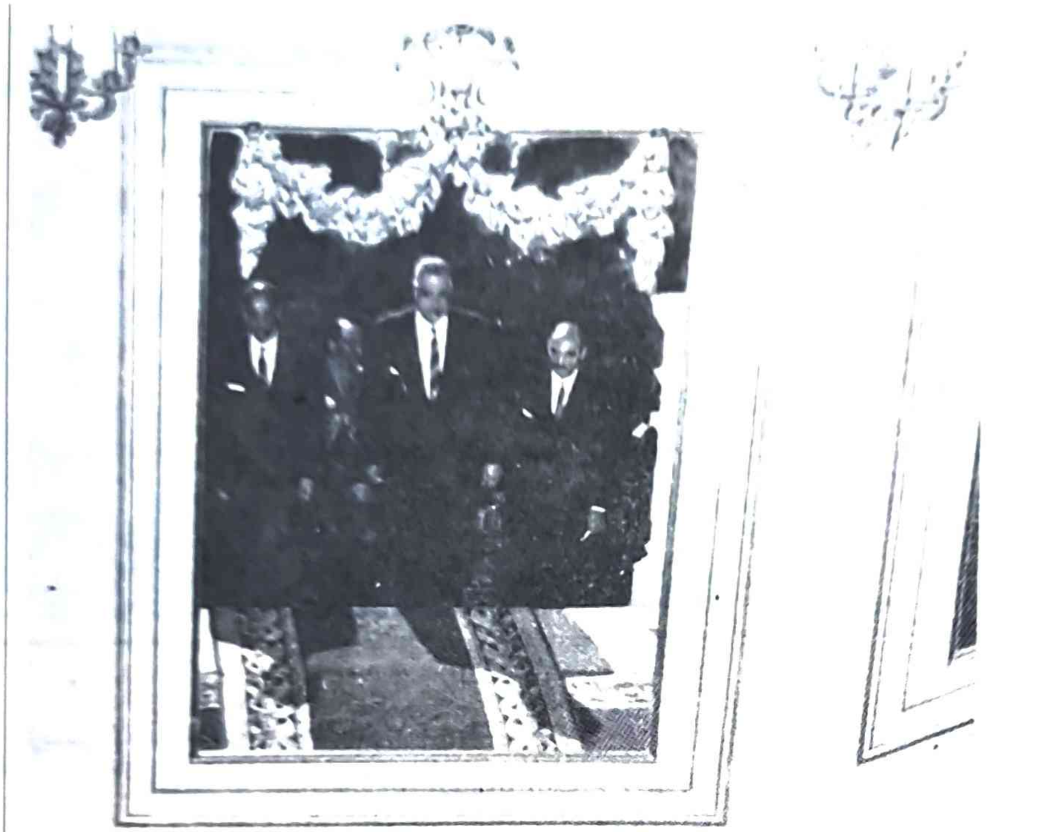
ولمّا كان السيد "صبحي عبد الحميد" يشغل في حينه منصب وزير الداخلية، وإذْ كان الامن الداخلي في العراق -ومن بينها أمن شخوص كبار المسؤولين- من مسؤولياته الكبرى، فقد حضر أمامه "مدير جهاز المباحث" المصري مع القادة العراقيين الثلاثة، وفي مكتبه الخاص، ليوضّحوا له الحقيقة المُرّة بعينها..... وبعد إجراء مناقشات مُسهبة توصّلوا جميعاً أن من الصعوبة بمكان تأمين سلامة الرئيس "عبد الناصر".

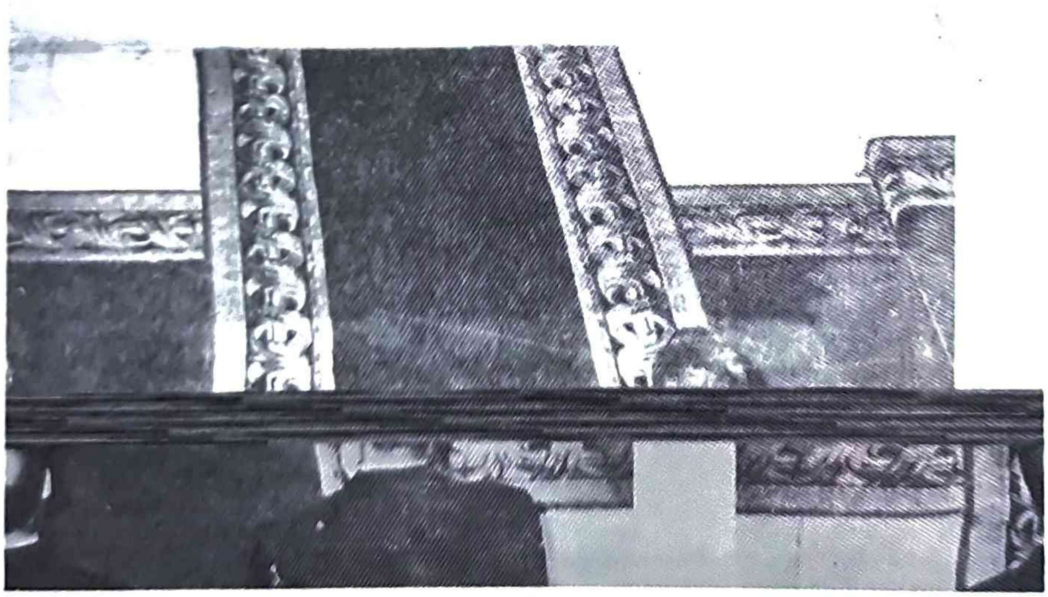
أمسى السيد "صبحي عبد الحميد" أمام موقف مُحرج للغاية، سواء لكونه وزيراً للداخلية، أو زعيماً لـ"الكتلة القومية" التوّاقة إلى تحقيق زيارة واحدة للرئيس "عبد الناصر" لأرض العراق، إضافة إلى محاولته الأساس للخروج من

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

أزمة عدم قبول الرئيس "عبد السلام عارف" للقيام بزيارة أخرى إلى "مصر" ما لم يَزُر الرئيس "عبد الناصر" العراق ولو لمرّة واحدة... ولكنه إضطر بحكم مسؤوليته أن يوضّح واقع الحال -ولو على مضض- أمام رئيس الوزراء "الفريق طاهر يحيى"، قبل أن يعرضه أمام رئيس الجمهورية، والذي بدوره سكت كذلك على مضض.

ولكن، وعلى الرغم من كل ذلك، أصرّت "الكتلة القومية" على ضرورة مواصلة "القيادة السياسية الموحدة" لإجتماعاتها في "القاهرة" كي يُبَرهِنَ "العراق" نفسه أنه سائر فعلاً على طريق الوحدة مع ج. ع. م، في حين لم يكن الرئيس "عبد السلام عارف" على قناعة تامة لإجراء زيارة أخرى إلى "القاهرة" بشكل مطلق... ولم يَبقَ أمام "الكتلة" سوى مواصلة إقناعه والضغط عليه في معظم إجتماعات المجلس الوطني لقيادة الثورة، حتى إضطر "عبد السلام عارف" على القيام بزيارة سادسة الى "مصر" أيام شهر آيار/مايو ١٩٦٥، أي بعد إنقضاء حوالي (٥) اشهر على إعلان تشكيل "القيادة السياسية الموحدة" رسمياً.





الصورة (٧١)

في طريقهما لحضور حفل عشاء في قصر عابدين بالقاهرة

الرئيسان جمال عبد الناصر" و"عبد السلام محمد عارف" يصعدان السلم (١٩٦٥)



الصورة (٧٢)

الرئيس "عبد السلام عارف" يتوسّط سفير العراق في القاهرة "السيد رجب عبد المجيد" متحدثاً الى "السيد عبد الحميد السراج"- الزعيم السوري المعروف المقيم في القاهرة (١٦ مايس/ مايو١٩٦٥)



الصورة (٧٣)

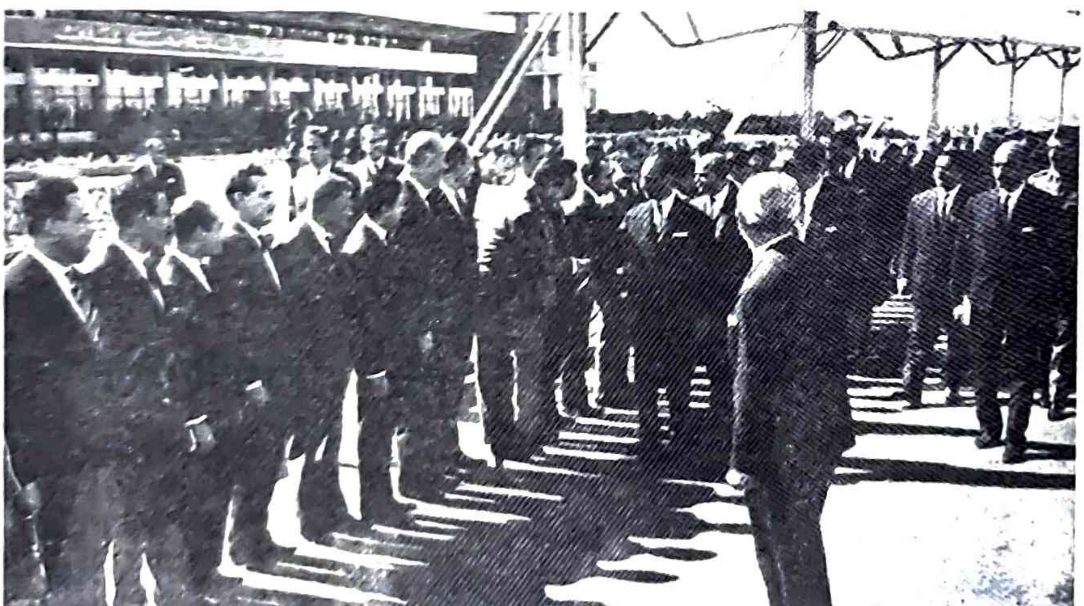
سيدات الجالية العراقية المقيمات في القاهرة يحطن بالرئيس "عبد السلام محمد عارف" بمبنى السفارة العراقية (١٦ مايس /مايو ١٩٦٥)



الصورة (٧٤)

في حديقة السفارة العراقية بـ(الزَمالك-القاهرة)

الرئيس عبد السلام محمد عارف مصافحاً السيد "صاحب ذهب" وقد أحاط به اعضاء السفارة والمدعوّون من الجامعة العربية



الصورة (٧٥)

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" مصافحاً الدكتور "خالد العِزّي" من بين مودّعيه في مطار القاهرة (١٧ مايس/ مايو ١٩٦٥)

المبحث الثالث

أزمة تموز ١٩٦٥ الوزارية

أزمة الثقة بين الكتلة القومية ورئيس الجمهورية

لم تكن مُمانعة "عبد السلام عارف" من زيارة "مصر" مرّة لاحقة لعقد إجتماع رسمي مشترك للقيادة السياسية الموحّدة بالأمر اليَتيم الذي أحدثَ خلافاً بينه وبين "الكتلة القومية"... إذ كانت هناك آراء متباينة وأفكار مُتضادّة وشكوك عديدة تسبّبت في إحداث أزمة ثقة بينهما، ترسّخت يوماً بعد يوم بين الرئيس من جهة وبين أعضاء متنفّذين ومُهَيمنين في "المجلس الوطني لقيادة الثورة"، وعدد من الوزراء المنتمين الى "الكتلة القومية"، وآخرين مؤيّدين لتوجّهات الكتلة نفسها من جهة أخرى.. وقد يمكن إعتبار النقاط الآتية من أهم الأمور المتراكمة التي أوقعت الطرفَين في تلك الأزمة:-

أولاً- كان "أوّل الغَيث" خلال شهر آذار/مارس ١٩٦٤، إذْ لم ينقَضِ سوى (٤) أشهر على نجاح حركة تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، حين طالبت "الكتلة القومية" الرئيس "عبد السلام عارف" بتشكيل "مجلس قيادة الثورة" ليصبح الحُكم جَماعياً في خطوة للحدّ من نزعته الفردية في الحكم، والتي بدأت تظهر على شخصه -حسب رؤية الكتلة- وتزداد يوماً بعد يوم، والذي لم يوافق "عبد السلام عارف" عليه إلاّ بعد ضغط شديد، واضعاً -بخط يده- في المادة (١٣) من قانون المجلس المذكور عبارات تمنحه صلاحيات إستثنائية لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد تلقائياً، حيث مارست "الكتلة" مجدّداً ضغطاً مُضافاً عليه منتصف شهر تموز ١٩٦٤، حتى إضطر "عبد السلام عارف" على إثْره إلى إلغاء

فقرة "التجديد التلقائي" لترؤّسه المجلس... ولكن من دون أن يستطيع "المجلس الوطني لقيادة الثورة" ردعَه من ممارسة الحكم الفردي... وبذلك إستمر الخلاف الذي كان قائماً بين الطرفين من حيث الأساس*.

ثانياً- الشكّ الذي ترسّخ لدى "الكتلة القومية" بأن الرئيس "عبد السلام عارف" غير جادّ في قرارة نفسه لتحقيق الوحدة مع ج.ع.م حبّاً لكرسي الحكم الذي بات يهواه ويعشقه، على الرغم من تظاهره في إتخاذ خطوات الوحدة لأسباب عديدة أهمها**:-

(١) أنه نادى بالوحدة الفورية بُعيدَ إنبثاق ثورة ١٤ تموز (١٩٥٨). تلك التي جلبت على شخصه مشاكل كبرى قُدِّمَ على إثْرِها للمحاكمة أواخر عام ١٩٥٨، إذْ حُكِمَ عليه بالإعدام في أوائل عام (١٩٥٩)، فلم يكن بإستطاعته التخلّي جهاراً عن شعارات الوحدة حين أمسى بمنصب رئيس الجمهورية.

(٢) الضغط الشعبي المتعاظم والإلحاح الشديد من لدن معظم أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة وتنظيمات الإتحاد الإشتراكي وعموم الضبّاط القوميين، والذي كان واقعاً على شخصه بعد نجاح ثورة ١٨ تشرين الثاني (١٩٦٣).

(٣) محاولاته الحثيثة للإبقاء على علاقة جيدة مع "مصر"، لكون محور "القاهرة-بغداد" يعني التحكّم والسيطرة على سياسات الأقطار العربية الأخرى، إذْ يُعتَبَر قوّة للعرب جميعاً... ولكن ذلك لم يكن حبّاً منه للوحدة وإيماناً بها، بل كانت لتحقيق مصلحة شخصية لإستقرار نظام حكمه، ليس إلاّ.

(٤) كون "الوحدة العربية" عقيدة راسخة في صميمه منذ الصبا... ولكنه أمسى يحلم أن يكون هو رئيساً لدولة الوحدة، أو يبقى رئيساً على العراق -على الأقل- في ظلّ الإتفاقيات الوحدوية التي عقدها مع "القاهرة".

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** المصدر نفسه.

ويُضيف السيد "صبحي عبد الحميد" إلى رؤيته الشخصية نحو الرئيس "عبد السلام عارف":- أنه "كان ظاهرياً متحمّساً للوحدة مع مصر، ولكنه كان يعمل في الخفاء ومن خلال أحاديثه الخاصة ضدّها".. وأن من دلائل عدم جدّية "عبد السلام عارف" في تحقيقها، أنه في إحدى زياراته الى "القاهرة" إلتقى بالجالية العراقية هناك في مبنى السفارة العراقية، حيث تفوّه بعبارات طويلة قارَنَ من خلالها الأوضاع الإقتصادية لدى البلدين، مُشيراً إلى أسعار المواد الغذائية واللحوم واللوازم الإستهلاكية فيهما، ومن دون أن ينتبه، أو يتوقّع، وصول مثل تلكم الأقوال والطروحات والمقارنات إلى أسماع قادة ج.ع.م. في حينه*.

ويؤيّد السيد "ناجي طالب" تلك الحقيقة، حين يقول:-

((كان الرئيس عبد السلام عارف واقعاً تحت ضغط قادة الكتلة القومية في العراق بالإسراع لتحقيق الوحدة مع ج.ع.م.، ولكنه لم يكن متحمِّساً لها بخلاف ما كان عليه الأمر-في الظاهر على الأقل- بُعيد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨"**))..

ولكنه يُضيف إلى ذلك:- ((أما الرئيس جمال عبد الناصر"، فقد كان حَذِراً، بل ومُتخَوِّفاً من الإسراع في تحقيق الوحدة مع العراق لأسباب عديدة، قد يكون أهمها:-

(١) فشل تجربة الوحدة مع القطر السوري، والتي قامت يوم ١٩٥٨/٢/٢١، وأُجْهِضَتْ في ١٩٦١/٩/٢٨.

(٢) الأوضاع السياسية غير المستقرة في العراق منذ عام (١٩٥٨) ولسنوات عديدة متتالية، بل ولغاية تلكم الأيام.

(٣) البُعد الجغرافي الفاصل بين العراق ومصر، وكون قادة الأقطار العربية

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها، وبحضور السيد "صبحي عبد الحميد"... يُنظَر الملاحق المرفقة بهذا الكتاب التي تحتوي صفحات على شكل نماذج لحديثيهما المُسهَبَين.....المؤلِّف

التي تفصل بينهما من المُناهضين لتلك الوحدة، ناهيك عن (إسرائيل)"*)).

ويرى السيد **"ناجي طالب"** كذلك أن الحماس لوحده لا يكفي لتحقيق وحدة بين بلدين... ففي العراق، ولدى "الكتلة القومية" خصوصاً كان الحماس متوفّراً، بل وشديداً جداً، وذلك على خلاف الجانب المصري الذي لم يتوفّر لديه الحماس ذاته.

ولكن السيد "صبحي عبد الحميد" لا يؤيّد ذلك، إذْ يقول:- ((أن القيادة في "القاهرة" كانت تتحجّج في حينها، مرّة بالمشاكل الداخلية القائمة في العراق، وأُخرى بالحاجز الجغرافي بين القطرين، وذلك بعد أن لَمَسَت أن الرئيس "عبد السلام عارف" أمسى يتحدث عن الوحدة دون إبداء رغبة صادقة في تحقيقها، إذْ كانت تُلمِّح لنا بين فترة وأُخرى بعدم رغبة رئيس العراق في إتمامها... وأننا على الرغم من كل ذلك، فقد كان إيماننا راسخاً بأن الرئيس عبد السلام عارف لو كان جاداً، ولم يكن قد إنبهر بحلاوة كرسي الرئاسة، لتَخَطّتْ مصر كل العوائق وحقّقت الوحدة"**)).

ولا ينكر السيد "صبحي عبد الحميد" في هذا الشأن، من أن الرئيس "عبد الناصر" كان حذراً من فشل تجربة وحدة ثانية تتم مع العراق، بعد فشل تجربته الأولى مع "سوريا"، والتي لم تَدُمْ سوى أقل من (ثلاث) سنوات، ناهيك عن الحاجز الجغرافي الفاصل بين العراق ومصر الذي يشكل عاملاً سلبياً مُضافاً***.

ويُبدي السيد "هادي خماس"**** رأيه حول موضوع بحثنا، إذْ يقول:-

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

*** المصدر نفسه.

**** هادي خماس:- عقيد ركن متقاعد-مدير الإستخبارات العسكرية وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣-أيلول/سبتمبر ١٩٦٥)، وأحد قادة "الكتلة القومية".. مقابلتان شخصيتان معه يومي الثلاثاء ٦/١٧ والسبت ١٩٩٧/٦/٢٨ في دار سكناه بـ"حي اليرموك"، بغداد... يُنظَر كذلك للأجوبة التي كتبها بخط يده على أسئلة المؤلِّف في الملاحق المرفقة"........................"المؤلف".

((كان الرئيس عبد السلام عارف وحدوياً بكلامه وليس بفعله... وحدوياً في أقواله وتصريحاته، ومُحبّاً في الظاهر للرئيس "جمال عبد الناصر".. ولكن الحقيقة المؤسفة أنه كان إقليمياً ومتمسّكاً بكرسي حكمه، ومعارضاً للوحدة")).

ويقول السيد "ناجي طالب" في الشأن نفسه، أن الرئيس "عبد الناصر" كان يَكُنُّ حباً وإحتراماً شخصياً للرئيس "عبد السلام"، مُدركاً تماماً مدى الحَرَج الذي يتعرَّض له بإصرار "الكتلة القومية" لتحقيق وحدة فورية أو سريعة مع "مصر".. ولما كان الرئيس "عبد الناصر" مُقتنعاً ومُؤمناً أن بلوغ هذا الهدف لم يَحنْ أوانُه بعد، فقد أعلن وبصراحة أن الطرفين، وفي تلك المرحلة بالذات، ينبغي أن لا يُقَدِّما للأعداء هدفاً مادياً يستطيعون تدميره، ألاَ وهو دولة الوحدة، أو الوحدة الدستورية.. بل عليهما أن يضعا أمامهما هدفاً لا يستطيع خصومهما النَيل منه، فكان "وحدة العمل العربي" التي ظلّ ينادي بها "الرئيس عبد الناصر" في تلك المرحلة وما تلاها من سنوات وحتى وافاه الأجل عام ١٩٧٠ *.

ثالثاً- سماع السيد "صبحي عبد الحميد" من شخص الرئيس "عبد الناصر"، بعد إجتماع رسمي للجانبين في "مجلس الرئاسة المشترك" خلال شهر تشرين أول/أكتوبر ١٩٦٤، بأن الرئيس "عبد السلام عارف" غير جادّ في موضوع الوحدة، لذلك فإنه -أي الرئيس عبد الناصر- يتمنى أن يبقى "العراق" دون وحدة، ولكنه من الضرورة بمكان أن يظل قوياً ليحلّ مشاكله القائمة ويستمر في تعاونه القائم مع ج. ع. م، إذْ أن وحدة الهدف بين القطرين الشقيقين وتضامُنِهما في هذه المرحلة أهم بكثير من تحقيق الوحدة نفسها **.

ومن البديهي أن يتأثر السيد "صبحي عبد الحميد" سَلباً بتلكم العبارات، وهو المُعجَب والشَغوف بتوجّهات شخص الرئيس "جمال عبد الناصر" وآرائه السياسية وأهدافه الإستراتيجية، وأن ينقل رأيه الى أعضاء قيادة كتلته القومية حينما عاد الى "بغداد"، ومن الطبيعي أيضاً أن يتَوجَّس أولئك من ذلك الطرح...

---

* ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها.

** المصدر نفسه.

ولمّا كان العديد منهم أعضاء دائمين في "المجلس الوطني لقيادة الثورة"، ناهيك عن مناصبهم الخطيرة في الدولة وقوّاتها المسلّحة، فإن توجّسهم قد أضاف آثاراً سلبية تجاه علاقاتهم بشخص "عبد السلام عارف".

رابعاً- الإعتقاد الذي ساد قيادة "الكتلة القومية" بأن الرئيس "عبد السلام عارف" لم يَعُدْ راغباً للإيفاء بإلتزامات كان قد قطَعَها مراراً بإبعاد الجيش والقوات المسلحة عن السياسة وحلّ جميع الكتل فيهما، والتي أملاها في كتاب تكليف الفريق "طاهر يحيى" عند تشكيله لوزارته الثالثة*... إذْ راود الشك أعضاء تلك الكتلة بأن "عبد السلام عارف" يستهدف حلّ تنظيمات كتلتهم القوية فحسب، وذلك لخشيته منها دون الكتل الأخرى، والتي كان كل من "اللواء عبد الرحمن محمد عارف والعقيد الركن بشير الطالب والعميد سعيد صيلبي" يتزعّمها** .. في حين كانت "الكتلة القومية" على إستعداد لحلّ تنظيماتها***.

ولكن السيد "ناجي طالب" يُفَنِّد هذا الرأي، حين يقول:- ((أن طرح السيد "صبحي عبد الحميد" لموضوع حلّ تنظيمات "الكتلة القومية" في عموم الجيش والقوات المسلحة لم يَكُنْ إلاّ رأيه الشخصي، إذْ من المحتمل جداً أن الضباط الآخرين في قيادة الكتلة نفسها لم يكونوا مُقتنعين بذلك... في حين أن الكتل والتنظيمات السياسية الاخرى التي تغلغلت بقوّة وإستقرّت في عموم تشكيلات القوات المسلحة في حينها، فإنها لم تكن بشكل مطلَق على إستعداد للتعاون مع أي شخص مسؤول في العراق بالتفريط في حلّ نفسها وتنظيماتها****)).

ويؤيد السيد "هادي خماس" ما ذهب إليه صديقه السيد "صبحي عبد الحميد"، حين يقول:- ((كان الرئيس "عبد السلام عارف" يُحَرّض هذه الكتلة على

---

* يُنظَر الفقرة "رابعاً" من كتاب التكليف تحت عنوان "وزارة طاهر يحيى الثالثة" المبحوث عنه في صفحات سابقة.

** يُنظر التفاصيل تحت عنوان "مؤيدو شخص عبد السلام عارف" في المبحث السابق.

*** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

**** "ناجي طالب" المقابلات الشخصية نفسها.

تلك، ويُشجّع إنتشار الحزبية والتكتلات السياسية أو شبه السياسية داخل القوات المسلحة، بعد أن إستخدم -مع الأسف- الإقليمية الضيّقة في صفوفها، إذْ أخذ يُفاتح ضباطاً ذوي أصول عشائرية من "لواء الرمادي"*، أو غيرهم على أساس عشائري أو إقليمي.. فقد كان هو نفسه وراء تشكيل كتلة "سعيد صيلبي" وكتلة أخيه "عبد الرحمن".. ناهيك عن أولئك الذين كان يكلّفهم بصورة فردية، أمثال "إبراهيم عبد الرحمن الداود، عبد الرزاق سعيد النايف، وأحمد الحديثي)).

ولذلك كانت طروحات إبعاد القوات المسلحة العراقية عن السياسة -حسب رأي مؤلف هذا الكتاب- أو إبعاد السياسة عنها مجرّد أحلام يقظة ورؤى يتمنّاها القائمون على شأنها، ومن دون أن يكون لأي منهم -إلاّ إذا إستثنينا البعض- أيّ إستعداد للتعاون في حلّ التنظيم الذي ينتسب إليه أو يُشرِف عليه... ولذلك بقيت هذه الطروحات مجرّد حبر على ورق تُنشَر على الصفحات الأولى للصحف العراقية العديدة، وضمن مقالاتها الطنّانة تأييداً لتصريحات كبار المسؤولين في القوات المسلحة والدولة.

خامساً- قناعة قياديّي "الكتلة القومية" بأن "عبد السلام عارف" بدأ يَجنَح نحو الحكم الفردي، بينما كانوا هم يؤمنون بالقيادة الجماعية، ريثما تتم إعادة الحكم الديمقراطي بأحزابه المتعدّدة ومؤسّساته، إلى نظام الحكم في العراق**.

سادساً- الإيمان الراسخ لدى "الكتلة" بضرورة تطوير "الإتحاد الإشتراكي العربي"*** والإعتماد على تنظيماته كقاعدة شعبية وحيدة لإسناد نظام الحكم... ذلك التنظيم الذي وافق الرئيس "عبد السلام عارف" على تشكيله وتنظيمه بنصيحة شخصية من لدن الرئيس "عبد الناصر"... ولكن لمّا وجد

---

* يسمى حالياً "محافظة الانبار".. وهو المنطقة التي ينتسب إليها الرئيس "عبد السلام عارف" كونه من عشيرة "الجُمَيلات" ...."المؤلف".

** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

*** تشكَّل "الإتحاد الإشتراكي العربي" في العراق رسمياً يوم ١٤ تموز ١٩٦٤، شبيهاً في تنظيماته بنظيره المصري، وإفتتح الرئيس "عبد السلام عارف" مؤتمره التأسيسي الأول مساء ذلك اليوم بحضور السيد "حسين الشافعي نائب رئيس ج.ع.م........................"المؤلف".

لدى ذلك التنظيم رأياً مستقلاً وكياناً واضحاً ومؤثّراً، وليس أداةً للتطبيل والتزمير والتصفيق لشخصه، وأن "الإتحاد" بات يضغط بشكل جدي من أجل تحقيق الوحدة مع "مصر"، عندئذ تراجع "عبد السلام عارف" عن رأيه*.

وفي هذا الشأن يضيف السيد "هادي خماس"، ويقول**:-

((لقد شكّل الرئيس "عبد السلام" الإتحاد الإشتراكي، وسعى بإندفاع ورغبة بادئ ذي بدء لتأسيس تنظيماته في عموم العراق، ليكون قوّة تملأ الفراغ في الساحة السياسية العراقية وتدعم نظام الحكم القائم.. ولكن إندفاعه في حينه لم يكن عن إيمان ليغدو ذلك التنظيم قوة فاعلة، بل أراده "سُبُّحة" تُسَبِّح بإسمه وتُطبِّل لحكمه.. ولمّا خاب ظنّه عاد ليُحارب تنظيماته مشجّعاً على التكتّلات والإنقسامات في داخله، حتى كُتِب للإتحاد الاشتراكي العربي الموت)).

سابعاً- كان من رأي "الكتلة القومية" أن الرئيس "عبد السلام عارف" يتّبع سياسة "فَرّق تَسُد"، سواءً بين الكتل السياسية-العسكرية والوزراء وكبار ضباط القوات المسلحة، ما تسبَّب في خلق بلبلة وعداءات لا تخدم مصلحة الوطن***.

ويذهب السيد "هادي خماس" الى المنحى نفسه، حين يذكر****:-

((أن الرئيس "عبد السلام عارف" إتّبع سياسة "فرّق تسُد" في عموم الصُعُد، السياسية منها والعسكرية، لغرض بعثرة القوى الوطنية وإشغالها في صراعات جانبية لا تخدم المصلحة العامة، بل تخدم مصالحه الشخصية وتُبقيه على رأس السلطة)).

ثامناً- كانت "الكتلة القومية" ترى أيضاً في شخص الرئيس "عبد السلام عارف" أنه يعمّق "الروح الطائفية" وذلك على الرغم من عدم ممارسته عملياً لها

---

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** هادي خماس: المقابلتان الشخصيتان نفسهما.

*** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

**** هادي خماس: المقابلتان الشخصيتان نفسهما.

لدى إدارته لشؤون الدولة... ولكن أحاديثه وأقواله ومزاحه والنُكات التي تفلُت منه وإنتقاده لبعض الطقوس الدينية الشيعيّة في جلساته الخاصة، كانت تُنقَل إلى الشارع العراقي وعامّة الناس بشكل مُبالَغ فيه ليعطي إنطباعاً سلبياً لدى الجماهير، ليس في طائفيّته الشخصية فحسب، بل عن طائفيّة الحكم القائم... ولكن ذلك لم يمنعه أن يُنيط العديد من المناصب المهمة في الدولة الى اشخاص ينتمون إلى "الطائفة الشيعية"... أمثال السادة "ناجي طالب، محسن حسين الحبيب، عبد الحسن زلزلة، عبد الرزاق محي الدين" وغيرهم، ناهيك عن مرافقه الشخصي السابق والسكرتير العام لديوان الرئاسة السيد "الرائد عبد الله مجيد"*.

تاسعاً: وعلى الرغم من كونه متسنّماً منصب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة، إلاّ أن الرئيس "عبد السلام عارف" كان يتدخّل في مسائل مهمة أخرى** تخصّ أمور مجلس الوزراء ومهماته.. ولذلك فقد رأى العديد من الوزراء أن رئيس الجمهورية يتدخّل في صلاحياتهم ومسؤولياتهم وأمور وزاراتهم... ولمّا كانت هناك أزمة ثقة قائمة بينه وبين الوزراء المنتمين الى "الكتلة القومية" على وجه الخصوص، فإن هؤلاء كانوا أكثر حساسية من باقي الوزراء في هذا الصدد بالذات، إذْ رأى البعض منهم أنه يحاول تسخير أجهزة الإذاعة والتلفزيون في تمجيده الشخصي***، وذلك على الرغم من أن مثل هذه الأمور تبدو طبيعية لدى معظم دول العالم الثالث، وخصوصاً في بلد مثل العراق الذي وقعت (ثلاثة) تغييرات جذرية في نظام حكمه خلال (خمس) سنوات، ناهيك عن الثورات المزعومة والإنتفاضات والمحاولات الإنقلابية ومحاولات الإغتيال السياسي المتواصلة دون توقّف، والتي فشلت أو تلك التي أخفقت أو كُشِفَت قبل البدء بتنفيذها.

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** ناجي طالب، المقابلات الشخصية نفسها.

*** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

موقف القيادة المصرية

لتلك الأسباب وسواها من أمور أقل أهمية، فقد ترسّخ الرأي لدى معظم قادة "الكتلة القومية" بضرورة تغيير الرئيس "عبد السلام عارف" من منصبه بغية تحقيق "قيادة جماعية" تؤدّي الى تحقيق سريع للوحدة وإيجاد حياة ديمقراطية واضحة في "العراق" أو في "دولة الوحدة" المنشودة.

أما القيادة في "مصر" فقد أصابها قلق شديد، حين علمت عن كثب بتطور الخلافات بين الرئيس "عبد السلام عارف" وبين مجموعة مهمة ورئيسة واساسية في السلطة تؤمن بوحدة الأمة العربية... ولذلك فقد إستمر الرئيس "جمال عبد الناصر" في إلحاحه على ضرورة إستقرار الوضع السياسي والنظام القائم في العراق وتماسك وحدة قيادته كي يكون حليفاً قوياً لـ"ج.ع.م" ضمن الإطار العربي والإقليمي والدولي، إذْ كان يستشعر بأهمية العراق وقدراته العسكرية والسياسية والإقتصادية، وتأثير إتفاق وجهات النظر بين القاهرة وبغداد، وتمتين أواصر الصداقة والتضامن بينهما، ومشاركتهما في وحدة الهدف، وذلك ما يؤدي بالنتيجة إلى التأثير على سياسة باقي الدول العربية كي لا تنساق كثيراً الى التأثّر بسياسة دول الغرب أو غيرها.

وكانت من أُولى أولويّات السياسة المصرية تجاه العراق أن تبقى قيادته موحّدة بزعامة الرئيس "عبد السلام عارف"، إذْ كانت تعتقد أن وجوده -على الرغم من تراجعه عن تحقيق الوحدة مع "مصر"- مهم وضروري كي يبقى العراق القوي إلى جانبها... بل وكانت تخشى أن تسوء العلاقات بين "القاهرة وبغداد" -كما ساءت بينهما خلال العهد الملكي ونظام حكم عبد الكريم قاسم، ودولة البعث عام ١٩٦٣- ممّا يضعف "مصر" وكذلك "العراق".. وكانت ترى أن تعاون "الكتلة القومية" مع شخص الرئيس "عبد السلام" ضرورة حتمية لتقوية مركزه السياسي والتي تقوّي بالتالي مركز "العراق"... ولذلك فقد عمدت القيادة المصرية جاهدةً للتوسّط في سبيل حلّ كل خلاف ينشأ بين الكتلة المذكورة والرئيس "عبد السلام عارف"★.

★ صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

برنامج العمل السري

كان من أهم الوساطات تلك، ذلك الذي أدّاه الرئيس "عبد الناصر" بعد إنتهاء الإجتماعات الرسمية لـ"لقيادة السياسية المُوحَّدة" في "القاهرة" خلال الفترة (١٩-٢١ آيار/مايو ١٩٦٥)، وذلك عندما جمع في دار سكناه كلاً من الرئيس "عبد السلام عارف" إلى جانب السيدين "صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان" من "الكتلة القومية" وبحضور السيدين "ناجي طالب وزير الخارجية، ومحسن حسين الحبيب وزير الدفاع" عن الجانب العراقي... و"عبد الحكيم عامر وزكريا محي الدين وعلي صبري" عن الجانب المصري يوم ٢٣ آيار/مايو، لتصفية الأجواء المتعكّرة وإزالة أسباب الخلاف*، حين أوضح عضوا "الكتلة القومية" خلافاتهما، ومواقفهما من الرئيس "عبد السلام عارف" بصراحة متناهية بأسلوب يشبه "نشر الغسيل على الحبال"**، ما جعل الرئيس "عبد السلام عارف" في موقف صعب للغاية في تلك الجلسة، حيث لم ينفضّ الإجتماع إلاّ بعد الإتفاق على ((برنامج عمل سري)) تم توزيعه على الحضور في ذلك المساء فقط، ومن دون إعلانه في وسائل الإعلام، إذْ ينص -في أهم بنوده- على ما يأتي***:-

❖ أُمور عامة

أولاً- ناقشت "القيادة السياسة الموحدة" ظروف البلدين والعوامل المؤثرة لتدعيم العمل الوحدوي في أول إجتماع لها في "القاهرة" للفترة من (١٩-٢٥ مايو/آيار ١٩٦٥).

ثانياً- الوحدة هي أسمى هدف يسعى اليه الشعب في البلدين... وليس المهم إقامة الوحدة فحسب، بل أن الواجب يقضي تقويتها لمواجهة التحدّيات التي تأتي من الرجعية والإستعمار.

---

* المصدر نفسه،

** ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها.

*** أمين هويدي: كنتُ سفيراً في العراق، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٢٧-٢٢٩.

ثالثاً- أن العمل الأساس المتحكم في طريق الوحدة هو تحقيق الوحدة الوطنية في "العراق" التي تتطلّب:-

- وحدة القيادة السياسية.
- وحدة الجيش، وإبعاده عن الحزبية والتكتّلات السياسية.
- دعم الإتحاد الاشتراكي.
- فعالية القيادة السياسية الموحدة.

❖ وحدة القيادة السياسية (في العراق)

أولاً- تدعيم الروابط والعلاقات لتحقيق وحدة الفكر والعمل.

ثانياً- الإتفاق على برنامج سياسي، مع تحديد فترة إنتقال، وموعد إنتخابات لتأسيس مجلس أُمّةً.

ثالثاً- الإتفاق على برنامج إقتصادي وإجتماعي.

❖ وحدة الجيش وإبعاده عن الحزبية والتكتلات السياسية.

❖ دعم الإتحاد الاشتراكي

أولاً- إهتمام "الرئيس عبد الناصر" به شخصياً، ووضعه تحت رعايته.

ثانياً- الأخذ بمبدأ "التفرّغ في العمل" بالمراكز الرئيسة.

ثالثاً- ضمّ العناصر القومية إليه، وإبعاد أعداء الثورة والإنتهازيين.

رابعاً- العمل على إذابة التناقضات والتكتلات الحزبية داخل الإتحاد الإشتراكي، بغية خلق تنظيم سياسي يُعتَمَد عليه في العمل الوطني.

❖ فعالية القيادة السياسية الموحدة

أولاً- يجوز أن تجتمع هذه القيادة بكامل هيئتها، أو جزءاً منها، حسب مقتضيات العمل.

ثانياً- تشكيل أمانة عامة للقيادة تتكوّن من أمين عام وعضوَين، تكون واجباتها :-

- تَلَقّي توجيهات القيادة ووضع برنامج لتنفيذها.
- متابعة تنفيذ القرارات ورفع تقارير عن ما تم تنفيذه.
- تشكيل لجان فنّية مختلفة حسب ما يقتضيه الموقف لرفع دراساتها إلى القيادة.
- وضع لائحة داخلية للعمل.

ثالثاً- تعقد القيادة إجتماعها القادم في "القاهرة" بأوائل تموز/يوليو (١٩٦٥) عقب إنتهاء المؤتمر الآسيوي-الأفريقي الذي سيُعقد في (الجزائر).

آمال عظام تواجهها مُعضلات

كان ما سُطِّرَ على الورق عبارات يأمل منها الجميع خيراً ويستبشر بمستقبل مستقرّ بين أصحاب الآراء المتصارعة الذين جَدّوا في العمل.. ((إلاّ أن ظروفاً كثيرة ومؤثّرات متعددة حالت دون أن تُؤتي تلك المحاولات ثمارها.. فتعمّقت الخلافات دونما سبب، وسط أزمة ثقة شارك الجميع في صنعها وتعميقها، ووسط أحقاد ومطامع شخصية سيطرت على الجميع.. فتاهت الأغراض الكبيرة وظلّت طريقها.. وسرعان ما تبخَّرت الآمال تحت الإنفعالات الساخنة والعواصف المندفعة والحزبية المنغلقة والفرديّة المدمِّرة.. فإفترق الرفاق وإنشقّ الأصدقاء، وأصبح كل طرف يشكّ بالآخر، وإنقسم الأفراد ذوي المصلحة الواحدة على أنفسهم أمام أعداء متحدّين يَتحَيَّنون الفرصة المناسبة ليَنقَضّوا.. كما مُلِئَتْ ليالي "بغداد" بالخَناجر الحادَة التي تبرُق وتلمَع وقد سُحِبَتْ من غمادها في إنتظار أن تهوي ؟!!))*.

وسنرى في الصفحات اللاحقة كيف أدّت صغائر الأمور إلى كبائرها في

* هذا وصف دقيق ومُعَبِّر للحال في "بغداد"، وكما أورده السيد "أمين هويدي": المصدر نفسه، ص٢٢٩ ....المؤلف".

ظلّ محدودية الثقة قبل إنعدامها بين "عبد السلام عارف" وقادة الكتلة القومية.

إنقلاب مفاجئ في "الجزائر"

في صبيحة يوم (١٩ حزيران/يونيو ١٩٦٥) فوجئ العالم العربي بإنقلاب لم يكن متوقّعاً بشكل مطلق في "الجزائر"، قادَه "العقيد هَواري بومَديَن" نائب رئيس الوزراء ووزير الدفاع، والذي أعلن نفسه رئيساً لمجلس قيادة الثورة، مُقيلاً "أحمد بن بيللا" عن هذا المنصب، ومتّهماً إياه بأنه ((دكتاتور شيطاني، وخائن عظيم قام بسلسلة من التصرفات السيئة)).

كانت التعليقات التي بثّتها إذاعة ومحطة تلفزيون "بغداد" توحي بقلق عراقي شديد حيال ذلك الإنقلاب، فيما نشرت صحف اليوم التالي (٢٠ حزيران) عناوين رئيسة تشير إلى حدوث مظاهرات عنيفة ومصادمات دموية كبيرة في شوارع مدن "الجزائر" الكبرى تأييداً لـ"بن بيللا"، وإلى إجتماع لمجلس الوزراء العراقي إستغرق أكثر من ساعتين لتقييم الموقف هناك، وقرار رئيس الجمهورية بإيفاد السيد "ناجي طالب" وزير الخارجية إلى "الجزائر العاصمة" بمهمة خاصة.

كان الموقف الشعبي والرسمي والإعلامي للعراق مُضادّاً للإنقلاب تماماً، إذْ كان "أحمد بن بيللا" شخصية عربية سياسية وثورية يكُنّ له العراقيّون مَودّة خاصة لمواقفه الجريئة ضد الإستعمار الفرنسي الذي حكم "الجزائر" بالنار والحديد طيلة عقود عديدة... وكانت ثمة علاقة ودية أكبر وأعمق توثّقت بينه وبين شخص الرئيس "عبد السلام عارف" الذي إرتبط بصداقة وطيدة معه طيلة سنتين مضتا.

الأزمة تتفاقم ـ وقشّة تقصم ظهر بعير

شاءت الأقدار أن تتأزم الأمور نحو الأسوأ.. فبعد أن عقد قادة "الكتلة القومية" عدداً من الإجتماعات مع الرئيس "عبد السلام عارف" في القصر الجمهوري بُعَيد عودته الى "العراق" من "مصر" يوم (٢٥ آيار/مايو ١٩٦٥) لبحث

نصوص "برنامج العمل السري" الذي تم وضعه في مسكن الرئيس "عبد الناصر" -كما آنفنا ذكره- ومن دون أن يستطيع الطرَفان التوصّل إلى إتفاق جدّي لإزالة الخلاف القائم بينهما، إذْ حصلت القناعة لدى أولئك القادة بأن "رئيس الجمهورية" يحاول التنصّل عن تطبيقه، ممّا ضاعف من تأزّم الموقف على نحو أعمق مما كان عليه قبل إجتماع "القاهرة" المذكور*.

كان السيد "أمير الحلو" في تلك الأيام مديراً لإذاعة الجمهورية العراقية، وأحد القادة الشباب المُمثَّلين ضمن قيادة "الكتلة القومية" في حينه، جالساً في مكتب السيد "عبد اللطيف الكَمالي" مدير عام الإذاعة والتلفزيون وأحد القادة المدنيّين في "الكتلة" نفسها، وذلك مساء يوم الأربعاء (١٦ حزيران ١٩٦٥)، عندما زار "الرائد عبد الله مجيد" سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية شخصياً مبنى الإذاعة والتلفزيون في "الصالحية"، ليعرض على "أمير الحلو":-

((أن السيد رئيس الجمهورية يخصّكم بالسلام، ويرجو أن يتمّ إعادة بثّ الفلم الوثائقي التلفزيوني للزيارة التي قام بها لقطعات الجيش في قاطع الموصل يوم أمس (١٥ حزيران)، إذْ لم يَتَسَنَّ له مشاهدته عندما كان في طريق عودته إلى "بغداد")).

ردّ عليه "أمير الحلو"، بأن ذلك من صلاحية السيد المدير العام، وإستأذَنَ أن يتّصل به هاتفياً لإستحصال موافقته.

ولكن المفاجأة كانت على الطرف الآخر من الهاتف، عندما ردَّ "عبد اللطيف الكَمالي" بلهجة شديدة للغاية وفي غير محلّه، مُتلَفِّظاً عبارات وآراء تنمّ عن أن التلفزيون لا يمكن أن يكون مُخصَّصاً للحكّام فقط، إنما هو للشعب وتوجّهاته.... ولربما سمعها "عبد الله مجيد" بأذنَيه، ولكن من دون أن يُبدي إمتعاضاً يُذكر... ولمّا إعتذر "أمير الحلو" منه عما جرى، إبتسم قبل أن يُغادر مبنى الإذاعة والتلفزيون شاكراً مدير الإذاعة على حُسن إستقباله وتوديعه**.

---

* صبحي عبد الحميد "المقابلات الشخصية نفسها".

** أمير الحلو:- مدير الإذاعة العراقية ومعاون مدير عام الإذاعة والتلفزيون الأسبق، رئيس تحرير مجلة "الف باء" عند إعداد مسوّدة هذا الكتاب... مقابلة شخصية معه حول هذا الموضوع تحديداً ظهر يوم الأربعاء (١٨/٣/١٩٩٨)........................."المؤلف".

وجاءت أيام أحداث إنقلاب "الجزائر" الذي وقع صبيحة يوم السبت (١٩ حزيران ١٩٦٥) لاحقاً -كما ذكرناه-، ويبدو أن "ديوان رئاسة الجمهورية" قد أصدر توجيهات محددة بضرورة قيام محطتي الإذاعة والتلفزيون ببثّ الأناشيد الوطنية والقومية، وتكرار مقالات إفتتاحية منشورة في الصحف العراقية التي تركّز على الإنقلاب المذكور، حتى خَفّفَتا من ذلك شيئاً بعد شيء، وعادتا إلى برامجهما شبه الإعتيادية مع صباح يوم الثلاثاء (٢٢ حزيران).

ولكن، عندما حلّ مساء ذلك اليوم، إتصل "الرائد عبد الله مجيد" بالعميد الركن "دُرَيد الدَمَلوجي" -مدير عام وكالة الأنباء العراقية- ليكرّر عليه التوجيهات السابقة بضرورة التركيز على أحداث "الجزائر" ونبذ الإنقلاب الذي قام به "العقيد هواري بومدين"، وأن تكون أخبار الجزائر مواضيع تعليقات رئيسة لدى وكالة الأنباء المذكورة وكذلك الصحافة، ومن بعدهما الإذاعة والتلفزيون.

وفي حين ((حاولت)) وكالة الأنباء العراقية تنفيذ ذلك التوجيه، إلاّ أن "عبد اللطيف الكمالي" مدير عام الإذاعة والتلفزيون أصدر أمراً مُعاكساً للتوجيه المذكور في صباح اليوم التالي، طالباً من الموظفين العاملين في مؤسسته إختصار التعليقات، مُعتَبِراً أن أحداث "الجزائر" ما هي سوى شأنٍ داخلي يخصّ حكومتها، وليس لأية دولة أخرى، مهما بلغت علاقتهما وإرتباطاتهما، الحقّ بالتدخل فيه.

مدير عام يتحدّى وسكرتير عام الرئاسة يتّصل بمُذيع

ولمّا وصل خبر ذلك الإجراء المُعاكس الى أسماع ديوان رئاسة الجمهورية، إتّصل "الرائد عبد الله مجيد" شخصياً بالمدير العام "عبد اللطيف الكَمالي"، طالباً منه ضرورة تنفيذ توجيهات "رئيس الجمهورية" وديوان الرئاسة بشأن بثّ وإذاعة التعليقات كاملة من دون حذف أو إختصار.. وبعد مشادّة كلامية بينهما، رفض "عبد اللطيف الكمالي" ذلك بعُنف، تحت ذريعة أن مثل هذه التصرفات والإجراءات تُعتَبر دعاية لشخص "عبد السلام عارف"، وهذا ما يتنافى مع المهمات الأساسية

لوكالة الأنباء العراقية عموماً، ومحطّتي الإذاعة والتلفزيون على وجه الخصوص.

وبدلاً من الإتصال بالوزير المسؤول -الذي ترتبط به وكالة الأنباء العراقية والمديرية العامة للأذاعة والتلفزيون معاً- إذْ كان ذلك يُفتَرَض أن يتمّ أصلاً قبل إصدار التوجيه السابق ذكره الى المدير العام، فقد أبلغ "عبد الله مجيد" أوامره هاتفياً الى أحد مذيعي الإذاعة العراقية مباشرة لغرض بثّ العديد من تعليقات الصحف كاملة، ولو على حساب حذف مواد معينة من البرنامج اليومي العام.

موقف وزير الثقافة والإرشاد

وحين عُرِضَ الموضوع على "العميد الركن عبد الكريم فرحان" -وزير الثقافة والإرشاد- المعروف بمواقفه المتصلّبة في حياته العامة أساساً، والمُتشَنِّج حيال مواقف "عبد السلام عارف" تجاه "الكتلة القومية" بشكل خاص- فإنه إتخذ موقفاً مؤيِّداً لزميله "عبد اللطيف الكمالي"، وقام على الفور بإعداد كتاب رسمي شديد اللهجة عن مهمات الإذاعة والتلفزيون ودورهما الإعلامي والقومي، والمشاكل التي يتسبّبها ((تدخّل مسؤولي الدولة)) في شؤونهما الخاصة وتوجّهاتهما المُفترَضة، مُعنوِناً إياه الى المديريات العامة التابعة لوزارته، مُعطِياً نسخة منه إلى ديوان رئاسة الجمهورية، موجِّهاً السطور الآتية إليه:-

((أن واجبات الإذاعة والتلفزيون خطيرة، وفي مقدّمتها بناء الإنسان العربي، وتعميق المفاهيم القومية والإنسانية، وتوعية المواطن وتربيته... لكني لمستُ أن بعض المسؤولين ما زالوا يتصوّرون أن هذه الأجهزة وُجِدَت للدعاية للحكّام والمسؤولين، فأخذوا يضغطون على الموظّفين والمذيعين، فأربَكوا أُمور هذه الأجهزة وأثّروا على مناهجها، فكرهها الشعب وغَرُبَ عنها.

أرجو التفضل بإصدار الأوامر للمعنيين والمسؤولين لتقدير هذه الناحية، وعدم الإتصال بأي موظف من موظفي المديرية المذكورة عدا المدير العام))*.

* أمين هويدي: المصدر السابق نفسه، ص٢٤٩.

لم يَكتَف "عبد الكريم فرحان" بذلك الكتاب الرسمي، بل بادر بتقديم عريضة إستقالته الى رئيس الوزراء "الفريق طاهر يحيى" في اليوم نفسه... ولمّا علم وزير الداخلية "صبحي عبد الحميد" بذلك، حاول التعاون مع شخص رئيس الوزراء على تجميد إستقالة زميله في "الكتلة القومية"، أو إعادة العريضة أو سحبها... ولكن "عبد الكريم فرحان" رفض ذلك*، في حين وضعها "طاهر يحيى" تحت اليد، من دون أن يبُتّ فيها أو يرفعها الى رئيس الجمهورية... بينما واصل "الوزير" المذكور القيام بمهمات وزارته ببعض البرود، ولكن من دون أن يتركها، إذْ أمسَت الأجواء مشحونة بين "الكتلة القومية" و"عبد السلام عارف" أعظم ممّا كانت عليه خلال الأشهر السابقة.

موقف "عبد السلام عارف"

لمّا إطلع الرئيس "عبد السلام عارف" على ما ورد في ذلك الكتاب، ثار غضبه، معتبراً تلك العبارات مسّاً لشخصه -ولربّما له كلّ الحق في ذلك- فتحدّث هاتفياً مع رئيس الوزراء "الفريق طاهر يحيى" مساء يوم (٢٨ حزيران ١٩٦٥)، في وقت كان "عبد الكريم فرحان" -بالصدفة- جالساً إلى جنب رئيس الوزراء... فشاءت الأقدار أن يستمع إلى كل الشتائم التي قذفها رئيس الجمهورية على شخصه... أوانئذ، أصرّ على رئيس الوزراء قبول إستقالته الموضوعة بين يديه منذ يوم (٢٣ حزيران)، وغادر مبنى مجلس الوزراء، وهيّأ جواز سفره مغادراً "بغداد" إلى "القاهرة" يوم (٣٠ حزيران)**.

سارت الأمور نحو الأسوأ، عندما أصدر الرئيس "عبد السلام عارف" مرسوماً جمهورياً بنقل "عبد اللطيف الكمالي" من منصب مدير عام الإذاعة والتلفزيون إلى منصب "مُضَمِّد صحّي" في "مستوصف قضاء راوَندُوز"***،

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

** صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

*** راوندوز: كانت قضاء تابعاً للواء/محافظة "أربيل"، وتقع في أقصى شمال شرقي العراق، قريبة نسبياً من المثلث العراقي-الايراني-التركي............................"المؤلف".

وذلك على الرغم من أن "الكَمالي"، ولو كان موظفاً سابقاً في وزارة الصحة، إلاّ أنه يحمل شهادة "بكالوريوس/ليسانس" في الحقوق.

الأزمة تبلغ أشدّها

كان "صبحي عبد الحميد" -وزير الداخلية والزعيم غير المنتخب لـ"الكتلة القومية" والصديق الحميم لـ"عبد الكريم فرحان"- أوّل من تضامَن معه في تقديم إستقالته الى رئيس الوزراء يوم (٣٠ حزيران) ذاته، قبل أن ينضمّ إليه (٤) وزراء آخرين من غير المنتمين إلى صُلب "الكتلة القومية" لتبلغ الأزمة أشدّها، وهم:-

أ. أديب الجادر- وزير الصناعة.
ب. عبد الستار علي الحسين – وزير العدل.
ج. عزيز الحافظ- وزير الإقتصاد.
د. فؤاد الركابي- وزير الشؤون البلدية والقروية.

كانت إستقالة "صبحي عبد الحميد" أشدّ لهجة، وماسّة لأسلوب الحكم من قريب وبعيد، دالّةً على إمتعاض كبير وغضب مكبوت على شخص الرئيس "عبد السلام عارف"... وفيما يأتي نص كتاب الإستقالة:-

السيد رئيس مجلس الوزراء المحترم

لقد تردّت أوضاع البلد في الفترة الأخيرة بشكل أصبح حتى أقرب الناس للحكم، وهم القوميّون على إختلاف فئاتهم وأشخاصهم، يتذمّرون، منتقدين تصرّفات السلطة وضعف الحكم.

ورغم تحذيرنا ونُصحنا، لم نجد أي إستجابة لإصلاح الوضع، بل إستمر التدهور، وأخذ الحكم يجنح إلى الفردية متّبعاً سياسة "فرّق تسُد"، هذه السياسة التي أدّت إلى تعميق الروح الطائفية وتفتيت الوحدة بخلق الإقليمية وبعثرة الصف القومي.

وقد أُستُهين بالوزراء، وأُعتُبروا مجرّد آلات تنفيذية، وبلغ الحد إلى توجيه

الإهانات الى وزير ثائر* ومُكافح معروف، بشكل لم يسبق له مثيل في أي عهد من العهود التي مرّت على العراق.

لقد فكرتُ ملياً في الأمر، فوجدت أن البلد يحترق، وأن الشعب يُحمّلنا هذا الحريق... ولما كنا لا نستطيع إخماد الحريق، فقد قررتُ تقديم هذه الإستقالة مستنداً على الأسباب التالية:-

١- فقدان الثقة والإنسجام بين الثوّار.

٢- إنعدام الحكم الجماعي والإتجاه نحو الحكم الفردي.

٣- تفتيت الوحدة الوطنية.

٤- الإعتماد على العناصر الإنتهازية الساذجة والمُطَبِّلة.

٥- التدخّل في شؤون الوزارات، وفرض الموظفين على الوزراء، دون إعتبار لرأيهم الخاص.

٦- تشجيع التكتّلات في صفوف القوات المسلحة، وإثارة الحقد في نفوس الضباط، بعضهم ضد الآخر.

٧- عدم الإلتزام ببرنامج العمل المتّفق عليه في "القاهرة" بإجتماعات القيادة السياسية الأخيرة، وذلك:-

أ. لم يُلْتَزَم بمبدأ القيادة الجماعية.

ب. لم يُقبَل بحث موضوع إنهاء التكتّلات في الجيش.

ج. لم تَسُدْ الثقة والإنسجام بين الثوّار.

٨- أصبح، في إعتقادي، أن الطريق إلى الوحدة بعيد المنال، وذلك لأن شروط إقامتها التي تستند على وحدة الجيش ووحدة القيادة ووحدة

---

* الوزير الثائر: يقصد به "العميد الركن عبد الكريم فرحان" وزير الثقافة والإرشاد المستقيل.............."المؤلف".

الصفّ الوطني، لم ولن تتحقّق... لذلك أصبح مبرّر وجودنا كوزراء وَحدَويّين غير وارد.

وبناءً على ما تقدّم، أرجو التوسّط بقبول إستقالتي من منصب وزير الداخلية ومن عضوية المجلس الوطني لقيادة الثورة... كما أرجو إحالتي على التقاعد من الجيش.

وأخيراً، أشكر لكم حسن تعاونكم خلال الفترة التي عملنا فيها معاً، راجياً لكم التوفيق لخدمة الوطن))*.

موقف رئيس الوزراء

وعلى الرغم من تلكم الإستقالات الجماعية التي تسبّبت في أزمة وزارية حقيقية تُوشك على إسقاط "وزارة طاهر يحيى الثالثة". إلاّ أن رئيس الوزراء لم يحرّك ساكناً يُذكر، بل ظلّ منتظراً أن يحلّها آخرون**.

ولربما تكمن أهم أسباب ذلك الموقف في بعض أو جميع التصوّرات الشخصية الآتية:-

أولاً- إما أن تكون الحيرة قد أخذت من شخص "طاهر يحيى" مأخذها، فذُهل وأُحبِطَت معنوياته بشكل أمسى معه غير قادر على إتخاذ قرار حاسم بمستوى رئيس وزراء.

ثانياً- أو أنه إعتقد إن الوزراء المستقيلين سيتراجعون عن مواقفهم خلال أيام معدودات، إذْ أن الموقف المتأزم الحالي لا يدعو إلى التسرّع لإتخاذ إجراء ما.

ثالثاً- أو أن المشكلة التي قامت وأدت إلى تلك الإستقالات، لا تعدو أكثر

* صبحي عبد الحميد: من أوراق كتبها بخط يده عن "أزمة تموز الوزارية" وأودعني إياها مشكوراً، ولربما تنشر ضمن هذا الكتاب للمرة الأولى...... يُنظَر لبعض صفحاتها في الملاحق المرفقة بهذا الكتاب.

** ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها.

من خلاف شخصي بين "عبد الكريم فرحان" و"عبد السلام عارف"، إذ لا داعي للتدخل بينهما، فإن الأيام القليلة القادمة كفيلة بحلّها.

رابعاً. أو أن يكون قد أصابه التعب والإرهاق من المشكلات والمعضلات والعقبات العديدة التي تسبّبتها ظروف العراق القائمة في حينه ومنذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .. والتي شغل "طاهر يحيى" خلالها مناصب عديدة ومتتالية "مدير الشرطة العام.. رئيس أركان الجيش.. وزير الدفاع ورئيس وزراء " على التوالي.

ناجي طالب يتدخّل*

كان "اللواء الركن ناجي طالب" -وزير الخارجية- في طريق عودته من مهمّته الخاصة التي أُوفِدَ لأجلها الى"الجزائر" -كما أوردنا ذكره- عندما حطّ بالطائرة في "القاهرة" يوم (٢ تموز/يوليو ١٩٦٥)، وفوجِئَ بـ"عبد الكريم فرحان" وهو يزوره في مقر إقامته بفندق "شيبرد"، ليخبره بالذي وقع بينه وبين الرئيس "عبد السلام عارف" وأدى إلى إستقالته.

رأى "ناجي طالب" في الموضوع شخصياً وبسيطاً، ولم يخطر بباله، ساعَتئذ، أنه قد أحدث كل تلك الضجّة في "بغداد"... فالإستقالة -في إعتقاده- لم تُقدَّم جراء موقف سياسي أو موضوع ذي أهمية قصوى أو مشكلة كبيرة في مجلس الوزراء أو على مستوى الدولة، وخصوصاً وأن "عبد الكريم فرحان" لم يخبره -ربما بسبب عدم معرفته أصلاً- بأن وزراء آخرين قد إستقالوا تضامناً معه أو مع السيد "صبحي عبد الحميد"، ولم يُمّسِ على دراية كاملة بالأزمة الوزارية الكبيرة إلاّ عندما هبطت طائرته في مطار "بغداد" الدولي مساء يوم (٤ تموز ١٩٦٥)، حيث فوجئ بذلك حين علم بعدد الوزراء المستقيلين.

وفي منتصف ليلة (٤/٥ تموز) حضر الى دار سكناه في حيّ "الوزيرية" عضوا المجلس الوطني لقيادة الثورة "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق -قائد

* المصدر نفسه.

القوة الجوية- والعميد سعيد صليبي- قائد موقع بغداد"- حيث عَرَضا عليه موضوع إشراكه في وزارة يؤلفها "عارف عبد الرزاق".. ولكن "ناجي طالب" - الذي فوجئ بشكل أعظم لهذا الطرح- إقترح أن يقوم بشخصه بمحاولة جدية لتسوية الأزمة القائمة، وذلك بإقناع الوزراء المستقيلين بالعودة عن مواقفهم القائمة، قبل أن يتوجّه في التفكير بوزارة جديدة يشكّلها رئيس وزراء آخر.

ومن خلال إتصالاته ولقاءاته في اليوم التالي، حصلت القناعة التامة لدى "ناجي طالب" حول ما يأتي:-

أولاً- أن "عبد السلام عارف" يرغب في بقاء "طاهر يحيى" رئيساً للوزراء بالوقت الراهن.

ثانياً- أن الوزراء الخمسة المستقيلين قد باتوا على قناعة بأن تصرّفهم وتضامُنَهم مع "عبد الكريم فرحان" لم يكن له ما يبرّره.

ثالثاً- أن "عبد السلام عارف" لا يرغب في عودتهم جميعاً الى الوزارة، بإستثناء "صبحي عبد الحميد".

رابعاً- أن رئيس الجمهورية غير جاد في شأن تكليف "عارف عبد الرزاق" بتشكيل وزارة جديدة، إنّما كان يُناور بهدف شقّ صفوف قادة "الكتلة القومية"، والتي كان الوزراء الأربعة المستقيلون الآخرون قد تعاطفوا معهم، أو هم غَدَوا يُحسَبون على الكتلة المذكورة.

خامساً- ليس لرئيس الوزراء رأي محدّد، بل ولا فرق عنده بين خروج المستقيلين أو بقاءهم ضمن الوزارة.

ولما كان الإعتقاد السائد في صميم "ناجي طالب" أن وحدة الصف، وخصوصاً في تلك الفترة التي تميّزت بتعدّد الكتل السياسية والقيادات ذات التوجّهات القومية، هي وحدها الأساس من أجل حلّ ناجع لمشكلات العراق ذات الأهمية القصوى، وبضمنها الإقتتال القائم في ربوع شمال الوطن، والعلاقات مع الشركات المستثمرة لنفط العراق، ومهمّة الإنتقال إلى الحياة النيابية مجدّداً،

والتوصّل إلى حلول تذلّل مصاعب المواطنين المعاشية، فقد إستطاع -بعد بذل جهود حثيثة- أن يُقنع "عبد السلام عارف" على عودة الوزراء الخمسة المستقيلين معاً، إذا ما سحبوا طلبات إستقالاتهم طَوعاً.

لقاء في دار "عبد الستار علي الحُسين"

تم ترتيب لقاء في دار السيد"عبد الستار علي الحسين" -وزير العدل المستقيل- بحيّ "الصُلَيْخ" قرب الأعظَميّة، وذلك عصر يوم (١١ تموز/يوليو)، ليجمع بين "ناجي طالب" والوزراء المستقيلين الخمسة.. ولكن، وبينما لم يحضر "صبحي عبد الحميد" ذلك الإجتماع لأسباب شخصية، فقد فوجئ "ناجي طالب" بوجود شخصَين يفترَض أنهما على غير علاقة بالأزمة الوزارية... أوّلهما "محمد صدّيق شَنشَل" -أحد قادة "حزب الاستقلال" خلال عقد الخمسينات، وأول وزير للثقافة والإرشاد بعد ثورة (١٤ تموز ١٩٥٨)، والمرتَبط بعلاقة شخصية وثيقة مع الرئيس "جمال عبد الناصر"- وثانيهما "أمين هويدي" سفير ج.ع.م لدى "بغداد"... وقد وجدهما جالسَين في غرفة الإستقبال قُبَيل حضوره... فيما علم أيضاً أن الرئيس "عبد السلام عارف" بالوقت عينه قد أمر بعقد إجتماع طارئ لـ"مجلس الدفاع الأعلى" في ديوان وزارة الدفاع، يحضره جميع قادة الجيش والقوات المسلحة، إنتظاراً لمَا تتمخّض عنه محاولة "ناجي طالب" في غضون تلك الساعات من ذلك اليوم، والتي إعتبرها "عبد السلام" الخطوة الأخيرة القصوى لحلّ الأزمة الوزارية*.

كان أول المتحدّثين طويلاً هو "ناجي طالب"، إذْ عرض بإلحاح ضرورة سحب الوزراء لإستقالتهم بغية إنهاء هذه الأزمة لصالح الوطن ومستقبله... وقد أيّده "أمين هويدي" بقوة، وكذلك فعل "صديق شَنشَل"، حتى حصلت القناعة لدى الحضور جميعاً بما طرحه من رُؤىً، ضامنين إقناع "صبحي عبد الحميد" كذلك بشأن سحب إستقالته.

* ربما يكون "عبد السلام عارف" قد إستهدف من عقد هذا الإجتماع إظهار شخصه مسيطراً تماماً على أمور البلد أمام المستقيلين بشكل خاص، وأن وراءه مجلساً عسكرياً قوياً يسند قراراته، ما دامت الوزارة قد أخفقت، أو قد تخفق في حل هذه الازمة..............................."المؤلف".

كان "ناجي طالب" فرِحاً عندما توجّه نحو جهاز الهاتف ليتّصل بـ"عبد السلام عارف" ليُعلِمه بالنتيجة المُسِرّة التي توصّل اليها، حينما إلتقطت أُذناه "صديق شنشل" وهو يقول بصوت سمعه الجميع:-

((ولكن سحب الإستقالة طَوعاً شي مُهين يا أبا طالب!!))..... فإذا بالآخرين- عدا "أمين هويدي"- يتراجعون فوراً عن موقفهم الذي أمسى قبل دقائق إيجابياً.

وعلى الرغم من توجيه "ناجي طالب" لَوماً شديداً الى شخص "صديق شنشل" على تلك العبارة التي أطلَقَها من غير داعٍ، إلاّ أن تلك "المحاولة الاخيرة" باءت بالفشل*.

تعديل وزاري

خاب أمل "ناجي طالب" بعد أن ذهبت جهوده المُضنية التي إستغرقت أياماً عديدة مضت سُدىً... فعاد مُضطراً إلى الرئيس "عبد السلام عارف" ليخبره بذلك الإخفاق، مُقترِحاً عليه قبول الإستقالات جميعاً، وضرورة إجراء "تعديل وزاري" بتكليف وزراء جدد يحلّون محلّ المستقيلين.... وبذلك صدر مرسومان جمهوريان كانا قد أُعِدّا مساء ذلك اليوم... تضمّن أوّلهما "قبول تخلّي" الوزراء المستقيلين عن مناصبهم، بينما نصّ الثاني على تعيين خمسة وزراء جدد**، وهم:-

أولاً: عبد اللطيف الدَراجي- للداخلية.

ثانياً: خضر عبد الغفور – للعدل.

ثالثاً: د.عبد الرحمن محمد خالد القَيسي- للثقافة والإرشاد.

رابعاً: د. جميل الملائكة- للصناعة.

خامساً: أحمد هادي الحَبّوبي- للشؤون البلدية والقروية.

---

* ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها.

** يبدو أن منصب "وزير الإقتصاد" الذي إستقال منه "عزيز الحافظ" بقي شاغراً في هذا التعديل الوزاري........................"المؤلف".

رواية السيد "صبحي عبد الحميد"

لا يختلف "صبحي عبد الحميد" مع "ناجي طالب" في شأن أُسس الأزمة الوزارية، ولكنه يرويها من خلال وجهة نظره الخاصة، إذْ يقول:- ((أنه قدّم إستقالته يوم (٣٠ حزيران ١٩٦٥) عندما علم بسفر "عبد الكريم فرحان" إلى "القاهرة"، وبعد أن أيقَن من بعض أعضاء كتلته القومية نيّات "عبد السلام عارف" تجاهه وحيال زميله "عبد الكريم فرحان"، والتي نقلها "عارف عبد الرزاق" لأولئك الأعضاء قبل سفره إلى "باريس ولندن" منذ حوالي أسبوع، طالباً عدم إخبار "صبحي وعبد الكريم" بها... وقد تَضامَن معه الوزراء الأربعة المذكورون، والذين كان شعورهم تجاه رئيس الجمهورية مماثلاً لما يحمله قادة الكتلة القومية من أحاسيس.. لذلك فقد أمست الأزمة الوزارية مشكلة حقيقية، ليس لمجرد تقديم (٦) وزراء لإستقالتهم فحسب، ولكن بعد أن ألَمَحَ وزراء آخرون لرئيس الوزراء "طاهر يحيى" بأنهم ينوون الإستقالة أيضاً من هذه الوزارة التي غدَت ناقصة بشكل خطير.

في هذه المرحلة، دخل الرئيس "جمال عبد الناصر" على الخط وحاول جاهداً التوسط بشخصه للمرة الثانية*، فبعث رسالةً شفهية نَقلَها السيد "ناجي طالب" -الذي كان في "القاهرة" في طريق عودته من "الجزائر" مساء يوم ٤ تموز- والتي رَجا خلالها من شخص "صبحي عبد الحميد" سحب إستقالته... بينما ألحَّ عليه أيضاً كل من "ناجي طالب" و"عارف عبد الرزاق"- العائد من "لندن" مساء يوم (٣٠ حزيران)، قبل أن ينضمّ إليهما في المَسعى نفسه "اللواء الركن محسن حسين الحَبيب" وزير الدفاع.

لم يجد "صبحي عبد الحميد" بُداً أمام هذا الإصرار إلاّ أن يوافق - مبدئياً- على سحب إستقالته، ولكن شريطة تجميد إستقالة الوزراء الخمسة الآخرين... في حين تعهّد "ناجي طالب" بإقناع "عبد السلام عارف" برفض

* صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.

إستقالة جميع الوزراء المستقيلين، عدا تلك التي تقدّم بها "عبد الكريم فرحان" والذي بات التعاون بينه وبين رئيس الجمهورية مستحيلاً.

ولكن.. عندما حضر "ناجي طالب" أمام رئيس الجمهورية لإقناعه فيما تَعهَّد به، فإنه لم يوافق إلاّ على إبقاء "صبحي عبد الحميد" فقط، وتمسّكه به، رافضاً إستمرار الوزراء المستقيلين الآخرين جميعاً، مُصراً على قبول إستقالتهم دون إستثناء... ولذلك فقد أصرّ "صبحي عبد الحميد" على ضرورة قبول إستقالته أيضاً، نظراً لأن إستمراره في الوزارة دون زملائه الآخرين الذين تضامنوا معه شخصياً يُعتَبر تصرّفاً غير أخلاقي، لا يمكن أن يقبله أو يرتضيه لنفسه.

وهكذا قُبِلَت الإستقالات الستّ جميعاً مساء يوم (١١ تموز/يوليو) دون إستثناء، وتمّ التعديل الوزاري.

أحاديث الشارع العراقي

بعد تلك الأزمة التي تسبّبت في خروج إثنين من أقطاب "الكتلة القومية" من الوزارة بموجب المرسوم الجمهوري آنف الذكر، وكذلك من عضوية المجلس الوطني لقيادة الثورة، فقد بات الخلاف الذي كان قائماً بين الكتلة ورئيس الجمهورية جلياً وشبه مُعلَن... وأنه على الرغم من إستمرار قادة الكتلة الآخرين في مناصبهم العليا سواءً بصفة أعضاء في ذلك المجلس، أو في بعض دوائر القوات المسلحة*، فإن الشارع العراقي أمسى يتحدّث جهاراً وبشكل مركّز عن إحتمالات وقوع مواجهات مسلّحة وشيكة بين هذه الكتلة القوية ورئاسة الدولة**.. فيما ركّزت وسائل الإعلام العالمية في نشرات أخبارها وتقارير

* يُنظَر المبحث الأول من هذا الفصل للإطلاع على تلكم المناصب.

** علّق السيد ناجي طالب ضمن ملحوظاته المكتوبة يوم ٢٠٠٥/١/١٧ على هذه المشكلات بما يأتي:-
((من المفيد بيان الأسباب الحقيقية للخلاف الذي قام بين الكتلة القومية وعبد السلام، والتي كانت وراء كل ما حدث بعدئذ من تطورات، مثل إنهيار الإتحاد الإشتراكي، وفشل وزارة طاهر يحيى، والإخفاق في العمل الوحدوي، قبل تعيين عارف عبد الرزاق رئيساً للوزراء، وإنقلابه الفاشل على نفسه وعبد السلام، ثم فشله في محاولته الإنقلابية المسلحة على "عبد الرحمن عارف"، والتي مهّدت الطريق لحرسه ليكونوا أبطال ١٧ تموز ١٩٦٨))..................."المؤلف".

مراسليها على إحتمال نشوب خلافات سياسية كبرى بين "القاهرة" و"بغداد" في المستقبل القريب*.

إلاّ أن تلكم الإشاعات خَمُدَت كثيراً، وذلك عندما ألقى الرئيس "عبد السلام عارف" بنفسه خطاباً مَقروءاً بمناسبة الذكرى السابعة لثورة (١٤ تموز ١٩٥٨)، ذاكراً عبارات عديدة ومركَّزة عن أن وحدة العراق مع ج.ع.م ستكون نقطة إنطلاق لجمع شمل الأمة العربية.. وأن العراق سائر بخطوات ثابتة وواقعية لبناء الوحدة على الوجه الأكمل، وأنه سينهض بالإتحاد الإشتراكي العربي على دعائم شعبية ثابتة"**.

تصرّفات "عبد السلام عارف" الإيجابية

وبينما إستقبل "عبد السلام عارف" سفير ج.ع.م. في العراق "أمين هويدي" يوم (١٢ تموز/يوليو ١٩٦٥) في مكتبه بالقصر الجمهوري ، فإنه أجرى زيارة شخصية خاصة للقوات المصرية المستقرّة في "معسكر التاجي" قرب "بغداد" يوم (٢٣ تموز)، لمناسبة الذكرى السنوية/١٣ لثورة مصر في(٢٣ يوليو ١٩٥٢)، حيث إستقبله هناك كل من السفير "أمين هويدي"، وقائد القوة العربية "المقدم الركن إبراهيم عُرابي".. حيث ألقى "عبد السلام عارف" خطاباً إرتجالياً وسط ضباط وجنود تلك القوة ذاكراً:- ((إننا نعتزّ بالقائد الرائد الكبير جمال عبد الناصر))***.

وفي الأسبوع الأخير من شهر (تموز ١٩٦٥) كانت وسائل الإعلام تنشر عناوين كبيرة تُكَذّب الأقاويل والإشاعات الدائرة حول خلافات بين العراق وج.ع.م، مُبرِزَةً عبارات أورَدَها "الرئيس عبد الناصر" في خطابه الرسمي لمناسبة

---

* كنا نستمع إلى تعليقات المحللين السياسيين والخبراء الغربيين عن الأمور الخاصة بالوطن العربي والشرق الأوسط من خلال إذاعات لندن والكيان الصهيوني" ...."المؤلف".

** يُنظر تفاصيل الخطاب المنشور في صفحات الصحف الصادرة ببغداد يوم (١٥ تموز ١٩٦٥).

*** يُنظر تفاصيل الخطاب المنشور في الصحف العراقية الصادرة يوم (٢٤ تموز ١٩٦٥).

ذكرى ثورة مصر، والذي قال فيه:- ((أن علاقة بغداد بالقاهرة قوية، وستظلّ كذلك، وأن ج.ع.م تؤيّد ثورة العراق رغم أكاذيب الإستعمار والرجعية))*.

الأوضاع في الوطن العربي تتّجه إلى هدوء نسبي

ومن ناحيته واصَلَ الرئيس "عبد السلام عارف" إستقبالاته المتعدّدة للسفير "أمين هويدي" والقائد "المقدم الركن إبراهيم عُرابي" في أروقة القصر الجمهوري خلال شهر (آب/آغسطس ١٩٦٥)، فيما تمّ تعيين السيد "شكري صالح زكي" -سفير العراق السابق لدى "القاهرة" ووزير التربية في "وزارة طاهر يحيى" الثالثة- أميناً عاماً للقيادة السياسية الموحَّدة... بينما عُيِّنَ السيد "رجب عبد المجيد" سفيراً جديداً للعراق لدى "القاهرة".

وهدأت الأوضاع في "الجزائر" بعد إنقلاب "العقيد هواري بومدين"، وتوقّـفَت وسائل الإعلام العراقية عن إبراز موقف العراق المتشنّج تجاه الحركة الإنقلابية تلك، وخصوصاً بعد أن وصل السيد "الأخضر الإبراهيمي" -سفير الجزائر لدى "القاهرة"- حاملاً رسالة شفهية من الرئيس الجزائري الجديد إلى الرئيس "عبد السلام عارف" يوم (٣١ تموز/يوليو)، في حين ظهرت عناوين جديدة في صفحات الصحف العراقية وهي تركّز أواسط أيام شهر آب/آغسطس على إحتمالات التوصّل إلى حلّ نهائي للقتال الدائر منذ سنوات في "اليمن"، وقرار الرئيس "عبد الناصر" للقيام بزيارة رسمية إلى "المملكة العربية السعودية" بدعوة من عاهلها "الملك فيصل بن عبد العزيز".. إذْ تمّت الزيارة فعلاً، وأدّى الرئيس "عبد الناصر" مناسك العُمرة في "مكّة المكرمة".. حيث توصّل الطرفان المتخاصمان -والمتحاربان منذ سنوات عديدة في "اليمن" بشكل غير مباشر- إلى "إتفاقية سلام" يوم ٢٤ آب ١٩٦٥، نصّت -ضمن أمور عديدة أخرى- على إيقاف الإشتباكات المسلّحة وقيام "القاهرة والرياض" بالتعاون لتشكيل "مؤتمر إنتقالي للقوى الوطنية اليَمَنية"، وسحب القوات

* يُنظر جميع الصحف العراقية الصادرة ببغداد بالأيام (٢٤-٢٧ تموز ١٩٦٥).

المصرية المتواجدة في اليمن خلال مدة (١٠) أشهر إبتداءً من شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٥، وأن تتعهّد "السعودية" بعدم إستخدام أراضيها ضد "اليمن" تمهيداً لإجراء إستفتاء شعبي هناك لتقرير نوع الحكم.

وفي محاولة لتحسين علاقات "العقيد هواري بومدين" مع بعض الزعماء العرب، الذين لم يؤيّدوا الإنقلاب الذي قام به يوم (١٩٦٥/٦/١٩)، فقد أوفَدَ إلى "بغداد" بعثة رسمية رأسه وزير دفاعه وعضو مجلس قيادة الثورة "العقيد طاهر الزُبَيدي"، حيث إستقبله "عبد السلام عارف" في القصر الجمهوري صباح يوم (١٩٦٥/٨/٢٨).

الفصل الرابع

عبد السلام محمد عارف
والمحاولة الإنقلابية الأخطر

المبحث الأول

محاولة عارف عبد الرزاق الإنقلابية

تشكيلة وزراة جديدة

كان بادياً على سطح ساحة العراق السياسية المتلاطمة بأمواجها والملأى بالمفاجآت والصراعات الدامية في بقاعها خلال السنوات السبع المنصرمات، أن الأمور والعلاقات القائمة بين رئيس الجمهورية والكتلة القومية لربّما عادت الى بعض مجاريها بشكل أو بآخر، بعد أن رَجَّتْها أزمة تموز الوزارية رجّاً غير مسبوق في العلن.

بل كانت هناك مفاجأة أكبر إنفلقت مساء يوم الاثنين (٦ أيلول ١٩٦٥)، عندما كان الألوف من العراقيين جالسين أمام شاشات التلفاز ليشاهدوا "عبد السلام عارف" وهو يستقبل رئيس الوزراء المُستقيل "الفريق طاهر يحيى"، مع كامل أعضاء وزارته الثالثة، ورئيس الوزارة الجديدة التي كُلِّفَ بتشكيلها "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق"* قائد القوة الجوية وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة، وبرفقته (١٥) وزيراً يحملون حقائب وزارته.. وهم:-

---

* عارف عبد الرزاق:- ولد في بلدة "الكُبَيسة" بلواء الرمادي (محافظة الأنبار حالياً) عام (١٩٢٤).. تخرج في الكلية العسكرية (١٩٤٣).. أُوفد الى كلية الطيران البريطانية وتخرَّج فيها (١٩٤٥)، وفي كلية الأركان العراقية (١٩٥٢).. كان برتبة "مقدم طيار ركن" يوم (١٤ تموز ١٩٥٨) عندما تعيّن آمراً لمطار الحَبّانية العسكري، وذلك قبل أن يتم إعتقاله (٨ آذار/مارس ١٩٥٩) لعلاقته بحركة الشواف، ولكنه أُعيد الى الخدمة يوم (٥ آب/آغسطس) من السنة نفسها، وقبل أن يعود آمراً للقاعدة الجوية المذكورة (٢١ آذار ١٩٦٢) ويشترك في ثورة (١٤ رمضان/ ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣).

بعد حركة (١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣) تسنّم حقيبة وزارة الزراعة في "حكومة طاهر يحيى الأولى"، وقبل أن يتم تعيينه بمنصب قائد القوة الجوية العراقية (١٧ كانون أول/ديسمبر ١٩٦٣)، وعضواً في "المجلس الوطني لقيادة الثورة" عند تشكيله خلال شهر (آذار/مارس ١٩٦٤)..."المؤلف".

- عارف عبد الرزاق- وزيراً للدفاع... إضافة إلى منصب رئيس الوزراء.
- عبد الرحمن البزّاز- نائباً لرئيس الوزراء... ووزيراً للخارجية... ووزيراً للنفط وكالة.
- سلمان عبد الرزاق الأسود- وزيراً للمالية.
- عبد اللطيف جاسم الدراجي- وزيراً للداخلية.
- حسين محمد السعد- وزيراً للعدل.
- خضر عبد الغفور- وزيراً للتربية.
- جمال عمر نظمي- وزيراً للعمل والشؤون الإجتماعية.
- الدكتور عبد اللطيف البَدري- وزيراً للصحة.
- الدكتور محمد ناصر- وزيراً للثقافة والإرشاد.
- إسماعيل مصطفى- وزيراً للمواصلات... وللشؤون البلدية والقروية وكالةً.
- أكرم الجاف- وزيراً للزراعة.
- عبد الرحمن القيسي- وزيراً للإصلاح الزراعي... وللأوقاف وكالةً.
- جعفر علاوي- وزيراً للأشغال والإسكان.
- شكري صالح زكي- وزيراً للإقتصاد.
- مصطفى عبد الله- وزيراً للصناعة... وللتخطيط وكالة.
- الدكتور عبد الرزاق محي الدين- وزيراً للوحدة.
- سلمان الصفواني- وزيراً للدولة.

كان التغيير الوزاري أساسياً وجذرياً، وهو يُشير إلى سياسة حكومية خارجية وداخلية جديدة، ما دام قد شمل حقائب "الخارجية، الدفاع، النفط، المالية، الثقافة والإرشاد، والإقتصاد" بشكل خاص، وباقي الحقائب على وجه العموم، إذْ لم يحتفظ بمنصبَيهما السابقين سوى وزيرا الداخلية والوحدة.

لقد فوجئ الشارع العراقي بهذا الخبر، من حيث أن كل تغيير وزاري، أو حتى التعديلات الوزارية التي أُجريت في السنوات الماضيات، كان يسبقه إنتشار شائعات واسعة، حتى أن بعض الصحف اليومية كانت تُنَوِّه إليه من قريب أو بعيد، وبشكل مباشر في بعض الأحيان، أو غير مباشر في حالات أخرى... ولربما يعود سبب ذلك الى إنشغال العراقيين بأخبار القتال الدائر، الذي أمسى على أَوُجِّه، في شمال وطنهم الحبيب بين وحدات الجيش والمتمرّدين من الأكراد الذين يتزعّمهم "الملاّ مصطفى البارزاني" خلال أيام ذلك الصيف المقرف... والحرب الواسعة التي باتت تدور رحاها بين الهند وباكستان على طول حدودهما منذ مطلع ذلك الشهر (أيلول/سبتمبر)، حيث يتبادل الطرفان كذلك القصف الجوي على مدنهما... هذا إضافة الى وفاة زعيمهم الوطني "رشيد عالي الكيلاني" قبل ذلك بأيام معدودات، والذي شارك عشرات الآلاف من محبّيه في تشييع جثمانه يوم الإثنين (٣٠ آب/أغسطس ١٩٦٥).

وفي كتاب التكليف الذي عَنوَنَه رئيس الجمهورية إلى رئيس الوزراء الجديد، نقرأ نقطتين مهمّتين، هما:-

- **العمل على تحقيق الرفاه التام لأبناء الشعب كافة في ظلّ "إشتراكية عربية رشيدة"* تهدف إلى زيادة الإنتاج وعدالة التوزيع، وترعى "القُطّاعَين العام والخاص" في آن واحد.**
- **الإسراع في تحقيق الحياة الديمقراطية وتشكيل المجلس الوطني.**

ومما جلب الأنظار في هذا التغيير أيضاً، هو إستقبال رئيس الجمهورية لرئيسي الوزارتَين مع كامل أعضاء وزارتيهما، ظهر ذلك اليوم (٦ أيلول)، وتناولهم طعام الغداء معاً على موائد القصر الجمهوري، والذي أُعتُبر سابقة

* إشتراكية عربية رشيدة:- أُستُخدمَت هذه العبارة -حسب علمي- للمرة الأولى في تأريخ العراق، إذْ إعتبرها البعض -ولهم الحق في ذلك- أنها قد تكون أولى خطوات التراجع عن القرارات الإشتراكية التي أُعلِنتْ يوم ١٤ تموز ١٩٦٤.. بينما قال آخرون أنها عبارة رتَّبَها الأستاذ "عبد الرحمن البزاز" للغرض نفسه..................."المؤلف".

جديدة لم يشابهه تصرّف مثيل في التغييرات الماضية... ليس في ظروف الإنقلابات والثورات والإنتفاضات، بل حتى في الحالات الإعتيادية أيضاً.

لماذا "عارف عبد الرزاق" دون غيره؟!!!

قد يتساءَل أي متتبّع لأوضاع العراق، وخصوصاً خلال عام ١٩٦٥، والخلافات القائمة بين رئيس الجمهورية والكتلة القومية، وبالأخص بعد إحتدامها بسبب "أزمة تموز الوزارية" -والتي لم يَمْضِ عليها سوى شهرين- عن الأسباب التي حَدَتْ بـ"عبد السلام عارف" لأن يكلّف من أمسى خصماً سياسياً قوياً له، بتشكيل وزارة جديدة بدلاً من صديقه "الفريق طاهر يحيى" أو أشخاص آخرين لهم ثقلهم السياسي ومداركهم وخلفيّاتهم الثقافية وشهاداتهم الجامعية التي لا تُضاهى.

للسيد "صبحي عبد الحميد" رأي خاص في أسباب تكليف "عبد السلام عارف" لـ"عارف عبد الرزاق" لتشكيل الوزارة دون أي شخص آخر★:-

((كان "عبد السلام عارف" قد إتخذ قرار التخلّص من كتلتنا قبل أن نُقدِّم الإستقالات التي تسبّبت في إنبثاق "أزمة تموز" الوزارية، وذلك بتمزيق الكتلة من داخلها، حين بدأ يتقرّب من "عارف عبد الرزاق" -ذي المنصب الخطير (قائد القوة الجوية)- محاولاً كسبه إلى جانبه تمهيداً لإبعاده عنّا... فقد أوعَزَ إلى "العميد سعيد صليبي" قائد موقع بغداد و"العقيد حميد قادر" مدير الشرطة العام - وهما صديقا عارف عبد الرزاق الحميمين- بالتأثير عليه وإستمالته... فَسايَرَهُم "عارف عبد الرزاق" وصمّم أن يكشف جميع خطط "عبد السلام عارف" ونيّاته ومناوراته، متردّداً عليه دوماً ومُبدياً له الودّ والإخلاص، ومحاولاً -في أول الأمر- نصحه وإعادته إلى النهج القومي السليم، ومؤكّداً أن الجميع يحبّونه ويحترمونه، وأن معارضة قادة "الكتلة القومية" لبعض قراراته ليس دافعها سوى الحرص على المصلحة العامة.

★ صبحي عبد الحميد: المقابلات الشخصية نفسها.......المؤلف".

وخلال الأيام الأولى من شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٥، إستدعى الرئيس "عبد السلام" وزير الدفاع "اللواء الركن محسن حسين حبيب" ليسلّمه قائمة أسماء تشتمل على(١٠) ضباط، طالباً نقلهم إلى خارج "بغداد".. وكان على رأس القائمة "العميد الركن محمد مَجيد" معاون رئيس أركان الجيش.. والعُقداء الركن "هادي خماس" مدير الإستخبارات العسكرية، و"محمد يوسف طه" مدير الحركات العسكرية، و"عرفان عبد القادر وجدي" آمر الكلية العسكرية.

لم يقتنع وزير الدفاع -بعد أن تشاور مع زميله وزير الخارجية اللواء الركن ناجي طالب- بتنفيذ الأمر.. ولمّا أيْقَنا غرض "عبد السلام عارف" من ذلك، قرّرا تقديم إستقالتَيهما من منصبَيهما المهمّين* .. رافضَين أن يتحوّلا إلى "معوَل" بيد "عبد السلام عارف" لتهديم علاقاتهما الحسنة القائمة مع زملائهما الضباط وأقران أولئك الوزراء الذين إستقالوا من مناصبهم أوائل شهر تموز/يوليو ١٩٦٥ ... وهكذا إنهارت وزارة "الفريق طاهر يحيى" بخروج وزيرَين آخرين منها ... أوانئذ، وللحيلولة دون السماح بفراغ سياسي في العراق يؤثّر على سمعته الشخصية، فقد عَجّل "عبد السلام عارف" في تكليف "عارف عبد الرزاق" قائد القوة الجوية بتشكيل الوزارة الجديدة)).

وفي الشأن نفسه، يتحدث السيد "ناجي طالب"****، قائلاً:-**

((أعتقد أن تكليف الرئيس "عبد السلام" لشخص "عارف عبد الرزاق" بتشكيل تلك الوزارة لم يكن سوى محاولة منه لتقريبه إلى جانبه بغية إحداث

---

* بعد إطلاع السيد "ناجي طالب على هذا الرأي الذي طرحه السيد "صبحي عبد الحميد"، أوضح في ملحوظات كتبها بخد يده -مشكوراً- أن السبب الرئيس في إستقالته وزميله "محسن حسين الحبيب" لم يكن هذا فحسب، بل أنه عندما قبل تبوّء منصب وزير الخارجية في وزارة "الفريق طاهر يحيى" الثالثة إشترط أن تجري إنتخابات عامة في العراق خلال عام واحد من ذلك التأريخ، وقد قبل "عبد السلام عارف" بذلك وأدرجه في كتاب التكليف الذي أمضى عليه في حينه، ولمّا لم يَفِ رئيس الجمهورية بوعده إلى جانب أهمال رئيس الوزراء، فقد قدّمنا إستقالتَينا معاً... يُنظر في الملاحق المرفقة بهذا الكتاب.............."المؤلف".

** ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها.

شرخ في صفوف "الكتلة القومية" التي أمسى "عارف عبد الرزاق" يقودها، وذلك بهدف إضعافها أو إنهاء نشاطها السياسي، بعد أن تم ذلك نظرياً بإلغاء البند الخاص بـ"المجلس الوطني لقيادة الثورة" في الدستور المؤقت، والذي كان بعض أبرز قادة تلك الكتلة أعضاء دائمين ومتحكّمين فيه.

تلك من ناحية.. ولكن من ناحية أخرى، يُحتمل أن "عارف عبد الرزاق" هو الذي إستطاع إغراء الرئيس "عبد السلام عارف" بطريقة أو بأخرى، كي يكلّفه دون غيره بتشكيل الوزارة، ليتسنى له ولكتلته القومية السيطرة على السلطة، إذ تبيّن ذلك جلياً في محاولته الإنقلابية التي قادتها "الكتلة" بعد أقل من أسبوعين من تشكيل وزارته هذه)).

أحداث متسارعة سبقت المحاولة الإنقلابية

عندما نستقرئ الأحداث التي سبقت المحاولة الإنقلابية، يتبيّن -وفق رؤيتنا-وكأنّ الأمور التي وقعت لم تكن متسارعة فحسب، بل وربما تبدو وكأنها مُرَتّبة.. إذْ يمكن إيجازها فيما يأتي:-

أولاً: الإعلان يوم (٧ ايلول/سبتمبر)، بأن "عارف عبد الرزاق" سوف لن يحضر إجتماعات مؤتمر القمّة العربي الثالث المقرر عقده في "المغرب" يوم (١٣ أيلول)، وذلك على الرغم من تسمية وزير الدفاع السابق (اللواء الركن محسن حسين الحبيب)-بالاسم- ضمن تشكيلة الوفد العراقي منذ يوم (٢٥ آب/آغسطس).. إذْ يفترض في هذه الحالة أن يحضر وزير الدفاع اللاحق بدلاً من السابق.

ثانياً: إلغاء "المجلس الوطني لقيادة الثورة" المتشكّل منذ (آذار/مارس ١٩٦٤) -بمثابة أعلى سلطة تشريعية في الدولة العراقية- وذلك بمرسوم جمهوري صدر يوم (٩ أيلول)، وإناطة سلطاته التشريعية الى مجلس الوزراء الجديد وفق تعديل محدّد للدستور المؤقت.

ثالثاً: وفي اليوم نفسه (٩ أيلول/سبتمبر)، ووفقاً لمرسوم جمهوري خاص، أُجري تعديل آخر مهم على الدستور المؤقت، فيما يأتي نصّه:-

((يشكّل رئيس الجمهورية عند غيابه عن العراق، أو عند تعذّر قيامه بواجباته لسبب ما، مجلساً جمهورياً للنيابة عنه، قوامه ثلاثة أعضاء يختارهم من بين أعضاء مجلس الوزراء أو مجلس الدفاع الوطني، أو منهما معاً)).

رابعاً: وبعد يومين صدر مرسوم جمهوري آخر (١١ أيلول)، يقضي بتشكيل "مجلس الدفاع الوطني" من أصحاب المناصب الآتية:-

١- رئيس الجمهورية - رئيساً للمجلس.
٢- رئيس الوزراء – نائباً لرئيس المجلس.
٣- وزير الدفاع.
٤- وزير الداخلية.
٥- وزير الخارجية.
٦- وزير المالية.
٧- رئيس أركان الجيش.
٨- قائد القوة الجوية.
٩- قائد القوة البحرية.

وإستناداً إلى تلكم التعديلات والمراسيم الجمهورية، فقد غدا "عارف عبد الرزاق" -ناهيك عن منصبَيه السابقَين- نائباً لرئيس مجلس الدفاع الوطني المتشكّل حديثاً بحكم كونه رئيساً للوزراء، بل وأهم عضو فيه، لكونه وزيراً للدفاع وقائداً للقوة الجوية معاً، إذْ لم يتم تعيين خلف له بعد تسنّمه منصبه الجديد، ولم يُسنَد القيادة تلك إلاّ "وكالة" لضابط مهندس بحكم القدم العسكري.

وإستكمالاً لمعلومات هذا التعديل المهم في الدستور المؤقت أمام أنظار القارئ الكريم، فإن المرسوم نفسه كان قد نصّ على إضافة أعضاء آخرين غير دائمين، لا يحضرون إجتماعات هذا المجلس إلاّ عند إستدعائهم... وهم وزراء "الإقتصاد، المواصلات، التخطيط، الثقافة والإرشاد".. يُضاف اليهم قادة فرق الجيش، ومعاونا رئيس أركان الجيش، وقائد موقع بغداد، عند الحاجة لحضورهم.

خامساً: تبع ذلك المرسوم الصادر يوم (١١ أيلول ١٩٦٥) مرسوم ثانٍ باليوم نفسه، نصّ على تشكيل "مجلس جمهوري" للنيابة عن رئيس الجمهورية مدة غيابه عن العراق لحضور إجتماعات مؤتمر القمة العربي الثالث.. ويُخَوَّل بالتوقيع على المراسيم الجمهورية جميعاً (عدا ما يتعلق بإقالة الوزارة أو قبول إستقالتها أو تأليفها)، وذلك من الآتية أسماؤهم:-

١- عارف عبد الرزاق – رئيس الوزراء، وزير الدفاع وكالة.
٢- عبد اللطيف الدارجي- وزير الداخلية.
٣- اللواء عبد الرحمن عارف - رئيس أركان الجيش وكالة.

تشكيلة الوفد العراقي

كانت تشكيلة الوفد العراقي الذي رافق الرئيس "عبد السلام عارف" إلى مؤتمر القمة العربي الثالث في "الرباط"، كما يأتي:-

١- السيد عبد الرحمن البزاز- نائب رئيس الوزراء/وزير الخارجية/وزير النفط وكالة.
٢- شكري صالح زكي- وزير الإقتصاد/الأمين العام للقيادة السياسية الموحَّدة.
٣- حسن الدُجَيلي- سفير العراق في المملكة المغربية.
٤- الدكتور بديع شريف- رئيس ديوان رئاسة الجمهورية.
٥- العميد الركن محمود عريم- قائد الفرقة المدرعة الثالثة.
٦- العميد زاهد محمد صالح - المرافق الأقدم لرئيس الجمهورية.
٧- عبد الله مجيد- سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية.
٨- عبد الجبار الهَدّاوي- نائب رئيس التشريفات.
٩- الدكتور محمود علي الداود- المدير العام للدائرة العربية في وزارة الخارجية.
١٠- عبد الودود الشيخلي – المدير العام لدائرة التشريفات في وزارة الخارجية.

رئيس الجمهورية يغادر الى الرباط

كان كاتب هذه السطور في صباح يوم الأحد (١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٦٥)، ضابطاً برتبة "ملازم ثانٍ" يحمل علم العراق ضمن تشكيلة حرس الشرف، وواقفاً أمام ثلّة الحرس المؤلفة من ما مجموعه (٣) ضباط و(٩٨) من المراتب، وذلك ضمن إجراءات مراسيم التوديع الرسمية الإعتيادية لرئيس الجمهورية وهو يغادر القطر من مطار بغداد الدولي* وسط العاصمة العريقة، والتي طالت حوالي ساعة كاملة منذ وصوله أرض المطار ولحين صعوده سلّم الطائرة.

أقلعت الطائرة الخاصة من طراز "توبوليف-١٢٤"، والتي قادها "الرائد الطيار عدنان أمين خاكي"، في رحلة دامت أكثر من ساعتين، قبل أن تهبط في مطار "القاهرة الدولي"، ويستقبله هناك "المشير عبد الحكيم عامر" النائب الأول لرئيس ج. ع. م/القائد العام للقوات المسلحة، وسط مراسيم من الدرجة الأولى**.. وفي طريقها إلى "المغرب" هبطت كذلك في مطار "الجزائر"*** العاصمة، حيث إستقبله الرئيس الجزائري الجديد "العقيد هواري بومديَن"، وقبل أن تصل مساءً إلى "الرباط" حيث كان في إستقباله "الملك الحسن الثاني"،

مؤتمر القمة يبدأ اجتماعاته

مرّت أيام الأحد والإثنين والثلاثاء (١٢، ١٣، ١٤ أيلول/سبتمبر) بسلام ومن دون أي طارئ يذكر، إذْ كنا نستمع للأخبار أو نقرأها ونشاهد كذلك وصول الملوك والرؤساء العرب إلى"الرباط" تباعاً، ونُعقّب تحرّكاتهم وإبتساماتهم ومجاملاتهم عند بدء إجتماعات مؤتمر القمة العربي الثالث في الصحف

---

* مطار بغداد الدولي:- هكذا كان إسم المطار الواقع وسط بغداد قرب محطة القطار العالمية، والذي تحوَّل بعدئذ الى "مطار المثنى" قرب "متنزه الزوراء" ...."المؤلف"

** مراسيم الدرجة الأولى:- وردت هذه العبارة في الصحف العراقية اليومية التي نشرت الخبر في اليوم التالي..................."المؤلف"

*** سبب هبوط طائرة رئيس الجمهورية في أكثر من مطار، هو محدودية مداها، وضرورة تزودها بالوقود بين مطار وآخر........................."المؤلف".

وشاشات التلفاز، وعمّا كانت تدور في أروقته من لقاءات هامشية ومناقشات حادّة، وما طرحه السيد "أحمد الشُقَيري" -رئيس منظمة التحرير الفلسطينية- من آراء ومقترحات طَموحة، وما أبداه آخرون من طروحات وأفكار وخطوات وإستحضارات لحرب قادمة مع الكيان الصهيوني خلال مدة لا تزيد على سنتَين، مستهدفة تحرير كامل التراب الفلسطيني... وتلكم التقوّلات التي دارت على وجه الخصوص حول مقترحات مُستَغرَبة غير مسبوقة طرحها الرئيس التونسي "الحبيب بورقيبة" تمحورت حول ضرورة فتح حوار وصولاً إلى التصالح مع "إسرائيل"، والتي هَيَّجَت مشاعر الجماهير العربية والإسلامية على السواء.

إنذار مفاجئ وحالة تأهب قصوى

كنا، بطبيعة الحال-وكما هو الحال في جميع وحدات الحرس الجمهوري أو الملكي أو الرئاسي لدول العالم كافة، وخصوصاً دول العالم الثالث- نتسلّم بين آونة وأُخرى أوامر تقضي بإتخاذ تدابير اليقظة والحذر في الأيام التي كانت هناك معلومات تشير إلى إحتمال حدوث محاولة إنقلابية أو تحرّكات مشبوهة قد يقوم بها هذا أو ذاك، وهذه الفئة أو تلك... ولكننا -نحن صغار الضباط- لم نكن نطّلع بطبيعة الحال على الجهة المُخبِرة أو الفئة المُحدّدة أو الأشخاص المناوئين المحتلمين، بل كان الواجب علينا في مثل تلكم المواقف أن نحمل الأسلحة والأعتدة من المشاجب قبل أن ننتشر حسب خطة موضوعة سلفاً كنا قد أجرينا ممارسات عديدة لتنفيذها، وفي مواقع محددة حوالي القصر الجمهوري، أو على مقتربات تؤدي اليه، أو قد تشكّل خطراً على مبانيه ومنشآته وعلى من يتواجد فيه.

والحقيقة أني لم أُصادف حالة من الإنذار والتأهب طيلة أكثر من (١٣) شهراً مضت على مباشرتي بالخدمة في الحرس الجمهوري سوى مرّتين، لم يحدث خلالهما أي أمر خطير، إذْ لم نخرج حتى من ثكنة الفوج إلاّ لمجرد التفرّق الفعلي في المواقع المحددة لكل سرية أو فصيل... ولكن المرة الوحيدة التي حصل

فيها تطبيق خطة أمن وحماية القصر الجمهوري من خارجه، هي تلك التي لم نكن قد بُلِّغنا قبلها بأي إنذار!!!.

كان ضباط فوجنا -عدا أولئك الذين كانوا قد غادروا المعسكر إلى منازلهم منذ ظهر يوم الأربعاء ١٥ ايلول* - جالسين بملابسهم العسكرية في حديقة الثكنة، يتداول بعضهم أحاديث عامة، ويتابع آخرون برنامج التلفاز الإعتيادي، بينما يمارس آخرون لعبة "الطاولي" و"الدومينو" أو "تنس الطاولة"، حينما طلب آمر الفوج، في حدود الساعة الثامنة مساءً، حضور المساعد وآمري السرايا الجالسين في مكتبه فوراً.

ساد الصمت الجميع، وترك الضابط ألعابهم دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة، وتكدّرت الوجوه وبانَ عليها القلق... فالإستدعاء غير إعتيادي، وقلّما كان آمر الفوج، المعروف بهدوئه، يطلب كبار ضباط الفوج بهذا الأسلوب ليلاً.... إذاً، فهناك ثمة شيء خطير قد حدث، أو أن أمراً كبيراً سيحدث.

لم تَمضِ سوى بضع دقائق حتى عاد آمرو السرايا مسرعين، وصاحوا من بُعد عشرات الأمتار على الضباط جميعاً بالتوجّه ركضاً إلى قاعات منام جنودهم، وأن يتسلّم الجميع الأسلحة والأعتدة حالاً، وأن يتوجّهوا بها كلٌ لقاطعه المحدّد وفقاً لخطة الطوارئ.

سادت الثكنة، بجميع شوارعها وأروقتها وممرّاتها وقاعات منامها، حركة هائلة، حيث أكمل المراتب إرتداء ملابسهم وتجهيزاتهم مسرعين، ووقفوا ضمن صفوف طويلة ليخطفوا بسرعة أسلحتهم المخصصة من مسالح المشاجب.

إجتمع كل فصيل على حدَة، وقاد كلٌ منّا فصيله بالهَروَلة إلى موقعه المحدَّد، وإنتشر البعض على رصيفي الشارع العريض العام المار من أمام القصر الجمهوري بإتّجاهي الجسر المُعَلّق وجسر الجمهورية، وآخرون إتخذوا مواضعهم

---

* قد يتحسّس القارئ الكريم تبايناً في ليلة تنفيذ الحركة الإنقلابية التي قادها السيد "عارف عبد الرزاق" عام (١٩٦٥) ما بين ليلة (١٤/١٥ ايلول) وليلة (١٥/١٦ ايلول).. ونظراً لأهمية هذا الأمر، فقد بحثناه خصيصاً من خلال مناقشة منطقية -حسب رؤيتنا والحقائق المتوفرة- طالت صفحات عديدة يجدها القارئ في الصفحات الأخيرة من هذا المبحث............"المؤلف".

بإتجاه الطريق المؤدي إلى "قاعة الخلد" والمنطقة المشجرة المحيطة بها... حيث أمسَينا مستعدين لتنفيذ أي أمر يصدر بفتح نيران أسلحتنا كافة تجاه أية أرتال أو مجاميع جنود أو أشخاص يمكن أن يتقدّموا نحونا، وبأقصى ما يمكن من الشدّة... وعندما وقفتُ أمام آمر سريتي "الملازم أول يوسف خليل أحمد" متسائلاً عن السبب الذي دعانا لإتخاذ كل هذه الإجراءات، فإنه لم يستطع -كالعادة- الإجابة، فلم يكن على علم مما يجري وراء الكواليس، حاله حال باقي آمري السرايا جميعاً وصغار الضباط.

ومن الجهة المقابلة لمبنى القصر الجمهوري، كنا نسمع هدير محركات دبابات عديدة باتت تتحرك من داخل ثكنة مؤقتة، كانت قد إستقرّت فيها سرية دبابات واحدة مؤلفة من (١٥) دبابة من طراز "ت-٥٤" سوفيتية الصنع، تشكّلت خلال الأشهر الأخيرة كنواة لكتيبة دبابات الحرس الجمهوري بقيادة "الرائد الركن فيصل عبد الحليم"، حيث إتخذ عدد منها مواقع حول سياج القصر، فيما وقفت دبابات أخرى نَسَقاً واحداً قبالة القصر على الرصيف، وأطفأت محركاتها... وكان أقرب رعيل دبابات من قاطع سريتنا بقيادة زميلي "الملازم سمير أحمد أيوب".

كان المنظر العام رهيباً، بل ومُرعباً، وسط ذلك الصمت الهائل ومنع التجوال غير المُعلَن، واللذان خَيَّما على منطقة "كرادة مريم" عموماً، وبالأخص عندما قطعنا الشارع العام مانعين مرور السيارات والأهلين، ما أوحى إلى قرب وقوع معركة وشيكة دامية بيننا - نحن الحرس الجمهوري- وبين قطعات أُخرى من جيش العراق قد يتقدم نحونا... وكذلك بين دباباتنا ودبابات عراقية أخرى قد تتوجّه نحو القصر الجمهوري لتحاول قلب نظام الحكم القائم... حيث لا بدّ وأن مذبحة بين الطرفين ستقع، وسيكون وقودها هؤلاء الشباب الذين لا ناقة لهم في كراسي الحكم والمتصارعين على الجلوس فوقها، ولا جمل.

ساعات إنتظار صعب

مضت ساعات الليل ثقيلة على نفوس الضباط والمراتب المنتشرين في العراء أو قرب السياج... فالجنود جالسون وهم يمسكون أسلحتهم بين أيديهم،

بينما يتجوّل ضباط الصف بينهم يحثّونهم على الإنتباه وعدم النوم... فيما الضباط واقفون ينظرون هنا وهناك، وأسماعهم منتبهة إلى أي صوت غير عادي، وأنظارهم متّجهة إلى أية حركة قد يُشكّ في أمرها.

إجتماع على الأقدام

إنتصف الليل، ومرّت عليه ساعات أخرى، حين رأيتُ آمر لواء الحرس الجمهوري "العقيد الركن بشير عبد الرزاق الطالب" وبصحبته آمر فوجنا "الرائد الركن عبد الرزاق صالح العُبيدي" وقد أدّيا تحية عسكرية قوية لضابط وقف بسيارته العسكرية الفخمة قربهما... لم أستطع تشخيصه أول الأمر، ولكنه كان "العميد سعيد صليبي" قائد موقع بغداد وآمر الإنضباط العسكري، بجسده الضخم وطول قوامه ووجهه الجميل، وأحد أكثر المقربين من شخص "عبد السلام عارف"، وقد وقفت على مبعدة منه سيارتان عسكريتان تابعتان للإنضباط العسكري من طراز "دوج باور"، وعلى متنهما حوالي (٢٠) من جنود الإنضباط المدجّجين بأسلحتهم الشخصية الرشاشة.

لم تَمْضِ سوى دقائق حتى إنضّم إليهم آمر كتيبة الدبابات "الرائد الركن فيصل عبد الَحليم" الذي جاء مُسرعاً على قدمَيه، وذلك قبل أن تحضر سيارتان عسكريتان مُسرعَتان من طرازِ "يوتيليتي UTILITY" تحملان هوائيّات لأجهزة لاسلكية... ترجّلَ من إحداهما "المقدم إبراهيم عبد الرحمن الداود" آمر فوج الحرس الجمهوري الثاني، ومن ثانيتهما "المقدم داود عبد المجيد" آمر فوج المشاة الآلي الثاني المُرابط في "معسكر الوشاش" والتابع أصلاً الى اللواء المدرع العاشر المنتشر في بعض شمالي العراق... حيث وقفوا جميعاً على الرصيف المقابل لقاطع فصيلي قرب سياج القصر الجمهوري المُطل على الشارع العام لمنطقة " كرادة مريم" حيث كانت بضع عشرات من الأمتار تفصلني عنهم.

ظلّ "العميد سعيد صليبي" المتحدّث الوحيد، ويبدو أنه هو الذي تَرأّس ذلك الإجتماع -الذي بدا رسمياً جداً- وبعيداً عن الأسماع والأنظار والمكاتب الرسمية، بينما إستمع الآخرون وقوفاً لحوالي نصف ساعة، قبل أن يتفرّقوا بسياراتهم العسكرية على عَجَل كلٌّ بإتجاه.

كنّا مع جنودنا، ما زلنا في وضع من التهيّؤ والمراقبة، حتى بانت خيوط فجر يوم الخميس (١٦ أيلول ١٩٦٥)... ولكن عدداً غير قليل من الجنود كان قد أعياهم السهر، فخلدوا إلى الغفوة جلوساً لبعض الوقت... لم نكترث لذلك، فواقع الحال -في نظري- أنه لو حدث أي طارئ، فإنهم سينتبهون فوراً دون أدنى شك... فالمُغامرون ليسوا على بعد بضعة أمتار، وأن أولئك الذين يمكن أن يتقدّموا نحونا سننتبه إليهم قبل أن يصلوا إلينا بمئات الأمتار على الأقل.

قُبَيل طلوع الشمس، صدرت الأوامر الشفهية بضرورة الحيطة والحذر والإنتباه الأشد... ولكننا لم نسمع أي إطلاق نار من قريب أو بعيد... وسطعت الشمس وأنارت الدنيا وما فيها، ومضى الوقت حتى قارب الساعة الثامنة صباحاً، وبدا الوضع هادئاً بعض الشيء، إذْ بُلِّغنا بجمع نصف موجود مراتب فصائلنا لإعادتهم الى الثكنة، لينالوا قسطاً من الراحة حتى الظهر، ويتهيّأوا لواجب الحماية بعد ظهر اليوم نفسه، بدلاً من الذين سيستمرون في الخارج نصف النهار.

العودة إلى الثكنة

كانت الساعة السادسة مساءً، عندما تسلّمنا أوامر لاحقة بعودة الجميع الى الثكنة، ولكن من دون أن يُفتَح الشارع العام لمرور السيارات الأهلية والمارة حتى ظهيرة يوم الجمعة (١٧ أيلول).. أوانئذٍ، حمدنا الله سبحانه وتعالى وشكرناه على نعمة الأمان... بات الجميع على أسرّتهم مُتعَبين وقد وضعوا أسلحتهم وأعتدتهم على مقربة من رؤوسهم تَحَسُباً لأي طارئ... فحالة الإنذار والتأهّب ما زالت قائمة.

مؤتمر آمر فوج

حين إستقرّ الجميع في الثكنة مساء يوم الخميس ١٦ أيلول ١٩٦٥، وبعد أن تناولنا بعض الطعام اللذيذ، بعد إجهاد متواصل لـ(٢٤) ساعة متتالية، طلب آمر الفوج حضور جميع الضباط في "البهو"، حيث بادر إلى توضيح الأمور الآتية بكل صراحة:-

أولاً- أن مؤامرة كبيرة وخطيرة، حاول بعض كبار مسؤولي الدولة تنفيذها، مستغلّين غياب السيد رئيس الجمهورية عن البلد.

ثانياً- أن ((قادة المؤامرة)) هم:-

١- عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق- رئيس الوزراء وأحد نواب الرئيس الجمهورية.

٢- العقيد الركن هادي خماس – مدير الإستخبارات العسكرية.

٣- العقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي – آمر الكلية العسكرية.

٤- المقدم الركن رشيد محسن – مدير الأمن العام.

٥- المقدم فاروق صبري عبد القادر- معاون مدير الإستخبارات العسكرية.

٦- الرائد عبد الأمير الرُبَيعي – أحد الضباط الأقدمين في مدرسة الدروع بمعسكر "أبي غريب".

ثالثاً- لقد تمكّن عدد من مسؤولي الدولة المخلَصين للسيد رئيس الجمهورية، وعلى رأسهم" العميد سعيد صليبي" قائد موقع بغداد، إفشال المؤامرة في مهدها، وقُبَيل الشروع الفعلي بتنفيذها... ولما خاب أمل المتآمرين، إضطروا للتوجه إلى"مطار الرشيد العسكري" ظهر هذا اليوم، لتقلّهم طائرة نقل عسكرية كانت مهيّأة مُسبقاً(*)، وتوجّهوا بها الى "القاهرة" مباشرة.

رابعاً- وعلى الرغم من علمنا بفشل المؤامرة تماماً ظهر هذا اليوم، فإننا لم نشأ أن نبلّغكم بذلك، ولم نرفع حالة الإنذار بشكل كلّي، خشية وجود ذيول لها، حتى تطمئن النفوس تماماً.

خامساً- سنبقى في حالة تأهب وإنذار خلال الأيام القادمة داخل ثكنة الفوج، حتى يعود السيد رئيس الجمهورية الى "بغداد" بسلام.

(*) لم تكن طائرة النقل العسكرية من طراز "آنتونوف- ١٢ أوكراينا" مُهيّأة سَلَفاً، بل كانت مُعَدّة ومُحَمّلة بقناني غاز"الأوكسجين" هدية من الحكومة العراقية الى "دولة الجزائر"... ذلك ما توضّح لنا من خلال أقوال السادة الذين قابلتُهم شخصياً بعدئذ ...."المؤلف"

تساؤلات في النفوس فرضت نفسها

تَجَمَّدَ كل منا في مقعده مُستغرباً، وقد أخذه العجب ممّا سمع، وتبادل البعض نظرات التساؤل مع زملائه، ولربما طرح على نفسه أسئلة عديدة خلال الساعات التي تلت ختام ذلك الاجتماع... فلم يَلْقَ في صدره، أو على لسان الآخرين، أجوبة شافية أو مُقنعة لما حدث:-

- فإذا ما كان قد أوضحه السيد آمر الفوج صحيحاً... فكيف تفشل مؤامرة يشترك فيها هذا العدد من كبار مسؤولي الدولة؟!

- وكيف لم يَتَسَنَّ لشخص يشغل منصب أحد نواب رئيس الجمهورية، بل هو أهم القائمين بالنيابة عنه، ناهيك عن مناصبه الأخرى -رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع وقائداً للقوة الجوية- أن يستحوذ فوراً وبكل سهولة ويُسر على أمور الدولة، التي هو ماسك بمعظم خيوطها أصلاً؟!!

- وهل لم يستطع ذلك الشخص -والى جانبه مديرا الإستخبارات العسكرية ومعاونه، ومدير الأمن العام، وآمر الكلية العسكرية- أن يلقي القبض على أشخاص لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، وبأي أسلوب أو طريقة كانت... سواءً بإستدعائهم إلى مكتبه الرسمي، أو بتكليف أشخاص يحاصرونهم في مساكنهم أو مكاتبهم الرسمية؟!!

- أن "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" الذي ظلّ محتفظاً بمنصب قائد القوة الجوية، وهي أهم قوة مسلحة يمكن أن تُستَخدَم في أية حركة إنقلابية... وأن آمري القواعد الجوية والمطارات العسكرية هم من تلاميذه، أو من الذين عيّنهم بشخصه في تلكم المناصب، أو ممّن يأتمِرون حتماً بأوامره... إذاً، فكيف تخفق حركة إنقلابية يشترك فيها معظم، أو جميع القوة الجوية؟!!

- ولماذا يقوم مثل هؤلاء الشخصيات بهذه الحركة؟! وماذا كان ينقصهم؟!!.. فمن ناحية الجاه، فإنهم في مناصب يحسدهم عليها الكثيرون... ومن ناحية النفوذ، فإن لهم ذلك في جميع أنحاء وألوية (محافظات) العراق...

ومن ناحية المال، فإنهم مكتفون به ولا ريب... ومن نواحي المُعتَقَد، فإن رئيس الدولة ومعظم مسؤوليها وقادتها سائرون على نهج قومي ووحدوي.

- وما الذي جعل مثل هؤلاء يستحضرون لخطوة تراجعية؟!! وممّن كانوا يخشون، بحيث هيّأوا طائرة نقل عسكرية تنقلهم إلى"القاهرة" في حالة شعورهم بفشل حركتهم؟!!

- وما دامت العلاقات القائمة بين "مصر والعراق" ودّية إلى هذه الدرجة التي نسمع بها ... فهل من المعقول أن يقبل الرئيس" جمال عبد الناصر" تواجد المتآمرين على أخيه الرئيس "عبد السلام عارف" في أرض الكنانة؟!!

عناوين مُخجلة في أخبار عالمية

وعلى أية حال، وبينما ظلّت محطتا إذاعة وتلفزيون العراق على برامجهما الإعتيادية، كالنعامة التي تغرس رأسها في الرمل معتقدة أن الآخرين لا يرونها ما دامت هي لا تراهم، وكأن شيئاً لم يحدث... وكعادتنا نحن العراقيين في مثل هذه المواقف الصعبة خلال السنوات السبع المنصرمات، ومنذ (١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨)، ولكي نسمع أخبارنا، ونطّلع على ما يجري في بلدنا، فقد حمل كل منا مذياعه الصغير مع حلول صباح اليوم التالي (الجمعة) ليستمع إلى أخبار العراق المنقولة من الإذاعات العربية والعالمية، وهو جالس ليس في "قلب بغداد" فحسب -كما هو دارج ضمن المصطلحات الإعلامية والأدبية- بل في "القصر الجمهوري" نفسه الذي لم يكن يعيش الأحداث فحسب، بل إنها تُصنَع فيه وحواليه.

وواقع الحال أن تكلم الأخبار حملت عناوين مُخجِلة ذات عبارات لا تخلو من الدسّ والمَسّ... وهي:-

- محاولة فاشلة لقلب نظام الحكم في العراق.
- المتآمرون من القوميّين العرب ذوي الميول "الناصرية".

- كبار مسؤولي الدولة العراقية مُتورّطون في المؤامرة الفاشلة.
- نائب رئيس الجمهورية العراقية ورئيس وزرائها يحاول الإطاحة غدراً برئيسه وزميله الغائب عن البلد.
- الثورة في العراق -كأية ثورة في العالم- تأكل رجالها.
- رجال الحكم في "العراق" يتآمرون على أنفسهم.
- المتآمرون يلجأون إلى "القاهرة" طالبين اللجوء السياسي.
- "عارف عبد الرزاق" وزمرته يحصلون على اللجوء السياسي لدى "مصر".

المبحث الثاني

"عبد السلام محمد عارف" في "بغداد"

عودة رئيس الجمهورية واحتمال إغتياله

تواصلت حالة الإنذار والتأهّب في فوجنا وجميع وحدات الحرس الجمهوري، وكذلك الوحدات العسكرية المنتشرة في بغداد وحواليها، طيلة يوم الجمعة (١٧ أيلول ١٩٦٥) دون حادث طارئ، ولكن من دون تواجد مسلّح في الشوارع المحيطة بالقصر الجمهوري ليلاً أو نهاراً... بينما بقيت الدبابات في مواقعها المحيطة بالقصر، فيما كان الشارع العام مفتوحاً للسيارات والمارة على السواء، وبشكل إعتيادي.

ومما يجدر ذكره في هذا الشأن أن معظم الناس قد دأبوا في مثل هذه الأيام على تخفيف تنقّلهم عبر" كرادة مريم" خشية طارئ لا يُحمد عقباه... فـ((الباب التي تأتي منها الريح، سدها وأستريح))، كما يقول المثل العراقي... ولكن العديد منهم، بالوقت نفسه، كانوا يتجوّلون في هذه المنطقة فُضولاً، كي يشاهدوا بأنفسهم ما أُشيع أنه قد حدث، وليتأكدوا بشخوصهم من أن مؤامرة

★ أورد السيد "أمين هويدي" سفير ج.ع.م في "بغداد" أوانئذ، رواية تختلف في أحداثها عمّا سأرويها على صفحات هذا الفصل في العديد من الأوجه... ولو تفضّل القارئ الكريم وراجع صفحات كتاب السيد "أمين هويدي" الموسوم "كنتُ سفيراً في العراق"-وهو كتاب غني بمحتوياته- لوجد تلك الإختلافات التي سأحاول جلب الأنظار إلى بعضها... وأن شهودي على ما أرويه عديدون، ومنهم آمر فوجنا "الرائد الركن عبد الرزاق صالح العبيدي"، وآمر حرس الشرف "النقيب كاظم عزيز" ومعاونه "الملازم سعد شمس الدين" ما زالوا، والحمد لله، على قيد الحياة عند كتابتي لهذه السطور عام (١٩٩٧-١٩٨٨).... أطال الله في أعمارهم وصحتهم............"المؤلف".

أو محاولة إنقلابية ربما قد جرت بحكم إنتشار الدبابات والأسلحة الثقيلة والجنود أمام القصر الجمهوري وحواليه بأسلوب غير مألوف في الأيام الأخرى، وذلك قبل أن يعودوا إلى عوائلهم ليتحدثوا أمامهم، بكل فخر، أنهم إستطاعوا إجتياز منطقة مليئة بالأخطار!!

حرس الشرف في المطار

ما أن حلّ فجر يوم السبت (١٨ أيلول ١٩٦٥)، أُبلغنا بأن رئيس الجمهورية قد أنهى زيارته للمملكة المغربية بعد حضوره الجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي الثالث، وأنه سيصل بطائرته الخاصة في حدود الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم إلى "بغداد"* ... وفي حين إستحضر "النقيب كاظم عزيز" نفسه لقيادة حرس الشرف في أرض "مطار بغداد الدولي"، فقد أُبلغتُ أن أكون "حامل علم العراق" معه -كالعادة- بينما يقوم "الملازم سعد شمس الدين خالص" بواجب المُعاون.

حضرنا إلى المطار في حوالي الساعة السادسة صباحاً، وبقينا ننتظر وصول طائرة رئيس الجمهورية حتى الساعة التاسعة دون جدوى، في حين كان الوضع في المطار وحوالَيه ليس بالشكل الإعتيادي الذي تَعَوّدنا عليه في العديد من حالات الإستقبال أو التوديع السابقة... فقد إنتشر العشرات من جنود "الإنضباط العسكري" المسلّحين بالمسدّسات والغدّارات** معاً في المنطقة المُحيطة بساحة وقوف الطائرات وعلى سطوح الأبنية المجاورة... ناهيك عن جنود آخرين من

* تختلف هذه الحقيقة عمّا أورده السيد "أحمد فوزي" في كتابه الموسوم "عبد السلام محمد عارف" نقلاً عن السيد "محسن حسين" مندوب وكالة الأنباء العراقية المُرافق للرئيس عبد السلام عارف، بأن الطائرة تحرّكت من "القاهرة" دون أن يعلم أحد من أعضاء الوفدَين الرسمي والصحفي شيئاً عن الجهة التي تقصدها ... يُنظَر (أحمد فوزي: عبد السلام محمد عارف، مكتبة التراث والمعاصرة، مطبعة الديواني، ط١، بغداد، ١٩٨٩، ص٤٨)......................."المؤلف".

** الغَدّارة:- تسمية رسمية لسلاح شخصي كان مستخدماً لدى الجيش العراقي، يتوسّط حجمه بين المسدس والبندقية، ويحمل مخزناً يسع عشرات الإطلاقات، ويرمي مُفرَداً وصَلياً ويمتاز بدقة الرمي..........................."المؤلف".

فوجنا، وآخرين يرتدون ملابس مدنية ويخفون مسدساتهم تحت سِتَرهم أو قمصانهم، وهم من منتسبي فصيل الحرس الشخصي لرئيس الجمهورية.

رئيس الجمهورية في طريق العودة

كانت الساعة قد قاربت العاشرة صباحاً عندما أشار آمر فوجنا أن نتجمّع أمامه ليبلغنا ببعض الأخبار المهمة عن الأحداث القائمة، وكان من أهمها:-

أولاً: أن السيد وزير الصحة "الدكتور عبد اللطيف البدري" -والذي تربطه بشخص رئيس الجمهورية صداقة حميمة- قد سافر إلى "الرباط" ووصلها فجر يوم أمس (الجمعة ١٧ أيلول)، ليبلغ سيادته بتفاصيل المحاولة الإنقلابية، ويطمئنه عن الهدوء الذي تنعم به "بغداد" إثر فشلها، وتفضيل حضوره إلى القطر بأسرع ما يمكن... ولكن السيد رئيس الجمهورية رفض أن لا يتواجد بالجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي الثالث ليلة أمس (الجمعة/السبت)، في حين أنه ألغى زيارته الرسمية للمملكة المغربية التي كانت مقرّرة لمدة (٤) أيام للراحة والإستجمام والتجوال في بعض المدن المغربية بعد إنتهاء المؤتمر المذكور.

ثانياً: أن رئيس الجمهورية قد غادر مطار "الرباط" بالساعة العاشرة والنصف ليلاً (بتوقيت بغداد) بطائرته الخاصة، وحطّ في مطار "الجزائر"، وأقلع منها في الساعة الواحدة والنصف ليلاً بعد منتصف الليل، وهبط في مطار "بنغازي" في "ليبيا" فجر هذا اليوم "السبت" في طريقه إلى "القاهرة".

ثالثاً: يحتمل أن يتأخر السيد الرئيس في"القاهرة" بعض الوقت، لذلك فإن على حرس الشرف الرجوع إلى ثكنة الفوج لأخذ قسط من الراحة وتناول طعام الغداء هناك، وإنتظار أوامر لاحقة للعودة الى المطار فوراً... على أن يبقى الجميع بملابس المراسيم، وأن تُرابط السيارات المخصّصة لنقلهم في ساحة التدريب المركزية للفوج على أهبة الحركة.

طال إنتظارنا في ثكنة الفوج كذلك، وأصابنا بعض الملل، وبلغ منا الضجر مبلغه، لا سيّما وأننا مرتدون ملابس حرس الشرف الرشيقة، والمُزعجة، منذ فجر ذلك اليوم...

ولكن ثمّة معلومة مفاجئة أبلغنا بها "النقيب كاظم عزيز" آمر حرس الشرف في حوالي الساعة الواحدة ظهراً، وهي تشير إلى أن السيد رئيس الجمهورية قد يتعرّض إلى محاولة إغتيال أثناء نزوله من الطائرة، أو عند وقوفه لأداء التحية على"منصة الشرف" خلال عزف السلام الجمهوري، أو لدى تفتيشه لحرس الشرف، والذي يطول في مجمله دقائق عديدة.

لذلك فقد أصدر "ديوان الرئاسة" توجيهاً بتزويد جميع بنادق أفراد حرس الشرف -وعددهم (١٠١) ضابط صف وجندي- بالعتاد، على عكس جميع الحالات السابقة التي كانت البنادق مُجرَّدة من الإطلاقات.

في ساحة المطار مجدّداً

عُدنا إلى مطار بغداد الدولي بالساعة الثالثة والنصف عصراً، حيث علمنا أن آمر لواء الحرس الجمهوري "العقيد الركن بشير الطالب" قد إتّفق مع آمر فوجنا، ليطرحا على السيد رئيس أركان الجيش وكالة "اللواء عبد الرحمن عارف" فكرة الصعود معاً إلى الطائرة فور توقّفها في الساحة المخصصة لها، ليبلغوا السيد رئيس الجمهورية، بأن الظرف القائم يُوجِب إلغاء مراسيم حرس الشرف المُتعارَف عليها، وإقناع سيادته ليُوافق أن ينزل من سلّم الطائرة بأسرع ما يمكن ويستقلّ سيارة خاصة تقف بمحاذاة السلّم بغية نقله إلى القصر الجمهوري مباشرةً* .

وما أن حلّت الساعة الخامسة عصراً، وبينما كنا ننتظر هبوط الطائرة الخاصة لرئيس الجمهورية من طراز "توبوليف- ١٢٤" على مدرج المطار، فإذا بطائرة مدنية كبيرة تابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة من طراز "كوميت-٤ سي" وهي تتدحرج على المدرج، قبل أن تتوجّه إلينا وتتوقّف في الموقع المخصص على مبعدة بضع عشرات

---

* تختلف هذه الحقيقة – وقد عاش"المؤلف" أحداثها ساعة بعد ساعة- عما رواه السيد "أمين هويدي" سفير ج.ع.م ببغداد في حينه- من أنه لم يُخبِر أحداً خوفاً على حياة "الرجل!!" حتى أن أخاه "اللواء عبد الرحمن عارف" كان يعتقد أنه ذاهب الى المطار بصحبته لمقابلة وفد عسكري قادم من القاهرة على متن إحدى (الطائرات الحربية) في تمام الساعة الخامسة.
يُنظر "أحمد فوزي:- عبد السلام محمد عارف، مصدر سبق ذكره، ص٤٦" ...."المؤلف".

من الأمتار* عن الموقع الذي كنا متأهبين فيه لأداء السلام الجمهوري**.

وحال إلصاق أعلى السلم بباب الطائرة، لم ينتظر "اللواء عبد الرحمن عارف" وبصحبته "العميد سعيد صليبي" قائد موقع بغداد، و"اللواء عبد اللطيف جاسم الدراجي" وزير الداخلية، و"العقيد الركن بشير الطالب" آمر لواء الحرس الجمهوري، ومعهم آمر فوجنا، حتى أسرعوا صعوداً إلى الطائرة***.



الصورة (٧٦)
ظهر يوم السبت ١٨ ايلول/سبتمبر ١٩٦٥
الرئيس "عبد السلام محمد عارف" يعانق المشير "عبد الحكيم عامر" لدى هبوطه بالقاهرة عائداً من "الدار البيضاء" في طريقه إلى "بغداد" بعد فشل المحاولة الإنقلابية

---

* وهذا أيضاً يُفَنِّد ما أورده السيد "أمين هويدي" من أن (طائرة حربية مصرية) هي التي حملت عبد السلام عارف من القاهرة إلى بغداد...... يُنظر :- أحمد فوزي:- المصدر والصفحة نفسهما ...."المؤلف".

** تختلف مشاهدتُنا هذه كذلك عمّا رواه السيد "أمين هويدي" بأنه لمّا رأى الطائرة وهي تحلّق في سماء المطار، عندئذ أخبر "اللواء عبد الرحمن عارف" بمَقدَم أخيه، تاركاً كل شيء له ليعدّ "حرس الشرف" لإستقبال الرئيس القادم..(يُنظَر المصدر والصفحة نفسهما).......المؤلف".

*** على العموم، فإن السيد "أمين هويدي" لم يكن دقيقاً بشكل مطلق في وصفه بـ((أن الموقف في بغداد لم يكن واضحاً، بل كانت هناك طائرات بإنتظار "عبد السلام" في سمائها لإسقاط طائرته عند الوصول)).....(يُنظَر المصدر والصفحة نفسها)..................."المؤلف".

وأقولها للتأريخ، وبعد أن عشتُ أحداث تكلم الساعات بدقائقها ووقائعها بتفاصيلها، أن الوضع في "بغداد" كان هادئاً، على الرغم من كونه مشوباً بالحذر... وكان الموقف قد توضّح تماماً منذ مساء يوم الخميس (١٦ ايلول/سبتمبر)، إذْ لم أُشاهد، ولم نُبلَّغ -نحن ضباط حرس الشرف- بأن هناك طائرات تحوم في سماء "بغداد" مطلقاً، سواءً في تلك الساعة أو في ذلك اليوم أو قبله أبداً ...."المؤلف".

عبد السلام عارف يتحدّى

وبينما كنا نتوقع إلغاء مراسيم حرس الشرف، إستناداً إلى الفكرة التي علمنا أنها ستُطرح على رئيس الجمهورية... فإذا بـ(عبد السلام عارف) وهو يطلّ من باب الطائرة المدنية المصرية، ويقف في أعلى السلّم محيّياً بيده المستقبلين على غير عادته في جميع المرات السابقة... وذلك قبل أن ينزل إلى أرض المطار بكل هدوء متوجهاً الى حيث "منصة التحية" يرافقه رئيس أركان الجيش ووزير الداخلية... حينها، عزف "جوق موسيقى الجيش" بقيادة "الملازم أول عبد السلام جميل" السلام الجمهوري العراقي، ليُجري "عبد السلام عارف" المراسيم كاملة بجميع خطواتها ومراحلها، وقبل أن يتوجّه لمصافحة مستقبليه*، ثم إلى قاعة الشرف الكبرى للجلوس فيها بعض الوقت.

وبعد حوالي ربع ساعة، وبينما كانت السيارة الرسمية السوداء الخاصة بشخص رئيس الجمهورية واقفة قرب باب قاعة الشرف الكبرى ضمن الموكب الرسمي الخاص، فإذا بسيارة صالون كبيرة مكشوفة (دون سقف) حمراء اللون من طراز (لنكولن) وقد حضرت لتحلّ محل تلك السيارة السوداء... إذْ صعد إليها "عبد السلام عارف" واقفاً على قدميه في حوضه الخلفي وهو يمسك بظهر المقعد الأمامي، محيّياً الجماهير التي إحتشدت على جانبي الشارع العام المؤدّي من المطار إلى الجسر المُعلّق**.

---

* يُنظَر صور "عبد السلام عارف" وهو واقف على منصة التحية في ساحة مطار بغداد الدولي، وإلى يمينه "اللواء عبد الرحمن عارف" وإلى يساره "عبد اللطيف الدراجي"... وصوراً أخرى وهو يصافح عشرات المستقبلين من كبار رجالات الدولة... والتي نشرتها الصحف العراقية الصادرة صباح اليوم التالي (الأحد ١٩ أيلول ١٩٦٥) دون إستثناء.... وهي جميعاً تُفَنِّدُ عبارات السيد "أمين هويدي" القائلة:-

((نزل الرئيس عبد السلام عارف إلى أرض المطار ثابت الجنان، وسلّم على النفر القليل الذين كانوا في إستقباله، والذين (تَصادَفَ)!! وجودهم في المطار.... و(أوصلناه) إلى إحدى (العربات الصغيرة) ليستقلّها إلى القصر الجمهوري))!!!!!!!!!!!!!!!... ويُنظَر المصدر والصفحة نفسهما ...."المؤلف".

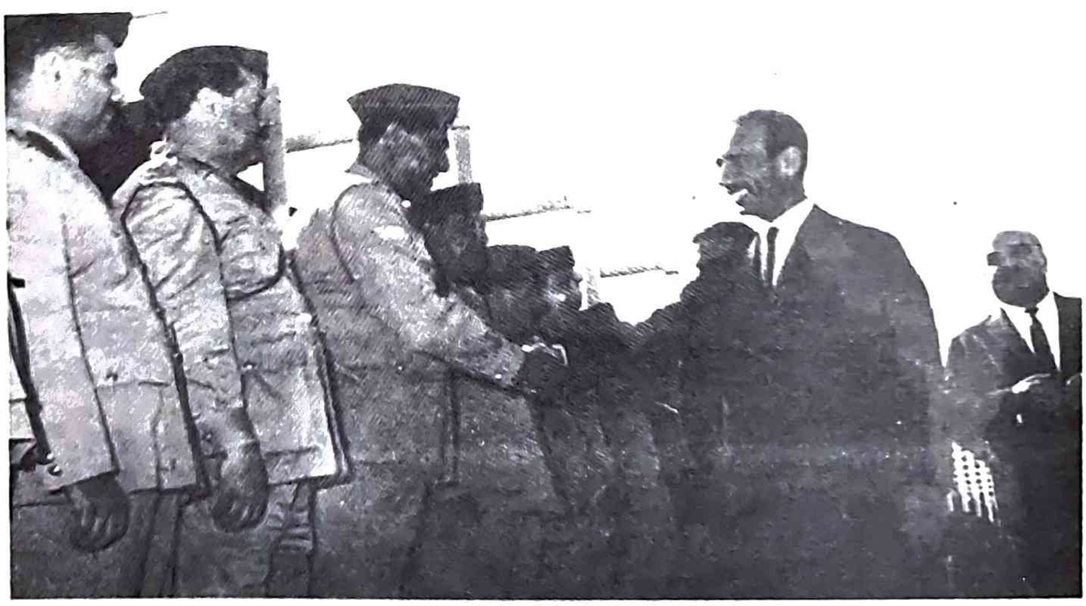
** يُنظَر أيضاً للصحف العراقية الصادرة صباح يوم الأحد ١٩ أيلول ١٩٦٥، والتي تبيّن الرئيس "عبد السلام عارف" في السيارة المكشوفة، والجماهير المحتشدة على جانبي طريق الخروج من المطار والمتقابل مع "محطة القطار العالمية" ...."المؤلف".



الصورة (٧٧)

عصر يوم السبت ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦٥

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" لدى هبوطه على أرض مطار بغداد الدولي من الطائرة المدنية المصرية التابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة، يتشاور مع أخيه اللواء "عبد الرحمن محمد عارف" وقد ظهر إلى جانبه اللواء "عبد اللطيف الدراجي"، والى الخلف منه "الرائد عبد الله مجيد".



الصورة (٧٨)

عصر يوم السبت ١٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦٥

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" يصافح العميد "سعيد صليبي" بين مجموعة مستقبليه من كبار الضباط عند عودته من القاهرة بعد فشل المحاولة الإنقلابية

موقف وسائل الإعلام العراقية

على الرغم من عظم هذا الحدث وخطورته وتسرّب بعض تفاصيله إلى خارج العراق، فإن وسائل الإعلام العراقية -التي كانت تحت السيطرة المباشرة للدولة عن طريق وزارة الثقافة والإرشاد- ظلّت هادئة، ولم تتقرّب إلى ذكر المحاولة الإنقلابية بشكل مطلق طيلة الأيام الأربعة التي أعقبت فشلها ... بل أن صحف يوم الأحد (١٩ أيلول) نشرت أخباراً وصوراً عن زيارة الرئيس "جمال عبد الناصر" الرسمية المتواصلة للمغرب، وإلى جانبها تفاصيل عودة الرئيس "عبد السلام عارف" من "الرباط" إلى "بغداد" جواً، وفيما يأتي البعض من نصوصها :-

- في الساعة التاسعة من مساء يوم الجمعة ١٧ أيلول (بتوقيت بغداد) حضر إلى مطار (الرباط)، وغادره بعد الإنتهاء من مراسيم التوديع بالعاشرة والنصف، يرافقه السيد "عبد الرحمن البزاز" نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وأعضاء الوفد المرافق.

- في الساعة الثانية عشر والنصف -بعد منتصف الليل- هبطت طائرة الرئيس في مطار "الجزائر" وإستقبله السيد "رابح بيطاط" وزير الدولة، و"العقيد طاهر الزُبَيدي" رئيس أركان الجيش... وأقلع من هناك بالساعة الواحدة والنصف.

- في الساعة الخامسة والنصف فجر يوم السبت ١٨ أيلول، وصل مطار "بنغازي"، قبل أن تقلع طائرته بالساعة الثامنة والنصف متوجّهاً إلى "القاهرة".

- وصل مطار "القاهرة" بالساعة العاشرة والنصف صباحاً، حيث كان في إستقباله كبار مسؤولي الدولة في الجمهورية العربية المتحدة، وهم (المُشير عبد الحكيم عامر-النائب الأول لرئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة، و"علي صبري"- رئيس الوزراء، والفريق أول محمد صدقي محمود-قائد القوة الجوية)... فأطلقت المدفعية (٢١) طلقة، قبل أن يتوجّهوا جميعاً إلى "إستراحة المطار".

- وفي الساعة الثالثة بعد ظهر السبت ١٨ أيلول، وبعد أن أمضى الرئيس حوالي(٥) ساعات هناك، أقلعت طائرته* من "القاهرة" حيث وصل "بغداد" في الخامسة عصراً.

بيان رسمي مقتضب

كان الإهمال المتعمّد من لَدُن وسائل الإعلام العراقية –التي توجّهها الدولة كما أسلفنا– واضحاً، ولربّما إستخفافاً للحركة الإنقلابية والقائمين بها، وكذلك نحو الذين ساندوهم أو إستقبلوهم... إذْ لم تُشرْ إلى الموضوع لا من قريب ولا بعيد حتى صباح يوم الإثنين (٢٠ أيلول ١٩٦٥)، وذلك في بيان رسمي مقتضب نشرته، ليست في الصفحات الأولى للصحف -كما هي العادة في مثل هذه الأحداث- بل في صفحة "المحلّيات"**، وفي ما يأتي نصه:-

((بيان رسمي عن إستتباب الأمن
بعد فشل المغامرة الرَعناء يوم الأربعاء الماضي))

في الساعة العاشرة من مساء الأربعاء ١٩٦٥/٩/١٥، حاول نفر من المغامرين القيام بحركة تخلّ بالأمن وسلامة الدولة.

ونظراً ليقظة المسؤولين وقواتنا المسلحة، فقد أُحبطَت المحاولة بعد فترة قصيرة، ومن دون أن تُراقَ قطرة دم... وعلى إثر فشل المحاولة فَرَّ جُلّ القائمين بها إلى الخارج، وأُلقي القبض على الباقين.. ويأخذ التحقيق مجراه القانوني الطبيعي.

ونودّ أن نؤكد للمواطنين أن الأمن مُستَتب في أنحاء البلاد كافة، وأنه لم يحدث منذ قيام تلك المحاولة ما يُكدِّر صفو الأمن والنظام ويقلق راحة المواطنين.

---

* لم تكن الطائرة التي هبط بها "عبد السلام عارف" في "بغداد" طائرته الخاصة، بل كانت طائرة ركاب مصرية مدنية، كما أسلفنا ...."المؤلف".

** يُنظَر صفحات "المحلّيات" في جميع صحف العراق الصادرة ببغداد صباح يوم الإثنين (٢٠ أيلول ١٩٦٥)................"المؤلف".

ويسرّنا أن يَطمَئنّ المواطنون جميعاً إلى أن الحكومة والقوات المسلحة قائمة بواجبها أحسن قيام، وساهرة على المصلحة العامة وراحة المواطنين)).

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ويبدو من نصّ البيان ان الحكومة العراقية -وذلك بعد عودة "عبد السلام عارف" الى بغداد بسلام- لم تشأ أن تعطي للحدث أهمية تذكر، إذ لم تأتِ على الجهة أو الأشخاص الذين شاركوا بالمحاولة الإنقلابية، كما لم تجلب إسم "الجمهورية العربية المتحدة" والرئيس "جمال عبد الناصر" خشية حدوث مشاكل سياسية غير محمودة في عقباها.

تشكيل وزارة جديدة

وفي يوم الثلاثاء (٢١ أيلول/سبتمبر) شَكّلَ الرئيس "عبد السلام عارف" وزارة جديدة برئاسة "السيد عبد الرحمن البزاز" الذي إحتفظ بحقيبة "الخارجية" أيضاً، إذْ نشرت صحف يوم الاربعاء (٢٢ أيلول) مرسومَين جمهوريين:-

الأول ينص على:- «بناءاً على فرار عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء السابق خارج العراق، فقد أعفيناه من رئاسة الوزراء».

الثاني نص على: «تشكيل الوزارة برئاسة "السيد عبد الرحمن البزّاز" مُستَوزراً (٤) وزراء جُدد فحسب، بينما أبقى جميع الوزراء الآخرين في وزارة "عارف عبد الرزاق" بمناصبهم دون أي تغيير».

كان الوزراء الأربعة الجُدد، هم:

- اللواء الركن عبد العزيز العُقَيْلي – وزيراً للدفاع، ووزيراً للمواصلات وكالة.
- فارس ناصر الحسن –وزيراً للعمل والشؤون الإجتماعية، (بدلاً من جمال عمر نظمي).
- كاظم الرَوّاف – وزيراً للعدل (بدلاً من حسين محمد السعد).
- الدكتور عبد الحميد الهلالي– وزيراً للإقتصاد (بدلاً من شكري صالح زكي).

مؤتمر صحفي

وفي مساء يوم (الأربعاء ٢٢ أيلول)، عقد رئيس الوزراء الجديد مؤتمراً صحفياً، تطرق خلاله -ضمن أُمور تفصيلية عديدة أخرى- إلى المحاولة الإنقلابية موضوع بحثنا هذا... إذْ ذكر أن (١٦) عسكرياً و(٦) مدنين أُعتُقلوا.. وأن (٢٩) عسكرياً و(١٢) مدنياً فرّوا في أعقاب المحاولة الفاشلة المُخلّة بالأمن.. وأن عدد المعتقلين الذين لا زال التحقيق جارياً معهم لا يتعدّى (٢٠) شخصاً.. وأن العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة سليمة، وأكثر من سليمة وودّية*.

* للإطلاع على تفاصيل المؤتمر الصحفي.. يُنظَر ما نشرته جميع الصحف الصادرة في بغداد صباح يوم الجمعة ٢٤ أيلول ١٩٦٥ .... "المؤلف".

المبحث الثالث

حقائق جديدة عن الحركة
وأحداثها وأسباب فشلها

حقيقة لابد من الاشارة إليها

ظلّت تكلم التساؤلات والإستفسارات المُحيِّرة التي أُثيرت في نفوسنا -نحن ضباط الحرس الجمهوري في حينه- كامنة في قلوبنا وعقولنا أسوةً بعموم العراقيين، من دون أن نعثر على حقائق محددة جعلت من تلك الحركة تخفق... هذا ناهيك عن كيفية التخطيط لها والشروع بتنفيذها والمُفارقات التي صاحبتها، وذلك طيلة ما يربو على (٣٠) عاماً، حتى إنتهيتُ من كتابة فصول ومباحث عديدة من هذا الكتاب وصولاً إلى فصله ما قبل الأخير.

كان الذي يُحيّرني أكثر من غيري، بادئ ذي بدء، هو:- ((ما الذي أدى بـ"عارف عبد الرزاق" وأولئك الذين كانوا بصحبته، ليستحضروا لخطوة تراجعية جعلتهم يتوجهون إلى مطار عسكري قبل أن يستنفدوا كل ما في جعبتهم... فكان حق التأريخ يفرض على كاهلي أن أزور أُناساً كانوا قد صنعوا جزءاً ولو مُحدّداً، أو أجزاء معيّنة من ذلك الحدث، أو شاركوا في بعضه، أو أولئك الذين عاشوا في قلبه من حيث شاؤوا أم أبوا، أو شاهدوا بأم أعينهم قسماً منه، وذلك بحكم المناصب التي كانت مُناطة إليهم في تلكم الأيام.

مع المُرافق الشخصي لـ"عارف عبد الرزاق"

شددتُ الرحال أوّل الأمر إلى مدينة "كركوك"-التي ولدتُ فيها ونشأتُ-

لألتقي "الرائد المتقاعد إحسان عارف آغا البيرقدار" المُرافق العسكري الشخصي لـ"عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" منذ تسنّمه منصب قائد القوة الجوية أواخر عام ١٩٦٣ ولعامَين متتاليَين، والذي رافقَه أخيراً في الطائرة التي أقلّته إلى "القاهرة" ظهر يوم (الخميس ١٦ أيلول ١٩٦٥).

تبادلتُ معه أطراف الحديث في أُمور عديدة، بدءاً من أسباب إختياره مُرافقاً شخصياً لـ"عارف عبد الرزاق" من بين المئات من ضباط القوة الجوية العراقية في حينه، وذلك على الرغم من عدم إنتمائه إلى أية كتلة سياسية كانت قائمة في العراق وقواته المسلحة، وخصوصاً "الكتلة القومية"... وإنتهاءً إلى مشاهداته الشخصية ومعايشته لأحداث وساعات يوم الحركة الإنقلابية موضوع البحث، وما تلاها من أحداث، فتحدّث لي مشكوراً* :-

منصب المرافق الشخصي

كان "المقدم الركن عارف عبد الرزاق" آمراً للسرب السادس المُجهَّز لوحده بطائرات "هوكر-هنتر" بريطانية المنشأ في مطار "الحبانية" العسكري، عندما صدر أمر تعيينه آمراً لذلك المطار بُعَيد إنقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨... وكنتُ في حينه ضابطاً برتبة "ملازم ثان" هناك... ولمّا عرف أنني إبن أُخت آمره السابق في وحدات القوة الجوية "العقيد الطيار نافع عبد الله الصالحي"، فقد قَرَّبَني إليه كثيراً، وراعاني مراعاة أخ كبير لأخيه الأصغر.

---

* إحسان عارف آغا البيرقدار:- ولد في مدينة كركوك (١٩٣٤).. تخرّج في كلية الطيران العراقية ضابطاً فنياً برتبة ملازم ثان (١٩٥٧).. أُوفِد الى "إنكلترا" لدراسة الخرائط الجوية (١٩٥٧).. عمل في مطار الرشيد العسكري (١٩٥٨)، ثم في مطار الحبّانية العسكري (١٩٥٨-١٩٦٣) حيث تعّرف على آمرها "المقدم الركن الطيار عارف عبد الرزاق" قبل تسنّم الأخير منصب قائد القوة الجوية العراقية (أواخر ١٩٦٣)، إذ عَيَّنَ "الملازم أول إحسان عارف" مُرافقاً شخصياً له ثم مديراً لمكتبه الخاص حين شكّل وزارته (أيلول/سبتمبر ١٩٦٥)... وبعد لجوء "عارف عبد الرزاق" إلى "مصر" حُجِزَ "النقيب إحسان" في السجن رقم (١) بمعسكر الرشيد لحوالي ثلاثة أشهر، نُقِلَ بعدها مُعاوناً لآمر فوج مشاة في القاطع الشمالي من العراق حتى أُحيل على التقاعد برتبة "رائد" عام (١٩٧١)... وقد تم اللقاء معه لساعات عديدة من صباح يوم الأربعاء ١٦ نيسان/أبريل ١٩٩٧ في مدينة "كركوك" وبحضور الأستاذ "عبد المجيد حسن حَمامْجي" الذي إستمع الى كل الحديث......"المؤلِّف".

وعندما أُحيل على التقاعد وأُودع السجن إثْرَ فشل حركة "العقيد الركن عبد الوهاب الشواف" التي إنبثقت في مدينة "الموصل" يوم (٨ آذار/مارس ١٩٥٩)، وخلال "المدّ الشيوعي" الذي ساد عموم العراق خلال النصف الأول من عام ١٩٥٩ ، فقد زُرتُه في"السجن رقم ١" الواقع في قلب "معسكر الرشيد" قرب بغداد... وحضرتُ إلى دار سكناه بمدينة الضباط "زيونة" حال إطلاق سراحه وفرض الإقامة الجبرية عليه في مسكنه، حيث لم يَنْسَ موقفي ذاك، معتبراً إياه وفاءً مني... لذلك فقد إستمرت علاقاتي معه بعد نجاح ثورة ١٤ رمضان/٨ شباط/فبراير ١٩٦٣.

وعندما تسنّم منصب قائد القوة الجوية العراقية أيام الشهر الأخير من عام ١٩٦٣ ، أصدر أمراً بنقلي إلى منصب "المُرافق الشخصي" إذْ بقيتُ مصاحِباً له منذ تلك الأيام وحتى (١٦ أيلول ١٩٦٥).

أزمة الثقة

كان "عارف عبد الرزاق" عضواً بارزاً في المجلس الوطني لقيادة الثورة، إضافة الى منصبه العسكري الكبير، وأحد أهم قادة "الكتلة القومية" التوّاقين لتحقيق دولة الوحدة بين "العراق ومصر" بقيادة الرئيس"جمال عبد الناصر"، يؤيده في ذلك جميع قياديّي الكتلة نفسها، وغيرهم من بعض كبار ضباط القوات المسلحة العراقية وصغارهم، وعدد من الوزراء وكبار الشخصيات والسياسيين وموظفي الدولة... ولما بات الإعتقاد السائد لديهم أن الرئيس "عبد السلام عارف" قد أمسى يتباطأ في العديد من خطوات الوحدة المزمعة، فقد قدّم عدد من الوزراء إستقالاتهم، وكان في مقدمتهم إثنان من أصدق أصدقائه، وهما "العميد الركن عبد الكريم فرحان- وزير الثقافة والإرشاد"، و"العقيد الركن صبحي عبد الحميد"- وزير الداخلية في حينه.

وقد لاحظتُ قبل ذلك بأشهر عديدة، وخلال عام ١٩٦٥ ، إمتعاض "عارف عبد الرزاق" من إسناد بعض المناصب الوزارية الى أشخاص لم يكونوا على

علاقة مع سياسة العراق القومية... وكنتُ أستمع منه، بحكم عدم وجود ما يحجبني عنه سوى باب خشبي، عبارات الغضب مع بعض زائريه أو متحدثيه على الهاتف، وحتى مع شخص رئيس الجمهورية "عبد السلام عارف" من خلال مكالماته الهاتفية معه، والتي تجسّمت بشكل ملحوظ بعد إسناد منصب "وزير الدفاع" الى شخص" اللواء الركن محسن حسين الحبيب"، الذي لم يكن له أي دور يذكر -حسب رأي عارف عبد الرزاق- في ثورات (١٤ تموز ١٩٥٨) و(١٤ رمضان/٨ شباط ١٩٦٣) أو (١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣).

لم يكن "عارف عبد الرزاق" أحد دعائم سياسة الرئيس "جمال عبد الناصر" في العراق فحسب، بل كان من أشدّ المُعجبين به، وعلى علاقة شخصية معه... ففي زيارة رسمية لوفد عسكري الى "القاهرة" أواسط عام ١٩٦٥-على سبيل المثال لا الحصر- أرسل الرئيس المصري أحد مرافقيه الشخصيين إلى "ميناء القاهرة الجوي" مباشرة ليصطحب "عارف عبد الرزاق" -من دون الآخرين- إلى"قصر الضيافة"، حيث لم ألْتَقِ به طيلة (٣) أيام متتالية، على الرغم من كوني مرافقه الشخصي، والمسؤول عن حمايته وتأمين متطلّباته وتنفيذ مواعيده... وقد ظلّ طيلة فترة بقاء الوفد هناك -والتي مُدّدت إلى (١٨) يوماً- ضيفاً خاصاً على شخص الرئيس "عبد الناصر"*.

منصب رئيس الوزراء

وعلى أية حال، وعلى الرغم من العلاقات التي شابها الحذر والبرود والوجوم بين "الكتلة القومية" والسيد رئيس الجمهورية بعد "أزمة تموز الوزارية"، فإن "عبد السلام عارف" فاجأ "عارف عبد الرزاق" بتكليفه لتشكيل وزارة جديدة برئاسته يوم (٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٥)، ومُسنداً إليه منصب "وزير الدفاع" كذلك، ومن دون أن يعفيه رسمياً من منصبه السابق قائداً للقوة

* للأستاذ ناجي طالب رأي خاص بمثل هذه التصرفات، التي تخلق -حسب قناعة سيادته- نوعاً من الحساسية غير المرغوبة... وقد تفضّل بإبداء رؤيته حيالها عند تقديمه المبارك لهذا الكتاب..........."المؤلف".

الجوية... ولكني وجدتُه متأثّراً في أحاديثه مع زائريه ومهنّئيه، بعد أن إنتقل إلى مبنى "مجلس الوزراء"، عن قرار إتّخذه رئيس الجمهورية بتعديل "الدستور المؤقت" يقضي بإلغاء "المجلس الوطني لقيادة الثورة" والذي كان عدد من قادة "الكتلة القومية" البارزين أعضاء دائمين فيه.

وقبل أن يرحل الرئيس "عبد السلام عارف" إلى "المغرب" لحضور إجتماعات مؤتمر القمة العربي الثالث بيوم واحد، فقد أصدر مرسوماً جمهورياً بتشكيل "مجلس جمهوري" ينوب عن رئيس الجمهورية طيلة مدة غيابه عن العراق... والذي ضّم كلاً من ((عارف عبد الرزاق، عبد اللطيف الدراجي وزير الداخلية، واللواء عبد الرحمن محمد عارف رئيس أركان الجيش وكالةً)).

التمهيد للحركة الإنقلابية

لم يَمضِ سوى يوم واحد على مغادرة "عبد السلام عارف" للعراق، حتى جلبت سمعي ونظري، وبحكم منصبي مُرافقاً شخصياً لرئيس الوزراء وسكرتيره ومدير مكتبه الخاص أيضاً بالوكالة، ومنذ ظهيرة يوم الإثنين (١٣ أيلول ١٩٦٥)، إتصالات هاتفية وزيارات شخصية متكررة قام بها العديد من قادة "الكتلة القومية" البارزين، وأخص منهم بالذكر ((العميد الركن عبد الكريم فرحان، والعميد الركن محمد مجيد معاون رئيس أركان الجيش، والعقيد الركن هادي خماس مدير الإستخبارات العسكرية، والعقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي آمر الكلية العسكرية، والمقدم الركن رشيد محسن مدير الأمن العام))، وأشخاص آخرين لم أستطع التعرف عليهم... ولكن، من دون أن أنتبه إلى ما يجري بينهم من أمور، أو أسمع ما يدور معهم من أحاديث خاصة.

البدء بالتنفيذ

مضى يومان على هذا المنوال، حتى فوجئتُ عصر يوم الأربعاء (١٥ أيلول) بمجاميع من ضباط ذوي رتب صغيرة (ملازمين أو ملازمين أوّلين) وقد أُوتِيَ بهم تباعاً في سيارات عسكرية ومدنية مختلفة الطُرُز إلى مبنى (المجلس

الوطني) الذي تستقر فيه "رئاسة مجلس الوزراء"، حتى بلغ عددهم حوالي (٢٠٠) ضابط مع حلول الليل... وكان العديد منهم -حسبما علمتُ بعدئذ- من صنف "الصاعقة، والمظلّيين، والمغاوير" الذين إشتركوا خلال عام ١٩٦٤ بدورات تدريبية خاصة لدى المؤسسات التدريبية للجيش المصري.

تجمّع الضباط المذكورون في ((قبو)) المبنى الواسع المذكور، وباتوا مسلّحين إما بغدارات "ستَرلنك" أو بمسدسات أو بكليهما معاً... وقد علمتُ بعد ذلك أن الذي أشرف على تجميعهم وتسليحهم هو "العقيد الركن هادي خماس"* مدير الإستخبارات العسكرية -الذي كان متواجداً في مكتب رئيس الوزراء خلال تلك الساعات- وأنهم سيُستَخدَمون كمجموعات إقتحامية ضمن محاولة إنقلابية لتنفيذ مهمات محددة وخاصة.

حضور العميد سعيد صليبي

مع مغيب شمس ذلك اليوم (الأربعاء ١٥ ايلول)، إستدعى "عارف عبد الرزاق" هاتفياً صديقه الحميم "العميد سعيد صليبي" قائد موقع بغداد وآمر الإنضباط العسكري العام الى مكتبه الرسمي.

وعلى غير عادته في مرات عديدة سابقة، فإن "العميد سعيد صليبي" لم يحضر إلاّ وهو محاط بحماية من لدن حضيرتَين من جنود الإنضباط العسكري ذوي القبّعات الحمراء المدجّجين بالسلاح، وبصحبته "العقيد حميد قادر" -مدير الشرطة العام- صديق الاثنين معاً.

---

* أنكرَ "العقيد الركن هادي خَمّاس" علاقته بهذا الأمر، وذلك في المقابلة الشخصية التي أجريتُها معه في داره سكناه صباح يوم ٢١ حزيران ١٩٩٧، ذاكراً ما يأتي:-

- لم يَزدْ عدد أولئك الضباط على(٥٠-٦٠)ضابط.
- كان "المقدم الركن رشيد محسن"-مدير الامن العام- هو الذي أشرَفَ عليهم وكُلّفَ بتوجيههم.
- كانوا جالسين في غرفة بمبنى مجلس الوزراء لتأمين الحماية الشخصية لرئيس الوزراء، وكذلك أمن المبنى من أي طارئ.... ((يُنظَر كذلك في بعض الصفحات التي كتبها السيد "هادي خماس" حول هذا الموضوع ضمن ملاحق هذا الكتاب))............"المؤلف".

لم أعرف إلاّ بعد تطوّر المواقف سراعاً، أن "عارف عبد الرازق" قد فاتَحَ "سعيد صليبي" حول إنقلاب أَزْمَعَ على القيام به دون سفك قطرة دم واحدة، موضّحاً له أن كل شيء جاهز لإقصاء "عبد السلام عارف" من سُدّة الحكم بسهولة ويُسر... إلاّ أن "سعيد صليبي" أبَى أن يشترك فيه بشكل مطلق، معتبراً ذلك ((خيانة)) لشخص زميلهم وصديقهم "عبد السلام عارف"، الذي ترك العراق معتمداً عليهم، وواضعاً كل أمور البلاد بين أيديهم مدة سفره... وأن ضميره لا يمكن أن يسمح بإقصاء "عبد السلام" من الحكم بهذا الأسلوب.

وعلى الرغم من محاولات وتشبّثات جدية لإقناعه، دامت ساعات طويلة، وطالت حتى بعد منتصف الليل... إلاّ أن "سعيد صليبي" أصرّ على رأيه بشدة، ولم يتراجع.

مُهاتفات ليلة التنفيذ

في خضمّ تلكم الساعات، كان آمر القاعدة الجوية في كركوك "المقدم الطيار نعمة الدليمي" وآمر القاعدة الجوية في الحبانية وكالة "الرائد الطيار الركن ممتاز السعدون"، وكذلك السفير المصري في بغداد "السيد أمين هويدي/أبو هشام"، يتّصلون بي هاتفياً للإستفسار عما آلت إليه المفاوضات الجارية مع العميد "سعيد صليبي"، ويستغربون من إستغراقها كل تلك الساعات الطويلة*.

وقد علمتُ أيضاً خلال تلك الليلة، أن مقر الفرقة المدرعة الثالثة في "معسكر الحبانية" قد تمّت محاصرته بقوة مسلحة تابعة للقاعدة الجوية في "الحبانية" نفسها، وذلك نظراً لرفض قيادة تلك الفرقة المشاركة في الإنقلاب المُزمَع**.

---

* أنكرَ "اللواء الركن الطيار ممتاز عبد العالي السعدون" خلال المقابلة الشخصية التي أجريتُها معه مساء يوم (٣ حزيران/يونيو ١٩٩٧) أي معرفة له بالمحاولة الإنقلابية أصلاً، وأي إتصال هاتفي مع "النقيب إحسان عارف" في تلك الليلة... مُضيفاً أن "المقدم الطيار نعمة الدليمي" كان بمنصب آمر قاعدة الحبانية الجوية خلال تلك الفترة، وقد سافر إلى "بريطانيا" ضمن وفد عسكري رسمي... وسنطلع على حديث اللواء ممتاز السعدون في الصفحات اللاحقة........."المؤلف".

** ذكر "اللواء ممتاز السعدون" أن مقر الفرقة المدرعة الثالثة في "الحبانية" لم يكن محاُصَراً، وأنه لم يَقُمْ بأي عمل من هذا القبيل، بل وأنه لا يمتلك القدرة على تنفيذه بما كان متوفراً لديه تجاه مقر فرقة مدرعة... ولا يعلم عن هذا الأمر شيئاً......................"المؤلف".

محاولة تصفية جسدية

وحينما وصل خبر رفض "سعيد صليبي" المشاركة في الحركة الإنقلابية هذه إلى أسماع اولئك الضباط المتجمّعين في "قبو" مبنى المجلس، إبتغى العديد منهم الإندفاع نحوه لتصفيته جسدياً، قبل أن يغادر المبنى... إلاّ أن "العقيد حميد قادر"، ومعه "العقيد الركن هادي خماس"، إستطاعا تهدئة حماسهم، وخصوصاً بعد أن إضطر "عارف عبد الرزاق" لسحب مسدسه الشخصي مُهدِّداً كل من يتقرَّب من شخص "سعيد صليبي" بالقتل... ولكن ذلك لم يخفّف الغليان الذي إنتاب نفوس أولئك الشباب، حتى عزم البعض منهم الإندفاع لقتل "عارف عبد الرزاق" كذلك... ولولا وقفة "هادي خماس" الحازمة لحصل في مبنى مجلس الوزراء مذبحة كان من نتائجها سفك الدماء من أجساد عشرات الضباط "القوميين" أنفسهم*.

الإنتقال إلى دار السكن

ولما هدأ الموقف، بعد ذلك التوتر الشديد، قرر "عارف عبد الرزاق" ترك مبنى مجلس الوزراء والإنتقال الى دار سكناه الواقعة على "شارع الربيعي" وسط مدينة الضباط "زَيُونَة" وبصحبته "سعيد صليبي" لوحدهما... وإستمرت الجلسة والمناقشات الهادئة نسبياً حتى قُبيل الفجر دون جدوى، حيث كنتُ أشرف على تقديم الطعام والشاي والقهوة إليهما... حين قرّر "سعيد صليبي" مغادرة الدار بحماية مراتب الإنضباط العسكري في سيارتين عسكرتين.

ومع الصباح، كان "عارف عبد الرزاق" غارقاً في التفكير ومهموماً، وَقد أحاطه "هادي خماس" و "رشيد محسن"، عندما أوضح لهما بأن القناعة قد حصلت لديه بأنه وصل الى أبواب مُوصَدة بشأن هذه المحاولة الإنقلابية، وقد قرّر العدول عنها... وطلب إبلاغ القائمين بها هاتفياً، وتحدّث شخصياً مع العديد

* وبينما يصر السيد "إحسان عارف" على أقواله هذه، بأن تلكم المشاهد ما زالت أمامه وكأنها حدثت قبل يوم واحد... فإن السيد "هادي خماس" ينكرها جملة وتفصيلاً، ذاكراً أن لا صحة لمحاولة قتل "سعيد صليبي" و"عارف عبد الرزاق" مطلقاً........................."المؤلف".

منهم، موضحاً لهم، بأنه في حالة تنفيذها بهذا الأسلوب، فإن معارك دامية لا موجب لها ستقع في شوارع "بغداد" مع أولئك الذين سيُسندون "سعيد صليبي" وأقرانه... ولذلك أيضاً عزم على ترك "العراق" مع جميع أفراد عائلته، ودعا كل من يرغب في مصاحبته بالسفر معه الى "القاهرة"، إذْ ردّد لمرات عديدة وبعبارات ندم وأسىً، أنه يخشى كثيراً بل ويشعر بالخجل من أن يتواجه مرة أخرى مع شخص "عبد السلام عارف" الذي سيعلم بما إقترفه من عمل غير لائق تجاه صديق عمره وزميل كفاحه ونضاله، سواءً قبل أو عند عودته الى العراق.

اللجوء إلى مصر

لم يتأخّر "عارف عبد الرزاق" كثيراً في تنفيذ القرار الذي إتخذه، فقد أوصى زوجته بحمل ما خفّ حمله وغلا ثمنه، وتوجّه ظهيرة يوم الخميس (١٦ أيلول ١٩٦٥) مع جميع أفراد عائلته إلى "مطار الرشيد العسكري" المتاخم لحدود مدينة "بغداد"، حيث حضر هناك العديد من كبار المشتركين معه في تلك المحاولة الإنقلابية التي لم تَرْقَ إلى حَيز التنفيذ، وكان من بينهم "هادي خماس، رشيد محسن، عرفان عبد القادر وجدي، والمقدم الركن فاروق صبري عبد القادر معاون مدير الإستخبارات العسكرية، والرائد عبد الأمير الرُبَيّعي أحد ضباط الدبابات الأقدمين في مدرسة الدورع"، ولكن بشخوصهم دون أفراد عوائلهم.

وفي المطار العسكري، كان بإستقباله "العقيد عزيز أمين" القائم بمهام آمر المطار وكالةً بإعتباره الضابط الأقدم فيه، حيث شاهدنا طائرة نقل عسكرية من طراز "آنتونوف ١٢-أوكرايينا" وقد وقف بقربها قائدها "الرائد الطيار طه أحمد"... تلك الطائرة التي كانت مهَيّأة من حيث الأساس لنقل عشرات من قناني غاز الأوكسجين كمساعدات من العراق الى دولة "الجزائر"... وبعد أن إستقر الجميع على مقاعدها المصممة لجنود المظلات، أقلعت الطائرة ظهراً مُتّبِعةً خط الطيران الدولي، وصولاً إلى مطار "القاهرة الدولي".

ونسيتُ أن أذكر لك -والكلام ما زال للنقيب "إحسان عارف"- أن "عارف عبد الرزاق" طلب مني العودة قُبَيل صعوده الى الطائرة... ولكني أبَيْتُ ذلك وفاءً

مني للقائد الذي راعاني كثيراً وتعامل معي كأخ أصغر، والذي عيّنني مرافقاً شخصياً له مدة قاربت سنتين كاملتين.

مُرافق الرئيس "عبد الناصر" في المطار

في "مطار القاهرة الدولي" كان في إستقبال "عارف عبد الرزاق" قرب باب الطائرة ضابط مصري برتبة "مقدم"، كنتُ قد تعرّفتُ عليه سابقاً، إذْ كان أحد مرافقي الرئيس "جمال عبد الناصر" الشخصيّين، وقد كان بادياً على وجهه مشاعر الإستغراب من وصول رئيس وزراء العراق ورفاقه الى "مصر" بطائرة نقل عسكرية متواضعة دون إعلام مسبق... ولكنه، من ناحية أخرى، فقد كان قد أحضر معه ثلاث سيارات مدنية، أقلّتْ "عارف عبد الرزاق" وعائلته وزملاءه إلى حيث لم أعلم*.

العودة إلى "بغداد"

أخذنا قسطاً من الراحة في "قاعة الترانسيت" بالمطار نفسه، دامت حوالي (٣) ساعات، تمّت خلالها إتخاذ إجراءات معينة وأُعيدَ إملاء الطائرة بالوقود وبعض المستلزمات، قبل أن أعود الى "بغداد" مساء اليوم نفسه مع الطيارين والفنيين إلى مطار الرشيد العسكري.

وفي "بغداد" كانت هيأة خاصة قد تشكّلت للتحقيق في المحاولة الإنقلابية خلال تلك الأيام، حيث تم حجزي لحوالي (٣) أشهر على ذمّة التحقيق، ولكن من دون إتخاذ أية إجراءات حيال "آمر مطار الرشيد العسكري" وكالة، أو بحقّ قائد الطائرة.. إذْ، وبعد أن أُطلقَ سراحي، نُقلتُ إلى "قاعدة كركوك الجوية" لأعمل فيها ثلاث سنوات، ثم إلى صنف "المشاة" حتى تسنّمت منصب "معاون آمر فوج" في المنطقة الشمالية من العراق، وأُحلتُ على التقاعد برتبة "رائد" عام (١٩٧١)..

– إنتهى حديث السيد "إحسان عارف" –

* ذكر السيد "هادي خمّاس" بهذا الشأن خلال المقابلة الشخصية نفسها، بأن الذي إستقبلهم في "مطار القاهرة الدولي" لم يكن أحد مرافقي الرئيس "جمال عبد الناصر" بل كان ضابطاً من "المخابرات المصرية" مسؤولاً عن "مكتب اللاجئين".. يُنظَر كذلك الملاحق المرفقة بهذا الكتاب................"المؤلف".

حديث السيد "صبحي عبد الحميد"*

على الرغم من تلك المعلومات الشيّقة وغير المسبوقة -حسب علمي- والتي زوّدني بها "الرائد المتقاعد إحسان عارف".. إلاّ أنه، وبحكم منصبه المتواضع من جهة، وكونه على غير ذي علاقة بـ"الكتلة القومية" ومحاولتها الإنقلابية للإطاحة بالرئيس "عبد السلام عارف" من جهة أخرى، فإنه -مع جلّ إحترامي لشخصه- لا يعدو أكثر من شاهد عيان للحدث الجلل وفي ساعاته الأخيرة، ومن دون أن يكون من صُنّاعه ومُخطّطيه ومُنفّذيه... لذلك فقد أرغَمَي حديثه -لكوني أبحث ببعض العمق في بعض تأريخ فترة حكم الرئيس "عبد السلام عارف" وشخصه- إلى التفكير جدياً لإجراء مقابلات مع بعض صانعي الحدث، والخلاف الأكبر الذي فرض أوزاره إبان عهده.. فكان الحديث الأهم مع شخص السيد "صبحي عبد الحميد"، الذي زوّدني مشكوراً بـ(١٠) صفحات كتَبَها بخطّ يده عن تلك الحركة الإنقلابية موضوع بحثنا**.. وفيما يأتي ملخّصها:-

الصورة بعد ثورة ١٨ تشرين ثاني ١٩٦٣***

لم يكن قد مضى أكثر من شهرين على نجاح حركة تشرين ثاني ١٩٦٣ والتي جعلت من "عبد السلام عارف" رئيساً حقيقياً للجمهورية العراقية، وليس رئيساً صورياً كما كان عليه حاله بعد ثورة (١٤ رمضان/٨ شباط/فبراير ١٩٦٣) ولفترة (٩) أشهر متعاقبة، حتى إلتأم شمله مع الرئيس "جمال عبد الناصر" في "القاهرة" حيث عَقَدا معاً خلالها جلسات عديدة على هامش إجتماعات "مؤتمر القمّة العربي الأول" المنعقد أواسط شهر (كانون ثاني/يناير ١٩٦٤)، والتي حضرتُها جميعاً - بصفتي وزيراً للخارجية- دون إستثناء.

* صبحي عبد الحميد: للإطلاع على سيرة حياته العسكرية والسياسية، يُنظر الهامش الذي أوردناه في فصل سابق................"المؤلف".

** إستنسخنا بعضاً من الصفحات التي تكرّم بكتابتها السيد "صبحي عبد الحميد" مُرفقين إياها بهذا الكتاب..........."المؤلف".

*** ينبغي أن نُنَوّه للقارئ الكريم أن مثل هذه العناوين قد ثبّتناها لغرض التوضيح والتأطير، وأنها ليست من لدن "الأستاذ "صبحي عبد الحميد" ...."المؤلف".

كان الرئيس "عبد الناصر" يتحدث مع الرئيس "عبد السلام" عن تجربته التي طالت حوالي (١٢) سنة في الحكم، ناصحاً إياه بضرورة التوصّل الى حلّ جميع مشاكل العراق وشعبه بالطرق السلمية وبحكمة، مؤكداً على:-

- المحافظة على وحدة العراق وأرضه وشعبه، بقومياته وطوائفه ومذاهبه المختلفة، ومعاملة الجميع كمواطنين متساوين في الحقوق والواجبات.
- حلّ المشكلة الكردية المستعصية سلمياً، وحتى إن أدّى ذلك الى منحهم حكماً ذاتياً.
- تشكيل تنظيم سياسي يستند عليه الحكم ويُسنده.
- تأسيس "تنظيم عسكري سري" يُعتَمَد عليه بمستوى القوات المسلحة، كما هو الحال في "مصر".

إستمع الرئيس "عبد السلام" إلى تلكم النصائح بإهتمام، وإقتنع بها ... لذلك، فحال عودتنا الى بغداد كلّفني بتشكيل ذلك "التنظيم السري"، على الرغم من كوني وزيراً للخارجية، وعلى غير تماس مباشر مع القوات المسلحة وضباطها، وإضطراري للسفر خارج العراق، بحكم منصبي، ولربّما لعدة مرات خلال الشهر الواحد ... وعلى الرغم من تكرار إعتذاري له، إلاّ أن إصراره جعلني أضطر لمفاتحة زملائي السابقين الذين شكلنا معاً -في عهد"عبد الكريم قاسم"- تنظيماً سرياً شارك في القضاء على حكمه من خلال مشاركتنا الفعالة في ثورة (١٤ رمضان/ ٨ شباط ١٩٦٣)، وقبل أن نقرّر -نحن- على حلّه بعيد نجاحها.

تعدّد التكتلات السياسية

لم يمضِ سوى شهر واحد، حتى إكتشفتُ أن أنباء هذا التنظيم العسكري السري -المُعادَ تشكيله- قد تسرّبت إلى كبار ضباط القوات المسلحة... فتطوّع المشاغبون - وما أكثرهم- بالدَسّ ضدّنا لدى رئيس الجمهورية، مصوّرين له أننا نُعيد تنظيماً من الضباط سراً للإطاحة به.

والغريب في الأمر، أن "الرئيس" قد إستمع لهذا الشغب، وصَدَّقَه، من دون

أن يواجه المشاغبين ويُدافع عنا، ويُسكتهم بالقول كونه هو الذي أمرني بإعادة تأسيس هذا التنظيم، وأنه يفترض أن يعتبر نفسه شخصياً على رأس هرمه، وعلى إتصال مباشر به.

كان في مقدمة أولئك، أخوه "اللواء عبد الرحمن عارف" الذي نَصَّبَه رئيساً لأركان الجيش وكالةً، والذي كان يردّد دوماً أننا جميعاً أعضاء في حزب يسمى "حركة القوميين العرب".. وذلك إفْكٌ وإفتراء وبُطلان لا صحّة لها مطلقاً... وبدلاً من أن يلتزم "الرئيس" بتنظيمنا المخلص ويدعمه، فإنه أهمله وتجاهله، وأوعز سراً من ناحيته إلى "العميد سعيد صليبي" -قائد موقع بغداد- بتشكيل منظّمة ضباط من أقرانه... كما طلب لاحقاً من "العقيد الركن بشير الطالب"- آمر لواء الحرس الجمهوري- بإقامة تنظيم مشابه آخر... وإلى أخيه" اللواء عبد الرحمن عارف" بتهيئة تنظيم ثالث.

وهكذا تكوّنت في القوات المسلحة العراقية (٤) كتل من كبار الضباط المتنفذين، إضافة إلى كتلة خامسة يقودها "عبد الهادي الراوي"، وأمست جميعاً تتنافس في إستمالة الضباط إلى صفوفها بطريقة أو بأخرى.

وليتَه طلب إليّ الكفّ عن الإستمرار في تنظيم كتلتنا وصرف النظر عنها، وأن يتولّى هو قيادتها بشخصه بدلاً من تلك الفوضى التي باتت تعّم وحدات الجيش ومؤسساته.... ولما إضطررتُ إلى مصارحته بذلك، أنكر علمه بوجود مثل هذه التنظيمات.

الكتلة القومية

وفي شهر آذار/مارس ١٩٦٤، وبعد أن إكتشفنا شكوك "عبد السلام عارف" حيال نوايا كتلتنا، فقد قرّرنا على العمل بصورة مستقلة عن رئيس الجمهورية، دون أن تكون لدينا أية نيّة للعمل ضده، أو الإنقلاب عليه، أو الإستحواذ على السلطة، بل كانت غايتنا تحصين القوات المسلحة وصَون البلد من إحتمالات أن يجازف بعض المغامرين ويقفزوا إلى السلطة فجأة من خلال إستثمار واحد أو أكثر من تلك التنظيمات .

ولما كنتُ -ومعي العميد الركن عبد الكريم فرحان- معارضاً لفكرة أن يقود شخص واحد تنظيمنا، لإيماني بـ((القيادة الجماعية))، فقد قرّرتْ قيادة التنظيم غير ذلك خلال الشهر الاخير من عام (١٩٦٤) وإجتمعت دون إستدعائي، وأقدَمَ أعضاؤها على إنتخاب "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" رئيساً لقيادة الكتلة.

عبد السلام عارف وعارف عبد الرزاق

خطّط الرئيس "عبد السلام عارف" للتخلّص من كتلتنا، وذلك قبل مدة من الخلاف الذي أدّى الى تقديم السيد "عبد الكريم فرحان" لإستقالته في أواخر حزيران/يونيو ١٩٦٥، والتي تفاقم إلى مستوى "أزمة تموز الوزارية"، وذلك بتمزيقنا من الداخل، متقرّباً إلى شخص "عارف عبد الرزاق" رئيس الكتلة وذي المنصب الخطير (قائد القوة الجوية)، محاولاً بشتى الطرق والأساليب كسبه الى جانبه وإبعاده عن صفوف "الكتلة"... موعزاً إلى صديقَيّ "عارف عبد الرزاق" الحميمَين "سعيد صليبي وحميد قادر" للتأثير عليه.

ولمّا إستنتج "عارف عبد الرزاق" ذلك فقد صمّم من جانبه أن يكشف خطة "عبد السلام عارف" ونواياه ومناوراته، وأخذ يتردّد عليه دوماً، مُبدياً له الودّ والإخلاص، محاولاً نصحه وإعادته إلى النهج السليم في بادئ الأمر، ومؤكداً له أن الجميع يحبّونه ويقدّرونه ويحترمونه، وأن معارضتهم لبعض قراراته ليست إلاّ من قبيل دافع الحرص على المصلحة العامة.

معضلة نقل الضباط

في أول يوم من شهر (ايلول/سبتمبر ١٩٦٥)، إستدعى "عبد السلام عارف" وزير الدفاع "اللواء الركن محسن حسين الحبيب"، مُسَلِّماً إياه ورقة تحتوي أسماء (١٠) ضباط، طالباً نقلهم الى خارج "بغداد"، وكان على رأس القائمة "العميد الركن محمد مجيد- معاون رئيس أركان الجيش".. والعقداء الركن "عرفان عبد القادر وجدي- آمر الكلية العسكرية، هادي خماس- مدير الإستخبارات العسكرية، محمد يوسف طه- مدير الحركات العسكرية"، وجميعهم من قياديّي الكتلة.

لم يقتنع وزير الدفاع بتنفيذ الأمر، وبعد أن إستشار زميله "اللواء الركن ناجي طالب" وزير الخارجية بالأمر، قرّر كلاهما تقديم إستقالتَيهما من منصبَيهما، رافضَين أن يتحوّلا الى ((معِوَل)) بيد "عبد السلام عارف" للتخلص من ضباط هم زملاء للوزراء الذين إستقالوا من مناصبهم أوائل شهر تموز/يوليو من العام نفسه*.

"عارف عبد الرزاق" رئيساً للوزراء

بخروج وزيرَين مهمّين من وزارة "الفريق طاهر يحيى" الثالثة، وبدلاً من إجراء تعديل آخر عليها، فقد قرّر "عبد السلام عارف" تكليف "عارف عبد الرزاق"-قائد القوة الجوية- بتشكيل وزارة جديدة بعد إقالته لتلك الوزارة دون إعلان مسبق.

ولكن، قبل ذلك بأشهر، ومنذ إنتخاب الكتلة لـ"عارف عبد الرزاق" رئيساً لها، فقد عقد قادتها إجتماعات عديدة خلال النصف الاول من عام (١٩٦٥)، عارضين خلالها مواقف "عبد السلام عارف" من كتلتهم، ودارسين مضامينَها دراسة مستفيضة، إذ كانوا قد توصّلوا إلى الآراء الآتية حولها:-

- أن "عبد السلام عارف" أخذ يتّجه للإنفراد بالسلطة، وقد جَمَّدَ بشكل شبه نهائي أعمال "المجلس الوطني لقيادة الثورة".
- أنه عاد يعتمد على القوى الرجعية ويُغازلها، ويتهكّم أمامها على الوحدة والإشتراكية، وكذلك على "الإتحاد الإشتراكي" الذي لم يتسنّ له أن يخلق منه تنظيماً يتبع شخصه، وأن ليس من واجبه سوى الهتاف والتصفيق له.
- إن كرسي الحكم قد أغراه، وأمسى عنصراً لتعويق الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة.
- أنه بات يشجّع تأسيس كتل سياسية متعددة، بل ويخلق البعض منها، مُحرِّضاً الواحدة ضد الأخرى، ومستهدفاً في المقام الأول تحريض الضباط من

---

* للسيد ناجي طالب رأي آخر بشأن هذه الإستقالة.. وقد أوضحناها في هامش سابق من صفحات هذا المبحث................"المؤلف".

ذوي الرتب الكبيرة ضد كتلتنا التي تُعتَبَر أول كتلة مُسانِدة له، وهو الذي أمرني شخصياً بإعادة تشكيليها.

▪ أن عنصر الإنسجام لدى السلطة العليا للدولة قد إنفقدت أواصره، وأن الثقة بين قادتها وبينه قد إهتزّت، وأن الواحد بات يتربّص بالآخر.

▪ لا بدّ من بذل كل الطرق والوسائل لإعادة الثقة بين رئيس الجمهورية وقادة كتلتنا، والضغط عليه لتغيير نهجه الفردي، وإعادة إيمانه بالوحدة والإشتراكية، والإعتماد عليهم سنداً قوياً ليحموه من المؤامرات والإنقلابات.. وأن لا هدف لـ"الكتلة" سوى حماية النظام وترصينه والمحافظة عليه*.

▪ إذا لم تَفِدْ كل تلك المحاولات مع "عبد السلام عارف"، وأصرَّ على الإستمرار في نهجه، فلابد من التفكير بتبديله**.

وزارة ضعيفة

وهكذا.. فعندما رفض "عبد السلام عارف" حلّ الكتل السياسية المتنوعة في عموم القوات المسلحة***، وإكتشف "عارف عبد الرزاق" نواياه في التخلّص من قادة "الكتلة القومية" بالتدريج، فقد تبلورت فكرة تنحيته عن الحكم بشكل جدي منذ مطلع شهر حزيران/يونيو ١٩٦٥.

وجاء تشكيل "عارف عبد الرزاق" لوزارته أوائل شهر ايلول (١٩٦٥)، ليطرح أسماء وزراء إنتخبهم هو، فرفضها "عبد السلام عارف" دون مبرّر..

---

* الذي يجلب النظر في توجهات "الكتلة القومية" أنها جعلت من نفسها "الخصم والحكم" بآرائها وطروحاتها وقراراتها حول موقفها من "عبد السلام عارف"، محاولة فرض واقعها ومبادئها على شخص رئيس الجمهورية، شاء ذلك أم أبى، ومن دون مراعاة لما يحمله "عبد السلام عارف" من آراء وأفكار ونهج في الحكم................"المؤلف".

** وقد فعلت "الكتلة القومية" فعلتها قبل أن تقدم أية كتلة أخرى على أية محاولة لتغيير نظام الحكم... وهنا قد يُبان صدق الشكوك التي إنغرست في صدر "عبد السلام عارف" والبعض من مقرّبيه تجاه هذه الكتلة..................."المؤلف".

*** إطلعنا على تفاصيل الكتل السياسية والشكوك التي دارت حولها في مبحثنا الموسوم "أزمة تموز الوزارية" ضمن هذا الفصل.........................."المؤلف".

فتشكّلت الوزارة من عناصر غير معروفة، وبدت ضعيفة، وهاجمتها القوى القومية بشدة... ولم يسلم "عارف عبد الرزاق" نفسه -وهو المعروف بتوجهاته القومية والوحدودية- من النقد اللاذع، وأُتُهِمَ بقبوله ترؤّس الوزارة هذه طمعاً منه في إشغال هذا المنصب الرفيع.

العميد سعيد صليبي

ونظراً للصداقة الحميمة التي كانت تربط "عارف عبد الرزاق" بـ"العميد سعيد صليبي"، فإنه كان يشكو له -في جلساتهما الشخصية- من فردية "عبد السلام" وإبتعاده عن الخط الوحدوي، وميله للإعتماد على القوى الرجعية... ولكن "سعيد صليبي" -الذي كان يحاول المناورة بين (٣) إتجاهات-... أولها "عبد السلام عارف"، وثانيها "أحمد حسن البكر" وعناصر من حزب البعث، الذي كان يتقرّب إليهم ويغازلهم، ناهيك عن صداقته الشخصية والحميمة مع "عارف عبد الرزاق" ومحاولاته الهميمة لإبعاده عن كتلتنا.

وعندما شكّل "عارف" وزارته، كان رأي "سعيد" أنه ما دام قد بات قريباً من "عبد السلام" أكثر من أي وقت مضى، فإن عليهما أن يمنحاه فرصة (٣) اشهر ليحاولا خلالها إقناعه بمبدأ الحكم الجماعي وتحقيق الوحدة المنشودة، فإن لم يقتنع ولم يعمل بهذا المنحى، فإن "سعيد" مستعد للمشاركة في إزاحته.

ومن ناحية أخرى، إعتقد "عبد السلام عارف" أنه إستطاع كسب "عارف عبد الرزاق" إلى جانبه تماماً حين جعله رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع في وقت واحد، وأن الأخير غدا مستعداً لتنفيذ جميع رغباته، وأنه إبتعد عن كتلته القومية... ولغرض جعله أكثر بُعداً، فلا بدّ أن يطلب منه نقل أولئك الضباط الذين رفض وزير الدفاع السابق "محسن حسين الحبيب" نقلهم قبل أن يقدّم إستقالته بسبب ذلك.

ولكن "عارف عبد الرزاق" نفّذ أمراً واحداً ضمن باكورة أعماله، حين أصدر آمر نقل "العميد الركن محمد مجيد" -وكان يومها في "لندن" لغرض المعالجة- من منصب "معاون رئيس أركان الجيش" إلى منصب "آمر كلية

الأركان"، تحت ذريعة أنه ينبغي أن يحوز على ثقة "عبد السلام عارف" تمهيداً لتنفيذ ما إتّفقت عليه "الكتلة" حالما يحين الوقت المناسب.

نقل الضباط مرة أخرى

ولدى سفر "عبد السلام" إلى "المغرب يوم (١٢ ايلول/سبتمبر ١٩٦٥)، لم يَنْسَ أن يسلّم "عارف" في المطار الدولي، ورقة تحتوي إسمي "العقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي، والعقيد الركن محمد يوسف طه" طالباً ضرورة نقلهما من منصبَيهما الحسّاسَين* إلى منصب "آمر لواء" ضمن تشكيلات الجيش المنتشرة خارج بغداد... وبذلك يمكن فصل "عارف عبد الرزاق" عن كتلته بشكل نهائي وخصوصاً إذا ما صدر أمر النقل وهو في "المَغرِب"، إذْ يمكنه أن يدّعي مستقبلاً أنه لا علم له بذلك، لأن مثل هذه الصلاحية مخوّلة لشخص وزير الدفاع.

إتصل "عارف عبد الرزاق" بي هاتفياً -والكلام لازال للسيد صبحي عبد الحميد- وأخبرني بالأمر، وسألني الرأي، فقلت له:-

«لا تُنفّذ الأمر، بل صارِحْهُ عند عودته بأنك لست على إستعداد لأن تنفّذ أمراً رفض وزير الدفاع السابق إصداره، وأن لا داعي لإجراء مثل هذه التنقّلات، بل الأفضل العمل على حلّ جميع الكُتَل تمهيداً لإبعاد الجيش عن السياسة».

ولتلافي الإحراج الذي وقع فيه "عارف"، فقد إستدعى في تلك الليلة الضابطَين المذكورَين، بغية إقناعهما بالموافقة على النقل قبل إصدار أمره... ولكنهما أوضحا له:-

«ليكن في علمك، إننا سنكون أوّل الغيث، لأن "رئيس الجمهورية" عندما يعود فإنه سيطلب منك المزيد... ولكن، على أية حال، فإنك إن أصدرت الأمر فإننا مضطرّان لتنفيذه وفق التقاليد العسكرية، وعليك موازنة النتائج المترتّبة

---

* يستغرب المرء من مثل هذه التصرفات وأشباه الحيل وحبك الأمور وراء الكواليس وفي الخفاء، ومن دون توضيح النيّات، عندما يجلس بعض الناس على كراسي الحكم... فهذا الإلحاح الواضح من لدن "عبد السلام عارف" جعل "الكتلة القومية" تنأى عنه وجلبت عليه شكوكها، فحصل ما حصل......................"المؤلف".

على ذلك، لكوننا نشغل منصبَين مهمّين ستخسرهما إذا ما قرّرت القيام بحركة في المستقبل».

وعندما خرج العقيدان من مكتبه، ظلّ "عارف عبد الرزاق" في حيرة من أمره، على الرغم من صلابته وشجاعته وقدرته المشهودة على تحمّل المسؤوليات مهما كانت خطورتها، وبالأخص عندما واجهه ضباط آخرون بإعتراضاتهم حين سمعوا بالخبر، مُذكّرين إياه بأن الدَور سيأتي على الباقين، وأن "عبد السلام" لا يستهدف سوى تشتيت "الكتلة القومية" ليستفرد بـ"عارف عبد الرزاق" تمهيداً لإقالته من جميع مناصبه في المستقبل القريب، حينئذ يخسر سمعته السياسية، لأن وزارته -التي شكّلها قبل أيام- غير مقبولة من حيث الأساس في الشارع العراقي، إضافة إلى فقده لسمعته العسكرية والإجتماعية، كونَه نَقَلَ أعواناً وأصدقاءَ حميمين طالما إعتمد عليهم، وهم سرّ قوّته أمام "عبد السلام عارف"... لذلك فإن الوقت قد حان فعلاً للتخلّص من نظام حكمه، وأن وجوده في "الدار البيضاء" لهو فرصة ذهبية للإطاحة به.

بات "عارف عبد الرزاق" ليلته تلك في دوّامة لا يستقر على قرار.. فمن جهة فقد وعد "سعيد صليبي" بمنح "عبد السلام عارف" فرصة ثلاثة أشهر لتصحيح أخطائه، فليس من المعقول القيام بإنقلاب في حين لم يَمضِ على ذلك الوعد وعلى تشكيل وزارته سوى أيام معدودات من جهة أخرى، إذْ أن الرأي العام لا يمكن أن يستوعب ذلك، وأن "عارف" لن يجد مبرّراً واحداً يمكن أن يقنع الشعب به... فهل يوضّح للعامة من الناس أنه أطاح بـ«رئيس جمهورية» لأنه طلب نقل عدد من الضباط؟؟.. فغدا في موقف حرج للغاية، ويا ليته أخذ بنصيحتي.

"صبحي عبد الحميد" في مواجهة "عارف عبد الرزاق"

زرتُه صباح يوم (١٣ أيلول)، فَرَوَى لي ما عاناه في الليلة الماضية، وقصّ عليّ الضغط الكبير الذي يمارسه ضباط "الكتلة" للإطاحة بـ"عبد السلام عارف"، فأعدتُ عليه ما إقترحتُه في الليلة السابقة:-

«موقفك في الشارع وفي أوساط الجيش أصبح سيّئاً، إذاً فلا بدّ من الإقدام

على خطوة تسترجع بها شعبيّتك... لذلك فإن أمامك حلاّن لا ثالث لهما:-

الأول: أن تستثمر فرصة غياب "عبد السلام" وتُنَحّيه عن السلطة نزولاً عند رغبة ضباط "الكتلة".

والثاني: أن ترفض تنفيذ طلب النقل، وتنتظر عودة "عبد السلام" لتواجهه بصراحة تامة، مُلوِّحاً بقوة الجيش والقوة الجوية التي أنتَ مُستَند عليهما، وتطلب منه الكفّ عن إتباع سياسة "فرّق.. تَسُد"، وتفرض عليه ضرورة إجراء تعديل وزاري لتدخل في وزارتك عناصر قومية بارزة تختارهم أنت... وبذلك تنال رضا الشارع العراقي الذي خاب ظنّه في وزارتك الحالية... وإني على يقين أن "عبد السلام" سيرضخ لكل مطاليبك، لأنه غير قادر -في هذه المرحلة- على إقالتك ما دامت وزارتك جديدة، وأن الجيش يقف وراء ظهرك، والشارع يشدّ أزرك».

ولقد تركتُه متصوّراً إنه قد إقتنع بالحل الثاني.

خطة تنحية "عبد السلام عارف"

ولكن.. في مساء اليوم نفسه حضر إلى مسكني "المقدم الركن رشيد محسن" مدير الأمن العام، موضّحاً أن ضغط الضباط على "عارف عبد الرزاق" قد زيد هذا اليوم، وأنه إقتنع بضرورة إجراء حركة ينحي بها "عبد السلام"، وأنه بعثني إليك لبيان تصوراتك عن خطة يمكن أن تُنفَّذ*.

أوضحتُ للأخ "رشيد" أنه على الرغم من تفضيلي الحل المقترح الثاني، فإنني -نزولاً لمشيئة "عارف عبد الرزاق" وضباط "الكتلة القومية"- أقترح تنفيذ الحركة وفقاً لما يأتي:-

أولاً: أن يستدعي كلاً من "العميد سعيد صليبي" و"العقيد الركن بشير الطالب -آمر لواء الحرس الجمهوري"- و"المقدم الركن ابراهيم الداود-آمر فوج

* عندما إستفسرتُ من السيد "صبحي عبد الحميد" عن السبب الكامن وراء لجوء السيد "عارف عبد الرزاق" إلى شخصه في هذا الشأن، أجابني مازحاً:- ((لأنني أصبحتُ خبيراً في وضع خطط إنقلابات مشابهة في ١٤ رمضان و١٨ تشرين))........................"المؤلف".

الحرس الجمهوري الثاني"- إلى مكتبه في رئاسة مجلس الوزراء تحت ذريعة مناقشة خطة أمن بغداد، وذلك عند إنتصاف نهار يوم ١٥ أيلول ١٩٦٥ ... وحال حضورهم يتمّ حجزهم في مبنى المجلس، حيث يوضعون تحت حراسة ضباط من الكتلة القومية يُهيّأون لهذا الغرض.

ثانياً: يُنذَر جميع القطعات العسكرية المتواجدة في "بغداد" تحسّباً لأي طارئ.

ثالثاً: وبكل هدوء، يذهب "عارف عبد الرزاق" إلى دار الإذاعة والتلفزيون، حيث يذيع بياناً بتنحية "عبد السلام عارف" من جميع مناصبه، وتشكيل "مجلس قيادة الثورة" مجدّداً، وإعادة تشكيل وزارة جديدة.

الخطة البديلة

كان "رشيد محسن" على قناعة تامة بهذه الخطة البسيطة وغير المعقّدة، متّفقاً على إمكانية تنفيذها بكل سهولة... ولكن يبدو أن آخرين* أقنعوا "عارف عبد الرزاق" بوضع خطّة بديلة تحدّد موعد تنفيذها في منتصف ليلة ١٥/١٤أيلول/سبتمبر.

كانت الخطة الجديدة معتمدة على:-

أولاً: نزول مجاميع من الدبابات المتواجدة في معسكر "أبي غريب" بقيادة "الرائد عبد الامير الرُبَيّعي" بعد منتصف تلك الليلة، للتمركز في مواقع محددة وساحات معينة من "بغداد"، وخصوصاً أمام مبنى دار الإذاعة والتلفزيون في "الصحالية"وحواليها.

ثانياً: يتواجد البعض من قادة "الكتلة القومية" مع الدبابات** عند

---

* لم يتعرّف السيد "صبحي عبد الحميد" على أسمائهم وقد أوضح ذلك في صفحات لاحقة من هذا الحديث......................"المؤلف".

** في جلسة خاصة مع السيد "صبحي عبد الحميد" فقد أسرّ للمؤلف أن كبار ضباط الكتلة القومية الذين كُلّفوا بمهمة ترؤّس مجموعات الدبابات عند إنتشارها حول مبنى الإذاعة والتلفزيون كانوا "العميد الركن محمد مجيد.. العقيد الركن صبحي عبد الحميد.. العميد الركن عيسى الشاوي.. العقيد الركن عدنان أيوب صبري"...................."المؤلف".

وصولها الى منطقة الإذاعة، ويبقون هناك حتى الصباح إستحضاراً لإستقبال "عارف عبد الرزاق" لدى حضوره لقراءة "البيان الأول" للحركة.

ثالثاً: توضع الكلية العسكرية بالإنذار تحت قيادة "العقيد الركن عرفان عبد القادر وجدي" للتحرّك عند حدوث أي طارئ.

رابعاً: أن تحلّق طائرات من القوة الجوية بطلعات إستعراضية فوق "بغداد" منذ الصباح الباكر ليوم ١٥ أيلول.

الموقف يتحرّج

مع حلول مساء يوم ١٤ أيلول* إستدعى "عارف عبد الرزاق" صديقه "العقيد حميد قادر" مدير الشرطة العام، وصارحه بعزمه على تنحية "عبد السلام عارف" من سدّة الحكم، طالباً منه اللقاء مع "العميد سعيد صليبي" وضرورة إقناعه بأحد أمرين:- إمّا المشاركة الفعلية في هذه الحركة... أو الإنتظار في دار سكناه دون إبداء أية معارضة.

ولكن.. ما أن إطّلع "سعيد صليبي" على هذا الأمر حتى ثارت ثائرته، إذْ أنذَرَ جميع القطعات العسكرية المرتبطة بقيادته ((قيادة قوات بغداد، وبضمنها وحدات الحرس الجهوري)) وأبدى تصميمه على المقاومة... فإضطر "عارف عبد الرزاق" لإستدعائه إلى مجلس الوزراء محاولاً إقناعه... ولكنه لما علم أن من ضمن أقطاب الحركة كل من "العقيد الركن عرفان عبد القادر، والمقدم الركن فاروق صبري، والرائد عبد الأمير الربيعي" -الذين كان يكرههم ويخشاهم**- فقد رفض المشاركة بأي شكل كان.

غدا الموقف حرجاً للغاية، فإستدعى "عارف" "سعيد صليبي" للمرة

---

* ناقشنا بإسهاب الشكوك التي فرضت نفسها حول موعد تنفيذ الحركة من خلال عدة صفحات في نهاية هذا المبحث...............................:"المؤلف".

** يبدو مما يوضحه السيد "صبحي عبد الحميد" في هذه السطور، أن الصراع الذي كان قائماً بين البعض في حينه، كان صراعاً بين أشخاص، من دون أن تكون له علاقة بمبادئ وتوجّهات سياسية......................"المؤلف".

الثانية، وأصدر أوامره لكل من "العقيد الركن هادي خماس- مدير الإستخبارات العسكرية" و"المقدم الركن رشيد محسن مدير الأمن العام" المتواجدَين في مبنى مجلس الوزراء، وبإمرتهما أكثر من (٣٠) ضابطاً* بإعتقال "سعيد" إذا فشل في إقناعه**.

إتصال من مجهول يعكّر الصفو ويقلب الموازين

في خضمّ مناقشة عقيمة بين "سعيد" و"عارف" تلقّى "هادي خماس" مكالمة هاتفية من شخص مجهول - قيلَ بعدئذ أنّه الملازم أول عامر الحَمدان، أحد ضباط الدبابات المشتركين بتنفيذ الحركة- أخبره من خلالها بفشل "الرائد عبد الأمير الرُبَيِّعي" في الإستيلاء على معسكر "أبي غريب"، وأن آمر مدرسة الدروع هناك "العقيد صبري خلف" قد أعاد سيطرة كاملة على المعسكر وإعتقل "عبد الأمير"........ بينما كانت الحقيقة غير ذلك تماماً.

حاول "هادي خماس" الإتصال بمعسكر "أبي غريب"، فوجد الخطّ الهاتفي مقطوعاً.... في حين لم يحاول، وكذلك "رشيد محسن"، إرسال أحد الضباط إلى ذلك المعسكر لمجرّد التأكّد من صحة الخبر***... فلو بعث أي شخص إلى هناك لوجد النقيض، فقد كان "عبد الأمير" مسيطراً على المعسكر، ومُعتَقلاً لـ"صبري خلف"، وأن الدبابات قد أُخرِجَت إلى الشارع العام المؤدّي إلى قلب

---

* ذكر السيد "إحسان عارف"-المرافق الشخصي لعارف عبد الرزاق- أن عدد الضباط بلغ حوالي (٢٠٠) ضابط... في حين يقدّر السيد "هادي خمّاس" عددهم بما لم يَزِدْ على (٥٠-٦٠) ضابط................."المؤلف".

** الواضح من مثل هذه القرارات في موقف حساس كهذا مدى التخبّط الذي وقع فيه السيد "عارف عبد الرزاق" لدى قيادته تلك الحركة الإنقلابية، بعد أن تم تبديل الخطة البسيطة التي إقترحها السيد "صبحي عبد الحميد" على مسامع السيد "رشيد محسن"..........."المؤلف".

*** الذي نستغربه أن السيدين "هادي خماس" و "رشيد محسن" لم يتّخذا هذا الإجراء البديهي، على الرغم من كونهما يشغلان منصبَي "مدير الإستخبارات العسكرية ومدير الأمن العام" على التوالي، ناهيك عن كونهما ((ضابطا ركن))، إذْ يفرضان عليهما -بحكم الدراسة والخبرة المتراكمة- أن يقطعا الشك باليقين، منة دون أن يُصدّقا بمجرد معلومة واحدة تأتي من شخص مجهول...................."المؤلف".

"بغداد"، وأنها مستعدة للتوجّه نحو أهدافها... ولَسَمِعَ من "عبد الأمير" أنه قطع خط الهاتف السلكي، فقط، لمّا لاحظ أن "صبري خلف" يحاول إستخدامه، على الرغم من أن ذلك التصرّف كان خطأً قاتلاً من "عبد الأمير" إذْ قطع كل إتصال بينه وبين أي شخص آخر، بمن فيهم "عارف عبد الرزاق" أو أولئك الذين يقودون هذه الحركة حواليه في مبنى "مجلس الوزراء".

ومن المستغرب أن يعتبر "هادي خمّاس" و "رشيد محسن" معاً إعتقال "عبد الأمير الربيعي" على يد "صبري خلف" أمراً مُسَلَّماً به... إذْ دخل "رشيد" على "عارف عبد الرزاق" في مكتبه، وتحدّث معه بعيداً عن "سعيد صليبي"، مُخبراً إياه بالموقف الطارئ الذي حصل، وطالباً منه ضرورة التفاهم مع "سعيد" بأي ثمن... أوانئذ إضطر "عارف" لإخبار "سعيد" بأنه قرر تأجيل تنفيذ الحركة... فعاد "سعيد" إلى مكتبه في "قيادة قوات بغداد"، فيما ذهب "عارف" الى مسكنه*.

الموقف الحقيقي على أرض الواقع

لم يعلم "رشيد محسن" بالموقف العسكري الحقيقي للرائد "عبد الأمير الرُبَيعي" إلاّ بعد أن إنتصفت تلك الليلة... ومن دون أن يستشير "عارف عبد الرزاق" هرع إلى "سعيد صليبي" في مكتبه مُحاولاً إغراءه بمناصب عليا إذا ما شارك في هذه العملية**... لكن "سعيد" -الذي بات في موقف قويّ- رفض ذلك، وطلب من "رشيد" التوجّه إلى معسكر "أبي غريب" ليُقنع "عبد الأمير" بإعادة الدبابات إلى ثكناتها، وإطلاق سراح "العقيد صبري خلف".

وعلى مضض، أعاد "عبد الامير" الدبابات، بعد أن جاهد "رشيد" في إقناعه بأن إصراره على النزول إلى "بغداد" يعني أن قطعات الجيش ستتقاتل

* وهذا ما يتناقض مع ما أورده السيد "إحسان عارف" -كشاهد عيان لأحداث تلك الليلة- بأن "عارف عبد الرزاق" و"سعيد صليبي" تركا مبنى مجلس الوزراء، وإجتمعا لوحدهما في دار سكنى "عارف" في حي الضباط (زيونة)، وإستمرّا في المناقشة حتى ساعة متأخرة بعد منتصف الليل......"المؤلف".

** وهذا تخبّط آخر لا يُغتَفَر له من أحد قادة هذه الحركة.........."المؤلف".

فيما بينها بسبب تصميم "سعيد صليبي" على المقاومة.

هرع "عبد الامير" الى مسكن "عارف عبد الرزاق" بمدينة الضباط في "زيونة"، شارحاً الموقف أمامه وعارضاً عليه الحضور معه إلى حيث "معسكر أبي غريب" ليشرف بشخصه على أرتال الدبابات المُصطفّة على الشارع العام ويقود الحركة بذاته* ... ولكن "عارف" كان قد أيقَنَ أن الحركة إنكشفت، وأن "سعيد" إتصل بالبعض قادة فرق الجيش أيضاً، وأن جميع القوات العسكرية الموالية للرئيس "عبد السلام عارف" ستقف ضد الحركة، لذلك فإنه لا ينبغي أن يكون سبباً في كارثة دموية قد تحصل نتيجة تصادم وحدات الجيش العراقي بعضها مع بعض.

أفكار بديلة بعد فوات الأوان

في الصباح الباكر ليوم ١٥ أيلول، إتّصل بي "رشيد محسن" هاتفياً ليعرض فكرة قيام "نقابات العمال" -التي كانت تحت سيطرة "الحركة الإشتراكية"- بإضراب، إذْ ينزلون إلى الشارع بغية إجراء مظاهرات تعطي مبرّراً لتدخّل وحدات الجيش لغرض السيطرة على الوضع العام، حينئذ يتم تنفيذ خطة الإنقلاب وفق ذريعة معقولة.

إلاّ أني رفضت ذلك لكونه مقترحاً سَقيماً، وأن الأمر بات خارج سيطرتنا، وأمسى مفتاح كل شيء بيد "سعيد صليبي" ووحدات الحرس الجمهوري... ناهيك عن أن إستحضارات إخراج العمال للتظاهر تحتاج إلى إستعدادات قد تستغرق يومين كي تكون التظاهرات مُسَيطَراً عليها... ولكن "رشيد محسن" أوضح لي أن هذا هو رأي "عارف عبد الرزاق"، ورَجا مني أن أذهب اليه بغية التوصّل إلى حل ناجع ينقذ الموقف القائم.

توجّهتُ إلى دار "عارف" لأجد هناك "العقيد الركن محمد يوسف طه" مدير الحركات العسكرية، وأوضحتُ له الرأي نفسه.... فقال:- "وما الحلّ في نظرك"؟؟

* وهذه محاولة ((ترقيع)) مُضافة إلى الخطة التي توضّح فشلها منذ أسَرَّ "عارف عبد الرزاق" لصديقه "سعيد صليبي" أنه قد عزم على تنحية "عبد السلام" ...."المؤلف".

قلت لصديقي "عارف":-

"إذهب إلى مكتبك وكأن شيئاً لم يحصل، وكرّر العملية الإنقلابية هذه الليلة، ولكن وفق إجراءات حاسمة وإستحضارات جيدة"... وقد أيّدني "محمد يوسف" في هذا الطرح.

ولكن "عارف" عارض ذلك رفضاً أن يتحمل مسؤولية أي تصادم بين القوات المسلحة في شوارع العاصمة.. فقلت له:-

"حسناً... لا بأس أن تنتظر عودة "عبد السلام" لتواجهه بقوة، وتُخَيِّرَه بين أن يكفّ عن مناوراته، وبين أن يُعَرِّض البلد إلى كارثة".

المغادرة حقناً للدماء

وقد علمتُ بعد ذلك أن "سعيد صليبي وحميد قادر" قد زارا "عارف" في داره، متوسِّلَين اليه أن يغادر "العراق" حقناً للدماء، لأن القوات المسلحة قد تنقسم على نفسها.

ونزولاً من "عارف" لذلك الرجاء، فقد ضَحّى بسمعته، على الرغم من أنه الشجاع الذي لا يهاب الموت... فقرّر فعلاً السفر إنقاذاً للبلاد، فغادر وطنه وبصحبته كل من "هادي خمّاس، عرفان عبد القادر وجدي، رشيد محسن، فاروق صبري، وعبد الأمير الربيعي".

موقف القاهرة

كان وصول "عارف عبد الرزاق" -والحديث مازال للسيد "صبحي عبد الحميد"- بصحبة أقرانه إلى "القاهرة" إحراجاً للحكومة المصرية، التي لم تكن على علم مسبق بالحركة، وما كانت توافق أو تؤيد أي إنقلاب حيال "عبد السلام عارف" في ذلك الوقت، بل كانت تكتفي بعلاقات قوية ومتينة بين البلدين وفق سياسة عربية ودولية متناسقة بينهما... وكانت تلك قائمة ومُؤَمَّنَةً مع "العراق" في حينه.

وبينما تلقّى الرئيس "عبد الناصر" -وهو في "الدار البيضاء"- برقية من "القاهرة" تعلمه بالحركة، فقد أخبر الرئيس "عبد السلام".

الموقف في بغداد

في "بغداد" إجتمع مجلس الوزراء برئاسة "اللواء عبد الرحمن عارف" عضو "مجلس الرئاسة" الذي ينوب عن الرئيس "عبد السلام" في تلك الأيام، فقرّر إيفاد "الدكتور عبد اللطيف البدري- وزير الصحة"، بطائرة خاصة إلى "المغرب" لبيان التفاصيل أمام رئيس الجمهورية.

وعندما عاد الرئيس "عبد السلام" الى "بغداد" بسلام، كانت باكورة أعماله أن وَضَعَني و"العميد الركن عبد الكريم فرحان -وزير الإرشاد والثقافة السابق"- تحت الإقامة الإجبارية في مَسكنَينا، وأصدر أمراً بتوقيف باقي الضباط من قادة الكتلة القومية، وفي مقدّمتهم "العقيد الركن محمد يوسف طه" -مدير الحركات العسكرية، والعقيد الركن عدنان أيوب صبري- سكرتير رئيس أركان الجيش".

أما "العميد الركن محمد مجيد" الذي تسنّم منصب "آمر كلية الاركان" مؤخراً، وكذلك "العميد نهاد فخري- مدير مخابرة الجيش" فقد إختفيا في "بغداد" قبل أن يصلهما أفراد من مفارز الإنضباط العسكري* لتوقيفهما.

أسباب وراء الإخفاق

قد أستطيع أن أُعزي أسباب الإخفاق التي صاحبت هذه الحركة الإنقلابية إلى ما يأتي:-

أولاً- تبديل الخطة المقترحة:- ولقد إستفسرتُ بعمق من الإخوة "عارف عبد الرزاق، هادي خماس ورشيد محسن" عن ((من الذي تسبَّبَ في تغيير أساس الخطّة المنطقية المقترحة؟؟؟))، فظلّ كل منهم يتّهم الآخر.... فلم أتوصل إلى نتيجة مقنعة، لذا بقيت الحقيقة مجهولة في نظري.

ثانياً- المُفاتحة المبكرة:- إذْ فاتح "عارف" كلاً من "سعيد صليبي وحميد قادر" بالحركة قبل البدء بتنفيذها، وذلك ما ساعد "سعيد" أن يُنذِر القطعات العسكرية التي تحت إمرته، ويتهيّأ لإحباطها.

* الإنضباط العسكري:- تسمية الجيش العراقي لـ"الشرطة العسكرية" المتّبعة لدى معظم الجيوش العربية المعتمدة على ترجمة النصّ الانكليزي (**MILITARY POLICE**)........."المؤلف".

ثالثاً- غموض الموقف في "أبي غريب" :- ظلّ الموقف الذي كان سائداً في معسكر "أبي غريب" غامضاً لسببين:-

١- قطع "عبد الأمير الربيعي" للخط الهاتفي الوحيد بين معسكر "أبي غريب"، ما تسبّب في عدم معرفة حقيقة الموقف هناك.

٢- عدم إقدام أي من "هادي خمّاس ورشيد محسن" على إتخاذ خطوة للتأكد من الموقف القائم في المعسكر بعد تلك المكالمة الهاتفية الغامضة التي وردت من ((مجهول)) زعم إخفاق "عبد الأمير" بالإستيلاء على المعسكر.

رابعاً: عدم التجّرؤ في الإستمرار على تنفيذ الخطة بعد أن علم "رشيد محسن" حقيقة سيطرة "عبد الأمير" على "أبي غريب".

خامساً: القرار الذي إتخذه "عارف عبد الرزاق" بمغادرة "بغداد" إلى "القاهرة" قبل أن يستنفد جميع السُبُل المتاحة لإعادة الكرّة.

رفع الإقامة الجبرية

بعد تكليف الرئيس "عبد السلام عارف" للسيد "عبد الرحمن البزاز" -نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في حينه- بتشكيل وزارة عراقية جديدة، وهو الرجل الكُفء المشهود له بالحزم، والذي تمكّن فعلاً من الحدّ من إندفاعات "عبد السلام" بإتهام "القاهرة" بالمشاركة في تلكم الحركة الإنقلابية، أو علمها بها، ناهيك عن الحدّ من تماديه في توقيف الضباط إلاّ إذا ثبت إشتراكهم في الحركة بشكل عملي.... وبعد ضغط من "الأستاذ البزّاز" طال حوالي ثلاثة أشهر، رفع "عبد السلام" الإقامة الجبرية عني وعن "عبد الكريم فرحان".

رأي حيال عبد السلام عارف

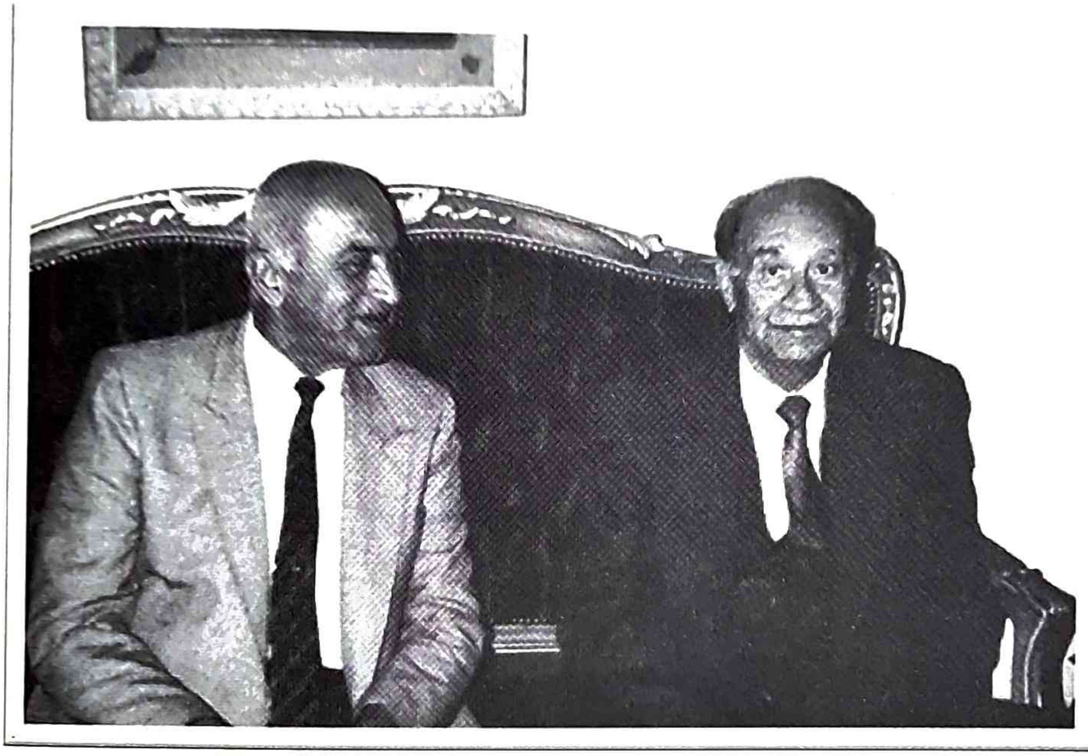
بعد حوالي (٧) أشهر على تلكم الحركة، ولما لقي الرئيس "عبد السلام عارف" حتفه في حادث الطائرة السَمتية، فقد أسفتُ لوفاته، بل حزنتُ عليه

كثيراً، وإستعرضتُ في ذاكرتي تلك العلاقات الطيبة التي ربطتني معه منذ (١٤ تموز ١٩٥٨) وخلافات غير شخصية حدثت بيننا... لذلك فإن شعوري لم يكن قد تبدّل نحوه، بل بقيتُ أحفظ له الودّ دوماً وأترحّم على روحه.

فرحمة الله على"عبد السلام محمد عارف"، إذْ لم أكن أتمنى له تلك النهاية المحزنة.

((إنتهى حديث السيد "صبحي عبد الحميد"))

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖



الصورة (٧٩)

صباح يوم الأحد ٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢

الأستاذ "صبحي عبد الحميد" في دار سكناه و"المؤلّف" إلى جانبه اثناء وضع اللمسات الأخيرة على الكتاب



الصورة (٨٠)

الاستاذ "صبحي عبد الحميد"- الدكتور "مؤيد إبراهيم الونداوي"- "المؤلّف" في الدار والتأريخ نفسهما

حديث السيد هادي خماس

كان لا بدّ لي — وأنا الذي أبحث عن هذا الموضوع الذي غدا شائكاً ومعقداً- من التوجّه إلى السيد "العقيد الركن المتقاعد هادي خَمّاس" -مدير الإستخبارات العسكرية منذ مطلع عام ١٩٦٤ ولغاية يوم المحاولة الإنقلابية الذي صادف منتصف شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٥- وأحد قادة "الكتلة القومية" وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة في حينه، وأحد أبرز صُنّاع ذلك الحدث، إضافة إلى كونه أحد المسؤولين الرئيسين عن التخطيط لتلك المحاولة والإشراف على تنفيذها.

وقد زودني -مشكوراً- بـ(٢٢) صفحة مكتوبة بخط يده الكريمة على شكل إجابات على (٣٢) إستفساراً وجّهتُها إلى سيادته حول العلاقات التي سادت بين الرئيس "عبد السلام عارف" والكتلة القومية، وعن كيفية التفكير للإنقلاب والتخطيط له وأسباب فشله.

وفيما يأتي ملخّص لما أوضحه:-

ضرورات تغيير الحكم

كان التفكير قائماً نحو ضرورة تغيير نظام حكم الرئيس "عبد السلام عارف" قبل أن يتسنّم "عارف عبد الرزاق" رئاسة الوزراء أوائل شهر (أيلول ١٩٦٥)، ولكنا قرّرنا إستغلال سفر رئيس الجمهورية إلى المغرب يوم (١٢ أيلول ١٩٦٥) للتعجيل بالعملية.

أما "عارف عبد الرزاق" نفسه، فلم يكن على عجلة للتغيير المرغوب قبل سفر "عبد السلام" أو أثناءَه قبل أن يُسلِّمَ لـ"عارف" قائمة بعدد من ضباط "الكتلة القومية" طالباً منه إصدار أمر نقلهم إلى تشكيلات عسكرية خارج "بغداد" أثناء سفره... ولمّا إستشار "عارف" قادة الكتلة، فإنهم ضغطوا عليه بضرورة عدم نقلهم، مُبيّنين له أن هذا لا يعدو كونه ((سوء نيّة)) من لدن "عبد السلام"، وأشاروا عليه بالحركة الإنقلابية.... فإضطرّ للإستجابة لرأيهم.

كنتُ شخصياً مُؤمناً بضرورة إقصاء "عبد السلام" من رئاسة الجمهورية لأكثر من عامل، قد يكونَ أهمها:-

أولاً- إتجاهه نحو الفردية، وإبتعاده عن الحكم الجماعي.

ثانياً- كونه وحدوياً بالكلام وليس بالأفعال.

ثالثاً- إتّباعه سياسة ((فَرِّقْ ... تَسُدْ)) بين الضباط، إضافة إلى تشكيله كتلاً سياسية داخل القوات المسلحة.

إلاّ أن تلك الأمور لم تجعلنا في موقف نبتغي معه مَسّ شخص "عبد السلام" بأي سوء، وذلك وفاءً منا لعلاقات الأخوّة التي كانت قائمة بيننا منذ سنوات عديدة.

وفي يوم سفر "الرئيس" إلى "المغرب"، ولمّا علمنا بالطلب الذي أراد فرضه على "عارف عبد الرزاق" بشأن نقل بعض الضباط القوميّين إلى خارج بغداد. من أولئك الذين كانوا في الحقيقة دعامة للنظام القائم ولشخص الرئيس نفسه، فقد توافد معظم قادة "الكتلة القومية" على دار"عارف عبد الرزاق" بمدينة "زَيّونَة" لغرض التداول في موضوع تغيير الحكم.

المباشرة

تم الإتفاق على الخطة، وبدأنا بالإستحضار لتنفيذها، فإستدعى "عارف عبد الرزاق" العميد "سعيد صليبي" إلى مكتبه في مبنى مجلس الوزراء مع مغيب شمس يوم ١٤ أيلول ١٩٦٥ * ليبلغه عزمه على البدء بعملية إنقلابية، طالباً منه التعاون معه في هذا المجال... فوافق "سعيد" على ذلك من حيث المبدأ، ولكنه لمّـا علم بمشاركة كل من "العقيد الركن عرفان عبد القادر، والمقدم الركن فاروق صبري، والرائد عبد الأمير الرُبَيّعي" ضمن مجموعة الضباط القائمين بها، فقد عدل عن رأيه لخشيته من شخوصهم، وإعتقاده بأنهم سيقضون عليه إذا نجحت الحركة... فما كان منه إلاّ أن ترك مبنى مجلس الوزراء متّجهاً إلى حيث قيادته في "موقع بغداد" وآمرية الإنضباط العسكري في ثكنة وزارة الدفاع، بغية

* أسهبنا في مناقشة التأريخ الأدَقّ لتنفيذ الحركة من خلال صفحات عديدة في نهاية هذا المبحث................."المؤلف".

التنسيق مع الوحدات العسكرية المُوالية له، وكذلك مع وحدات الحرس الجمهوري في عموم "بغداد" لمقاومة الحركة إذا ما إندلعت.

خطة "صبحي عبد الحميد"

كانت الخطة التي إقترحها "العقيد الركن صبحي عبد الحميد" لتنفيذ الحركة تتلخص فيما يأتي:-

أولاً- أن يستدعي "عارف عبد الرزاق" صباح يوم ١٥ أيلول ١٩٦٥ كلاً من "العميد سعيد صليبي" و"العقيد الركن بشير الطالب"- آمر لواء الحرس الجمهوري- و"المقدم الركن إبراهيم عبد الرحمن الداود"- آمر فوج الحرس الجمهوري الثاني- إلى مكتبه في مجلس الوزراء، حيث يتم إعتقالهم.

ثانياً- يتمّ تهيئة القطعات العسكرية الموالية لـ"الكتلة القومية"، شريطة أن تبقى في ثكناتها، ولا تتحرّك إلاّ عند الحاجة إليها.

ثالثاً- يذهب "عارف عبد الرزاق" منتصف نهار اليوم نفسه إلى دار الإذاعة في "الصالحيّة" يُرافقه عدد من كبار الضباط ويحميه آخرون، ليُذيع بياناً يقضي بتنحية "عبد السلام عارف" من جميع مناصبه في الدولة.

وقد إرتأى "عارف عبد الرزاق" إضافة لذلك، أن يكون هناك تحليق إستعراضي لطائرات مقاتلة في سماء "بغداد" صباح اليوم المذكور.

إلاّ أن الخطة أُبدلَت، إذْ تمَّ تقديم موعد البدء بالحركة إلى منتصف ليلة ١٥/١٤ أيلول من جهة، وأن تتمركز الدبابات التي تأتي من معسكر "أبي غريب" في مواقع محددة، وفي مقدمتها المنطقة المحيطة بمبنى الإذاعة والتلفزيون في "الصالحية"، وذلك قبل أن يذهب "عارف" لإلقاء البيان المُعَدّ صباح يوم ١٥ أيلول.. ولم يُعلَم لحد الآن من الذي كان في حقيقة أمر صاحب التبديل.

إتصال من مجهول

وحينما كنّا متواجدين في مبنى مجلس الوزراء، وبعد ساعات من المباشرة بالتنفيذ مساء يوم ١٤ أيلول، إتصل بي هاتفياً (ضابط) ليقول لي:- أن "عبد

الأمير الرُبَيْعي" قد فشل في السيطرة على معسكر "أبي غريب".

ومن دون أن أخوض في التفاصيل، فقد توالت الأحداث في تلك الليلة وتسارعت، مؤدّية إلى فشل المحاولة، ممّا قادنا إلى التفكير بمغادرة العراق، حيث لم يكن أمامنا إلاّ السفر إلى "مصر".

وما يجدر ذكره في هذا الشأن أن "عارف عبد الرزاق" لم يكن قد قرّر ترك العراق بالنصيحة التي قدّمها "سعيد صليبي" فحسب، بل أن السيد "عبد الستار علي الحسين" -وزير العدل الذي إستقال من منصبه إثر الأزمة الوزارية التي وقعت خلال شهر تموز ١٩٦٥- قد أشار على "عارف" بإتباع هذا المسلك.

السفر إلى "مصر"

ولمّا علمتُ بالقرار، حضرتُ في مسكن "عارف" بحي الضباط "زَيُونَة"، حيث كان هناك كل من "العقيد الركن عرفان عبد القادر-آمر الكلية العسكرية، والمقدم الركن رشيد محسن-مدير الامن العام، والمقدم الركن فاروق صبري-معاون مدير الإستخبارات، والرائد عبد الأمير الرُبَيْعي من مدرسة الدروع"، فتحرّكنا معاً إلى "مطار الرشيد العسكري"، قبل أن تقلّـنا طائرة نقل عسكرية إلى "القاهرة" مباشرة.

وفي الجو، وعندما أخبَرَ قائد الطائرة "مطار القاهرة الدولي" أن طائرته تحمل رئيس وزراء العراق مصحوباً بعدد من الضباط، فقد سُمِحَ بهبوطها رسمياً، حيث إستَقبلَنا مسؤول من "مكتب اللاجئين" وآخر من "المخابرات المصرية"، قبل أن يرافقانا إلى أحد فنادق "القاهرة" بشكل مؤقّت، إذْ تقرّر بعد أيام أن تُستَؤْجَر لنا شقق نسكن فيها، بعد أن خصّصت الحكومة المصرية رواتب محدودة لكل منا.

في مصر

كان إرتباطنا طيلة إقامتنا في العاصمة المصرية بالعقيد "حسن رأفت" المشرف على "مكتب اللاجئين" في رئاسة الجمهورية، وهو الذي زوّدنا ببطاقات اللاجئين السياسيين، بينما كان راتبنا الشهري لا يتجاوز (١١٠) جنيهات مصرية، والتي لا تُسمِن ولا تُغني من جوع.

وهنا ينبغي أن أذكر، أن وصولنا المفاجئ إلى "القاهرة" كان أمراً مُحرجاً للحكومة المصرية التي كانت تلتزم بعلاقات أخوية مع العراق، في حين كانت العلاقة حميمة بين الرئيسَين "جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف".

أسباب الفشل

أن من أهم أسباب فشل الحركة الإنقلابية -في رأيي- هو:-

أولاً- الإخبار المُبَكِّر لـ"عارف عبد الرزاق" عن الحركة لكل من "سعيد صليبي وحميد قادر".

ثانياً- عدم الإقدام على إعتقال كبار الضباط المؤيّدين لشخص "عبد السلام عارف".

ثالثاً- تبديل الخطة التي إقترحها السيد "صبحي عبد الحميد"، والتي لو كانت قد أُخِذّ بها لنجحت المحاولة.

رابعاً- النداء الكاذب الذي تسلَّمْتُه هاتفياً بفشل "عبد الأمير الرُبيعي" في السيطرة على معسكر "أبي غريب" بغية إنزال الدبابات لإحتلال المنطقة المحيطة بدار الإذاعة.. وقد قيلَ بعدئذ أن صاحب ذلك النداء هو "الملازم أول عامر الحَمْدان".

خامساً- الخطأ القاتل الذي إرتكبه "عبد الأمير الرُبَيعي"، بعد سيطرة جماعته على دبابات معسكر"أبي غريب"، حين قطع الخط الهاتفي السلكي الذي يربط آمرية ذلك المعسكر بمقر رئاسة الوزراء، حيث صَعُبَ مهاتفته للتأكّد من سلامة موقفه وصحّة ذلك النداء الذي وردني من ((ضابط مجهول)).

((إنتهى حديث السيد "هادي خماس"))

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

حديث المقدم الطيار المتقاعد "عدنان أمين خاكي"

ولغرض التعمّق في أمور هذه الحركة وأحداثها عن كثب، كان لا بدّ أن أزور "الرائد الطيار، في حينه، والمقدم بعدئذ" السيد "عدنان أمين خاكي"، الطيار الخاص الذي صاحب الرئيس "عبد السلام محمد عارف" بطائرة "الرف الجمهوري" أثناء سفره من "بغداد" إلى "الرباط" لحضور إجتماعات "مؤتمر القمة العربي الثالث"، وكذلك خلال عودته منها إلى "القاهرة"... فكان معه هذا الحديث الشيِّق مساء يوم الأربعاء (١٤/٥/١٩٩٧).

وأدناه (ملخص) عما تكرَّم به مشكوراً:-

الرَفّ الجمهوري

أُنتُقيتُ ضمن مجموعة ضباط طيارين وفنيين، كنتُ أقدمَهم رتبةً عام (١٩٦٤)، عندما تقرر -بعد تسنّم "عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق" منصب قائد القوة الجوية- شراء طائرتَي نقل سوفييتيّتين من طراز (TU-١٢٤) ذات محركين نفاثين، لتحقيق طيران من دون توقّف في أي مطار وَسَطي بين "بغداد" و"القاهرة" مباشرة، إذْ أُوفدنا إلى "الإتحاد السوفييتي" وتدرّبنا هناك على قيادتهما وإدارتهما، وقبل أن نُحلّق بهما إلى "بغداد" أوائل عام (١٩٦٥)، حيث تم إعادة تشكيل "الرفّ الجمهوري" مجدداً من الضباط الآتية أسماؤهم:-

---

★ "عدنان امين خاكي":- تخرج في "مدرسة الطيران العسكرية الملكية العراقية" ومُنِحَ "جناح الطيران" يوم ٤/٧/١٩٥٣ ضمن "دورة الطيران العسكرية الأولى"، وعُيِّنَ في "سرب المواصلات" الذي كان يحتوي بضع طائرات يستخدمها كبار مسؤولي الدولة، ومن بينهم "الملك فيصل الثاني والأمير عبد الإله" خلال تنقّلاتهم داخل العراق، وذلك قبل أن يتم تزويد "الرف الملكي" بطائرات نقل خاصة.

عمل (طياراً أقدم) ثم آمراً لـ"الرف الجمهوري" بعد تشكيله عام (١٩٦٤) وتجهيزه بطائرتين نقل نفاثتين... وكان قائداً لطائرة الرئيس "عبد السلام عارف" خلال سفره إلى "الرباط" حين وقعت المحاولة الإنقلابية موضوع بحثنا، وقبل أن يكون في مهمّة نقل رئيس الجمهورية لدى سفره إلى "البصرة" قُبَيل حادث طائرة الهليكوبتر الذي أودى بحياته...."المؤلف".

١- رائد طيار عدنان أمين خاكي - آمراً للرفّ.

٢- نقيب طيار مصطفى أحمد سعد الله.

٣- ملازم أول طيار طاهر صالح التكْريتي.

٤- ملازم أول طيار فؤاد علي القَزّاز.

٥- ملازم أول مَلاّح جعفر صادق الشكرجي.

٦- ملازم مهندس حسين خير الله.

كنّا مسؤولين عن مهمّات نقل الرئيس "عبد السلام عارف" خلال سفراته إلى خارج العراق، وكذلك خلال بعض زياراته إلى مدن داخل البلاد عندما تتوفر فيها، أو قريبة منها، مطارات صالحة لهبوط هذا الطراز من الطائرات.

السفر إلى المغرب

كنتُ قائد الطائرة التي أقلعنا بها من "بغداد" صباح يوم (١٢ أيلول/سبتمبر ١٩٦٥) قبل أن نهبط في ميناء "القاهرة" الجوي، ثم في "طرابلس" للتزوّد بالوقود، ونصل إلى مطار "الرباط" عصر اليوم نفسه... وبينما إنشغل "رئيس الجمهورية" بمهماته الرسمية ولقاءاته الهامشية وجلسات مؤتمر القمة العربي الثالث الرسمية في "الدار البيضاء"، فقد كنا -نحن الطيارون والطائفة- ضيوفاً بفندق فخم في العاصمة "الرباط".

خبر من بغداد

بعد إنقضاء أربعة أيام بسلام، فوجئتُ في حوالي الساعة السادسة من صبيحة يوم ٩/١٧ بالملحق العسكري العراقي في "الرباط" وهو يطلبني على الهاتف، ويأمرني بالحضور في مكتبه فوراً، حيث أخبرني بأن رئيس الوزراء "عارف عبد الرزاق" حاول القيام بحركة إنقلابية قبل يومين، وحينما فشل غادر "بغداد" يوم أمس (٩/١٦) إلى "مصر" مع بعض مؤيّديه؟؟!! وطلب مني تهيئة الطائرة الخاصة لإحتمال عودة "السيد رئيس الجمهورية" إلى "بغداد" في اليوم نفسه.

وحال عودتي إلى الفندق، أنذرتُ الطائفة، وتوجّهنا إلى مطار "الرباط"

الدولي، وهيّأنا الطائرة بشكل متكامل... ولكن رئيس الجمهورية قرّر تأجيل مغادرة "الرباط" حتى مساء اليوم نفسه، ريثما تنتهي الجلسة الختامية لمؤتمر القمة*.

مغادرة المغرب إلى مصر

حضر الرئيس "عبد السلام" إلى المطار مع الوفد الكبير المرافق له في الساعة التاسعة ليلاً، حيث لم يتم الإنتهاء من مراسيم التوديع إلاّ في الساعة العاشرة والنصف، قبل أن نقلع من هناك لنهبط في مطار "الجزائر" العاصمة بعد منتصف الليل بقليل، ثم في مطار "بنغازي" الليبي فجر يوم السبت ٩/١٨، حيث إنزعج "عبد السلام عارف" كثيراً حين لم يستقبله مسؤول ليبي رفيع المستوى، بل صعد إلى الطائرة شخص إعتيادي -لم نعرف منصبه- ليستفسر منه إذا ما كان بحاجة إلى أي شيء؟! لذلك فإنه لم يتحرّك من مقعده ولم ينظر إلى وجه ذلك الرجل طيلة فترة التزوّد بالوقود التي تستغرق حوالي ساعة واحدة.

في القاهرة

لمّا هبطنا في ميناء "القاهرة الجوي" في حوالي الساعة التاسعة من صبيحة يوم ٩/١٨، كان في إستقباله عدد كبير من المسؤولين يتقدّمهم "المشير عبد الحكيم عامر".. وحال الإنتهاء من مراسيم الإستقبال دخل "عبد السلام" معهم إلى "قاعة الشرف الكبرى"، قبل أن يغادروها جميعاً إلى جهة لم أعرفها... إذْ بقينا في موقع، قريبين من طائرتنا الجاثمة على أرض المطار.

طال إنتظارنا طويلاً حتى حلّ الليل دون أن يكترث بنا أحد، أو يبلّغنا بشيء، حتى سمعتُ من "إذاعة بغداد" أن السيد رئيس الجمهورية قد هبط في "مطار بغداد الدولي" في الساعة الخامسة من عصر ذلك اليوم.

وقد علمنا بعدئذ أن الرئيس "عبد السلام عارف" قد أقلع من "مطار آلماظة العسكري" القريب من "القاهرة" بطائرة ركاب (مدنية) تابعة للخطوط

---

* لم يقطع "عبد السلام عارف" زيارته إلى "المغرب" -كما ذكره ذلك السيد "أمين هويدي" بكتابه "كنتُ سفيراً في العراق" -ص٢٤٦ ... بل أنه إنتظر حتى إنتهت الجلسة الختامية لمؤتمر القمة العربي الثالث قبل أن يعود إلى "بغداد" ...."المؤلف".

الجوية العربية المتحدة بعد ظهر ذلك اليوم... وآنذاك أقلعنا نحو "بغداد" وهبطنا في مطارها الدولي في حدود منتصف الليل.

لم أشأ السؤال عن أسباب عدم عودة رئيس الجمهورية بطائرته الخاصة، ولم أتعرّف على أي من المفارقات التي حدثت وأدّت إلى هذا التصرف... ولكن من المُسَلَّم به أن ذلك الإجراء حصل لتأمين سلامة وصوله إلى "بغداد" بأسلوب أفضل، لا سيّما وأنه لم يَنقَضِ إلاّ يومان على فشل محاولة إنقلاب إشترك فيها مسؤولون كبار في الدولة.

وقد علمتُ في "بغداد" أن "عارف عبد الرزاق" قد إستقلّ، مع عدد من زملائه الذين شاركوه في محاولته الإنقلابية الفاشلة، طائرة نقل عسكرية أقلعت من "مطار الرشيد العسكري"، وكانت من طراز "آنتونوف-١٢/أوكرايينا" عند هروبهم من "بغداد" الى "القاهرة"، وقد قادَها الرائد الطيار "طــه أحمد" يعاونه النقيب الملاح "طارق موسى حسين".

(("انتهى حديث السيد "عدنان أمين خاكي"))

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

حديث اللواء الطيار الركن ممتاز عبد العالي السَعدون

ولغرض إستكمال الصورة عن مجريات الأمور، كان الحديث التالي مع الرائد الطيار الركن في حينه -اللواء الركن بعدئذ- "ممتاز عبد العالي السَعدون" آمر قاعدة الحبانية الجوية (وكالة) أيام شهر أيلول ١٩٦٥، بعد أن ذَكَره "النقيب إحسان عارف"-المرافق الشخصي لـ"عارف عبد الرزاق" في حينه- بأنه كان يتّصل هاتفياً بمكتب رئيس الوزراء ليلة تنفيذ الإنقلاب، والذي ذاع صيتُه لمّــا لجأ إلى "مصر" بطائرة قاصفة كبيرة من طراز (تي يو-١٦/بادجر)، إذْ وجّهتُ اليه (١٢) سؤالاً، أجاب عليها -مشكوراً- بالتفصيل في (١٦) صفحة.

وفيما يأتي ((ملخص)) ما أورده:-

العلاقة مع عارف عبد الرزاق

كنتُ على علاقة شخصية مع "المقدم الركن عارف عبد الرزاق" منذ عملتُ بمعيّته ضابطاً طياراً صغير الرتبة، عندما تمّ تعيينه بمنصب آمر السرب السادس الذي زُوِّدَ بطائرات "هوكر-هنتر" بريطانية المنشأ قبل ثورة (١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨)، وتعلّمتُ من شخصه وكفاءته ونمط تفكيره وقوة شخصيته وإرادته وأسلوب إدارته لمرؤوسيه الكثير الكثير... وبقيتُ مُحبّاً له ومُعجباً بجدّيته أثناء الواجب، وإنفتاحه على ضباطه المرؤوسين حال إنتهاء ساعات الدوام الرسمي... فظلّت علاقتي قائمة معه، وتواصلت زياراتي له في جميع المناصب التي شغلها، وفي ظروف مختلفة أخرى مرّ بها، سواءً في عهد "عبد الكريم قاسم" أو بُعَيدَ ثورة ١٤ رمضان/٨ شباط/فبراير ١٩٦٣.

وعلى الرغم من تلك العلاقة الوطيدة، فإنني لم أَنْتَمِ بشكل مُطلق لأية كتلة سياسية للضباط في القوات المسلحة أو خارجها... ولكن، لكوني ذا توجّه قومي ومُؤيّد لقيام الوحدة بين عموم العرب، وخصوصاً مع "مصر" أوانئذ، فقد حُسِبتُ -من حيث لا أدري- على "كتلة الضباط القوميين" التي كان "عارف عبد الرزاق" من أبرز قادتها.

سوء قَدَر !!!!؟؟؟

خلال شهر أيلول ١٩٦٥، قادَني القَدَر أن أكون قائماً بواجبات آمر "قاعدة الحَبّانية الجوية" وكالةً، على الرغم من عدم تناسب ذلك مع رتبتي (رائد طيار ركن)... ففي عام ١٩٦٤ تعيّنت بمنصب آمر السرب السادس (هنتر) بعد أن تَسَنَّمَ "عارف عبد الرزاق" منصب قائد القوة الجوية... ولمّا كان منصب "آمر جناح الطيران" في تلك القاعدة شاغراً، فقد غدوتُ -بحكم القدم العسكري- آمراً لذلك الجناح بالوكالة... ولدى سفر آمر القاعدة الأصيل "المقدم الطيار نعمة الدُلَيْمي"*

* تتناقض أقوال السيد "إحسان عارف "-المرافق الشخصي لـ"عارف عبد الرزاق"- مع هذه التي يذكرها السيد "ممتاز السعدون" بشأن "المقدم الطيار نعمة الدليمي" من حيث كونه آمراً لقاعدة "كركوك" الجوية... يُنظَر الصفحات الأولى من هذا المبحث........................"المؤلف".

أوائل شهر أيلول ١٩٦٥ إلى "بريطانيا" بمهمة رسمية، فقد أصبحتُ آمراً لتلك القاعدة (وكالة).

في مكتب رئيس الوزراء

لم أكنْ على علم مسبق بالحركة الإنقلابية مطلقاً... ولكن الذي حدث بالضبط هو كما يأتي:-

كنتُ قد حضرت إلى "بغداد" لقضاء بعض المهام الرسمية خلال ساعات الدوام الرسمي ليوم الثلاثاء (١٤ أيلول ١٩٦٥)، قبل أن أعود إلى مسكني ظهراً لتناول طعام الغداء مع أفراد عائلتي، حين إتصل بي هاتفياً "العميد المهندس منير حسين حلمي" -الذي كان قائماً بواجبات قائد القوة الجوية (وكالة)-، بعد أن بات "عارف عبد الرزاق" رئيساً للوزراء منذ يوم ٦ أيلول- وأبلغني أن السيد رئيس الوزراء يطلب حضوري شخصياً في مكتبه بمبنى مجلس الوزراء.

توجهتُ اليه فوراً، حيث هنّأتُه بمنصبه الأرفع، متبادلاً مع سيادته عبارات المجاملة الإعتيادية، إلى أن طلب مني أن أُهيّئ (٢٥-٣٠) طائرة مختلفة الطُرُز، بغية التحليق في أجواء مدينة "بغداد" بأُسلوب "طيران تشكيل"*، مُركّزاً أنه لا داعي لتسليح الطائرات، وفي موعد يحدّده لاحقاً وبأمر شخصي منه.

موقف غامض في "الحبّانية"

حسبتُ الأمر إعتيادياً، ولم يخطر ببالي أي شيء آخر... وتوجّهتُ الى "الحَبّانية" بعد الظهر، وجمعتُ الطيارين وأبلغتُهُم بأمر السيد رئيس الوزراء، وطلبتُ تهيئة طائراتهم وضرورة التأكّد من عدم تسلُّحها، ومنعتُهم من ترك القاعدة، موضحاً كذلك أنهم قد لا يتمتّعون بعطلة نهاية الأسبوع، وذلك قبل أن أُناقش مع ضباط ركن القاعدة وآمري الأسراب منهج الطيران المطلوب بالتفاصيل والتوقيتات.

---

* طيران تشكيل:- مصطلح خاص بالطيران، يعني قيام عدة طائرات بالتحليق على شكل مجموعة ضمن تشكيل محدّد في أجواء وإرتفاعات محدّدة سلفاً تكون الطائرات قريبة بعضها عن البعض الآخر، ويُستَخدَم عادة بالإستعراضات الجوية في مناسبات متنوعة........"المؤلف".

إنتظرتُ حتى حلّ الليل دون أن أتلقى أمراً بتحديد موعد تنفيذ "طيران التشكيل" .... ولكني فوجئتُ بحضور "العقيد شهاب أحمد" آمر أحد ألوية الجيش المُرابطة في "معسكر الحبانية"، حيث ذكر أنه تلقى أمراً بتهيئة لوائه للحركة نحو "بغداد".

وبينما كان (العقيد) جالساً في مكتبي، إتصل بي هاتفياً "العميد سعيد صليبي" -قائد موقع بغداد- ليأمرني:- ((أن العمل الذي بَلّغكَ به الأخ "عارف عبد الرزاق" قد أُلغيَ)).

ولمّا لم يكن -حسب إعتقادي- أحد يعلم بما دار بيني وبين السيد رئيس الوزراء ظهر ذلك اليوم، فقد إستفسرتُ منه:- ((أيّ عمل يا سيدي؟؟)).. فأجاب ((تَكَلَّم مع الأخ "هادي خمّاس))... قال لي "العقيد الركن هادي خمّاس" -مدير الإستخبارات العسكرية:- ((يا ممتاز.. أن العمل الذي كلّفك به السيد رئيس الوزراء قد أُلغِيَ))*.

إلتفتُ نحو "العقيد شهاب أحمد" موضّحاً ما دار بيني وبين اللّذَين تحدّثتُ معهما.. ولما لم ممتلكاً أية صورة عن الموقف ولم يكن هدف توجّهه إلى "بغداد" واضحاً، فقد أنتابتنا الحيرة.. في حين راودني شعور بأن ثمّة أمراً خطيراً يفرض أوزاره في "بغداد"، وأن تكليفي بـ"طيران تشكيل" ليس بالأمر البريء.

حديث مفاجئ

مرّت تلك الليلة، بعد أن غادرني "العقيد شهاب"، وكذلك نهار الأربعاء (١٥ أيلول) دون طارئ يذكر**.. ولكن ما أن حلّ ظهر اليوم التالي (الخميس ١٦ أيلول) حتى كان "المقدم عزيز أمين "آمر قاعدة الرشيد الجوية (وكالة) على الهاتف ليقول لي أنه سيحضر لزيارتي!!!

---

* بينما يؤكد السيد "ممتاز السعدون" هذه المكالمة الهاتفية المهمة، فقد أنكرها السيد "هادي خماس" جملة وتفصيلاً... ولكن "المؤلف" لم يتوصل إلى شخص ثالث يمكن أن يكون حَكَماً فصلاً في هذه المفارقة.............................."المؤلف".

** يُنظَر إلى هذا التباين في التأريخ الدقيق للحركة الإنقلابية من خلال مناقشتنا المسهبة لتفاصيله ضمن الصفحات الأخيرة من هذا المبحث......"المؤلف".

وبعد حوالي نصف ساعة حطّ بطائرة صغيرة في "الحبانية"، ليُفاجئني تماماً بأن حركة إنقلابية حاول "عارف عبد الرزاق" القيام بها قد فشلت، وأنه أقلع مع بعض أقرانه بطائرة نقل عسكرية متوجّهاً إلى "مصر"... وكان مهموماً كثيراً عندما تحدث عن مدى الإحراج الذي وقع فيه شخصياً جراء هذا التصرف الذي جاء به قَدَره لأن يقع في قلب قاعدته الجوية، وما قد تؤول إليه نتائج التحقيقات التي لا ناقة له فيها ولا جمل.

أسباب الفشل

إن أسباب فشل تلكم المحاولة قد يمكنني إيعازها إلى أحد أو جملة الأمور الآتية، وبعد أن إطّلعتُ بعدئذ على تفاصيل وقائعها:-

أولاً- القرار الذي أُتُّخذَ حول ضرورة تجنّب المُجابهة بين الوحدات العسكرية المؤيدة للحركة وبين تلك التي تناوئها، تحسّباً من مذابح في شوارع "بغداد".

ثانياً- تعدّد الخطط والآراء والمقترحات في تنفيذها.

ثالثاً- تردّد بعض القادة القائمين بها.

رابعاً- إتخاذ "عارف عبد الرزاق" شخصياً لقرارات غير صائبة بشأن تنفيذ الحركة.

الهروب بطائرة قاصفة إلى مصر

ومثلما شاء القَدَر أن يبلّغني "عارف عبد الرزاق" بتهيئة طائرات تقلع من القاعدة الجوية التي أقودها، لتُحلّقَ في سماء "بغداد"، فقد فرض قَدَري وزره في أعماقي حين فكرتُ بضرورة مغادرة وطني متوجّهاً إلى "مصر".. وفق حوادث تسلسلت كما يأتي:-

- حالما علمتُ بمغادرة "عارف عبد الرزاق" ولجوئه إلى "مصر" يوم (١٦ أيلول)، أصابني بعض القلق لإحتمالات محاسَبَتي، وقادَني تفكيري نحو ضابط طيار في القاعدة نفسها كان أخوه الأكبر "النقيب زهير عبد الله" ضابطاً في الحرس الجمهوري* ... ولما

* كان "النقيب زُهَير عبد الله" يشغل منصب "مساعد آمر فوج الحرس الجمهوري الثاني"-المقدم الركن إبراهيم عبد الرحمن الداود"، وكانت ثكنة الفوج قرب "قصر الزهور الملكي" المهجور في منطقة "الحارثية" ببغداد ...."المؤلف".

إبتغيتُ الإطلاع على مُجريات الأمور في قلب الحدث، بادرتُ بإرساله لزيارة أخيه صبيحة يوم الجمعة (١٧ أيلول)، فعاد إليّ مساءً بخبر مشؤوم مفاده:-

((أن أخاه قد سمع من آمر فوجه "المقدم الركن إبراهيم الدواد" أن "اللواء عبد الرحمن محمد عارف"-رئيس أركان الجيش وكالة، والأخ الشقيق لرئيس الجمهورية"- قد ذكر في حديث خاص أثناء مناقشة تطورات الحركة الإنقلابية الفاشلة، بأن "عارف عبد الرزاق" لم يكن لَيَقدِم على هذه الحركة لو لم يكن قد أَمَّنَ تماماً قاعدة الحَبّانية الجوية إلى جانبه")).

▪ كان من المنطقي أن يزيد هذا الرأي الصادر من "شقيق رئيس الجمهورية" ذلك القلق الذي كان يراودني.. ولمّا كنتُ على يقين تام بأن "عبد السلام عارف" يتّبع أسلوب "العقاب الجماعي" في مثل هذه المواقف، لذلك قرّرتُ ترك الوطن خشية الحساب العسير... ولمّا كانت تتوفّر في القاعدة طائرات قاصفة سوفييتية المنشأ ذات مدى بعيد نسبياً من طراز (تي يو-١٦/بادْجَر) يمكنها الوصول إلى "القاهرة" دون توقّف، فقد خطّطتُ للتوجّه إلى "مصر" بإستخدام إحدى تلكم الطائرات.

▪ عرضتُ الموضوع منفرداً على "الملازم أول الطيار فاروق الطائي" -أحد أقرب الطيارين علاقة بي- فلم يتردّد مطلقاً بالمجازفة بحياته ومستقبله... لذلك، وفي صباح يوم السبت (١٨ أيلول) أقلعنا بقاصفته نحو الأجواء الجنوبية-الغربية من "العراق"، محلّقَين مع الحافة الشمالية-الغربية لأجواء المملكة العربية السعودية، حتى عبرنا "خليج العقبة" نحو "صحراء سيناء" المصرية، وقبل أن نُشاهد طائرتين مقاتلتَين مصريتين من طراز (ميك-١٩) وقد تقرّبَتا من طائرتنا... ولمّا لم نكن على معرفة بالترددات اللاسلكية للقواعد الجوية المصرية، فلم نستطع تأمين إتصال كلامي معهما... وبعد تحلقيهما بالقرب منّا لحوالي (١٥ دقيقة)، يبدو أن طيارَيهما قد تأكّدا من هوية طائرتنا، لذلك فقد تَركانا.

▪ واصلنا الطيران ضمن خط الطيران الدولي نحوَ "القاهرة"، وإستطعنا تنظيم جهازنا اللاسلكي على ذبذبة "ميناء القاهرة الجوي" -المعروفة لدى جميع

طياري العالم- في حين لم نفكّر في غير التوجّه نحو "قاعدة بَلْبيس" الجوية الواقعة الى الشمال من "القاهرة"، حيث تستقرّ في أرضها مباني "كلية الطيران المصرية" -التي كنتُ قد زرتُها سابقاً ضمن وفد عسكري عراقي رسمي-... ولما لم نكن على إتصال مع سيطرتها بالطبع، لذلك فقد حلّقْنا فوقها، وأجرَينا حركات مُتعارَف عليها دولياً بتحريك جناحي الطائرة، لندور حوالي المطار قبل أن نهبط على مدرجه بسلام.

▪ حقّقت السلطات المصرية معنا لساعات عديدة، وإستنطقتنا بتساؤلات وإستفسارات مُحرجة، إلاّ أننا طلبنا من مسؤوليها منحَنا حقّ اللجوء، فتم ذلك بعد أيام قليلة، إذْ أسكنونا في قصر يعود الى "الملك فاروق الأول"، قبل أن يتم نقلنا الى شقق إستأجرناها من الرواتب التي كنا نتقاضاها من الحكومة المصرية بصفتنا (لاجئين سياسيّين).

المفارقة العجيبة

هناك مفارقة حدثت دون أن يكون لي دور مباشر فيها، ولربما هَوَّلَتْها وسائل الإعلام بعدئذ، أو أولئك الذين يَهوون "نظرية المؤامرات".. وهي، أنّ طيراننا من "العراق" وصولاً الى الأجواء المصرية -صادف بحكم القدر- مع تحليق طائرة الرئيس "عبد السلام عارف" الخاصة أثناء عودته من "المغرب" الى "القاهرة"، حيث إعتقد البعض ممن يُهوّلُون الأمور أن طائرتنا القاصفة قد أقلعت من "الحبانية" لتتواجه/تتقاطع مع طائرة "عبد السلام عارف" بغية إسقاطها*.

▪ وفي الوقت الذي لم نكن أساساً قد فكّرنا في مثل هذا الأمر بشكل مطلق، ولم نكن على دراية بتوجّه أو وصول رئيس الجمهورية الى "القاهرة" أو غيرها، ناهيك عن أن طائرتنا القاصفة "بادجر" غير مصمّمة، ولا هي مجهزة

* يستند السيد "أمين هويدي" على هذه الحقيقة لدى ذكره بأن (طائرات) كانت في إنتظار طائرة "عبد السلام عارف" لإسقاطها في سماء "بغداد"...... وكذلك يُنظَر أحمد فوزي: المصدر نفسه، ص٤٦ ...."المؤلف".

برادار يكشف طائرات أخرى كي تتقاطع معها أو تعترضها، ولم نكن على إتصال لاسلكي بأية قاعدة جوية أو قاطع دفاع جوي كي يتم توجيهنا نحو طائرة محدّدة نروم إسقاطها ... يُضافُ الى ذلك عامل أهم، وهو: كيف يمكننا التعرّف على طائرة تنقل "عبد السلام عارف" أو غيره، في تلكم الأجواء الشاسعة التي تحلّق فيها عشرات الطائرات المدنية التابعة لشركات الخطوط الجوية المختلفة بوقت واحد، سواء أكان ذلك في أجواء مصر أو سيناء أو شمالي السعودية أو العراق؟؟!!.

▪ وقد علمتُ بعدئذ، أن تحليق طائرتنا -مصادفة- في تلك الساعات من صباح يوم السبت (١٨ أيلول ١٩٦٥)، هو الذي حدى بالسلطات المصرية من تدبّر طائرة نقل مدنيّة خاصة تابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة من طراز (كوميت C-٤)، لنقل "عبد السلام عارف" والوفد المرافق له من "مصر" الى "بغداد".

الإنقياد الى الكتلة القومية

▪ بعد أيام من وصولنا الى "القاهرة"، إلتقيتُ بالسيد "عارف عبد الرزاق" لأُعاتبه كثيراً عن ((توريطي)) في أمر "طيران التشكيل" فوق "بغداد"، من دون أن يوضح لي الغاية الحقيقية منه... فكانت إجابته، أنه لم يكن هناك داعٍ لزَجّي في حركة إنقلابية يقودها هو، ما دام الأمر الذي أصدره مقتصراً على تحليق "طائرات غير مسلحة" وبأسلوب "طيران تشكيل".

▪ وبحكم مغادرتي الوطن، ومنحي صفة "لاجئ سياسي" لدى "مصر" فضلاً عن علاقاتي الشخصية السابقة مع "عارف عبد الرزاق"، فقد غدوتُ -بالضرورة- أحد الضباط المنتمين إلى كتلته القومية... ولذلك أيضاً وجدت نفسي -بعدئذ- مُنقاداً إلى الإشتراك معه في محاولته الإنقلابية الثانية ضد السيد "عبد الرحمن محمد عارف"، التي قادها فعلاً يوم (٣٠ حزيران/يونيو ١٩٦٦)، وذلك حوالي شهرين ونصف على تسنّم "اللواء عبد الرحمن محمد عارف" مقاليد الحكم في "العراق".

رأي شخصي في "عبد السلام عارف"

▪ أما تقويمي الشخصي عن شخص "عبد السلام عارف"، فإنني أراه قومياً دون أدنى شك، وممتلكاً لشجاعة فردية متناهية، وملتزماً بأصول الدين الإسلامي الحنيف... ولكنه كان يميل للإنفراد بالسلطة ويتّخذ قرارات غير مدروسة، ويطلق ألفاظاً وعبارات غير موزونة في خطاباته وتصريحاته وأحاديثه... وأنه على الرغم من تواضعه في ظاهره، فإن "داء العظمة" قد تملّكَ منه وخصوصاً بعد "حركة ١٨ تشرين ثاني/نوفمبر ١٩٦٣"... وأن الذي إقتنعت به -بعد إطلاعي على مجريات الامور عن كثب- أن ظاهره تجاه موضوع الوحدة مع "مصر" كان على عكس ما يضمره في باطنه.

((انتهى حديث السيد ممتاز السعدون))

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

حديث خاص مع السيد ناجي طالب

الإنقلاب الأغرب في التاريخ

لم يكن حديث السيد "ناجي طالب" عن المحاولة الإنقلابية نفسها، ولم يطّلع على تفاصيلها، ولم يكن طرفاً فيها أو قد تعايش مع أحداثها... وأنه بعد أن تقدّم بإستقالته من منصب "وزير الخارجية" مطلع شهر (أيلول ١٩٦٥) مع زميله "اللواء الركن محسن حسين الحبيب" وزير الدفاع من وزارة "طاهر يحيى" الثالثة*، وذلك بسبب فشل تلك الوزارة في تنفيذ مهمة "الإنتخابات العامة" المُوكَلة إليها**، فقد حمل جواز سفره مغادراً "بغداد" إلى "إنكلترا" لغرض الراحة والإستجمام بعد طول عناء ومهمات وواجبات طالت حوالي "عشرة" أشهر، ولزيارة نجله البكر "طالب" المُقيم بمدرسة داخلية في جزيرة "آيل أوف وايت"

---

* يُنظر التفاصيل في حديث السيد "صبحي عبد الحميد" ضمن هذا المبحث، ورأي السيد "ناجي طالب" المناقض له في بعض هوامشنا السابقة..........................."المؤلف".

** ناجي طالب: المقابلات الشخصية نفسها ...."المؤلف".

جنوبي ميناء "بورت سموت"، حيث جلب أنظاره عنوان كبير ورئيس في صحيفة "تايمس" اللندنية، وهو يقول:-

"The Oddest Coup in History"

أي: "أغرب إنقلاب في التأريخ".

أو: الإنقلاب الأغرب في التأريخ".

وذلك في إشارة لقيام "عارف عبد الرزاق" بمحاولته الإنقلابية هذه، وفشله في تحقيقها، على الرغم من كونه قائماً بمهام رئيس الجمهورية نيابةً من جهة، ورئيساً للوزراء، ووزيراً للدفاع، وقائداً فعلياً للقوة الجوية العراقية، في وقت واحد.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

تباين ملحوظ في التأريخ الدقيق للحركة الإنقلابية★

بعد هذا العرض المُسهَب لهذه الآراء المعمّقة للسادة الذين تكرّموا على "المؤلف" بذكرياتهم التي سجّلوها بعناية عن هذا الحدث الخطير، وسطّروها في متون عشرات الصفحات -وهم جميعاً صُنّاعه، أو معايشوه عن قرب- فقد لاحظنا أن هناك تبايناً في التأريخ الدقيق لليلة تنفيذ خطة الحركة الإنقلابية- موضوع بحثنا-.

وبغية وضع النقاط على الحروف، وخدمةً للتأريخ، بعد إنقضاء عقود على هذا الحدث، فقد رأينا من الأنسب مناقشة (الموعد الأكثر إحتمالاً) لهذه الحركة الإنقلابية وأحداثها ... وكما يأتي:-

أولاً: حدّد السيد "صبحي عيد الحميد"- واضع الخطّة المقترحة المبدئية للحركة، وأحد أهم قادة الكتلة القومية- ضمن الصفحات التي كتبها بخط يده، أن

★ الأوراق التي تكرّم السيدان "صبحي عبد الحميد ، وهادي خماس" بكتابتهما محفوظة لدى المؤلف وهما يشيران إلى التأريخ المحدد للحركة الإنقلابية، كلّ حسب مذكراته.........."المؤلف".

ليلة (١٤/١٥ ايلول/سبتمبر ١٩٦٥) باتت موعداً للتنفيذ، بعد أن تم تقديمه يوماً واحداً عن الموعد المقترح... وأن السيد "عارف عبد الرزاق" قد غادر "بغداد" مع صحبه الى "القاهرة" ظهر يوم (١٥ ايلول)... ولكن من دون أن يذكر أسماء الأيام*.

ثانياً: نحى السيد "هادي خماس" -مدير الإستخبارات العسكرية، والعضو المهم في قيادة الكتلة القومية، والشخصية الأهم الذي كان برفقة "عارف عبد الرزاق" ليلة تنفيذ الحركة- المنحى نفسه، مُثبِّتاً ليلة (١٤/١٥ أيلول) موعداً**.

ثالثاً: ذهب السيد "أمين هويدي" -سفير "مصر" في "بغداد"- إلى تحديد يوم الخميس (١٥ أيلول ١٩٦٥) موعداً لإنذار الوحدات العسكرية المؤيّدة للحركة المزمعة في "بغداد"... بينما يذكر أن إجتماعاً عُقدَ في منزل "عارف عبد الرزاق" صباح يوم (١٥ أيلول ١٩٦٥) -دون تسمية يومه***- لتدارس الموقف، إذْ غادره -ومعه عائلته- إلى مطار "بغداد" ثم إلى "القاهرة" على متن إحدى الطائرات الحربية.

رابعاً: يذكر السيد "اللواء الطيار الركن ممتاز عبد العالي السعدون" أنه علم ظهر يوم الخميس (١٦ أيلول ١٩٦٥) بقيام السيد "عارف عبد الرزاق" بحركته، وأنه أقلع من قاعدة الحبانية الجوية بطائرة قاصفة متوجّهاً الى "مصر" صبيحة يوم السبت (١٨ أيلول ١٩٦٥)****.

خامساً: حدّد قائد طائرة "الرف الجمهوري" الخاصة (المقدم الطيار عدنان أمين خاكي)، أن الملحق العسكري العراقي في "الرباط" قد أيقظه هاتفياً من نومه في الصباح الباكر من يوم الجمعة (١٧ أيلول) ليبلغه بالذي وقع من أحداث في

---

* أوراق السيد "صبحي عبد الحميد" المحفوظة لدينا ...."المؤلف".

** أوراق السيد "هادي خماس" المحفوظة لدينا ...."المؤلف".

*** أمين هويدي:- "كنتُ سفيراً في العراق"، مصدر سبق ذكره/ ص٢٦١ .. ولكن "المؤلف" تأكد، بما لا يقبل الشك، بأن يوم الخميس يوافق (١٦ ايلول ١٩٦٥) وليس (١٥ منه).. وأنه لا يُعقل أن تُدخَل الوحدات العسكرية المؤيدة للحركة حالة الإنذار في اليوم الذي غادر فيه السيد "عارف عبد الرزاق" بغداد مع عائلته ...."المؤلف".

**** المقابلة الشخصية مع السيد "ممتاز السعدون" وقد إحتفظنا" بتفاصيلها المكتوبة لدينا ...."المؤلف".

"بغداد"... وأن "عبد السلام عارف" قرّر مواصلة حضور الجلسة النهائية لمؤتمر القمة العربي الثالث حتى مساء ذلك اليوم في "الدار البيضاء"... وأن الطائرة الخاصة قد أقلع بها "المقدم عدنان" من "الرباط" ليلة الجمعة/السبت (١٧/١٨ أيلول) قبل أن يهبط بها في "القاهرة" ظهيرة يوم السبت (١٨ أيلول).

سادساً: أما "المؤلف"-وهو الذي عاش الأحداث في فوج الحرس الجمهوري المسؤول الأوّل والأهمّ عن حماية القصر الجمهوري- فقد سجّل في مفكرته الشخصية لعام (١٩٦٥) ما يأتي:-

- أن الفوج الذي كان يعمل فيه، قد أُدخِلَ الإنذار منذ مساء يوم الأربعاء (١٥ ايلول)... وأن الأحداث الخطيرة تتابعت طيلَة ليلة الأربعاء/ الخميس (١٥/١٦ أيلول).

- لم يهدأ الموقف في ذلك الفوج ولم يُخرج من حالة الإنذار، بل ظلّ مُرابِطاً حوالي القصر الجمهوري طيلة نهار يوم الخميس (١٦ أيلول).

- أن ضباط الفوج أُبلِغوا مساء يوم الخميس (١٦ أيلول) بأن السيد "عارف عبد الرزاق" قد غادر "بغداد" بطائرة نقل عسكرية ظهر ذلك اليوم الى "القاهرة".

- لقد أُوفِد "الدكتور عبد اللطيف البدري" -وزير الصحة والصديق الشخصي لـ"عبد السلام عارف"- إلى "المغرب"، ووصل "الرباط" صباح يوم الجمعة (١٧ أيلول) لتوضيح الموقف -الذي هدأ نسبياً في "بغداد"- أمام شخص السيد رئيس الجمهورية.

- أقلع "عبد السلام عارف" بطائرته الخاصة من "الرباط" ليلة الجمعة/السبت (١٧/١٨ أيلول ١٩٦٥)، ووصل "بغداد" بطائرة ركاب (مدنية) مصرية عصر يوم السبت (١٨ أيلول ١٩٦٥).

سابعاً: ولقد تأكّد "المؤلف" -بغية قطع الشك باليقين، عند إعداده مسودة هذا الكتاب عام (١٩٩٧)- من تلكم التواريخ بمُطابقتها مع صفحات الصحف

اليومية الصادرة في "بغداد"، والتي كانت محفوظة ضمن مجلّدات لدى "المكتبة الوطنية" في "الباب المُعظَّم" وسط "بغداد"*.

ثامناً: أن الصحف البغدادية الصادرة صباح يوم الأحد (١٩ أيلول) نشرت تفاصيل عودة الرئيس "عبد السلام عارف" من "الرباط" الى "بغداد"، فكانت مطابقة لما سجّلها "المؤلف" ضمن مفكرته الشخصية.

تاسعاً: أشار البيان الرسمي المقتضب، المنشور في جميع الصحف العراقية الصادرة بعدئذ، أن يوم الأربعاء (١٥ أيلول ١٩٦٥) كان موعداً لتنفيذ الحركة الإنقلابية.

الإستنتاج النهائي

لما أوردناه من تفاصيل دقيقة، ومع جُلّ إحترامي وتقديري لآراء وشخوص أساتذتي السادة "صبحي عبد الحميد، أمين هويدي، وهادي خمّاس" والتي تسبّبت في مفارقة (٢٤) ساعة عن الطروحات الأخرى... فإن أكبر الظن -في رأينا المتواضع- أن التأريخ الأدقّ للحركة التي قادها السيد "عارف عبد الرزاق" قد بُوشر بتنفيذها مع حلول مساء يوم الأربعاء (١٥ أيلول ١٩٦٥)، وأن إخفاقها قد توضّح مع فجر يوم الخميس (١٦ أيلول)، وأن السيد "عارف عبد الرزاق" قد غادر مطار الرشيد العسكري مع عائلته وصحبه بطائرة نقل عسكرية ظهر يوم الخميس (١٦ أيلول ١٩٦٥).

وقد يعود السبب في هذه المفارقة -التي كان وُجوباً على "المؤلف" توضحيها- هو تقادم الأيام والذكريات، وعقود من الزمن مضت على ذلك الحدث.

* ممّا يُؤسَف له -ولربما ضمن أُمور أخرى أهم- أن المكتبة الوطنية هذه قد نُهِبَت محتوياتها من كتب ثمينة، ومجلَّدات لا تُثَمَّن، ووثائق لا تُعوَّض، بعد يوم واحد من إنهيار نظام "صدام حسين" عصر الأربعاء (٢٠٠٣/٤/٩)، وذلك قبل أن يُحرَق باقي المحتويات ومبنى المكتبة بشكل شبه كامل في الأيام التالية...المؤلف".

الفصل الخامس

مصرع
عبد السلام محمد عارف

زيارته للبصرة والقُرْنة

مهمة حماية مبنى الإذاعة والتلفزيون

في صبيحة يوم الإثنين ١٩٦٦/٤/٤، تحرّكت سريتنا من ثكنة فوج الحرس الجمهوري الأول -بالقرب من القصر الجمهوري- بقيادة "الملازم أول يوسف خليل أحمد" لنتسلّم مهمة حماية مبنى الإذاعة والتلفزيون بمنطقة "الصالحية"، وذلك من "السرية الثانية" التي كانت بقيادة "ملازم أول قاسم محمد صَكَر"، والتي أمضت بهذا الواجب ثلاثة أشهر متتالية... ومع حلول ظهر ذلك اليوم كانت فصائل سريتنا مستقرة كل في القاطع المحدد له ضمن خطة الحماية.

كان الأسلوب المتَّبَع لعمل الضباط -وعددنا أربعة- أن يتواجدوا بكامل عددهم خلال ساعات الدوام الرسمي... وحال إنتهائها في الساعة الثانية بعد الظهر، كنا نتبادل النزول الى المدينة بين يوم وآخر، حيث يبقى لأداء كامل الواجبات ضابطان فقط حتى حلول صباح اليوم التالي.

والحقيقة التي ينبغي أن أذكرها في هذا الشأن، أني كنت توّاقاً للعمل في حماية هذا المبنى، وخصوصاً بالبقاء فيه بعد إنقضاء ساعات الدوام الرسمي لأسباب عديدة، قد تكون في مقدمتها ذلك الجوّ المدني الذي يسوده، وهو ما نحن محرومون منه بشكل عام، يضاف إليه بُعدُنا عن مقر الفوج وثكنتنا العسكرية، وكذلك عن مقر اللواء الذي كان على الدوام يتدخّل في شؤوننا، ناهيك عن التجمّع في ساحة العرض والتدريب الصباحي الرتيب والرياضة المسائية والحياة العسكرية ذات النهج اليومي المتشابه، مصحوبة بالكآبة التي

تسود شخوص معظم الضباط والمراتب في أروقة القاعات والغرف ونقاط الحراسة وتسيير الدوريات على مدار ساعات اليوم الواحد.

أما في هذا المبنى، فقد كانت مقابلاتي الشخصية وإختلاطي الدؤوب يومياً مع المذيعين والمذيعات، المطربين والمطربات، الممثلين والممثلات، والمخرجين ومقدّمي البرامج في الإذاعة والتلفزيون والمقدّمات، تُضفي على نفسي شعوراً بالراحة، ناهيك عن التمتّع بالسلطة شبه المطلقة وحرية التصرّف... فقد آليتُ على شخصي أن أبقى الضابط الوحيد بعد الدوام الرسمي، حتى كنتُ أتمنى أن يذهب "الملازم عبد الجبار جسّام" إلى بيته الواقع في محلّة "سوق حمادة" المتاخمة لـ"الصالحية" ليتمتّع بحريته في تلاوة القرآن الكريم حتى ساعة متأخرة من الليل، إذْ أغُطّ في نوم عميق بينما يسهر هو في "غرفة الضباط" مؤدياً جولات منتظمة على نقاط الحراسة والحماية حتى يحلّ الفجر.

واجب حماية مهابط الهليكوبتر في البصرة

في صبيحة يوم الخميس ١٩٦٦/٤/٧ إستدعاني آمر سريتنا الى مكتبه ضمن مبنى الإذاعة والتلفزيون، وذكر لي أن ((واجباً خاصاً)) قد تقرّر تكليفي به بمناسبة قيام السيد رئيس الجمهورية بزيارة تفقّدية للواء/محافظة البصرة، وأمرني بالحضور لدى مساعد آمر الفوج "الملازم أول عبد الصمد جابر العاني" فوراً.

لم يَدُمْ إنتظاري لدى السيد المساعد، حتى أدخلني الى مكتب السيد آمر الفوج "الرائد الركن عبد الرزاق صالح العبيدي"، والذي بادر إلى القول:-

- لقد نَسّبْتُكَ لتقوم بمهمة حماية مهابط طائرات الهليكوبتر المُصاحبة للسيد رئيس الجمهورية خلال زيارته للبصرة، ولمدة ثلاثة أيام، إعتباراً من يوم الثلاثاء القادم (٤/١٢).. وعليك التهيؤ للتنفيذ وفقاً لما يأتي:-

أولاً- أن تُشكّل فصيلاً مُرَتّباً من (٤٠) جندياً وضابط صف من عموم سرايا الفوج، ومن ذوي اللياقة البدنية العالية والقوام اللائق والقيافة الجيدة.

ثانياً- أن تتسلّم من ضابط الإعاشة "الملازم عدنان العَزّاوي" قياساً كاملاً إضافياً من الملابس العسكرية وأحذية العَرَضات وأغطية الرأس والملابس الداخلية، كي يكون فصيلك بالمظهر الذي يليق لهذا الواجب.

ثالثاً- عليك أن تسافر -مع فصيلك- بالقطار النازل إلى "البصرة" مساء يوم السبت (٤/٩)، لتصلها صبيحة يوم الأحد، حيث تدخل في إمرة "آمر موقع البصرة" العسكري "المقدم الركن قاسم حَمّودي"، والذي بدوره سيُنَسِّق مع "آمر قاعدة الشُعَيّبة الجوية" -المقدم الركن الطيار خالد حسين ناصر"، ومع إدارة "مطار البصرة الدولي" لتأمين إسكان فصيلك.

رابعاً- والأهم من كل ذلك... عليك أن تستطلع جميع المهابط المتوقّعة لطائرات الهيلكوبتر التي ستُصاحب السيد رئيس الجمهورية، وتضع خطّتك لحمايتها بعدد كافٍ من جنودك، وذلك قبل أن يصل سيادته إلى "البصرة" بيوم واحد.

خامساً- يتم إركاب فصيلك في ثلاث أو أربع سيارات عسكرية تابعة لموقع البصرة العسكري، مع سيارة "جيب" لتَنَقُّلك أنتَ.. وقد وَعَدَنا آمر القاعدة الجوية بتأمين وجبات طعامك والجنود... أما "الأعتدة" فعليك تسلّمها من المتوفّر في فوجنا وتحمّلها معك بالقطار، إذْ لا داعي للدخول في معاملات رتيبة قد تطول إذا ما تسلّمتها في "البصرة".

سادساً- ولكن، حالما تعلم بوصول "العميد زاهد محمد صالح" -المرافق الأقدم للسيد رئيس الجمهورية- إلى "البصرة" صباح يوم الإثنين (٤/١١)، فإنك تصبح بإمرته، ولا تتسلّم أية توجيهات لتنقّلات فصيلك لتنفيذ هذه المهمة إلاّ من شخصه.

سابعاً- عليك الظهور -مع أفراد فصيلك- بالمظهر اللائق الذي ينبغي أن يعطي صورة جيدة عن فوجنا وعموم الحرس الجمهوري، أينما نزلتَ وحللتَ.

ثامناً: لتغطية المصاريف غير المنظورة لفصيلك، تسلّم من "المُساعد" مبلغ (٢٥٠) دينار، وإنك مُخَوّل بصرفه مقابل وصولات تقدّمها إلى "لجنة النثرية" حال عودتك.

تاسعاً- والآن.. وفورَ مغادرتك مكتبي هذا، توجّه لمقابلة السيد "المُرافق الأقدم"، فلربما لديه أمور أخرى يضيفها أو يوضحها.

وحالما إنتهى السيد آمر الفوج من إصداره أوامره، وبعد أن أدرجتُها على الورق فقرة بعد أخرى، فقد سمح لي بالتحدّث عما توضّح لي من تلكم النقاط... ولمّا تأكّد من صحتها، قال:-

▪ هل لديك أي استفسار أو غموض؟

- كلا يا سيدي... ولكني أرجو سيادتكم أن لا يكون الفصيل الذي كلّفتَني بقيادته مُرَتَّباً من عموم سرايا الفوج، وأن تسمح لي بأصطحاب فصيلي لهذه المهمة، وسأُكمل نواقصه من الفصيلَين الآخرين من سريتي.

▪ ولماذا؟

- لأنني على ثقة كاملة من فصيلي، فهم ذوو كفاءة ولياقة بدنية مقبولة، وإني على معرفة بخواص كل فرد منهم وهم منسجمون فيما بينهم، وهم كذلك يعرفونني أكثر من مراتب باقي السرايا.

سكت آمر الفوج قليلاً قبل أن يبادر :-

▪ هذه نقطة جديرة بالإهتمام، وأُبارك لك ثقتك بجنودك، وأُوافقك على ذلك... تصرّف كما تشاء، وبلّغ موافقتي هذه إلى كل من "المُساعد" و"آمر سريتك"، وتوكّل على الله.

وجهاً لوجه مع "المُرافق الأقدم"

أسرعتُ إلى "القصر الجمهوري"، وإنتظرتُ طويلاً حتى أذنَ لي "العميد زاهد" بالمثول أمامه، وهو جالس في مكتبه، وأديت التحية العسكرية ووقفتُ بحالة "الإستعداد" دون حراك... فبادر إلى القول بوجه متجهّم:-

▪ ءَأنت الملازم صبحي؟

- نعم سيدي.

▪ لماذا لم تُقَدِّم نفسك عند دخولك هذه الغرفة حسب الأصول العسكرية؟

- وجدتُ نفسي في الجناح الخاص للسيد رئيس الجمهورية، حيث لم أجد من المناسب أن اقدم شخصي بصوت عال -كما هي العادة- سيدي.

▪ ولكن عليك أن تعرف جيداً أن العسكرية هي العسكرية ذاتها، سواء في صحراء أو قمّة جبل أو بالقصر الجمهوري، فلا تكرّر ذلك...... على أية حال، هل توضّحت لك تفاصيل الواجب؟

- نعم سيدي، فقد أوضح السيد آمر الفوج ذلك.

▪ السيد رئيس الجمهورية سيصل بطائرة الرفّ الجمهوري إلى "مطار البصرة المدني" صباح يوم الثلاثاء (٤/١٢)... ولكن هناك (ثلاث) هليكوبترات تسبقه إلى "مطار الشُعَيبة العسكري" قبل ظهر الإثنين (٤/١١)، إذْ تكون مسؤولاً عن حمايتها جميعاً حال هبوطها، وتمنع أي تقرّب إليها بشكل مطلق، عدا طيّاريها وفنيّيها، والذين يجب أن تتعرف -وكذلك مراتب فصيلك- على وجوههم بدقة... هل هذا واضح؟

- نعم سيدي كل الوضوح.

▪ وعليك إبقاء نصف موجود الفصيل من الأشخاص في ذلك المطار بشكل دائم، بينما تقود النصف الآخر لتأمين حماية الهليكوبترات متى وأينما تهبط في العراء، وفق الأماكن التي سأُحدِّدُها لك بإستمرار بعد وصولي إلى "مطار البصرة" صباح يوم الإثنين بطائرة الخطوط الجوية العراقية، وسأزوّدك بمنهج مفصل للزيارة وتوقيتاتها... هل هذا واضح ايضاً؟

- نعم سيدي.

▪ إذَنْ تحرّك الآن لتُهيِّئ فصيلك للحركة... وكُنْ بإنتظاري في "مطار البصرة الدولي" صباح يوم الإثنين.

خرجتُ من القصر الجمهوري مُسرِعاً، مُتَهيّباً، متملِّكاً مشاعر قلق من هَول

الواجب الذي تكلّفتُ به للمرة الأولى منذ تعييني في الحرس الجمهوري قبل ما يقارب السنتَين، ولاسيّما وأن أي ضابط في فوجنا لم يسبق أن أُنيطَ اليه أمر مشابه -حسب علمي- كي أفيد من معلوماته وخبرته وتجربته في هذا الشأن، وأن ليس أمامي سوى (٤٨) ساعة لتهيئة الفصيل للحركة وصولاً الى "البصرة".

وبعد أن هيّأتُ الفصيل وفق التفاصيل التي بُلِّغتُ بها، حضرتُ الى "محطة القطار العالمية" لأحجز عربة قطار كاملة للتنقّل الى "البصرة" ليلة السبت/الأحد (٩/١٠نيسان/أبريل ١٩٦٦).

إلغاء المهمة

وبينما كنتُ على وشك الإنتهاء من جميع الإستحضارات، فوجئتُ في ظهيرة يوم السبت (٩ نيسان/أبريل) بآمر السرية وهو يبلّغني بأن المهمة قد أُلغيت، وأن فصيلاً مُرتَّباً من "مركز تدريب مشاة البصرة" قد كُلّفَ بها، وذلك بأمر من "رئيس الجمهورية"، الذي قال لمرافقه الأقدم:-

"لماذا هذا التبذير؟ وما المُوجب لهذا التعقيد؟ وهل هناك فرق بين (جيش البصرة) و(جيش الحرس الجمهوري)؟؟؟؟".

تنفّستُ الصَعداء، وشعرتُ مع أفراد فصيلي بإرتياح كبير، قبل أن أخلد إلى نوم عميق دام ساعات عديدة... ولكن من دون تصوّر بأن ذلك الواجب سيكون شاهداً لحدث تأريخي مهم في حياة العراق المعاصر، وأن الذين تعايشوا مع ساعات أيامه سيصبحون لاحقاً شهود عيان مهمّين في حدث سيهزّ العراق من أقصاه إلى أقصاه، وكذلك الشرق الأوسط وقد تغيّر مجريات أحداث العراق السياسية وتؤثر على عموم الوطن العربي سلباً أو إيجاباً، ومن قريب أو بعيد، وبشكل مباشر أو غير مباشر.

عبد السلام عارف في البصرة

لم يجلب أنظارنا كثيراً ذلك الخبر الذي نشرته صحف يوم الثلاثاء (١٢ نيسان/أبريل) ومفاده أن "اللواء عبد الرحمن عارف" -رئيس أركان الجيش وكالة-

قد غادر "بغداد" إلى "موسكو" على رأس وفد عسكري كبير، حيث ركّزت وكالات الأنباء العالمية والعربية في تعليقاتها مساء ذلك اليوم، بأنها محاولة من "العراق" لإعادة علاقاته التسليحية والعسكرية مع "الإتحاد السوفييتي"... فقد كان إهتمامنا كـ"حرس جمهوري"، وكما كان مقرَّراً ومُعلَناً في جميع صحف "بغداد" الصادرة قبل ثلاثة أيام بأن "رئيس الجمهورية" قد غادر "مطار بغداد الدولي" صبيحة ذلك اليوم إلى "البصرة" يرافقه ثلاثة من الوزراء وهم (اللواء عبد اللطيف جاسم الدراجي – وزير الداخلية، الدكتور محمد ناصر– وزيرالثقافة والإرشاد، والدكتور مصطفى عبد الله طه– وزير الصناعة) وآخرون غيرهم، وقد أقلّتْهُم إحدى طائرتَي "الرفّ الجمهوري" من طراز "توبوليف – ١٢٤".

الهليكوبترات في البصرة

منذ صباح يوم السبت ٩ نيسان، كان المرافق الأقدم لرئيس الجمهورية "العميد زاهد" قد أصدر أمراً إلى قيادة القوة الجوية يقضي بإرسال ثلاث طائرات هليكوبتر من "بغداد" إلى "البصرة"، على أن تكون جاهزة هناك قبل ظهر يوم الإثنين (١١ نيسان)، لنقل رئيس الجمهورية والوفد المرافق له أثناء تجواله هناك.

وقد دأبت قيادة القوة الجوية خلال عام كامل مضى، على إرسال أحدث طائرات الهليكوبتر لديها، ومن طراز "ويسّكْس" WESSEX بريطانية الصنع* والمنضوية ضمن "السرب الرابع" المتمركز في "قاعدة الرشيد الجوية" قرب

* طائرات (ويسّكس WESSEX) السمتية:- أنتجتها شركة (ويست لاند) ذائعة الصيت البريطانية، وقد جُهِّزَت بها القوة الجوية العراقية أوائل عام (١٩٦٥) بعد توقيع عقد خاص بذلك خلال عام (١٩٦٤) إثر تسنّم (عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق) منصب قائد القوة الجوية، وبعد أن إضطر العراق التوجّه مرة أخرى نحو التسلّح من الدول الغربية بسبب القطيعة التسليحية التي فرضها (الإتحاد السوفيتي) عليه بعد ثورة (١٤ رمضان/ ٨شباط ١٩٦٣)، وبسبب الضربات الموجعة التي إنهالت على عناصر الحزب الشيوعي العراقي في عموم القطر، وخصوصاً بعد أن وجدت القوة الجوية أن الطائرات السمتية (مي- ٤) السوفييتية الصنع قد أصابها القدم لإستمرارها في الخدمة طيلة أكثر من (٥) سنوات مضت......."المؤلف".

"بغداد"، وقد كانت إثنتان من مجموع (١٢) طائرة مُحَوَّرَتَين في داخلها ومُجَهَّزَتَين بكراسي مغطّاة بشكل مقبول لجلوس الشخصيات المهمة في الدولة، وعلى عكس الطائرات العشر الأخريات التي تحتوي مصطبتَين طويلتَين لركوب الأشخاص الإعتياديين أو لنقل الجنود ضمن واجبات عسكرية، أو لإخلاء الجرحى ونقل الأعتده والمواد.

ومنذ الصباح الباكر ليوم الاثنين ١١ نيسان، أقلعت الهليكوبترات الثلاث من "قاعدة الرشيد الجوية" متوجّهة إلى "البصرة"، حيث قاد "النقيب الطيار خالد محمد نوري" -آمر السرب الرابع وكالة- الطائرة الأولى المُرقَّمة "٥٩٨"، وكانت الثانية بقيادة "الملازم أول الطيار منذر سليمان عزّت"، بينما قاد "الملازم أول الطيار عثمان نوري علي" الطائرة الثالثة... ولم يصطحبوا معهم سوى "الملازم الطيار مذكور فليح الرُبَيّعي" مُعاوناً لهم، بمثابة (طيار إحتياط) قد يحلّ محلّ أحدهم لأي سبب كان.

وبعد رحلة دامت حوالي ساعتين، هبطت الطائرات الثلاث في "قاعدة الشُعَيّبة الجوية" قرب "البصرة" في ضُحى ذلك اليوم... وستظلّ جاثمة على أرض ذلك المطار، وقبل أن تنتقل إلى "مطار البصرة الدولي" بعد وصول الرئيس "عبد السلام عارف" إليه صباح اليوم التالي، ومن دون أن تُكلَّفَ بأية مهمة نقل ثانية بشكل مطلق طيلة (٤٨) ساعة.

منهاج الثلاثاء الحافل *

عندما هبطت الطائرة النفاثة التابعة لـ"الرفّ الجمهوري" وتوقّفت على أرض "مطار البصرة الدولي" كان في مقدّمة مستقبلي رئيس الجمهورية كل من

* لم يكن "المؤلف" على علم بمنهاج الزيارة وتفاصيلها في حينه، بل أن ما أورده تحت هذا العنوان قد جمعه بعد حادث الطائرة بأيام وأسابيع... ويأسف لعدم درج مصادرها أوآنئذ... ولكن معظمها قد ورد على لسان مقدم لواء الحرس الجمهوري "الرائد الركن فاضل مصطفى أحمد"، وآمر فصيل الحماية الشخصية "الملازم شهاب أحمد الدليمي" خلال مقابلات أو جلسات شخصية بعد مصرع الرئيس "عبد السلام عارف" ...."المؤلف".

السيد "محمد الحَيّاني"- متصرّف اللواء/المُحافظ، و"اللواء الركن عبد المجيد سعيد"- مدير الموانئ العام، وذلك في صبيحة يوم الثلاثاء (١٢ نيسان).

وعلى الرغم من وجوب الحضور لأشخاص محدَّدين وُجِّهَتْ إليهم دعوة الإستقبال الرسمي-حيث كان المقرّر أن لا يُسمح لمن لا يحمل بطاقة خاصة بالدخول الى مبنى المطار-، إلاّ أن عدد الذين تَسَرّبوا لأروقته، وكذلك إلى حدائق "فندق شط العرب" المتاخم ، كان أعظم بكثير مما قدّره المسؤولون وتوقّعوه.

وفي حين أطلقت المدفعية (٢١) إطلاقة، فقد جرت مراسيم الإستقبال وإستعراض حرس الشرف، قبل أن يقف "رئيس الجمهورية" ليصافح مستقبليه واحداً بعد الآخر.

وحين إنطلق الموكب نحو المدينة، كانت الجماهير المحتشّدة على جانبي الطريق تُحيي "عبد السلام عارف" تصفيقاً وهتافاً، حتى وصل الى الموقع الذي تقرّر أن يُقام فيه "جامع" يُخَلِّد إستشهاد "العقيد جلال أحمد إسماعيل" الذي سَحَلَه الشيوعيون عام (١٩٥٩) بعد أن قتلوه ومثّلوا بجثته أمام الأنظار.

بعد وضع "عبد السلام عارف" الحجر الأساس ذاك، توجّه بموكبه إلى "آمرية موقع البصرة" ليلتقي بضباطها ومراتبها، ويرتجل بينهم أوّل خطاب له في تلك الرحلة، وقبل أن يحضر في "نادي القاعدة الجوية" لتناول طعام الغداء في حدائقه.

بعد ذلك، إخترق الموكب شوارع "البصرة" المُزدانة بالأعلام والأقواس والجماهير بصعوبة كبيرة، متوجّهاً إلى قضاء "أبي الخصيب" ليضع حجر الأساس لمعمل الأسمدة الكيميائية هناك، وذلك قبل أن يزور مدينة "الزُبَيْر" ويحضر وليمة عشاء أقامها أهلها تكريماً، حيث أُستُقبِل بحفاوة بالغة مستمعاً لكلمات الترحيب وقصائد البعض من الشعراء.

وقف "عبد السلام" ليتحدّث مُرتَجلاً بعبارات واضحة تُشير الى التحركات الإستعمارية في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، حيث عرج إلى قيام

"بريطانيا" بنقل قاعدتها العسكرية من "عَدن"* إلى "دولة البحرين"... وهنا تقدّم منه "محمّد الحيّاني" هامساً في أذنه عبارة لم يفهم أحد فحواها، ولكن "الرئيس" إندفع في وجهه صائحاً:- "وماذا يعني ذلك.. فليكن ما يكون".

إستدرك "عبدالسلام"، عندما إنتبه أن الحضور لم يفهموا شيئاً، فأضاف مُفَسّراً:-

"يقول الأخ محمد، أن من بين المدعوين عدد من القناصل العرب والأجانب... فماذا يهمّ؟ وهل أنا خائف منهم؟؟"

وإذْ نالَ بذلك عاصفة من التصفيق الحاد، فإن "عبد السلام" لم يغادر مدينة "الزبير" إلاّ قبيل منتصف الليل... في حين لم يُكَلّفْ أي من طائرات الهليكوبتر في ذلك اليوم بأية مهمة.

منهاج الأربعاء المُرهِق

في صبيحة يوم الأربعاء (١٣ نيسان) كان موكب رئيس الجمهورية يشقّ طريقه نحو "الهارثة"، وعند وضعه الحجر الأساس لمعمل الورق وسط تلكم السُرادقات الكبيرة التي أُقيمَت هناك، كانت حشود عظيمة من المواطنين يُردِّدون أهازيج ويُؤَدّون دَبْكات شعبية ويُطلقون ذلك الهتاف الذي كان سائداً في عموم العراق:-

((إحنا جنودك يا "سلام"))

وفيما إنطلقت سيارات الموكب نحو قضاء "القُرنة" يُحيطها فرسان يمتطون خيولاً عربية أصيلة ويواكبون "عبد السلام" بالأهازيج... ومن دون أن يتوقف في تلك المدينة فقد توجّه إلى قرية "الهُوَيْر الكبير" التي أعَدَّ فيها "الحاج جمعة العبادي" بيت قصب ضخم يحتوي كل أسباب الراحة للرئيس وصحبه، حيث أعقَلَ أمامه جَمَلاً لينحره إلى جانب مجاميع من الخراف.

---

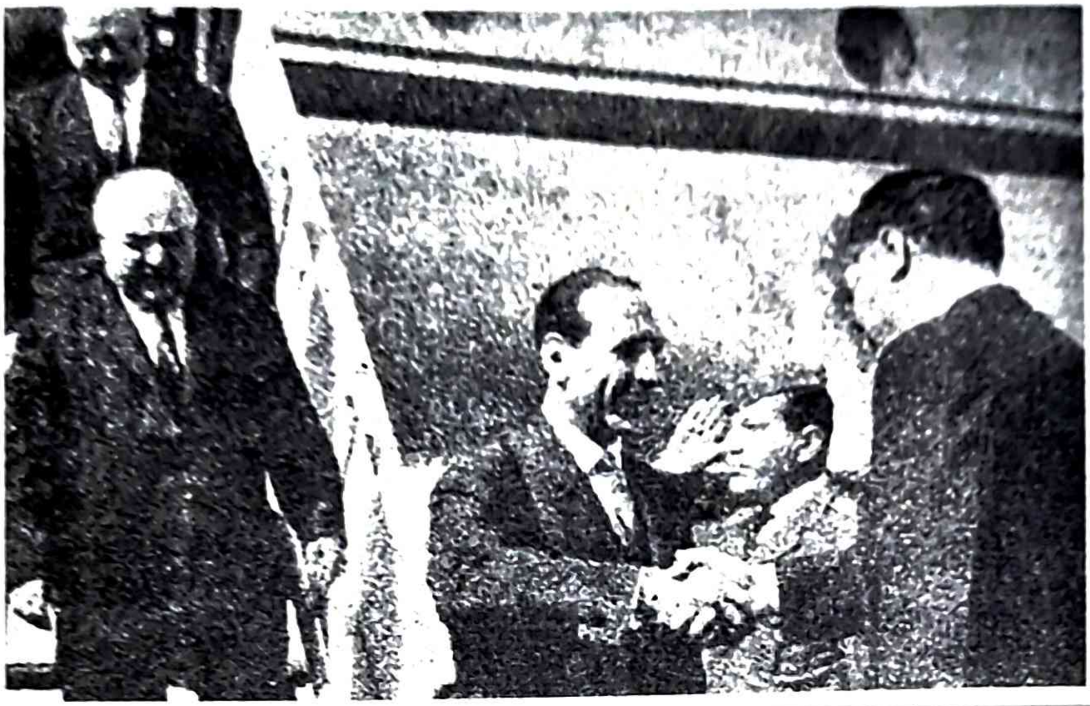
* كانت "بريطانيا" تُمهِّد خلال عام ١٩٦٦ لمنح مَحميّتها في "عدن" إستقلالها عام ١٩٦٧، وكان ذلك ذريعة لنقل قاعدتها العسكرية الى القرب من "مضيق هرمز" الإستراتيجي......."المؤلف".

وحين جلس "عبد السلام" في صدر ذلك البيت، قال للقريبين منه:-

"أكنتم تتصوّرون إنكم ترون في هذا المنأى بشراً؟... ألا يجب أن نبدأ العمل لأجل هؤلاء؟... ألا يكفينا رفع الشعارات؟؟"

ومن قرية "الهُوَيِّر"، إنطلق الموكب الكبير لتجتاز سياراته مناطق الأهوار، سالكاً طريقاً مبلّطاً نفّذته إدارة طرق وجسور"البصرة"، قبل أن يعود إلى ناحية "المُدَيْنَة" ليستقلّ وصحبُه زوارق بخارية مع وُجَهاء المنطقة عابرين "نهر الفرات" حيث تجمّع الناس، كما كان حالهم في تلك البقاع جميعاً، رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً، يُحيّون رئيس الجمهورية بالتصفيق والهتاف والأهازيج، حتى عاد إلى "القُرنة"، حيث كان قائمقام القضاء "عبد اللطيف الجُبُوري" قد هيّأ طعام الغداء ضمن وليمة كبرى لم يتم تناوله إلاّ في الساعة الرابعة والنصف عصراً.

وبينما كان "عبد السلام عارف" يشغل نفسه بطعام خفيف، وقد بانَ على وجهه غاية السعادة والفرح، فقد كان يدعو الآخرين تناول هذا الصنف من الطعام أو ذاك، وقبل أن يطلب "سَجّادة" ليؤدّي صلاة العصر، والتي ستكون الأخيرة في حياته، ويهمّ بعد ذلك بمغادرة "القُرنة" للعودة الى "البصرة" بطائرات الهليكوبتر، فقد إنتهى منهج الزيارة لذلك النهار.



الصورة (٨١)

صبيحة الثلاثاء ١٢ نيسان /أبريل ١٩٦٦

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" بعد هبوطه من طائرة الرفّ الجمهوري في مطار البصرة الدولي وهو يصافح السيد "محمد الحيّاني" متصرف/محافظ لواء البصرة، وقد أدى معاون الطيار الرائد "طاهر صالح التكريتي" التحية ـ ويظهر على سلّم الطائرة اللواء "عبد اللطيف الدراجي" وزير الداخلية والدكتور "مصطفى عبد الله" وزير الصناعة



الصورة (٨٢)

ظهر الثلاثاء ١٢ نيسان/أبريل ١٩٦٦

الرئيس "عبد السلام محمد عارف" يضع الحجر الأساس لمعمل الأسمدة الكيميائية في قضاء (ابي الخصيب) وقد ظهر الى الخلف منه العميد "زاهد محمد صالح" المرافق العسكري الأقدم

إلتماس محموم لقَضاء وقَدَر محتوم*

حادث الطائرة

إستناداً إلى التوقيتات المحدّدة ضمن نهج الزيارة، وتأسيساً على الخطّة الموضوعة سلفاً والمُبلَّغة إلى الطيارين والحضور عموماً، فقد كانت الهليكوبترات الثلاث -والتي هبطت قرب ملعب الإدارة المحلّية لمركز قضاء"القُرنة" قُبيل الساعة الواحدة من ظهر ذلك اليوم- جاهزة من جميع الوجوه لإعادة رئيس الجمهورية وصَحبه من "القُرنة" الى "البصرة"، حيث كان الموعد المقرر للإقلاع هو الساعة الرابعة والنصف عصراً.

ولكن الذي حدث، أن "عبد السلام عارف" كان لا يزال جالساً في الحديقة المُطلّة على مياه النهر حتى الساعة الخامسة والنصف، متحدّثاً مع الوزيرَين "اللواء عبد اللطيف الدَرَاجي، والدكتور مصطفى عبد الله"، والعميدَين المهندسَين "جهاد أحمد فخري-مدير عام مصلحة الكهرباء الوطنية، وعبد الهادي حافظ وكيل وزارة الصناعة"، عندما إنتصب أمامه -بحكم سوء القَدَر- قائمّقام قضاء القُرنة "عبد اللطيف الجُبوري"، ملتمساً منه حضور مهرجان شعبي أقامه في ملعب الإدارة المحلية وسط المدينة.

كان إلتماساً محموماً، وكانت إستجابة "عبد السلام" له قائلاً:-

---

* سجّلَ "المؤلف" معظم الحديث الذي يرد تحت هذا العنوان بعد جلسة خاصة مع آمر فصيل الحماية الخاصة لرئيس الجمهورية "الملازم شهاب أحمد الدليمي" في "القصر اللجمهوري" بعد حادث الطائرة بأيام......................"المؤلف".

ردّ عليه "عبد السلام عارف":-

"ولكن الوقت أدركنا، وليس من المعقول أن نتأخر عن الساعة السادسة، لأن الطيارين لا يقدرون على الطيران ليلاً"★.

وتحت إلحاح ورجاء شديدَين، إضطر"عبد السلام" إلى الإستجابة مع بعض التردّد... فسار مع صحبه راجلاً نحو "الملعب" الذي طَوَّقته الجماهير من جهاتها الأربع.

بدأ المهرجان، وتتابعت الخطب الطويلة والعبارات الرنانة والقصائد التي تعرض مطالب "القُرنة"، حتى وجد "عبد السلام" نفسه أن من الواجب عليه إلقاء كلمة توضيحية، تحوّلت الى خطاب مُرتَجَل ودافئ، إذْ قال في بعض عباراته:-

((لم نكن نريد لأنفسنا مكاسب معينة حينما ثُرنا... ولم نكتفِ بقراءة البيان رقم (١) في الإذاعة والتلفزيون... بل كان ذلك من أجلكم، ولتأمين حياة أسعد لكم... إننا لا نعمل في سبيل تلبية مطالب أهالي "القرنة" فحسب، إنما نتمنى لو إستطعنا أن (نُزَوِّجَكم) جميعاً... ونَذراً عليَّ يا أهل القرنة، لو أَمَدَّ الله في عمري، لأُزوّجكم جميعاً لتتجبوا لهذا الوطن صبياناً وبنات نفتخر بهم يوم القيامة)).

وفي تلك اللحظات، سمع "عبد السلام" صوت المُؤذِّن الداعي الى صلاة المغرب، فإستبشر كثيراً قبل أن يقول:-

((وهذه شهادة على صدق حديثي إن شاء الله... وأعتذر عن عدم البقاء أطول مما بقيتُ معكم، فالطيارون لا يستطيعون أن يطيروا... وأنا أطلتُ البَقاء، فكيف أقوم بواجباتي يوم غد؟؟!!! لاسيّما وأن منهجاً حافلاً آخر ينتظرني هذه الليلة)).

الوداع الأخير

بدأ الظلام يحلّ شيئاً فشيئاً، بعد أن غربت شمس ذلك اليوم في حوالي الساعة السادسة، ولربما لم يتحسّس معظم الحضور بذلك، فقد كانت الساحة

★ الملازم شهاب الدليمي: الجلسة نفسها ...."المؤلف".

مُنارة بتسليط أضواء عشرات من البروجكترات الضخمة عليها... وجاوزت الساعة السادسة والنصف، عندما راح "عبد السلام" يُلَوِّح بيديه مُودّعاً الجماهير، وسط تصفيق حاد تتخلّله الأهازيج والهُتافات العالية، وتوجّه مُحاطاً بصحبه الى حيث كانت طائرات الهليكوبتر تنتظر، والهتافات تنادي:-

"إحنا جنودك يا سلام"

"عبد السلام محبوبنا.. مكتوب جوّه قلوبنا"*

وفي مدخل الطائرة، قال "عبد السلام" لمُودّعيه من الجماهير، وبصوت عال:-

- في أمان الله.. في أمان الله.

فردّ عليه الحضور:

▪ في أمان الله.. في أمان الله يا "أبو أحمد".

وصعد معه في الطائرة نفسها كل من "عبد اللطيف الدراجي، مصطفى عبد الله، جهاد أحمد فخري، عبد الهادي حافظ، محمد الحيّاني، العميد زاهد محمد صالح، عبد الله مجيد"**

وبعد أن تم تشغيل محرّك الطائرة والتأكد من سلامة الأجهزة والمعدّات، صعد إليها نائبا الضابطين "الكهربائي محمد عبد الكريم، والبرّاد كريم حميد".

وركب في الطائرة الثانية كل من "بايز عزيز-متصرف لواء الناصرية، إبراهيم الوَلي-رئيس التشريفات وكالة، المقدم الركن فاضل مصطفى أحمد-مقدم لواء الحرس الجمهوري، المقدم الركن قاسم حمودي-آمر موقع البصرة وكالةً، المقدم الركن "زكي الصائغ"- ضابط ركن الموقع، "شاكر الغرباوي"- رئيس بلدية الناصرية، "أحمد الحَسّو"- أحد موظفي القصر الجمهوري، "فيصل حَسّون"***- نقيب

---

* الملازم شهاب الدليمي.

** من الأوراق التحقيقية التي إطّلعتُ عليها في القصر الجمهوري بعد حادث الطائرة...."المؤلف".

*** بعد إنتهائي من تبيض مسودة هذا الكتاب خلال الربع الأخير من عام (٢٠٠٤)، أصدر السيد "فيصل حسون" كتابه الموسوم "مصرع عبد السلام عارف"، نشرته "دار الحكمة-لندن" نتمنى للجميع التوفيق، وأن يبارك الله-عز علاه- في مسعاهم............."المؤلف".

الصحفيين، و"عبد العزيز بركات"- السكرتير الصحفي لرئيس الجمهورية"*.

أما الطائرة الثالثة فقد كانت مخصّصة للصحافيين والمصورين ومراسلي الصحف والإذاعة والتلفزيون والسينما.

إقترب الملازم "شهاب أحمد الدليمي" -آمر فصيل الحماية الشخصية- من الرئيس "عبد السلام" قبيل صعوده إلى متن الطائرة، ليوضّح له أن صداعاً شديداً قد ألَمَّ برأسه وقد أرهقته تدابير الحماية والجولات الطويلة منذ الصباح الباكر، وأنه لا يستطيع الصعود في الطائرة وسيعود إلى "البصرة" بالسيارة الخاصة المكشوفة مع السائق "حميد بَلاسِم".

فبادره رئيس الجمهورية إلى القول مستهزئاً:-

"وَلَكْ تْخَسَه** أنتَ السَبع تخاف من الطيارة؟"

وكان ذلك قبل أن يسلّم "عبد السلام" نظارته الطبية ومسدّسه الشخصي الصغير من طراز "وَبْلي" إلى مرافقه الشخصي "الملازم أول رشيد علوان المَهداوي" ليوصيه قائلاً باللهجة العامّية:-

"دير بالك على شهاب، مبيّن ما له خُلُك"***.

وكانت تلك آخر العبارات التي سمعها "الملازم شهاب" من رئيسه****.

---

* الأوراق التحقيقية نفسها ....المؤلف".

** إتْخَسَه: كلمة عامية دارجة تستخدم في العراق، وتعني "هذا شيء معيب"......."المؤلف".

*** والعبارة تعني: "كُنْ حذراً على شهاب، يبدو أنه مريض بعض الشيء"..............."المؤلف".

**** الملازم شهاب الدليمي.



الصورة (٨٣)

مساء الأربعاء ١٣ نيسان /أبريل ١٩٦٦

ربما تكون هذه الصورة آخر ما أُلتُقِطَتْ للرئيس "عبد السلام عارف" وإلى الخلف منه أمين سره الرائد "عبد الله مجيد" وهما في متن السيارة المكشوفة في الطريق إلى الساحة التي تقف فيها طائرات الهليكوبتر التي ستقلهم من القرنة الى البصرة

التهيؤ النهائي والإقلاع

وحالما شاهد الطيارون رئيس الجمهورية وهو يتّجه سيراً على الأقدام نحوهم، إبتغى قائد التشكيل "النقيب الطيار خالد محمد نوري" التأكد من سلامة الأجهزة اللاسلكية، فنادى قائد الطائرة الثانية "الملازم أول الطيار منذر سليمان عزّت"، فأجابه بوضوح.

وفي الساعة السابعة إلاّ عشر دقائق مساءً، أقلعت الطائرة الأولى، وتبعتها الثانية بعد لحظات... فعمّ الغبار الكثيف تلك البقعة بسبب سرعة دوران مروحتي الطائرتين، وذلك دأْبُ الطائرات السمتية عند الإقلاع، وخصوصاً إذا كانت الأرض التي تحتها هشّة وترابية أو رملية.

وبسبب عُطل أصاب محرّك الطائرة الثالثة، والذي تمّ إصلاحه خلال (٤-٥) دقائق، أقلع بها "الملازم الطيار عثمان نوري علي" يعاونه "الملازم الطيار مذكور فـلَيـحّ الرُبَيّعي"، متّبعة الطائرتين الأُولَيَين نحو "البصرة" في طيران ليلي سيدوم حوالي "نصف ساعة" أو أقل من ذلك.

وبعد دقيقتين تقريباً في ذلك الظلام الدامس، وحين علم المراقب الجوّي لمطار البصرة الدولي "فَريد عبد الأحَد" أن إحدى الطائرتَين تحمل رئيس الجمهورية، فقد أبلغ لطيارين "التقرير الجوي" الإعتيادي باللغة العربية*:-

"إتجاه الريح (٣٥٠) درجة.. سرعة الريح (٤) عقدة جوية**.. مدى الرؤية (٤) كيلومتر مع وجود أتربة معلّقة في الجو***.. الغيوم معدومة.. الضغط الجوي (١٠٠٨,٦) ملّيبار".

ولم يَتَلَقّ الطيارون بعد ذلك، سواء من "مطار البصرة"، أو سواه أي تحذير لأي سوء في الأحوال الجوية السائدة..

وبينما تَأَمَّنَ تبادل الرؤية بين الطائرتين الأولَيَين، فإن ثالثتهما كانت متأخّرة عنهما، ولكن الإتصال اللاسلكي بين الطيارين جميعاً كان سالكاً، وهم يحلّقون على إرتفاع (٦٠٠٠) قدم ((حوالي ٢٠٠٠ متر)).

الكـارثـة

وفجأة، ومن دون سابق إنذار أو تحسّس، وبعد طيران دام حوالي (١٥) دقيقة بعد الإقلاع من "القرنة"، وجد "الملازم أول منذر" -قائد الطائرة الثانية- نفسه في منطقة جيوب هوائية مؤثّرة على طائراته، وأحسّ الركاب بهزّات

* من شهادة المراقب الجوي "فريد عبد الأحد" الواردة ضمن الأوراق التحقيقية التي إطلعتُ عليها في القصر الجمهوري بعد حادث الطائرة بشهرَين تقريباً......"المؤلف".

** العُقدة الجوية "الميل الجوي او البحري NAUTICAL MILE":- هي وحدة قياس بريطانية الأصل، تستخدم لتحديد سرع السفن والطائرات والرياح معاً، وتعادل (١٨٥٢) متر...."المؤلف".

*** سنناقش موضوع مدى الرؤية والأتربة المعلّقة خلال مبحث لاحق من هذا الفصل...."المؤلف".

عنيفة، وأصبح مدى رؤيته (صفراً) بسبب الغبار الذي ملأ الجو المحيط به.

تلقّى "منذر" مكالمة من "خالد" قائد التشكيل، وهو يطلب أن يوعز إلى قائد الطائرة الثالثة "عثمان" بالعودة إلى "القرنة" فوراً، وسمع حواراً من "خالد" وهو يطلب من "مطار البصرة" أن يحدّد إتجاه طائرته وموقعها.

ولما أستشعر "منذر" تلكّؤ "سيطرة المطار" في الإجابة، تدخّل بينهما ليقول للمراقب الجوي في ذلك المطار، وبلهجة عنيفة:-

((ألا تفهم؟ النقيب "خالد" معه السيد رئيس الجمهورية، حدّدوا له إتجاهه وموقعه بسرعة)).

إلاّ أن ردّ السيطرة كان:- ((أنه لا توجد لديهم أجهزة لتحديد الإتجاه))..

أدار "منذر" المكالمة مع "سيطرة قاعدة الشُعَيْبَة الجوية"، فكان الجواب كذلك سلباً، فلا يتوفر لديهم أيضاً جهاز لتحديد الإتجاه.

أحسّ "منذر" بالرعب خلال تلك اللحظات، حتى سمع "خالد" يصيح:-

"منذر.. منذر، ولك عيني إلحَكْني* .. أنا في خطر...

وفي تلك اللحظة بالذات، وقعت طائرة "منذر" في جيب هوائي كبير، جعلها تنخفض عن إرتفاعها حوالي (١٠٠٠) متر خلال ثوانٍ**، حتى وجد نفسه فوق منطقة أهوار، كلّها مياه.

حاول "منذر" رؤية طائرة "خالد"، فلم يستطع، وإتخذ قراراً بالعودة الى "القُرنة"، حتى هبط فيها قرب "ملعب الإدارة المحلية" نفسه في حوالي الساعة السابعة وعشرين دقيقة - أي بعد طيران دام حوالي نصف ساعة- بعد أن ظلّ ينادي "خالد" لاسلكياً طوال طريق العودة من دون جدوى، وليجد أمامه طائرة "عثمان" وقد سبقته في الهبوط بالموقع نفسه.

---

* إلحَكْني: كلمة باللهجة العراقية، تعني (أنجدني)......................."المؤلف".

** من إفادة "الملازم أول طيار منذر سليمان عزت" ضمن الأوراق التحقيقية نفسها....."المؤلف".

تَرَجَّل "منذر" مسرعاً من مقصورته وفتح باب الطائرة الجانبي، وصاح بصوت عالٍ، موجّهاً كلامه نحو "المقدم الركن فاضل مصطفى"-مقدم لواء الحرس الجمهوري:-

"سيدي، طائرة المشير تاهت".

وهنا فقط، أدرك الركوب في هذه الطائرة، أنهم لم يهبطوا في "مطار البصرة" كما كان مخططاً، بل أنهم في "القرنة" مرة أخرى.

ساد الهرج ساحة الملعب، وسط إرتباك وقلق كبيرين... وبأوامر فورية فتحت السيارات -التي كانت لا تزال هناك- أضواءها، وأشعل أهل "القرنة" النار فوق سطوح منازلهم عسى أن تهتدي الطائرة المفقودة اليها، بينما إنطلقت بضع سيارات إلى الطرق الخارجة من المدينة لعلّ أصحابها يعثرون على شيء.

إتصل "منذر" بالهاتف الوحيد الذي كان منصوباً قرب "مَنَصّة الخطابة" بملعب "القرنة"، بمطار البصرة موضّحاً لـ"السيطرة" تفاصيل الموقف القائم، طالباً منهم إنارة "مدرج الهبوط" علّها تساعد الطيار في التوجّه نحو المطار.

صعد "منذر" في طائرته وأقلع لوحده، وحلّق فوق "القرنة" ليبعث إشارت ضوئية إلى جميع الإتجاهات، وحاول الإتصال لاسلكياً بالطائرة المفقودة، دون جدوى.

مضى الوقت ساعة بعد أخرى دون نتيجة، فقرّر الجميع التوجه نحو "البصرة" بالسيارات.

في فندق "شط العرب"*

كانت مأدبة العشاء التي أقامها متصرف/محافظ البصرة "محمد الحيّاني" في فندق "شط العرب" جاهزة، وكانت جموع المدعوين من كبار الضباط والموظفين ووجهاء المدينة ينتظرون عودة "رئيس الجمهورية" وصحبه من جولة يوم الأربعاء، حتى قاربت عقارب الساعة من التاسعة مساءً إذْ بدأوا

* معظم المعلومات التي ترد تحت هذا العنوان إستقيناها من تقرير مندوب وكالة الأنباء العراقية (السيد فؤاد الخليل) والمنشورة في الصحف العراقية يوم الخميس ١٩٦٦/٤/١٤ ......"المؤلف".

يتهامَسون عن أسباب هذا التأخير غير الإعتيادي، حتى سَرَتْ "إشاعة" فقدان الطائرة التي لم يشأ أحد تصديقها... ولمّا لم يحضر صاحب الدعوة "محمد الحياني" والمُحتفى به "عبد السلام عارف" حتى بعد حلول العاشرة ليلاً، إنصرف المدعوّون إلى بيوتهم خائبين وقلقين.

في إدارة الفندق، إجتمع "الدكتور محمد ناصر" -وزير الثقافة والإرشاد- مع "اللواء الركن عبد المجيد سعيد" -مدير عام الموانئ العراقية- بحضور كبار الضباط وإداريّي البصرة ومديرَي الشرطة والأمن، متباحثين حول إجراء إتصالات هاتفية فورية مع "بغداد"، كانت أولاها مع "الأستاذ عبد الرحمن البزاز" رئيس الوزراء، وذلك قبل أن ينتقل الجميع الى ديوان المتصرفية/المحافظة ليتّخذوه مقراً لعملهم الدؤوب حتى الصباح.

أُدْخِلَتْ القوات المسلحة بالإنذار تحَسّباً لأي إحتمال قائم، فيما صدرت الأوامر ليَلاً إلى الزوارق السريعة التابعة لمصلحة الموانئ والشرطة النهرية، وكذلك الى عدد من سيارات الإسعاف والسيارات العسكرية ومفارز الشرطة والأمن والإستخبارات، للإنتشار في البقاع الفاصلة بين "البصرة والقرنة" وغيرهما بحثاً عن الطائرة المفقودة، بينما تطوّعت "شركة نفط البصرة" البريطانية بإطلاق إحدى طائراتها في تلك الليلة للتحليق في أجواء المنطقة عموماً وإستطلاعها، ولكن دون جدوى أيضاً.

في تلك الساعات كذلك، تم الإتصال هاتفياً بالمخافر الحدودية للعراق مع "إيران"، وبشخص "القنصل العراقي" في مدينة "المحمرة/خُرمّشَهر"، حيث قيل له أن طائرة هليكوبتر تحمل "شخصيات عراقية مهمة" قد ظلّت طريقها وسط عاصفة ترابية، ولربما تكون قد دخلت الأجواء الايرانية... ولكنهم لم يتلقّوا جواباً.

مساء يوم (١٣) المشؤوم في مبنى الإذاعة والتلفزيون

لم يكن نهار يوم الأربعاء (١٣ نيسان) مختلفاً في هدوئه عن باقي الأيام التي مضت علينا في مبنى الإذاعة والتلفزيون.. فبعد إنقضاء ساعات الدوام

الرسمي بقيتُ بصحبة "الملازم عبد الجبار جسّام"، في حين غادره آمر السرية ومعه "الملازم سعد شمس الدين"*.

تمتّعتُ بقسط من الراحة بعد الظهر، حتى أيقظني "الملازم عبد الجبار" قبيل أذان العصر، وغادرني متوجهاً إلى مسكنه على أمل أن يعود قُبيل منتصف الليل، كما جرت العادة.

تفقّدتُ نقاط الحراسة ومواقع الأسلحة المنصوبة لحماية المبنى، قبل أن أنفرد في "غرفة الضباط" لأستقبل العديد من ضباط الصف ممن لديهم معاضل محددة بغية حلّها، إضافة لعدد من الزملاء المذيعين والمخرجين ومقدّمي البرامج في زيارات مجاملة شبه يومية، حتى قاربت الساعة العاشرة ليلاً، حين أخبرني آمر حرس باب المبنى بأن السيد آمر الفوج "الرائد الركن عبد الرزاق العُبَيْدي" قد حضر بسيارته العسكرية-على غير عادته- طالباً حضوري أمامه فوراً.

هرعتُ الى حيث آمر الفوج، وأديتُ التحية العسكرية له وقدّمت نفسي بصوت عال، كما هي العادة.... فقال بكل هدوء، كعادته دائماً، بعد أشّر على الجنود بالإبتعاد عنا:-

- كيف حالكم، يا ملازم صبحي؟
- ▪ بخير، والحمد لله، سيدي.
- - وكيف حال الجنود في نقاط الحراسة؟
- ▪ الجميع قائم بواجباته، وقد تفقّدتُهم عصراً، سيدي.
- - أودّ أن أقول لك ما يلي، فإسمعني جيداً:-

* حلّ "الملازم سعد شمس الدين خالص"-وكان آمراً لفصيل الهاونات في سرية الإسناد- محلّ "الملازم إسماعيل داود" لإشتراك الأخير بدورة في "مدرسة المشاة" بمعسكر "الوشاش" لإكمال شروط ترقيته إلى رتبة "ملازم أول"....................."المؤلف"

أولاً- أدخل الجميع في الإنذار فوراً، وليكن نصفهم حول سياج المبنى، والنصف الآخر جاهزين بملابسهم وأسلحتهم الكاملة في قاعة منامهم، وبدّلهم كل ساعتين او ثلاث.

ثانياً- أرسل سيارة لإحضار آمر السرية فوراً، وبلّغه بأن إجازات المراتب الدورية قد أُلغيت إلى إشعار آخر.

ثالثاً- سأُبلّغكم بمجريات الأمور لاحقاً، ولا داعي لإطلاع المراتب عليها.

وبينما جلس آمر الفوج في غرفة الضباط، فقد حضر رأس عرفاء السرية أمامي خارجها، وهمستُ له، وقبل أن أُبلّغه بأوامر آمر الفوج، أن يبعث (الجندي المُراسِل) للملازم "عبد الجبار" إلى داره ليأتي إلينا فوراً، على أن يدخل المبنى من بابه الخلفي للحيلولة دون مشاهدة آمر الفوج له.

في هذه الأثناء عاد "الملازم سعد شمس الدين" بملابسه المدنية، ودخل غرفة الضباط بعد أن أعلمتُه بوجود السيد آمر الفوج هناك، حيث ذهبتُ إلى قاعة منام المراتب لأجدهم في وضع مرتبك بعض الشيء -كما كان حالهم كلّما أُدخلنا الإنذار- وأوعزتُ لهم بالإسراع في إرتداء الملابس والتجهيزات وحمل أسلَحتهم، والتحرّك كل الى القاطع المخصص، وذلك قبل أن أقوم بجولة تفقّدية حول المبنى للتأكد من سلامة تنفيذ الأوامر.

عدتُ إلى "غرفة الضباط" في حوالي الساعة العاشرة والربع، لأجد "الملازم سعد" وقد إرتدى ملابسه العسكرية وحمل مسدسه، وأن آمر الفوج قد غادرنا إلى "ثكنة الفوج"... فبادرتُ "سعد" بالسؤال الإعتيادي الذي يفرض نفسه على بال كل فرد بالحرس الجمهوري في مثل هذه الظروف:-

- يبدو أن هناك إحتمال مؤامرة أو حركة هذه الليلة؟
- الإحتمال قائم بالطبع، ولكن هناك شيء أكبر من ذلك في هذه المرة!!
- خيراً إن شاء الله.

- أرجو ألاّ تخبر أحداً بما سأُتحدث به، فالموقف غير واضح لحد الآن.. لقد فُقدَتْ طائرة الهليكوبتر للسيد رئيس الجمهورية أثناء العودة من "القُرنة" إلى "البِصرة".

- يا للهول.. وكيف تفقد طائرة السيد رئيس الجمهورية؟

- هذا هو الذي بلّغني به السيد آمر الفوج... وتشير المعلومات الأولية أنها أقلعت من "القرنة" مساء هذا اليوم في حوالي الساعة السابعة، ولم تصل إلى "البصرة"، وكذلك لم تَعُدْ الى "القرنة" .. ويُقال كذلك أن الجو كان مُغبَراً.

- وماهي الإجراءات المتّخذة الآن؟

- لا أدري، ولكن التفتيش جارٍ في المنطقة الفاصلة بين "البصرة" و"القرنة"، لعلّهم يعثرون على شيء؟

بعد فترة وجيزة، حضر آمر السرية "الملازم أول يوسف خليل أحمد" إلى المبنى قادماً بالسيارة العسكرية من دار سكناه، بعد أن عاد "الملازم عبد الجبار جسّام" من صلواته، ومن الطبيعي أن يُصْعَقا بالخبر الفاجعة..

وبينما طلب آمر السرية منا جميعاً التوجّه كل لقاطع فصيله، ظلّ هو جالساً في "غرفة الضباط" حيث تتضاعف المُهاتفات في مثل هذه الساعات، مشدّداً على ضرورة عدم إخبار أي شخص بهذا الأمر.

حضور آمر لواء الحرس الجمهوري

مضت الساعات على النفوس ثقيلة، وخصوصاً بعد منتصف الليل، حيث خلَى المبنى من جميع موظفي الإذاعة والتلفزيون، ولم يَبقَ إلاّ عدد ضئيل من الخافرين الذين باتوا في الغرف متنعّمين بنوم هادئ لا يدرون ما وقع وجرى، حتى حلّت الساعة الثانية والنصف، حين طلب "آمر السرية" حضورنا في مكتبه، لنجد آمر لواء الحرس الجمهوري "العقيد الركن بشير الطالب" جالساً.

وعندما وقفنا أمامه بحالة الإستعداد، قال:-

- يا إخوان، أنتم على علم بالموقف الحَرِج الذي نحن عليه الآن، فلغاية هذه الساعة لم يُعثَر على السيد رئيس الجمهورية، ولكنّا لم نيأس من رحمة الله تعالى، فالإحتمال الوحيد بسلامة سيادته هو أن الطائرة قد تعطّلت وإضطرّت إلى الهبوط في موقع بعيد عن الطرق والنياسم السالكة، ولربما يتم إكتشاف موقعها صباح اليوم... مع العلم أن طائرة نقل تابعة لشركة نفط البصرة قد حلّقت في أجواء المنطقة بشكل عام دون أن تعثر على شيء، وأن طائرة نقل عسكرية مجهزة بـ"بروجكترات" ضخمة قد إنتقلت من "بغداد" إلى "البصرة"، ولعلّها تتمّ الإفادة منها في العثور على شي ما.

وسكت آمر اللواء قليلاً قبل أن يبادر:-

- المهم الآن، أن تكونوا وجنودكم، يقضين وحذرين من أية تحركات تشتبهون بها، ومستعدّين للردّ عليها.

الخبر الكارثة

وبينما لم يُغمَض للضباط وضباط الصف جفن حتى الصباح، فإن العديد من الجنود طغى عليهم سلطان النوم متّكئين على السياج المحيط بمبنى الإذاعة والتلفزيون، حتى أشرقت شمس يوم الخميس (١٤ نيسان/أبريل)، وقاربت الساعة من السادسة والنصف، حين طلب (آمر السرية) حضورنا أمامه:-

- لقد عُثِرَ على طائرة السيد رئيس الجمهورية مرتطمة بالأرض، وقد تهشّمت وتناثرتَ أجزاؤها، ولم ينْجُ أحد من ركابها مطلقاً.

يا للفاجعة...

- هل يمكن أن يموت "المشير الركن عبد السلام محمد عارف" -رئيس الجمهورية العراقية والقائد العام لقواتها المسلحة- بهذه البساطة؟

- وهل أن مصيره كمصير أي إنسان عادي، وهو الشجاع المتهور الذي دخل "بغداد" وقضى على "مَلَكيّة" كانت "بريطانيا العظمى" وعموم دول الغرب ومعظم دول الجوار تدعمها؟

يا لمصائب القدر.. ويا للأجَل المحتوم الذي لا يستقدم ساعة ولا يستأخر.. ويا لقُدرة الله الذي لا يَبقى سوى وجهه ذو الجلال والإكرام.. ويا للموت الذي يدرك أياً كان ولو قبع في بروج مشيدة.. ولا تدري نفس ماذا تكسب غداً ولا تدري نفس بأي أرض تموت.

إذاعة "بغداد" تبث الخبر

ساد الوجوم وجوه الجميع، وسَرى النبأ في أروقة الإذاعة والتلفزيون وبين الجنود كالنار في الهشيم... فيما أحضر موظفو الإذاعة، وبأمر من مديرها العام، أشرطة القرآن الكريم، وأخذت الإذاعة تبثّ التلاوات بُعَيدَ إفتتاح برنامجها اليومي بالساعة السابعة صباحاً، وواصلت ذلك حتى حلّت الثامنة صباحاً، لتُذيع النبأ على عموم العراقيين والعالم، وفقاً لبيان رسمي:-

((تنعى الحكومة العراقية، مع مزيد من الحزن والأسى، للشعب العراقي وللأمة العربية وللشعوب الإسلامية عامة، السيد رئيس الجمهورية المشير الركن عبد السلام محمد عارف... فقد سقطت به، وبمن معه من الوزراء والمرافقين، مساء أمس، الطائرة التي كانت تقلّه من "القرنة" إلى "البصرة" بفعل عاصفة قوية أدت الى سقوط الطائرة وتحطّمها وإستشهاد السيد الرئيس ووزيرَي الداخلية والصناعة، وبعض المُرافقين.

وفي الوقت الذي نعلن فيه هذا النبأ المُفجع والحادث الجَلَل، نتضرّع إلى العليّ القدير أن يُسكن الشهداء فسيح جناته، ويلهم الشعب الكريم الصبر والجَلَد على تحمّل هذه الصدمة المُؤلمة بالصبر والإيمان والثقة بالله، والعمل الدائب من أجل المُثُـل العليا التي لقي الرئيس الراحل ربّه راضياً مَرضياً من أجلها.

وتُعلن الحكومة إلى الشعب كافة، بأنها تُقَدِّرُ مسؤوليتها في هذه الفترة العصيبة، وقد أُنيطت مهام السيد رئيس الجمهورية بالسيد رئيس الوزراء، حسب أحكام المادة (٥٦) من الدستور المؤقت، إلى حين إنتخاب رئيس جمهورية بمقتضى المادة (٥٥) من الدستور، والتي تقضي بإنتخاب رئيس جديد خلال

أسبوع واحد من تأريخ خلو المنصب، وذلك بأغلبية ثُلُثي المجموع الكلّي لأعضاء مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني)).

في قاعدة "الشُعَيبة" الجوية

وسط القلق الذي بات يتزايد ساعة بعد أخرى، والأمل الذي تضاءل شيئاً فشيئاً حتى إنتصف الليل.. ولمّا لم يستطع أحد من العاملين في سيطرتَي وبُرجَي المراقبة لقاعدة "الشعيبة الجوية" و"مطار البصرة المدني" معاً تأمين الإتصال اللاسلكي بالطائرة، فَقَدَ الجميع الأمل الذي عقدوه في إحتمال أنها ما زالت في الجو، أو هي قد هبطت ببعض الهدوء في موقع ما... ولكنهم ظلّوا متعلّقين بأمل يتيم، في أن تكون الطائرة قد هبطت إضطرارياً وإرتطمت بالأرض بقوّة في بقعة ما، ولربما تسبّب الإرتطام في تعطيل أجهزتها اللاسلكية، والذي لربّما قد حال دون تحقيق الإتصال بأحد.

وعلى ذلك الأساس، وبعد منتصف الليل، إستدعى آمر القاعدة الجوية "المقدم الركن الطيار خالد حسين ناصر" طيّاري المقاتلات النفاثة في قاعدته، ليضع معهم في "غرفة العمليات" خطة طيران لإستطلاع بَصَري ينبغي تنفيذها مع حلول فجر اليوم التالي، حيث لم تكن الطائرات المتوفّرة في القاعدة قادرة على الطيران الليلي بإرتفاعات منخفضة للقيام بتلك المهمة، وتدارَسَ معهم التوقيت الأنسب للإقلاع في أبْكَر وقت ممكن، وكانت مواقيت "البصرة" تشير:-

أولاً- القمر في تربيعه الأخير، ويطلع في الساعة ٠٠,٣٠ ((الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل))*.

ثانياً- يحلّ الفجر في الساعة ٤,٠٢ ((الرابعة ودقيقتان)).

---

* يكون القمر في (تربيعه/ رُبعه) الأخير إعتباراً من الليلة الأولى من الأسبوع الأخير من كل شهر من السنة الهجرية/القمرية، وكانت تلك الليلة هي ليلة ٢٤/٢٣ من شهر ذي الحجة عام ١٣٨٥هـ........"المؤلف".

ثالثاً- الضياء الأول* في حوالي الساعة ٠٤,٤٥ ((الخامسة إلاّ ربعاً)).

رابعاً- تشرق الشمس في الساعة ٠٥,٣٢ ((الخامسة والنصف ودقيقتان)).

وتأسيساً على تلكم المعلومات، أبدى الطيارون إستعدادهم للإقلاع بعد "الضياء الأول" مباشرة ولكن قبل شروق الشمس بنصف ساعة، حيث تكون معالم الأرض واضحة بعض الشيء أمام أنظارهم... وكان قرار آمر القاعدة أن يتهيأ الجميع للإقلاع مع الساعة الخامسة فجراً.

وفي تلك الليلة أيضاً، كانت هناك طائرة نقل عسكرية ضخمة من طراز "آنتونوف-١٢/أوكرايينا" قد أقلعت من "قاعدة الرشيد الجوية" قرب "بغداد"، إلى "مطار الشُعَيْبة العسكري".. ولما حامت في أجواء المنطقة الفاصلة بين "القُرنة" و"البصرة" مستخدمة أضواءها الكاشفة "البروجكترات" موجِّهةً إياها نحو الأرض من دون نتيجة، فقد هبط بها قائدها "الرائد الطيار محمد إبراهيم أدهم" في "الشعيبة"، وتهيأ للقيام بواجب الفجر أُسوةً بالطيارين الآخرين.

كانت الساعة الخامسة فجراً، عندما أدار طيارو (٩) طائرات مقاتلة من طراز "ميك -٢١" محرّكاتها، وتأكدوا من سلامتها وصلاحيّتها، مُقلعين بها تباعاً، وقد سبقهم في ذلك طائرة النقل التي تواجد على متنها كل منَ "المقدم الركن فاضل مصطفى والسيد عبد العزيز بركات" يصحبهما مصوّر تلفزيوني... كل ذلك جرى وفقاً لخطة طيران أُتُفِقَ عليها منذ الليل، ونحو إتجاهات مختلفة تغطّي جميع المنطقة المحتملة التي قد تكون طائرة رئيس الجمهورية قد تعرّضت لحادث، أو هبطت إضطرارياً فيها.

لم يَطُلّ التحليق كثيراً، ففي الساعة الخامسة وعشرين دقيقة، وبينما كانت الشمس على وشك الشروق، وبعد (١٠) ساعات من فقدان طائرة رئيس الجمهورية، كان قائد "طائرة النقل" وركابها هم أول من شاهدوا المأساة التي حلّت.

---

* الضياء الأول:- مصطلح خاص بالأنواء الجوية، يعني أول ضوء من النهار بعد الفجر وقبل طلوع الشمس..................................ز"المؤلف".

كانت الهليكوبتر قد تناثرت أجزاؤها حطاماً ممزّقاً في أرض قاحلة ومستوية تماماً... تتوسّطها، أو على مقربة منها، إحدى عشرة جثة هامدة ومحترقة... وكان الموقع الذي حدّده قائد الطائرة على بعد (٢٥) كيلومتراً جنوب شرقي "القرنة"، وعلى مسافة (١٥٠) كيلومتر من "البصرة"، وفي بقعة تقع ضمن الحدود الإدارية لناحية "السُوَيْب" شرقي نهر "شط العرب"، ما بين هَورَي "الحُوَيْزة والسُوَيْب"، وفي نقطة ليست ببعيدة من قرية "النَشْوة".

حاول "الرائد الطيار محمد إبراهيم أدهم"، بعد عدة دورانات ومناورات، الهبوط بطائرته على مقربة من تلك البقعة، ولكنه قَدَّر أن الأرض ربما لا تتحمّل ثقل طائرته الضخمة، أوانئذ أعطى إحداثيات مكان الحادث على الخريطة والنقاط التي يمكن لطياري الهليكوبترات أو السيارات الإستدلال بها وصولاً الى موقع الطائرة المنكوبة.

وحال تثبيت المعلومات تلك على الخريطة، قرّر آمر قاعدة الشعيبة "المقدم الطيار الركن خالد حسين ناصر" ركوب إحدى الهليكوبترات التي قادها "الملازم الطيار مذكور فلَيّح الرُبَيْعي"، حتى هبطا في مكان الحادث.

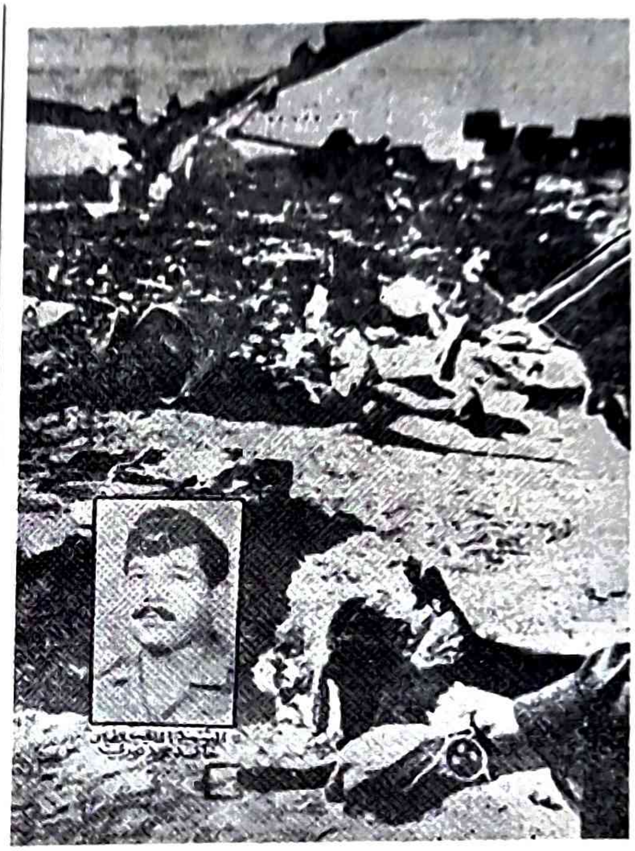
وعندما شاهد الطيار المنظر المروّع أُصيبَ بحالة هلع صائحاً :-

"ماتوا، سيدي.. ماتوا يا سيدي"

وحينما عايَنوا الساعات اليدوية التي كانت بأيدي الصَرعى، وجدوها قد توقّفت من أثر الصدمة، عند الساعة السابعة وعشر دقائق، أي بعد اقلاعهم من (القرنة) بـ(٢٠) دقيقة فقط*.

---

* سجّلنا معظم هذه المعلومات من حديث عام لمقدم لواء الحرس الجمهوري "المقدم الركن فاضل مصطفى أحمد" عن مجريات الأمور في "قاعدة الشعبية الجوية"، وذلك في جلسة حضرها آمر الفوج "الرائد الركن عبد الرزاق صالح العبيدي" ومعظم ضباط فوجنا في (بهو الضباط) مساء يوم الإثنين (١٩٦٦/٤/٢٥)............................"المؤلف".



الصورة (٨٤)

أُلتُقِطت على أرض قرية "النَشوة" صباح يوم الخميس ١٤ نيسان /أبريل ١٩٦٦

مع صورة فوتوغرافية للنقيب الطيار "خالد محمد نوري" قائد الطائرة المنكوبة وسط نثارها.



الصورة (٨٥)

صباح يوم الخميس ١٤ نيسان/أبريل ١٩٦٦

صورة لأحد الإطارَين الأماميّين لطائرة الهليكوبتر، إلتقطتها هيأة التحقيق العسكرية، وتظهر عن بعد هليكوبتر أخرى أقّلت أعضاء الهيأة الى موقع الحادث

المبحث الثالث

أيام ضنكاء وإستحضارات التشييع

مشاهدات في مكان الحدث

كانت شمس يوم الخميس (١٤ نيسان/أبريل) قد أشرقت تماماً وبان كل ما على وجه الأرض القاحلة القريبة من قرية "النشوة" واضحاً، حين حطّت طائرة الهليكوبتر التي قادها "الملازم الطيار مذكور فلَيْح" في حوالي الساعة السادسة والنصف في مكان الحادث.. حيث شاهد "المقدم الركن خالد حسين ناصر" ومن كان بصحبته، وكذلك "الملازم شهاب أحمد الدليمي"-آمر فصيل الحماية الشخصية- الذي تنقّل إلى هناك بسيارة رئيس الجمهورية، حطام الطائرة متناثرة في بقعة قطرها حوالي (٥٠) متر، وبينها معظم الأشلاء ممزّقةً ومحترقةً ضمن هيكل الطائرة الذي تحوّل قطعاً صغيرة.

كان الرئيس "عبد السلام محمد عارف" على بعد (٣) أمتار من نقطة الإصطدام، مُنكفئاً على وجهه، وقد تشابكت يداه تحت رأسه، مُلصقاً وجهه بالأرض، فيما باتَ شعره محترقاً في بعضه، عاكفاً إحدى ساقَيه إلى اليَسار وقد إحترق كعب قدمه، مرتدياً بذلته المدنية الصيفية ذات اللون الزَيتوني، بينما تمزّق قسم من سترته عند الظَهر... وكانت نُقَطٌ من الدم متخثّراً على فتحتَي أنفه.

وحالما شاهد "الملازم شهاب" رئيس الجمهورية بذلك الوضع المأساوي، خلع قمصلته العسكرية ليغطي بها الجثة الهامدة، قبل أن يسقط عليها مغشياً عليه*.

* جاء هذا الوصف على لسان "الملازم شهاب الدليمي" في جلسة خاصة بالقصر الجهوري بعد أيام معدودات من حادث الطائرة............."المؤلف".

لم يكن جَيب سترة "عبد السلام" يحتوي سوى مصحف صغير الحجم، ودفتر مذكرات شخصية، وبعض المفاتيح، وكانت أزرار قميصه الأبيض قد أُنتُزعت عن أماكنها.

كان "اللواء عبد اللطيف الدراجي" أبعد الجميع عن مركز حطام الطائرة، إذْ قُدِّرَت المسافة عن هيكلها المحترق بـ(٣٠) متراً، وبكامل ملابسه عدا سترته التي يبدو أنه خلعها على بعد (١٠) أمتار، وقد تحوّلت إلى شبه رماد.. فيما كان "مصطفى عبد الله" على مسافة (٤) أمتار من الرئيس، وقد رقد "عبد الهادي حافظ" قريباً منه.

أما الشخوص السبعة الآخرون، فلم يستطع أحد التعرّف عليهم بشكل مطلق، سوى "محمد الحيّاني" الذي شُخِّصَ من قلم الحبر الذي كان يحمله... ولربما أُمكِن الإستدلال بعض الشيء على جثة "عبد الله مجيد".

وقد عُثِرَ أيضاً على خاتم زواج يحمل إسم السيدة "شَهبال" عقيلة السيد "مصطفى عبد الله"، وعلى السِدارة العسكرية للعميد "زاهد" وعلامة ياقته الحمراء ومسدّسه الشخصي.

إنقضت ساعات عديدة، إلتقط خلالها المصوّرون المصاحبون لهيأتَي التحقيق القضائية والعسكرية، صوراً صامتة وأخرى سينمائية لموقع الكارثة والجثث وأجزاء الطائرة... فيما إنهمك المحقّقون برسم المخططات، مستنطقين الفنيّين والأطباء، حتى قاربت الساعة من الثانية بعد الظهر، لتحضر سيارات إسعاف عديدة وهي تحمل (١١) تابوتاً خشبياً، ليُجمع ما أمكن جمعه أمام أنظار رجال الدين الذين أشرفوا على (تكفين) الجثث وفق المراسيم الشرعية، وقبل أن تستقر فيها، وتُلَفّ بالأعلام العراقية.

أفراح تحولت أحزاناً

لم يكن مواطنو "البصرة" قد علموا شيئاً مما حدث في تلك الليلة... فمنذ الصباح الباكر ليوم الخميس (١٤ نيسان) كانت جماهيرها قد تحشّدت وسط

شوارعها المُزدانة بالأقواس واللافتات الحاملة لعبارات المديح، وإستعدّت للترحيب برئيس الجمهورية الذي سيقوم -وفق المنهج المعلن- بجولة وسط مدينتهم العريقة، في حين إصطفّ أطفال المدارس، وهم يحملون زهوراً وأعلام العراق في ثاني زيارة يُجريها "عبد السلام عارف" للبصرة الفيحاء*.

وحالما أُذيع الخبر عند حلول الساعة الثامنة صباحاً، حتى إنقلبت أفراحهم أحزاناً... ولما شاهدوا مفارز من الشرطة المحلية ووحدات الجيش وهي تنتشر بهدوء وسط المدينة، عادوا خائبين حَزانى الى مساكنهم ليقبعوا فيها ويتابعوا أجهزة المذياع وهي تبثّ تلاوات من القرآن الكريم، تتوسّطها بيانات عديدة تصدرها الحكومة بين ساعة وأخرى.

وفي "بغداد"، صدرت صحف الصباح وتوزّعت منذ الساعة السادسة -كالعادة- وهي تحمل في صدر صفحاتها الأولى أخبار زيارة "السيد الرئيس" إلى "البصرة" و"الزبير"، وصوراً لإستقبال الجماهير له هناك، ووضعه الحجر الأساس لمعمل الورق... ولكن الموظفين وطلاب الكليات والمدارس تَعَكَّرَ صفوهم وقد إستيقظوا على سماع تلاوات مستمرة من القرآن الكريم بعد السادسة والنصف على غير العادة والمنهاج اليومي للإذاعة.

وبينما توجّه ألوف العمال والموظفين الى أعمالهم، إلاّ أن معظم الناس آثروا الإنتظار في بيوتهم ريثما يطّلعون على حقيقة ما، لا سيّما وأن العراقيين عموماً قد تعوّدوا على المفآجات والثورات والإنقلابات والمؤامرات خلال السنوات الثماني الأخيرات ومنذ إندلاع ١٤ تموز ١٩٥٨، ولكن لا أحد منهم ربّما تَوقَّعَ أن يستمع إلى خبر سقوط طائرة (عبد السلام عارف)، الذي لَمْ يُذَعْ إلاّ في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم.

---

* كانت زيارة "عبد السلام عارف" الأولى لهذه المدينة قد إستغرقت ثلاثة أيام متتالية، ووافقت الفترة من (١٥-١٧/١١/١٩٦٤)..................."المؤلف".

بيانات يوم الخميس المتتالية

بعد إذاعة بيان الحكومة العراقية الرسمي، توالت البيانات الأخرى، والتي نصّت في مجملها على ما يأتي:-

أولاً- إعلان الحداد الرسمي إعتباراً من يوم الخميس ١٤ نيسان ولمدة شهر واحد، وتنكيس الأعلام العراقية لـ(٧) أيام متتالية.

ثانياً- تعطيل (الدوام الرسمي) في دوائر الدولة والكليات والمعاهد والمدارس في عموم العراق لهذا اليوم فقط.

ثالثاً- فرض (منع التجوال) إعتباراً من الساعة (١٢) من ظهر ذلك اليوم وحتى إشعار آخر، لتمكين أجهزة الدولة من إتخاذ إجراءاتها لحفظ الأمن في البلاد تحسّباً لأي طارئ.

رابعاً- سيتم تشييع جثمان الرئيس "عبد السلام عارف" في الساعة الثالثة من ظهر يوم السبت (١٦ نيسان ١٩٦٦م، الموافق ليوم ٢٦ ذي الحجّة ١٣٨٥هـ).

حالة تأهّب قصوى

وبينما جلس عموم العراقيين في بيوتهم، متنعّمين براحة جسدية على الأقل، وشعر الحاقدون على "عبد السلام" وكارهوه بفرح وإرتياح نفسي، وحزن عليه أقرباؤه وأصدقاؤه ومحبّوه... فقد دخلنا-نحن الحرس الجمهوري- في حالة تأهّب قصوى، متوقّعين أنه لربما كان حادث سقوط الطائرة مقدّمة لـ"مؤامرة" لقلب نظام الحكم.. لذلك تهيّأنا وإستحضرنا للردّ على أية تحرّكات نشتبه حيالها وبأقصى ما يمكن من الإجراءات وبإستخدام نيران أسلحتنا المتاحة منذ ذلك الصباح... وقد أعانَنا في ذلك "حظر التجوال العام"، والذي بموجبه خلت الشوارع من السيارات والمارة في عموم "بغداد"، وسهّلت علينا أن تجلب أنظارنا أية حركة غير إعتيادية في المنطقة المحيطة بـ"الصالحية" عموماً، ومبنى الإذاعة والتلفزيون بشكل خاص.

واجبات الحرس الجمهوري المُرهِقة

ولكن حالة الإنذار والتهيؤ والتأهّب لكل الإحتمالات القائمة، والتي إعتدنا على معايشتها وممارستها والدخول في تفاصيلها المزعجة، لم تكن قد شغلتنا بقدر ما ستُشغلنا وتُتعبنا إستحضارات التشييع.

فقد وَجَبَ على فوجنا المؤلف من (ثلاث) سرايا و (رابعة) تحت التشكيل، أن:-

أولاً- يُشدّد الحماية ضمن القصر الجمهوري، في سياجه ونقاط الحراسة المحيطة به، ومراقبة الشوارع المارة من قربه... وهو الواجب الإعتيادي الذي تنتشر لأجله سرية كاملة*.

ثانياً- يَنشر سرية أخرى حوالي المنطقة التي تحيط بالقصر الجمهوري وثكنة الفوج نحو "الجسر المعلّق" و"قاعة الخُلْد" من جهة، وبإتجاه السفارتَين الأمريكية والسوفييتية من جهة ثانية.

ثالثاً- يُبقي الفصيل المُكلَّف بحماية دار سكن عائلة رئيس الجمهورية بأقصى درجات التأهّب.

رابعاً- يَستمر في التشديد على حماية مبنى الإذاعة والتلفزيون في "الصالِحية".

خامساً- يَحتفظ -فوق كل ذاك وذاك- بقوة (إحتياطية) بيد آمر الفوج، للتدخّل الحاسم في أي من الأماكن السالفة الذكر، عند حدوث أي طارئ.

وقد علمنا ظهر ذلك اليوم، أن أمراً قد صدر الى آمر فوجنا "الرائد الركن عبد الرزاق صالح العبيدي" بأن يتسلّم فوراً منصب "سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية" -إضافة إلى منصبه الحالي- وذلك بدلاً من "الرائد عبد الله مجيد الذي توفي**.

* ينظر تفاصيل هذه المهمة في الفصل الثاني من كتابنا هذا ...."المؤلف".

** وقد تم تعيينه أصالة بهذا المنصب بعد الإنتهاء من مراسيم التشييع التي جرت عصر يوم السبت (١٦ نيسان ١٩٦٦)، وعُيِّنَ محلّه "الرائد الركن كمال جميل عبود" آمراً لفوجنا ...."المؤلف".

إحتمال قائم لقلب نظام الحكم

لم يفسّر مسؤولو الأجهزة الأمنية والإستخبارية في "بغداد" وعموم ألوية/محافظات العراق حادث مصرع "عبد السلام عارف" كونه مجرّد سقوط طائرة هليكوبتر من جراء خلل فني أو تعرّض لعاصفة ترابية قوية لم يتأيّد وقوعها تماماً بعد، فبعض كبار المسؤولين في الدولة من الذين تواجدوا في "البصرة والقرنة"، سواءً المستقرين في وظائفهم هناك أو الذين كانوا مرافقين لرئيس الجمهورية خلال الزيارة، لم يلاحظوا أو يتحسّسوا بالعاصفة المزعومة، ومن المنطقي أن يفسِّروا مثل هذه الحوادث سلباً، لاسيما وهم في دولة من دول العالم الثالث غير المستقرة سياسياً، وخصوصاً في بلد مثل (العراق) الذي ما فتئ يغلي في خضم أحداث دموية خيّمت عليه منذ ثماني سنوات مضت، وسط ثورات وإنقلابات ومؤامرات وإنتفاضات، أدّت إلى إنقسامات وتضاددات عمّت أبناء الوطن الواحد من شماليه إلى جنوبيّه ومن شرقيّه إلى غربيّه.. ناهيك عن الصراع الدائم طوال التأريخ على كراسي الحكم، والذي كانت الحضارات التي إنبثقت في العراق منذ (٥٠٠٠) سنة مسرحاً دائماً لأحداثه.

كان الإحتمال الأساس أن يكون الحادث الذي أودى بحياة "عبد السلام عارف" ضمن مؤامرة إغتيال في ذلك اليوم، فلا "مؤيدو العهد الملكي" ممّن كانت تسمّيهم أدوات الإعلام الحكومية ومعظم الأحزاب والكتل المؤثرة على أمور البلد بـ"الرجعيّين"، قد نسوا قضاء "عبد السلام" على نظامهم الذي قاد "العراق" منذ أوائل عقد العشرينيّات من هذا القرن ولغاية يوم ١٣ تموز ١٩٥٨ ... ولا "الإقطاعيّون" ومُلاّك الأراضي الشاسعة وكبار الأثرياء وذوي النفوذ في ذلك العهد يمكن أن يكونوا قد مسحوا من نفوسهم وعقولهم ما كانوا قد تعرّضوا له من إذلال ومَهانة...... ولا "الشيوعيون" يمكن أن تكون أحقادهم وضغائنهم قد زالت تجاه المذابح والإعدامات والتعذيب الجسدي والنفسي والإعتقالات وأحكام بالسجن، التي تعرّضوا لها منذ يوم ١٤ رمضان/ ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣ حين تسنّم "عبد السلام" منصب رئيس الجمهورية قبل ثلاث سنوات فقط....... ولا "البعثيون"

الذين ضَيَّعَ عليهم "عبد السلام" نظام حكمهم يوم (١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣)، حيث لم تنقض سوى سنتين ونصف على تلك الحركة التي أسموها (ردّة)................ ولا "القوميّون" الذين مازال البعض من قادة كتلتهم لاجئين سياسيين في "القاهرة"، والبعض الآخر رهن التوقيف، وعدد آخر تحت الإقامة الجبرية في دور سكناهم، أو على الاقل تحت مراقبة عناصر أجهزة الامن والإستخبارات، يمكن أن ينسوا موقف "عبد السلام" معهم قبل (سبعة) أشهر فحسب من ذلك اليوم.

هذا، ناهيك عن "المتمردين الأكراد" الذين هم مشتبكون بمعدلات يومية وبقساوة مع وحدات الجيش العراقي المنتشرة في عموم "شمالي العراق" منذ حوالي سنة كاملة، وبرغبة واضحة من لدن "عبد السلام" شخصياً، وليس لمجرد كونه قائداً عاماً للقوات المسلحة العراقية.

ولكن آمر فوجنا، حين جمعنا بعد ظهر يوم الخميس ١٤ نيسان، ركّز على نقطة ذات أهمية قصوى، عندما أوضح:-

((أن معلومات الإستخبارات العسكرية تشير بأن "الشيوعيين" هم الذين يحتمل أن يقوموا بعملية إختطاف لجثمان "عبد السلام" ليهرّبوه الى مكان مجهول، أو يرموه في ماء "دجلة" إنتقاماً من المصير نفسه الذي آلَ اليه جثمان الزعيم الأوحد "عبد الكريم قاسم" أيام رمضان/شباط ١٩٦٣، كما هو معروف)).

ولذلك شدّد السيد الآمر على ضرورة إتخاذ إقصى درجات الحيطة والحذر أثناء التشييع الذي سيجري عصر يوم السبت القادم (١٦ نيسان) والحيلولة دون إفساح المجال لأي شخص كان بالتقرّب من الرفاة.

ولربما كان وَقْع تشديد "آمر الفوج" على موضوع "الشيوعيين" على زملائي الضباط المستمعين إعتيادياً، وأنهم بالتأكيد سيقومون بواجباتهم أثناء التشييع بصرامة، سواءً حبّاً لشخص "عبد السلام" أو تنفيذاً لأوامر عسكرية صدرت

إليهم... ولكن وَقْعهُ على نفسي كان مغايراً لكوني الوحيد من أبناء مدينة (كركوك) والذي رأى بأم عينيه أحداث "مذبحة كركوك" أواسط شهر تموز/يوليو ١٩٥٩، وعاش ثلاثة أيام سوداء من تأريخ العراق المعاصر* وشاهد بعض جثث أبناء مدينته وبنيّ قومه معلّقة على أعمدة الجسور والكهرباء، وأخرى مُبَعثَرة ومُنتَفخةً وسط شوارعها وقد وقفت قربها كلاب سائبة تلتهم أجزاءها......... ولذلك تحضّرتُ لتطبيق الأوامر بنفسية متحمّسة وبكل ما أُوتيتُ من بأس، وإعتبرتُ ذلك مجالاً للثأر من "الشيوعيين" الذين يمكن أن يحاولوا إختطاف جثمان "عبد السلام"، واضعاً في قرارة نفسي أن كلّ شخص يتقرّب من موكب التشييع بشكل غير إعتيادي يمكن أن يكون "شيوعياً"، ولذلك ينبغي أن أمنعه وأضربه بشدة.

نقل الرفاة إلى "بغداد"

وفي الساعة الثانية بعد ظهر يوم الخميس (١٤ نيسان ١٩٦٦)، وبينما كان حظر التجوال في عموم العراق قد سَرى، إنطلق الموكب الجنائزي من منطقة "النَشْوة"، تتقدّمه سيارة عسكرية تحمل "حرس شرف"، حتى وصل إلى جسر قريب من "مطار البصرة الدولي" حيث كانت جموع غفيرة تنتظر، قبل أن يسير نحو مبنى المطار نفسه، ويختلّ نظامه بعد أن فَقَدَ الجميع توازنهم، ذارفين الدموع غارقين في البكاء ومن دون مراعاة للرسميات أو تحفّظ للمناصب والرتب.

وفي الساعة الخامسة عصراً، وكما كان موكب "عبد السلام عارف" قد أُستُقبلَ بحفاوة وبطلقات المدافع وحرس الشرف والسلام الجمهوري قبل أكثر من (٤٨) ساعة في هذا المطار، فقد وُدِّعَ وداعاً حافلاً ولكنه جثّة هامدة مع صحبه على متن طائرة النقل العسكري الضخمة التي إكتشفت مصرعهم صبيحة هذا اليوم، حيث أطلقت المدفعية (٢١) إطلاقة تحية للرئيس الراحل،

* إقترف عناصر "الحزب الشيوعي العراقي" ومناصروهم جرائم "مذبحة كركوك" بحقّ "التركمان" في الأيام (١٤ – ١٦ تموز ١٩٥٩)، كما هو معروف، حيث قتلوا ومثّلوا بعشرات الأبرياء وسحلوهم في شوارع المدينة، وعلّقوا جثث بعضهم على أعمدة الكهرباء والجسور هناك........."المؤلف".

وبحضور "الدكتور عبد الحميد الهلالي" وزير الإقتصاد، وقد إصطفّ إلى جانبه متصرف "محافظ" البصرة وكالةً، ومدير الموانئ العام، وآمر موقع البصرة وكالةً، وسط جمهور غفير من المواطنين.

وفي "قاعدة الرشيد الجوية" قرب "بغداد"، حطّت الطائرة في الساعة السادسة مساءً، حيث وقف في إستقبالها رئيس الوزراء "عبد الرحمن البزّاز" و"المشير عبد الحكيم عامر" النائب الأول لرئيس ج.ع.م وأعضاء الوفد المصري المرافق له، والوزراء جميعاً، وعدد من أفراد عوائل الشهداء، وكبار القادة العسكريين وموظفي الدولة.

وشارك رئيس الوزراء والمشير "عامر" في حمل نعش "عبد السلام عارف" الى سيارة إسعاف عسكرية قبل إنزال النعوش الأخرى الملفوفة بالأعلام العراقية والموضوعة عليها أكاليل من الزهور، حيث نُقلوا جميعاً إلى "قسم الطب العدلي" في مستشفى الرشيد العسكري.



الصورة (٨٦)

جثمان الرئيس عبد السلام محمد عارف ملفوفاً بالعلم العراقي بين أيدي كبار ضباط القوات المسلحة عند حملهم إياه من الطائرة التي أقلته من البصرة إلى قاعد الرشيد الجوية

عشرات الوفود الرسمية تتوالى على "بغداد"

وبينما تقرّر في بيان رسمي، صدر في ساعة متأخرة من ليلة الخميس/الجمعة (١٤/١٥ نيسان)، بالسماح للمواطنين بالتجوال إعتباراً من يوم الجمعة، وتحديداً من الساعة السابعة صباحاً وحتى الرابعة عصراً، فقد توالت على العاصمة مع حلول ظهر يوم الخميس عشرات من الشخصيات العربية والإسلامية والأجنبية تهيؤاً للمشاركة في تشييع الرئيس الراحل إلى مثواه الأخير، وكان في مقدمتهم رئيس وأعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة "مصر" برئاسة "المشير عبد الحكيم عامر" وعضوية السادة "عبد الحميد السراج –نائب رئيس الجمهورية، أمين هويدي –وزير الإرشاد القومي والسفير السابق ببغداد، عبد المجيد فريد –أمين عام رئاسة الجمهورية والسفير الأسبق ببغداد، الفريق أول طيار محمد صدقي محمود –قائد القوات الجوية والدفاع الجوي"... وقد صاحبهم "المَهيب علي علي عامر – القائد العام للقوات العربية"، وكذلك السيد "عبد الخالق حَسّونة –الأمين العام للجامعة العربية"، والسيد "أحمد الشُقَيْري –رئيس منظمة التحرير الفلسطينية".

كما حطّت بالبلاد وفود من دول "البحرين، السودان، ليبيا، تونس، المملكة العربية السعودية، عُمان، المملكة الأردنية الهاشمية، الجزائر، تركيا، سويسرا، الولايات المتحدة الامريكية" تباعاً.

وعلى متن طائرة سوفييتية خاصة، أقلعت من "موسكو" الى "بغداد" مباشرةً، عاد "اللواء عبد الرحمن عارف" رئيس أركان الجيش وكالة، مساء يوم الجمعة، مصحوباً بوفد سوفييتي رفيع المستوى، فيما بقي "اللواء المهندس منير حسين حلمي - قائد القوة الجوية وكالةً– في "موسكو" لمواصلة المفاوضات التسليحية مع السوفييت.

التشييع العسكري

ويبدو أن الحكومة العراقية قد قرّرت إجراء تشييعَين رسميّين لـ"عبد السلام عارف" وصحبه، الأول على المستوى العسكري بإعتباره القائد العام للقوات المسلحة، والثاني على مستوى الدولة بإعتباره رئيسا للجمهورية... ففي

الساعة العاشرة من صباح الجمعة (١٥ نيسان) رُفِعَت النعوش ملفوفة بالأعلام العراقية ومحمولة على سيارات عسكرية من مبنى "وزارة الدفاع" في "الباب المعظّم" متوجّهة إلى "جسر الصرافية/الحديدي" تتقدّمها فرقة موسيقى الجيش وسريّتان من تلاميذ الكلية العسكرية ومجموعة من رجال الدين، يتبعها الوزراء القائمون مع السابقين، وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي الممثّلون في "بغداد"، وقادة الجيش وضباطه الأقدمون، وضباط الشرطة، وكبار موظفي الدولة..... في حين كانت على جانبي الطريق جماهير غفيرة إحتشدت والدموع تنهمر حتى من عيون رجالها، ناهيك عن النساء.

وفي ساحة "جسر الصَرّافية" كان رئيس الوزراء "عبد الرحمن البزّاز" وإلى جانبه "المشير عبد الحكيم عامر" وعدد من الوزراء يستقبلون الموكب، ليسيروا معه مشياً على الأقدام حتى جامع "الإمام أبي حنيفة النعمان" ليؤدّوا جميعاً "صلاة الجمعة" معاً، وقبل أن يصلّي الجميع على أرواح الصرعى "صلاة الغائب" وتُعاد النعوش جميعاً إلى "مستشفى الرشيد العسكري" إستحضاراً للتشييع الرسمي الذي سيجرى عصر يوم السبت (١٦ نيسان).

الإستحضار النهائي للتشيع الرسمي

وبينما تنفّسنا الصعداء في مبنى الإذاعة والتلفزيون لإنتهاء مراسيم "التشييع العسكري" بسلام ومن دون طارئ -كما كانت الإستخبارات العسكرية تتوقّع عكسه- فقد ظلّ إحتمال إختطاف رفاة "عبد السلام عارف" قائماً، ولربّما مُؤَجّلاً إلى ساعات مراسيم التشييع الرسمي، فيما أبلَغَنا آمر سريتنا بأن (١٢) ضابطاً من فوجنا فقط سيشاركون فيها، وهم:-

١- الملازم أول قاسم محمد صكر.
٢- الملازم أول يوسف خليل أحمد.
٣- الملازم سعد شمس الدين خالص.
٤- الملازم عبد مطلك الجبوري.

٥- الملازم قاسم فرحان.

٦- الملازم وليد جسّام.

٧- الملازم مشعل تركي الراشد .

٨- الملازم عبد الجبار جسّام.

٩- الملازم سعد عبد الهادي العَسّاف.

١٠- الملازم صبحي ناظم توفيق.

١١- الملازم موفق محمد جميل.

١٢- الملازم حَمّودي عبد المجيد .

أما باقي ضباط الفوج فإنهم سيظلّون في مواقعهم حوالي القصر الجمهوري ومبنى الإذاعة والتلفزيون لتأمين الحماية الضرورية في مثل تلك الساعات المشحونة بإحتمالات عديدة وخطيرة، والتي قد يستغلّها بعض الفئات لتحاول قلب نظام الحكم أو عمل شغب ومظاهرات قد تؤثر على إستقرار النظام وأمنه، لا سيما وأن جميع كبار مسؤولي الدولة، من عسكريين ومدنيين، سيتركون دوائرهم ومواقعهم المهمة ليشاركوا في مراسيم التشييع ولنهار كامل.

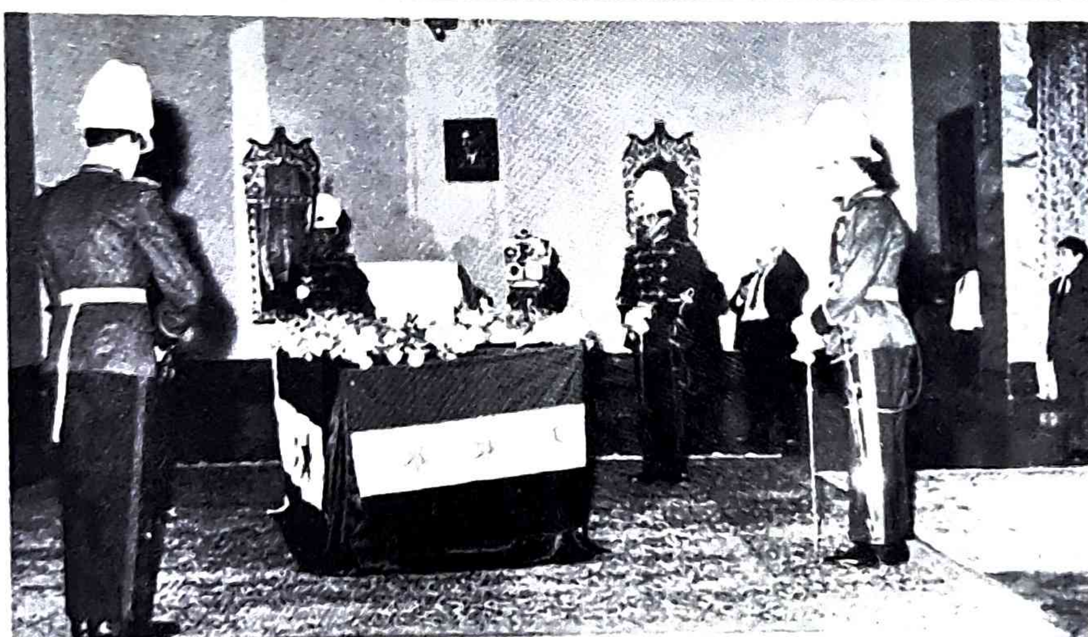
حضرنا -نحن الضابط الإثنى عشر- في القصر الجمهوري مساء يوم الجمعة (١٥ نيسان) وذلك للتعرّف على الموقع الذي سيُوضع فيه نعش "عبد السلام عارف" في صباح اليوم التالي، والإطلاع على تفاصيل التوقيتات التي يتضمّنها منهاج التشييع، وعلى الأركان الأربعة من القاعة التي سيقف فيها بوضع الإستعداد ودون أية حراك "أربعة" منا تباعاً أثناء مراسيم إلقاء النظرة الأخيرة على الجثمان، والتي قد تستغرق أكثر من (٤) ساعات، وبمعدل ساعة واحدة أو أكثر لكل وجبة.

وإضافة لكل ذلك فقد تهيّأنا لأسلوب حمل النعش ووضعه على "عربة المدفع" ونظام المسير البطيء على الموسيقى الجنائزية بمحاذاة العربة وبمعدل (٦) ضباط في كل من جانبَيها، ناهيك عن إجراءات الأمن التي ينبغي إتخاذها

أثناء المسيرة الطويلة ولأكثر من ساعة واحدة، إنطلاقاً من "القصر الجمهوري" حتى نصل "ساحة الشواف" القريبة من "مستشفى الطفل العربي".

كان آمر فوجنا يشرح لنا كل تلك التفاصيل، وبحضور "اللواء عبد القادر ياسين العاني" -المُعاون الإداري لرئيس أركان الجيش- والقائم برئاسة اللجنة المشرفة على تنفيذ المراسيم بمعاونة "العميد يوسف رُزوقي بَطّة".

لقد أُرهقنا خلال اليومين الماضيين، وشعر كل منا بإختلال في جسده المُجهَد ونفسه المُتعَبة، فقد إنقضى علينا أكثر من (٤٨) ساعة من دون أن نتمتّع بقسط من الراحة الجسدية أو النفسية، ولم نستغرق في نوم مريح ولو ساعة واحدة... وها نحن الآن مُقبِلون على ليلة أُخرى من الحيطة والحذر، يليها يوم مرهق أشدّ مع حلول الصباح الباكر من اليوم التالي وحتى غروب شمسه... ولكن ((إنا لله وإنا إليه راجعون)).



الصورة (٨٧)

صباح يوم السبت ١٦ نيسان /أبريل ١٩٦٦

جثمان الرئيس "عبد السلام محمد عارف" مُسَجّىً وسط القاعة الكبرى في القصر الجمهوري تهيؤاً لإلقاء النظرة الأخيرة عليه وقد أحاط به ضباط فوج الحرس الجمهوري الأول، وهم الملازمون (من اليمين الى اليسار). "سعد شمس الدين". "مشعل تركي الراشد". "عبد مطلك الجبوري". "المؤلف". وظهره الى عدسة التصوير ... ويظهر في اقصى يمين الصورة نجله ((احمد)) وهو ينظر بأسى إلى نعش والده



الصورة (٨٨)

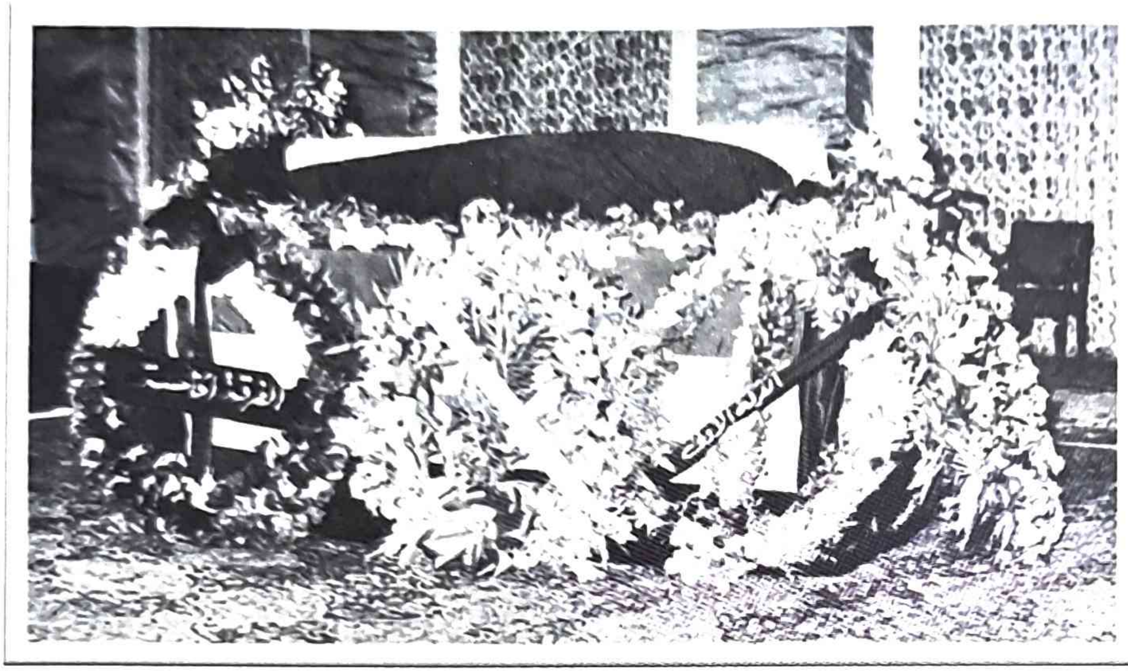
صباح يوم السبت ١٦ نيسان /أبريل ١٩٦٦

اللواء "عبد الرحمن محمد عارف" يودع أخاه الفقيد الوداع الأخير بأكليل من الزهور يضعه على نعشه وقد ظهر على يمنيه اللواء الركن "عبد العزيز العُقَيلي" وزير الدفاع، وإلى يساره اللواء "حَمّودي مهدي" المعاون الإداري لرئيس أركان الجيش،،، و"المؤلف" بملابس الحرس إلى الخلف منهم



الصورة (٨٩)

الضباط الأقدمون من القوات المسلحة العراقية في طريقهم لإلقاء النظرة الأخيرة على القائد العام للقوات المسلحة



الصورة (٩٠)

نعش الرئيس "عبد السلام محمد عارف" وقد أحاطته أكاليل الزهور



الصورة (٩١)

"أحمد" النجل الأكبر للرئيس "عبد السلام محمد عارف"، وأخوه "عبد السميع محمد عارف" وعدد من الأقرباء يلقون النظرة الأخيرة على جثمان الرئيس الراحل

المبحث الرابع

التشييع الرسميّ إلى المثوى الأخير

المنهاج الرسمي

رقد جثمان "عبد السلام عارف" في قسم الطب العدلي بـ"مستشفى الرشيد العسكري" منذ إعادته -بعد إجراء مراسيم التشييع العسكري- عصر يوم الجمعة (١٥ نيسان/أبريل ١٩٦٦)، وقبل أن يُعلن على الملأ من الإذاعة والتلفزيون منهاج التشييع الرسمي الذي نشرته الصفحات الأولى لجميع الصحف العراقية التي صدرت صبيحة يوم السبت (١٦ نيسان).. وفيما يأتي توقيتاته:-

- الساعة ٠٩,٣٠ "التاسعة والنصف صباحاً"-وصول الجثمان إلى القصر الجمهوري.
- الساعة ٠٩,٣٥ "التاسعة وخمس وثلاثين دقيقة"-تلاوة آيٍ من القرآن الكريم.
- الساعة ٠٩,٤٥ "العاشرة إلاّ ربعاً"-حضور ضباط القوات المسلحة لتنظيم المراسيم.
- الساعة ١٠,٠٠ "العاشرة تماماً"-المباشرة بمراسيم التوديع وإلقاء النظرة الأخيرة.
- الساعة ١٥,٠٠ "الثالثة بعد الظهر"-يحمل (١٢) ضابطاً من الحرس الجمهوري جثمان الرئيس الراحل، ويضعونه على "عربة مدفع".

- الساعة ١٥,١٥ "الثالثة والربع" -سير الموكب الجنائزي من القصر الجمهوري وصولاً إلى "ساحة الشواف".
- عند الوصول إلى "ساحة الشواف" يُنزِل ضباط الحرس الجمهوري الجثمان من فوق عربة المدفع ويحمّلونه على متن سيارة عسكرية مكشوفة.
- ينطلق موكب السيارات من ساحة الشواف-شارع الشواف-شارع ١٤ تموز-ساحة دمشق-جسر الخرّ-ساحة قطحان-مدينة اليرموك-طريق الفلّوجة العام-المثوى الأخير في جامع "الشيخ ضاري".

في القصر الجمهوري والنظرة الأخيرة

كنا -نحن ضباط الحرس الجمهوري المكلَّفين بالمشاركة في المراسيم هذه- جاهزين في القاعة الكبرى للقصر الجمهوري منذ الساعة السابعة والنصف من صبيحة يوم السبت (١٦ نيسان ١٩٦٦)، مرتدين ملابس حرس الشرف الرسمية والقبّعات المغطّاة بريش النعام، وحاملين سيوفنا على الجانب الأيسر من أجسادنا، عندما بُلّغنا أن جثمان الرئيس الراحل قد حُمِّلَ من مستشفى الرشيد العسكري إلى مسكن الفقيد المُطلّ على نهر دجلة في حي "كرادة مريم"*، وذلك في الساعة الثامنة والربع صباحاً، ليرقد بين أفراد أُسرته وأقربائه مدة نصف ساعة فقط.

وعند وصول النعش في الساعة التاسعة والنصف داخل سيارة إسعاف عسكرية إلى الباب الرئيس للقصر الجمهوري، حملناه على أكتافنا حتى وضعناه بهدوء وسط القاعة الكبرى، والتي طالما شهدت إستقبال "عبد السلام عارف" للذين كانوا يُدعَون لولائم الطعام في أيام السنة الإعتيادية ودعوات الإفطار

* هو المنزل الفخم الذي إستأجره "عبد السلام عارف" من عائلة "آل الذُكَيْر"، وإنتقلت إليه عائلته مطلع عام (١٩٦٦) -كما أسلفنا في الصفحات الأولى من هذا الكتاب- ولم يمض على سكنهم فيه سوى أقل من "ثلاثة أشهر ونصف الشهر" حتى قضى نحبه................"المؤلف".

خلال شهر رمضان من كل عام، وقد تم ترتيب العلم العراقي الكبير الذي يلفّه، وذلك قبل أن نضع النعش على منصّة ضخمة إرتفاعها متر واحد، إستقرت حولها أكاليل الزهور.

وقف ضباط الوجبة الأولى الأربعة، وهم "الملازمون سعد شمس الدين، عبد مطلك الجبوري، مشعل تركي الراشد.... وكنتُ رابعهم"، حوالي النعش، حين بدأ القارئ "عبد الرحمن توفيق" تلاوة آيات من القرآن الكريم.

وحالما تأكد آمر فوجنا من المظهر اللائق الذي آلت إليه القاعة وما، ومن فيها.. وبينما إستقر كل ضابط منا في ركن من أركان النعش الأربعة، وقد أمسكنا بسيوفنا بين أيدينا واضعين نبالها على الأرض أمام قدمَينا، مُنَكِّصين رؤوسنا بعض الشي إحتراماً للرئيس المُسَجّى وسطنا.

ومع حلول تمام الساعة العاشرة من ذلك الصباح، بدأ تطبيق أولى فقرات منهاج التشييع الرسمي الحافل لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة على جثمان "عبد السلام محمد عارف".

كان أوّل الذين دخلوا القاعة من بوّابته، أخوه الأكبر "عبد السميع محمد عارف" وبجانبه الصبي "أحمد عبد السلام عارف" وأخوه الأصغر "صباح محمد عارف"، وبعض أقربائه وأصدقائه المقرّبين، وهم يذرفون الدموع ويبكون بمرارة، وذلك قبل أن يضع أخوه الآخر "اللواء عبد الرحمن عارف"- رئيس أركان الجيش وكالة- ووزير الدفاع "اللواء الركن عبد العزيز العُقَيْلي"، ومعاون رئيس أركان الجيش "اللواء حمودي مهدي" أكاليل زهور قرب رأس الرئيس الراحل.

وتوالى حضور الوفود العربية والأجنبية، قبل أن يلقي أعضاء مجلس الوزراء وكبار قادة القوات المسلحة وموظفي الدولة، ورجال الدين المسلمين والنصارى والطوائف، وأُلوف المواطنين الإعتياديين من أهالي "بغداد" ومدن العراق، نظرة الوداع الأخيرة على جثمان "عبد السلام عارف"، والتي إستغرقت ساعات عديدة من ذلك النهار الذي حجبت غيومه نور الشمس تماماً، وزخّت

سماؤه مطراً خفيفاً لبضع دقائق بين حين وآخر، وذلك قبل أن يجلس الضيوف في قاعات القصر الجمهوري الأخرى، وبعض الكبرى وحدائقه الأمامية، إنتظاراً للمشاركة في التشييع الى المثوى الأخير.. حتى حلّت الساعة الواحدة والنصف ظهراً، حين دُعِيَ الحضور لتناول طعام غداء بسيط مفروش على مناضد طويلة في حدائق القصر، والذي إمتنع الكثير منهم التقرّب إليه على عكس ما كنا نراه في ولائم هذا القصر.

المسير الجنائزي حتى ساحة "الشواف"

كان كل شيء على شارع "كرادة مريم" العام جاهزاً قبيل الساعة الثالثة إلاّ ربعاً من عصر ذلك اليوم... وبالقرب من بوابة الخروج للقصر الجمهوري كان هناك مكان شاغر واحد فقط، ذلك الذي ستُشغله "عربة المدفع" التي تجرّها (٦) خيول عربية، والتي كانت تنتظر نعش "عبد السلام عارف" أمام الباب الرئيس لمبنى القصر.

وفي الساعة الثالثة إلاّ خمس دقائق، حمل (١٢) ضابطاً من فوجنا* الجثمان ووضعوه على العربة، حيث ودّع جسد "عبد السلام عارف" ذلك القصر الجمهوري الذي ظلّ يدير شؤون العراق منه، طيلة ثلاث سنوات مضت..

وفي الساعة الثالثة تماماً إستقرّت العربة في الموقع المحدّد لها، وقد كُتِبَ في جانبها الأيمن عبارة:-

((لقد نذرتُ نفسي لخدمة الشعب، وكل ما أُريده أن ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن)).

وفي الجانب الأيسر من العربة:-

((الفقيد الراحل عاش من أجل وطنه، ومات وهو يتفقد شعبه)).

كان رجال الشرطة راكبي الدراجات التجارية في أقصى الأمام من موكب

* ذكرنا أسماءهم في صفحة سابقة............."المؤلف".

المسير الجنائزي الراجل، وقد سارت خلفهم مباشرة سرية خيالة تابعة للكلّية العسكرية، تلاهم جَوقًا موسيقى الجيش والقوة الجوية بلباس المراسيم.. ثم سرية حرس جمهوري بلباس المراسيم ايضاً، ويسير خلفها سرايا فوج كامل من طلاّب الكلية العسكرية بنظام الكراديس (٨ × ١٢ طالباً).. ثم كوكبة رجال الدين التي تتقدم نعش رئيس الجمهورية المحمول على عربة المدفع.. يليهم المُرافقون الحاملون لأوسمة الفقيد، وهم يتقدمون كردوساً من طلاّب الكلية العسكرية الذين يحملون أكاليل زهور.. يتلوهم أفراد أُسرة "عبد السلام عارف" وأصدقاؤه المقرّبون.

وقد سار خلفهم مباشرة رئيس الوزراء "الأستاذ عبد الرحمن البزّاز" وسط ممثلي الملوك ورؤساء الدول العربية والأجنبية ورؤساء وأعضاء وفودهم، ثم رؤساء الوزراء السابقين وأعضاء مجلس الوزراء الحالي، ورؤساء البعثات الدبلوماسية والملحقون العسكريون والجويّون والبحريّون العرب والأجانب، وأعضاء المنظّمات الدولية، يليهم الوزراء السابقون، ثم ضباط الجيش والشرطة "من رتبة عقيد فما فوق"، ورؤساء الطوائف الدينية والروحانية، فالموظّفون من أصحاب الدرجات الخاصة وكبار موظفي الدولة، فالضباط المتقاعدون "من رتبة عميد فما فوق"، ويليهم رؤساء الغرف التجارية والصناعية والنقابات والجمعيات ووجوه البلد، حتى أعقبتهم في نهاية الموكب (٤) سيارات من شرطة النجدة ومعها (٤) دراجات بخارية.

كان ترتيب المسير قد أُعلنَ من خلال بيان رسمي طويل ومفصّل، بُثّ من الإذاعة والتلفزيون في الليلة السابقة، وقبل أن تنشره صحف "بغداد" الصباحية، إذْ نصّ كذلك أن يكون لباس العسكريين "البزّة الكاملة مع السدارة والأوسمة"، وأن يرتدي المدنيون بدلات ذات لون غامق.. وقد ترجّى البيان من أبناء الشعب التحلّي بالهدوء وإحترام روعة الموكب والتمسك بالصبر والمحافظة على العواطف.

وعلى الشارع العام المؤدّي من القصر الجمهوري إلى "ساحة الشواف" وقف الباقي من طلاّب الكلية العسكرية وكلّيتي الضباط الإحتياط والشرطة

وطلاب الشرطة الممتازة على جانبَيه قرب الرصيف، وقد فصلت بين تلميذ وآخر مسافة (٥) أمتار، وكانوا يستعدون حال وصول مقدمة الموكب الجنائزي إليهم، ويتّخذون وضع "سلام خُذْ" ببنادقهم عندما يمرّ النعش المحمول على العربة من أمامهم مباشرة.. في الوقت الذي أُوعِزَ إليهم بضرورة منع أي من المواطنين الإعتياديين المتجمهرين على رصيفَي الجانبَين من النزول الى الشارع بشكل مطلق.

ونظراً للصمت العام الذي كان مُطَبَّقاً على الشارع والمناطق المحيطة به. وعلى الرغم من بعد المسافة بين "عربة المدفع" والجَوقَين الموسيقيّين السائرَين في مقدمة الموكب، وعَويل بعض النساء بين حين وآخر، فقد كنّا على سمع تام وواضح للأنغام الجنائزية التي تطلقها آلاتهما الموسيقية، وخصوصاً وقع الطبول، والتي بموجبها سرنا -نحن ضباط الحرس الجمهوري الإثنى عشر- مسيراً بطيئاً منتظماً على جانبي النعش المحمول على العربة والذي لم يتخلخل مطلقاً، على الرغم من القلق الذي كان يساور نفوسنا منذ أن تلقّينا توجيهات آمر الفوج بوجوب اليقظة والحذر أثناء التشييع وإحتمالات خطف الجثمان.

كان الموكب الجنائزي مَهيباً للغاية*، لم يتخلّله أي طارئ، وقد تجمهر عشرات الآلاف من المواطنين، رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخ، واقفين على رصيفي الشارع العام، وقد إنتصبت نظراتهم على نعش "عبد السلام عارف" بشكل خاص، وعلى وجوه الشخصيات العربية والأجنبية والعراقية بشكل عام.

---

* يُنظَر الصور التي التقطت للموكب والمنشورة ضمن هذا المبحث................"المؤلف".



الصورة (٩١)

عصر يوم السبت ١٦ نيسان /أبريل ١٩٦٦

موكب تشييع الرئيس "عبد السلام محمد عارف" في أول حركته إنطلاقاً من بوّابة القصر الجمهوري. ويظهر "المؤلف" قرب العجلة الأمامية للعربة



الصورة (٩٢)

موكب التشييع السائر نحو ساحة الشواف، وضباط فوج الحرس الجمهوري الأول بملابس حرس الشرف على جانبي العربة وهم:

"المؤلف"، الملازم "سعد عبد الهادي"، الملازم "مشعل تركي"، الملازم أول "قاسم محمد صكر"، الملازم "موفق جميل العبيدي"، الملازم "حمودي عبد المجيد الحديثي"



الصورة (٩٣)

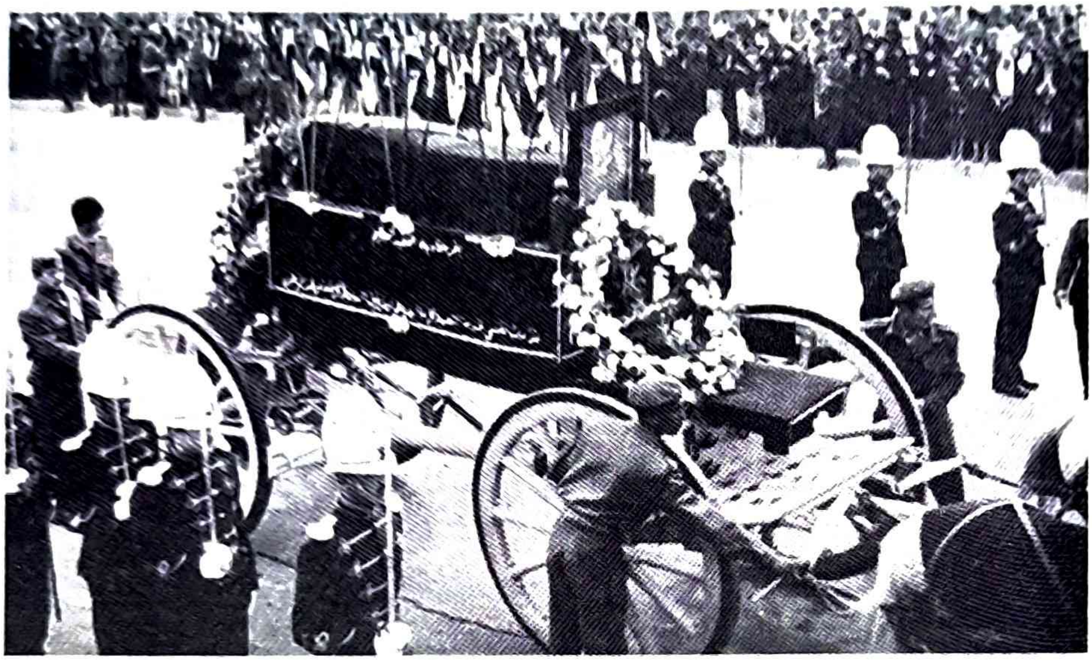
عصر يوم السبت ١٦ نيسان/ ابريل ١٩٦٦

ضابطان يحملان أوسمة وأنواط الفقيد، وطلبة الكلية العسكرية يحملون أكاليل الزهور وسط الوفود والجماهير الغفيرة المودعة



الصورة (٩٤)

موكب التشييع المَهيب يسير وسط الوفود،،، وجماهير غفيرة إنتشرت على جانبي الطريق



الصورة (٩٥)

((نذرتُ نفسي لخدمة الشعب وكل ما أريده أن ترفرف السعادة في كل بقعة من هذا الوطن))

آخر عبارة تفوه بها "عبد السلام محمد عارف" في "القُرنة"، وقد كُتِبَتْ على جانب عربة المدفع التي تحمل جثمانه، وأحاط به ضباط فوج الحرس الجمهوري الأول ويُرى "المؤلف" أقربهم لعدسة التصوير.



الصورة (٩٦)

المشير "عبد الحكيم عامر" يتقدم أعضاء الوفود العربية والأجنبية المشيِّعة لـ"عبد السلام محمد عارف" بعد إنطلاق الموكب من القصر الجمهوري

أفكار عبرت أُفق خيالي

كان معظم المواطنين يذرفون الدموع مدراراً حالما يشاهدون عن بعد بضعة أمتار جثة رئيس جمهوريتهم طوال ثلاث سنوات مضت، وهي هامدة وسط (تابوت) خشبي، لا يفرق كثيراً عن توابيت الموت الأخرى، من تلك التي تحمل جثامين الناس العاديين قبل أن تحتضنها أرض القبور مهما كانوا عليه من ثراء أو نفوذ أو جاه أو سلطة أو فقر مُدقع... فهذا هو مصير أي انسان منذ أنزل الله -عزّ وجل- أول خلقه المتمثل في "آدم وحواء" على وجه الأرض، ليبدأ بهما الخليقة والسلالات.

كان عويل بعض النسوة عالياً -كالعادة- وذلك قبل أن يشير إليهنّ ضباط معيَّنون يشرفون على تنظيم المسيرة بالسكوت، فيسكتنَ فوراً، وكأنهن يَدُسْنَ على زرّ إطفاء كهربائي.. أما الرجال فقد كان صياح بعضهم بأعلى صوتهم:-

"الله يرحمك يا حجي".. "الله يرحمك يا أبا أحمد".. "الله معاك يا عبد السلام".

كانت الجموع محدودة العدد نسبياً عند الحركة من قرب القصر الجمهوري، ولكنها تضاعفت شيئاً فشيئاً كلما إبتعدنا عنه مواصلين المسير نحو السفارة السوفيتية، فمستشفى "إبن سينا"، فالسفارة الصينية..

فكّرتُ مع نفسي، وأنا سائر على أنغام الموسيقى والطبول القارعة ببطؤ في أقصى أمام الصف الأيمن من ضباط الحرس الجمهوري، حاملاً سيفي بيدي اليمنى بوضع عمودي، كما يفعل الضباط الآخرون، ماسكاً غمده بيدي اليسرى، كما تنصّ عليه تعاليم الجيش، وتساءلت:-

((هل يُعقَل أن كل هؤلاء الألوف المؤلّفة من العراقيين الذين لم يسمعوا عبر الإذاعة والتلفزيون غير عبارة (الدعوة عامة للجميع) قد حضروا إلى هنا حبّاً بـ"عبد السلام عارف" وتوديعاً له، بعد أن أمسى جثة هامدة وسط تابوت؟!!))

كان الجواب المنطقي نفياً... فلربما حضر بعض الألوف منهم حبّاً به

وتوديعاً له، ولكن أُلوفاً أخرى ربما جاءت لتقلي نحوه نظرات التَشَفّي من أحقاد وضغائن على شخص "عبد السلام عارف" الذي لقى هذا المصير... ولكن أيّاً من أولئك لم يكن يجرأ، بطبيعة الحال، على التفوّه بعبارة فرح مكبوتة في قلبه، أو يطلق "زغرودة" كان يتمنى أن يقذفها من صميم نفسه.

وربما يكون من المؤكّد أن أُلوفاً أخرى قد حضرت لترى بالعين المجردة، وعلى مقربة عدة أمتار، شخصيات عراقية وعربية وأجنبية منْ رؤساء وزارات ووزراء وسفراء ومُلحَقين عسكريين وكبار قادة الجيش والقوات المسلحة، من أولئك الذين لم يتعرّف عليهم أولئك المواطنون سوى من خلال عرض بعض صورهم على شاشات التلفزيون وصفحات الصحف والمَجلاّت.

ولكن الأغلبية العظمى، بالتأكيد، قد أجهدوا أجسادهم وأوصلوها إلى هذا الشارع العام مشياً على الأقدام مسافات طويلة، ليروا بأم أعينهم مراسيم تشييع كبرى تجري في وسط "بغداد" للمرة الأولى منذ (٣٣) سنة.. ولربّما عاش بعض من هذه الألوف، وخصوصاً كبار العمر منهم، تشييعاً مَهيباً جرى لجثمان "الملك فيصل الأول" عام (١٩٣٣)، بعد أن وافاه الأجل بمدينة "زيوريخ" في "سويسرا"، قبل أن يُدفن في "المقبرة الملكية" بمنطقة "الأعظمية"... فمنذ ذلك الحدث لم يَمُتْ ملك أو رئيس أو رئيس وزراء في العراق ميتة طبيعية.

فالملك "غازي الأول" قد وافاه الموت مساء يوم (٤-٤-١٩٣٩) في ظروف غامضة، حيث قِيلَ في حينه أنه كان من جرّاء إصطدام سيارته بعمود كهرباء داخل سياج قصر الزهور الملكي!!! حين عمّت شوارع "بغداد" وبعض مدن العراق الكبرى مظاهرات شعبية عنيفة لم تهدأ إلاّ بعد نزول الجيش، ووسط تكهّنات بأن "الإنكليز" و"الوَصيّ عبد الإله ونوري السعيد" كانوا وراء مقتله.

وفي صبيحة يوم الإثنين ١٤ تموز ١٩٥٨ قُتِلَ "الملك فيصل الثاني والأمير عبد الإله" وبعض أميرات العائلة المالكة برصاص من أطلَقَ عليهم وابلاً من غدّارته حين كان قصر الرحاب مُحاصَراً... ومن عظَم الحقد الذي كان مكبوتاً في صدور بعض العراقيين نحو "الأمير عبد الإله" فإن الجماهير خطفت جثّته

عَنوة لتسحله في شوارع "بغداد"، قبل أن يُعلّقوها بوحشية بالغة أمام مبنى وزارة الدفاع، وذلك في ذات المكان الذي أُعدِمَ فيه "العُقداء الأربعة" الذين قادوا حركةً مناوِئة ضد "بريطانيا العظمى" مطلع شهر مايس/مايو ١٩٤١.

وكان المصير نفسه قد آل إليه "نوري السعيد" يوم ١٥ تموز/يوليو ١٩٥٨ والذي تقطّعت أوصاله إرباً إرباً سحلاً وتمثيلاً بجسده.

أما "عبد الكريم قاسم" الذي حكم العراق منذ تموز ١٩٥٨ وحتى ١٤ رمضان/ ٨ شباط/فبراير١٩٦٣، فقد أُعدِمَ رمياً بالرصاص في مبنى الإذاعة والتلفزيون بمنطقة "الصالحية" ظهر يوم ١٥ رمضان/ ٩ شباط ١٩٦٣، وقد قيلَ أنه دُفِنَ في مكان ما بضواحي بغداد، قبل أن تُخرج جثّته بعد أيام عديدة من القبر، ويُربَطَ صخرة بساقه ويُقذَف به في مياه نهر دجلة!!!!!؟؟؟؟.

وتذكرتُ أيضاً، ما كان بعض المُهتمّين بأحداث تأريخ "بغداد" يقولونه في مجالسهم الخاصة، بأن الخليفة "أبا جعفر المنصور" حينما عزم على بناء "بغداد" لتكون حاضرة لدولته الفتيّة، والمُترامية الأطراف، بعد أن شهدت "الكوفة" معضلات سياسية عديدة في حينها، فقد دعا أحد الأئمة الكبار ليسأله عن رأيه حول (الكرخ)... وبعد أن أبدى الأخير إعجابه بالخطوات والتجارب التي أجراها المعماريّون والحُكماء للتأكد من سلامة الموقع وأجوائه، فقد عرض الإمام أمام الخليفة ما معناه:-

((ولكن الذي سيحكم هنا لا يموت موتة طبيعية ما دام قائماً على سُدّة الحكم))..

وكان أولئك المهتمّون بالتأريخ يقولون حقيقة أن أي خليفة أو حاكم في "بغداد"، سواء خلال العهد العباسي، أو العهود التي أتت من بعدهم، لم يَمُتْ إلاّ غدراً، أو قُتِل قتلاً.. وقد يبدو من دراسة التأريخ أن ذلك التنبّؤ لربما كان فيه الكثير من الصحة لغاية عام ١٩٦٦ على الأقل.

نقل الجثمان على ظهر سيارة

مضى الوقت بطيئاً في عصر ذلك اليوم المصحوب بالغيوم التي كانت تغطّي سماء "بغداد" كلّها، إذْ جاوَزَت الساعة الرابعة، حين كنّا قد طَوَينا مسافة حوالي (٣) كيلومترات في مسير جنائزي بطيء، حتى وصل الموكب إلى مقربة من "مستشفى الطفل العربي" الذي يتقابَل مع مبنىً من أربعة طوابق، طالما لعب دوراً في تأريخ العراق المعاصر، وقد كُتِبَ في واجهته عبارة "شركة نفط العراق المحدودة I.P.C"* التي أسّستها "بريطانيا العظمى" لإستثمار نفط العراق أواسط العشرينيّات من القرن العشرين، وإكتشفت جميع الحقول التي إمتازت بها مناطق "كركوك وعين زالة وخانَقين"، فإستثمرتها وأوصلت نفطها بتلك الأنابيب الضخمة إلى بعض مؤانئ البحر الأبيض المتوسط.

وحال وصولنا إلى "ساحة الشواف" تفرّقت مجاميع الموكب الراجل من خلف "عربة المدفع" لتقف على رصيفي الشارع العام، ولتحلّ محلّها تلكم السيارات الفخمة التي ستقلّ قادة العراق ورؤساء الوفود وأعضائها الى "خان ضاري"... في الوقت الذي حملنا نعش "عبد السلام عارف" لنضعه، وسط أجواء مهيبة وحزينة، على ظهر سيارة "جيب" عسكرية مكشوفة، فيما كان أُلوف من المواطنين قد تجمهروا قرب "جسر الجمهورية" والشارع المؤدي الى "الصالحية"، والآخر الذي يخترق حي "كرادة مريم".

أنزلنا "النعش" من فوق العربة، وسرنا به بإنتظام إلى الجانب الآخر من الساحة نفسها، والذي إستقرّت فيه كوكبة من رجال الشرطة سائقي الدراجات البخارية، وعدد محدود من سيارات شرطة المرور، ووضعناه فوق السيارة العسكرية المكشوفة بهدوء.. بينما صعد (٦) منّا، (٣) على الجانب الأيمن من النعش، و(٣) آخرون على يساره بإنتظار أن يتكامل موكب السيارات خلفنا.

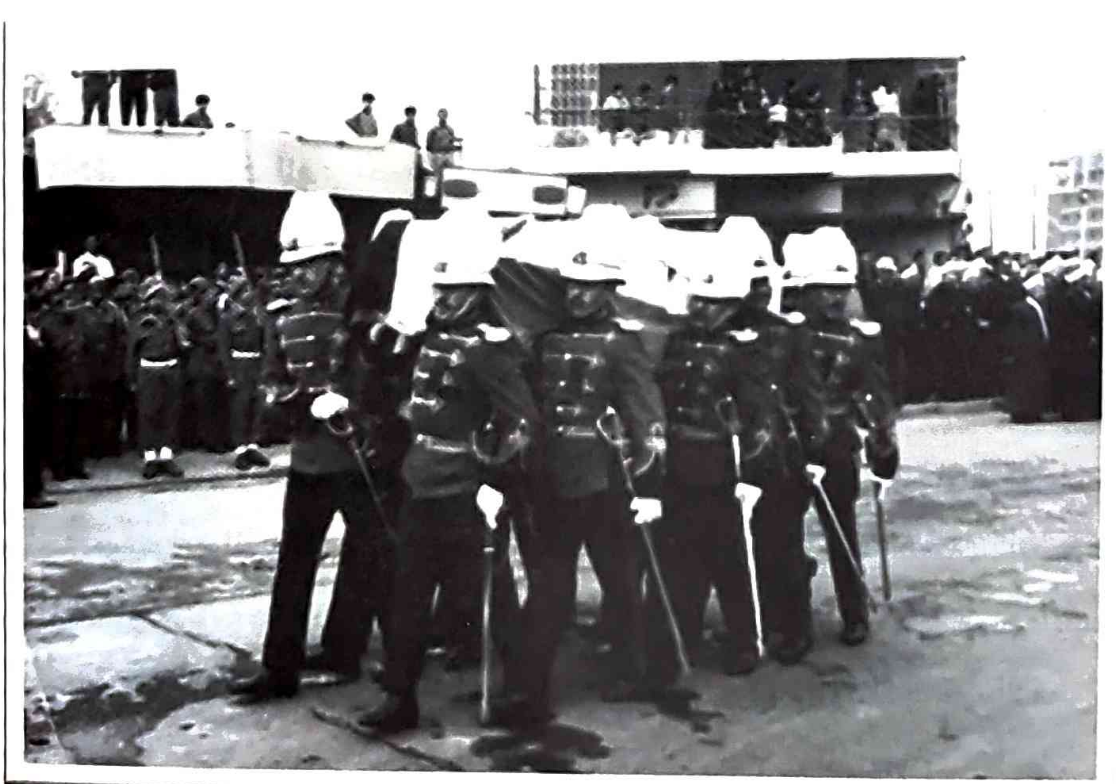
---

* (I. P. C):- هي الأحرف الأولى من إسم الشركة البريطانية المسماة:-
"IRAQ PETROLUME COMPANY"



الصورة (٩٧)

قرب "ساحة الشواف" توقّفت العربة وأدّى ضباط فوج الحرس الجمهوري الأول التحية إحتراماً بسيوفهم وهم: (الملازم صبحي ناظم، الملازم سعد عبد الهادي، الملازم مشعل تركي، م اول قاسم صكر، الملازم موفق جميل، الملازم حمودي عبد المجيد)



الصورة (٩٨)

جثمان الرئيس الراحل يحمله ضباط الحرس على أكتافهم والضابطان في الامام هما: "المؤلف" و"الملازم قاسم فرحان" ويليه الملازمون "عبد مطلك الجبوري"، "موفق جميل"، "عبد الامير عبيد"، "وليد جسام".



الصورة (٩٩)

جثمان الرئيس الراحل على أكتاف ضباط حرسه الجمهوري وقد حمله "المؤلف" من يمنيه بينما ظهر في يسار النعش كل من "الملازم قاسم فرحان"، "ملازم أول يوسف خليل"، "الملازم موفق جميل" وآخرون

إندفاع نحو الجثمان!!؟

كنتُ في مقدمة الصف الأيسر من الضباط واقفاً قرب رأس "عبد السلام محمد عارف"، وخلف سائق السيارة العسكرية مباشرة، وكان الوضع العام على عكس ما إمتاز به المسير الجنائزي الطويل، بدءاً من القصر الجمهوري وحتى وصولنا الى حيث نحن... فقد كان الصياح والهتاف يملأ أوساط المواطنين بدون إنتظام في محيط "ساحة الشواف"، حيث لم يستطع عشرات من الجنود وأفراد الشرطة المسلّحين بالبنادق، من إسكاتهم أو السيطرة على ما يجري هناك، فيما كنا نحن الضباط نراقب مجريات الأمور بعيون يقظة تحسّباً لما لا يُحمَد عقباه.

ولكن، وبعد عدة دقائق، وحالما أُوعِزَ إلينا بالتحرّك، حتى إندفع العشرات من "الشباب" نحونا، وهم يصيحون بصوت عال ويطلقون عبارات لم أفهمها..

وكان من المنطقي أن لا أُفسِّر ذلك الإندفاع الهائل بحسن نيّة وطيبة نفس، وأنا أحمل في صميمي إحتمالات إختطاف "النعش" والتي قد يَقدِم عليه "شيوعيون" أو سواهم، حتى تراءت أمام عيني مظاهرات "شيوعيي" مدينة "كركوك" خلال الأشهر الأخيرة من عام (١٩٥٨) والنصف الأول من عام (١٩٥٩)، وصولاً الى مساء ١٤ تموز/يوليو من العام نفسه، ساعة باشروا بـ"المذبحة" المخطّط لها... فما كان مني إلاّ أن إعتبرتُ في قرارة نفسي، أن كل شاب منْ هؤلاء هو "شيوعي"، وقد يكون مُكلَّفاً بتلك المهمة.

شهَرتُ سيفي من غمْده دون تردّد، وكذلك عمل الضباط الخمسة الآخرون، ولم أجد بُدّاً من أن أضربَ بنَبله، وبكلّ ما أُوتيتُ من قوة في لحظات الغليان-الذي كان يسري في دمي- كل شخص إستطاع إختراق السدّ البشري المؤلّف من جنود وأفراد شرطة كانوا قد أحاطوا سيارة النعش من كل جانب وصوب، ولربما فقدتُ توازني بعض الشيء، وأمسيتُ كالخيّال الذي (يقفل) على هدف لا يرى سواه، وقد كنتُ فعلاً كذلك، وعلى غير دراية ممّا يفعله زملائي الآخرون في السيارة نفسها، ولا ما كان يدور حولي من أمور... كان نظري وعقلي منتَصبَين تماماً في إتجاه واحد لا غير، وغايتي الوحيدة أن لا أدع أحداً من أولئك ((الهمَج)) المندفعين نحونا، التقرّب من النعش الذي أقف قرب رأسه.

كان يقيني أن أي إنسان يمكن أن يحمل النعش على كتفه -كما فعلنا- وربما على رأسه... ولكن ليس كل شخص يمكن أن يُكَلَّف بحماية رئيس جمهورية -عن قرب- غير الحرس الجمهوري... ولذلك، فهل يمكن أن أسمح لشراذم من هؤلاء الشباب أن يخطفوا "عبد السلام عارف" من وسطنا، بعد أن بات لا حول له ولا قوة؟؟

كان الذي يشعر من أولئك بأذىً في صدره أو ألَماً في بطنه أو وجعاً في ظهره يبتعد فوراً، على الرغم من كون سيوفنا من ذلك النوع المُصمّم لأغراض المراسيم ليس إلاّ، ولم تكن قد صُنعَت للمبارزة وقطع الرقاب، كما كان يتراءى للذين تستهويهم مشاهد السيوف في الأفلام التأريخية.

أوعزتُ إلى سائق السيارة بالتحرّك على الرغم من هذا الموقف الصعب الذي وجدنا أنفسنا فيه... ولما تردّد قليلاً، ضربتُ بالسيف على ظهره وأمرتُه بالسير عُنوةً حتى إذا دهس أحدهم، فإضطر لأن يقود السيارة بصعوبة بالغة مصحوبة بضربات موجعة من سيوفنا إلى الإتجاهات كافة، تُصاحبها ضربات أوجع تنهال على أولئك الشبان من أخامص بنادق أفراد الشرطة والجنود، ووسط أصوات المنبّهات المزعجة التي كانت الدراجات البخارية وسيارات شرطة المرور تُطلقها عالية وبشكل متواصل، كالعادة.

لم تتفرّق تلكم الجموع من أمامنا إلاّ بعد مسير شاق طال عشرات الأمتار، وإستمر لدقائق عديدة وعصيبة، وشاهدتُ خلالها شاباً وقد دهس الإطار الأمامي الايسر لسيارتنا ساقَيه، وأشخاصاً آخرين ضربتهم مقدمتها بقوة.

هل كان فعلاً محاولة خطف للجثمان؟؟

لم نستطع خلال تلكم الأيام من معرفة حقيقة ما جرى في تلك الدقائق، فيما لو كان إندفاعَ حُبٍّ ومشاعر ودٍّ لشخص "عبد السلام عارف"، كما حلا للصحفيين وبعض مراسلي القنوات التلفازية عرضه في تقاريرهم التي نشرتها صحف العراق وبعض العرب والأجانب؟؟ أم كانت مؤامرة حقيقية إستهدفت خطف جثمان "عبد السلام عارف" كما كان آمر فوجنا قد بلّغنا بها مسبقاً؟؟

وإعتقادي الشخصي في حينه، وما يزال، ينصبّ على الإحتمال الثاني..... فالذي كان يحب شخص "عبد السلام عارف" لم يكن مضطراً للإندفاع نحو نعشه بتلك القوة وبذلك الزخم الذي لا موجب له، ولم تكن حكومة العراق القائمة في حينها تقرّب المُتملّقين والمُرائين والمُتزلّفين حتى يعتقد أولئك الشباب أن مجرد ظهورهم على شاشات التلفزيون أو صفحات الصحف قد يفيدهم في كسب أموال أو تعيين في وظائف، أو حصول على ترقيات أو درجات حزبية، كما كان عليها الحال أيام المدّ الشيوعي والمحاكمات التي كانت تجري في ما أُطلِق عليها تسمية "محكمة الشعب".

فالذي جرى في "ساحة الشواف" حوالي الساعة الرابعة والنصف من عصر ذلك اليوم، ولفترة طالت حوالي خمس دقائق لربما كانت مؤامرة قامت بها جهة ما، ولكن دون خطة منتظمة وقيادة جيدة وسيطرة كفوءة وهجوم قوي غير ساذج... فلو كان أحد أولئك قد أطلَقَ عدداً من العيارات النارية من أي سلاح لحدثت كارثة كبرى هناك، حيث كان لا بد للجنود وأفراد الشرطة أن يفتحوا نيران أسلحتهم، فيسود الهرج عموم الساحة، وآنئذ يمكن إستغلال تلك اللحظات للإطباق على النعش وخطفه... ولكن الذي أدى الى عدم تمكّن المنفّذين من تحقيق غايتهم المرجوة هو تلك الصلابة التي وقفها الجنود وأفراد الشرطة المسؤولون عن تأمين أمن "ساحة الشواف".

تنفّسنا الصعداء حينما خرجنا من ذلك الزحام الهائل، وخفّت الجموع شيئاً فشيئاً كلما تقرّبنا من "معسكر الوشاش"، وصولاً الى "المحطة العالمية" و"مطار بغداد الدولي" سوى من مجاميع بالعشرات تقف هنا وهناك دون حراك يذكر مع تحيات وداع بالأيدي إعتاد معظم العراقيين أن يحيّوا بها أية "جنازة" تمرّ من أمامهم وفقاً للسيرة النبوية الشريفة، حتى بات موكب السيارات الضخم يسير بسرعة تزيد على (٤٠) كم/ساعة، ولم نصادف في طريقنا مجاميع من البشر إلاّ قرب "المطار الدولي، وجسر الخِرّ، وتقاطع المنصور بحي اليرموك" ثم قرب "نفق مدينة الشرطة"، وبعض الجنود في مدخل معسكر "أبي غريب".

في جامع الشيخ ضاري

إجتزنا "معمل الألبان"، حيث بانت أمام أنظارنا تلك البساتين والقرى الجميلة المتناثرة في ذلك اليوم الربيعي الغائم كلياً، حتى قابَلَتنا بالبكاء والصياح والهتاف جموع غفيرة من البشر كانت قد تحشّدت على مقربة من جامع "الشيخ ضاري"، الذي أمر "عبد السلام عارف" بتشييده خلال عام (١٩٦٤) تخليداً لذكرى ذلك الشيخ -أحد أخوال"عبد السلام"، والذي كان أحد قادة الثائرين ضد الإنكليز عام (١٩٢٠).. وإفتتحه بشخصه يوم (١٩٦٤/١٢/٣)، وذلك بعد أن دُفِنَ فيه والده "الحاج محمد عارف" يوم (١٩٦٤/١١/٢٤)، في حين كان "عبد السلام" نفسه راقداً في "مستشفى الكرخ الجمهوري"، حيث أُجرِيت له عملية إستئصال اللّوزَتَين.

كانت شمس يوم السبت (٢٦ ذي الحجة ١٣٨٥هـ/١٦ نيسان/إبريل ١٩٦٦م) قد مالت الى المغيب في حوالي الساعة الخامسة والنصف، عندما كنّا نحمل نعش"عبد السلام" لنضعه قرب حفرة مهيّأة من الأرض المحيطة بذلك الجامع، وقد إستقر على مقربة منها قبر والده، حيث رَكَنّاه تماماً إلى جانبه.

تولّى "الشيخ نجم الدين الواعظ"-مفتي الديار العراقية، والصديق الشخصي لعبد السلام- تلقين روحه وفق الشريعة السمحاء، بعد أن كان أقرباء الفقيد -وليس ضباط الحرس الجمهوري- قد أودعوا جثمانه إلى مثواه الأخير.. فعزف أحد أفراد جوق "موسيقى الجيش" اللحن الحزين المُسَمّى "بوق النوم" -حسب المصطلحات العسكرية المعتادة- فيما أطلق (٢١) جندياً (٢١) مجموعة من إطلاقات بنادقهم وداعاً لرئيس جمهورية إحتضنته الارض كما تحتضن أي إنسان آخر وفق جميع الأديان السماوية ومعظم الشرائع الوضعية.

كانت الساعة قد قاربت السادسة والنصف مساءً، حين إنتهى كل شيء، إذْ رجعتُ بالسيارة العسكرية نفسها إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون، فيما عاد الضباط الآخرون كل إلى واجبه الأصل، وذلك وسط شوارع "بغداد" التي خلت من المارّة تماماً مع حلول السابعة مساءً، حيث كانت أوامر الحكومة قد قضت بحظر التجوال حتى الساعة السادسة من الصباح التالي.

وهكذا إنتهت حياة (عبد السلام محمد عارف) عن عمر حافل، وخصوصاً خلال سنواته الثمان الأخيرة، بعد أن ناهز (٤٥) سنة و(٢٣) يوماً*.

مفارقة قَدَر عجيبة

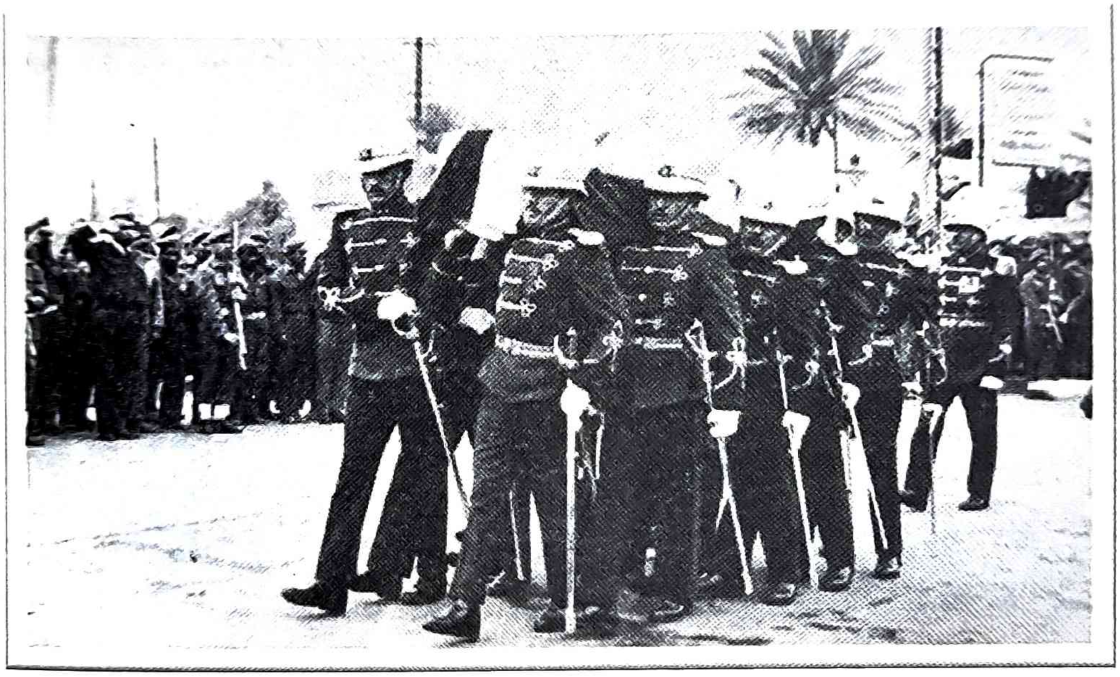
من المفارقات العجيبة التي سجّلها القدر في ذلك اليوم، والتي لا يمكن إعتبارها مجرّد "صدفة"، أن "الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله"-وهما من "سلالة بني هاشم" التي ينتسب إليها الرسول الكريم محمد (ص)، قد قُتلا ودُفنا

* وُلِدَ "عبد السلام عارف" يوم ١٩٢١/٣/٢١ في محلّة "سوق حمادة" بمنطقة "الكرخ" وسط مدينة "بغداد"، وفق ما أشارت إضبارته الشخصية لدى "مديرية إدارة الضباط" بوزارة الدفاع العراقية"....................."المؤلف".

يوم (١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨)، والذي وافق يوم (٢٦ ذي الحجة من عام ١٣٧٧).

وحين إستشعر بعض الحاقدين على شخص "عبد السلام عارف" وأعماله، في تلكم الأيام إلى هذا ((التوافق الغريب)) بين التأريخَين الهجريّين المحددّين، عندئذ، باتوا يردّدون الآية الكريمة:-

((وبشّر القاتلَ بالقتل))*



الصورة (١٠٠)

مساء يوم السبت ١٦ نيسان/أبريل ١٩٦٦

ضباط الحرس الجمهوري يحملون نعش الرئيس "عبد السلام محمد عارف" ليودعوه مستقرّه الأخير في "جامع الشيخ ضاري" قرب بلدة "أبو غريب".

---

* يقول "العميد الركن محمد مجيد"-أحد أعضاء الحلقة الوسطية لتنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٨- ومعاون رئيس أركان الجيش بعدئذ (١٩٦٤ – أيلول ١٩٦٥):-
((عندما إجتمع عبد السلام عارف مع أعضاء الحلقة الوسطية الذين كانوا في بغداد يوم (١٠ تموز/يوليو ١٩٥٨) وبلّغهم بخطة تنفيذ الثورة ووزّع عليهم الواجبات، فقد جرى نقاش حول مصير "الملك فيصل"، وكان من رأي أعضاء الحلقة الوسطية الإبقاء على حياته.. إلاّ أن "عبد السلام" أصرّ على قتله مع الآخرين للتخلّص من أي إشكالات في المستقبل)).
((يُنظَر صبحي عبد الحميد:- أسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، الدار العربية للموسوعات، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص١٠٨))..................."المؤلف".



الصورة (٦٤)

مع مغيب شمس يوم السبت ١٦ نيسان/أبريل ١٩٦٦

جثمان الرئيس "عبد السلام محمد عارف" ينزله أقربائه إلى مرقده الأخير بجامع "الشيخ ضاري".

المبحث الخامس

إنتخاب خَلَف للرئيس الراحل

إجتماع تأريخي

كانت ((قلّة الراحة)) مكتوبة علينا -نحن ضباط الحرس الجمهوري- في تلكم الأيام الأربعة من أواسط شهر نيسان/إبريل ١٩٦٦ ... فحالما عُدنا أدراجنا بعد أداء مراسيم التشييع، توجّه كل منا إلى موقعه المحدَّد ضمن واجباته الإعتيادية، ليُؤَمِّن سلامة القصر الجمهوري ومحيطه ومبنى الإذاعة والتلفزيون وغيرهما من قواطع المهمات، حيث لم يكن بالإمكان التمتّع ولو بقسط من الراحة بعد طول عناء في جميع ساعات ذلك اليوم ومنذ فجره... فإرتدينا ملابسنا العسكرية الإعتيادية، ممسكين بأسلحتنا في قواطع مسؤوليتنا، إذْ سيُعقَد إجتماع موسع لإنتخاب "رئيس للجمهورية" خَلَفاً للرئيس الراحل.

لم يكن ذلك سراً لم يطّلع عليه أحد، بل أن حكومة السيد "عبد الرحمن البزاز" قد أعلنته في بيان رسمي صدر صبيحة يوم الخميس (١٤ نيسان) في نَعيها للرئيس الراحل، وقد نصّ على عقد إجتماع مشترك لمجلس الوزراء ومجلس الدفاع الوطني بكامل أعضائهما بمقتضى المادة (٥٥) من الدستور المؤقت للجمهورية العراقية، وخلال أسبوع واحد من خلوّ منصب رئيس الجمهورية... وقد عُزِّزَ ذلك ببيان لاحق كان قد صدر في ساعات عصر يوم السبت (١٦ نيسان) والذي لم نستطع الإستماع إليه لإنشغالنا في مراسيم التشييع.

الحضور في الإجتماع

ضمّ الإجتماع رئيس مجلس الوزراء القائم وأعضاء وزارته، وهم:-

١- عبد الرحمن البزاز- رئيس الوزراء، ووزير الخارجية وكالةً.
٢- شكري صالح زكي- وزير المالية، ووزير النفط وكالةً.
٣- الدكتور عبد الرزاق محي الدين- وزير الوحدة.
٤- الدكتور محمد ناصر- وزير الثقافة والارشاد.
٥- سلمان عبد الرزاق الأسود- وزير التخطيط.
٦- الدكتور عدنان مزاحم الباجه جي- وزير الدولة للشؤون الخارجية.
٧- الشيخ مُصلِح النَقشْبَنْدي- وزير الدولة للشؤون القانونية.
٨- خضر عبد الغفور- وزير التربية.
٩- سلمان الصفواني- وزير الدولة.
١٠- اللواء الركن عبد العزيز العُقَيْلي- وزير الدفاع.
١١- الدكتور عبد اللطيف البدري- وزير الصحة.
١٢- الدكتور عبد الحميد الهلالي- وزير الإقتصاد.
١٣- الدكتور فارس ناصر الحَسَن- وزير العمل والشؤون الإجتماعية.
١٤- كاظم الرَوّاف- وزير العدل.
١٥- الدكتور حسن ثامر- وزير الأشغال والبلديات.
١٦- أحمد عدنان حافظ- وزير المواصلات.
١٧- محمود حسن جمعة- وزير الإصلاح الزراعي، ووزير الزراعة وكالةً.

وقد خَلا منصبا وزيري الداخلية "اللواء عبد اللطيف جاسم الدَراجي"، والصناعة "الدكتور مصطفى عبد الله طه" لعدم تعيين من يشغل منصبيهما بعد مصرعهما في حادث الطائرة.

وإنضم "مجلس الدفاع الوطني" إلى الإجتماعاته ، وقد كان مؤلفاً من:-

١- اللواء الركن عبد العزيز العُقَيْلي- بصفته عضواً في هذا المجلس كونه وزيراً للدفاع.

٢- اللواء عبد الرحمن محمد عارف – رئيس أركان الجيش وكالةً .

٣- اللواء الركن سعيد صالح القطان – المعاون الحربي لرئيس أركان الجيش.

٤- اللواء حَمّودي مهدي - المعاون الإداري لرئيس أركان الجيش.

٥- العميد سعيد صُلَيْبي - قائد موقع بغداد .

٦- العميد الركن زكي حسين حلمي - قائد الفرقة الاولى.

٧- اللواء الركن إبراهيم فيصل الأنصاري – قائد الفرقة الثانية.

٨- العميد الركن محمود عريم – قائد الفرقة المدرعة الثالثة .

٩- العميد الركن يونس عطار باشي – قائد الفرقة الرابعة .

١٠- اللواء الركن محمد نوري خليل – قائد الفرقة الخامسة .

١١- العقيد الطيار حسن رجب عريم – نيابة عن اللواء المهندس "منير حلمي" قائد القوة الجوية وكالةً، لوجود الأخير في "موسكو"

١٢- المقدم البحري مهدي درويش الخطيب – قائد القوة البحرية وكالةً.*

أنباء متضاربة تتسرّب عن الإجتماع

في حين كنا جالسين في "غرفة الضباط" بمبنى الإذاعة والتلفزيون، بدأت بعض أخبار ما يجري في أروقة مبنى رئاسة مجلس الوزراء تردنا مع منتصف ليلة السبت ١٦ نيسان/الاحد ١٧ نيسان*، حيث علمنا أن الإجتماع الرسمي لم

* بُثَّتْ أسماء المجتمعين تحت عنوان "محضر الجلسة التأريخية" في حوالي الساعة الثالثة من فجر يوم الأحد (١٧ نيسان)، ونشرتها الصحف الصادرة في "بغداد" صبيحة يوم الإثنين (١٨ نيسان ١٩٦٦)................................"المؤلف".

* كانت هذه الأخبار تردنا على لسان زملائنا من ضباط فوجنا الذين كُلِّفوا بشكل إستثنائي بمهمة حماية "مبنى مجلس الوزراء" خلال فترة الإجتماع المذكور، وذلك عند مجيئهم إلى مبنى الإذاعة والتلفزيون تباعاً لنيل قسط من الراحة حيال واجب طال ساعات طويلة منذ أول الليل..."المؤلف".

يبدأ -بعد طول إنتظار- إلاّ بحلول الحادية عشرة من تلك الليلة في "القاعة الكبرى لمبنى المجلس الوطني"، وقد برزت خلافات في وجهات نظر المجتمعين بعد أن رشّح كل من "عبد الرحمن البزاز" رئيس الوزراء، و"عبد العزيز العُقيلي" وزير الدفاع، و"اللواء عبد الرحمن محمد عارف" رئيس أركان الجيش وكالة أنفسهم لإشغال منصب "رئيس الجمهورية العراقية".

كان أعضاء مجلس الوزراء -وجميعهم من المدنيين، عدا وزير الدفاع- يميلون إلى شخص "عبد الرحمن البزاز" مرشَّحاً لإشغال هذا المنصب بغية إعادة "العراق" إلى الحكم المدني الدستوري الذي طال إنتظاره، وذلك بعد أن تسلّط العسكريون على سدّة الحكم طيلة ثماني سنوات مضت... فيما صَوَّتَ أعضاء مجلس الدفاع الوطني -وجميعهم عسكريون- في غير صالحه... بينما لم يحصل "عبد العزيز العُقيلي" سوى على صوت واحد، مَثَّلَ شخصه ليس إلاّ.. لذلك إضطر إلى سحب ترشيحه لهذا المنصب.

ونظراً للخلافات التي دبّت في تلك القاعة، وأدّت إلى تعليق الإجتماع أكثر من مرّة، فقد حصل الإتفاق ولكن بعد مشاورات وإجتماعات هامشية في أروقة مبنى المجلس الوطني وغرفها المنفردة، وبإصرار شديد أبداه القادة العسكريون، أن يسحب "عبد الرحمن البزاز" ترشيح نفسه، كي يبقى "اللواء عبد الرحمن محمد عارف" مرشحاً منفرداً لتفادي أية معضلة قد تقع من جراء إصرار رئيس الوزراء على ترشيح ذاته.

اللواء "عبد الرحمن محمد عارف" رئيساً للجمهورية

كانت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، عندما وصلت الى مبنى الإذاعة (أربع) صفحات مطبوعة، وقد وقّع عليها جميع أعضاء مجلسي "الوزراء والدفاع الوطني"، تحتوي بياناً رسمياً طويلاً، مفاده:-

((أن اللواء عبد الرحمن محمد عارف قد أُنتُخب بالإجماع في هذا اليوم ١٧ نيسان ١٩٦٦م، المصادف ٢٧ ذي الحجة ١٣٨٥هـ، في جلسة مشتركة

للمجلسَين المذكورَين، دامت إجتماعاتهما أكثر من ثلاث ساعات، وعُقدَت إستناداً إلى أحكام المادة (٥٥) من الدستور المؤقت، رئيساً للجمهورية العراقية، وذلك خلال فترة الإنتقال التي ينبغي أن لا تتجاوز "سنة واحدة" من تأريخ اليوم، ولحين إنتخاب رئيس الجمهورية حسبما سينص عليه "الدستور الدائم"")).

رؤية شخصية نحو البيان

لم يكن إصدار هذا البيان صعباً -كما الحال في معظم دول العالم الثالث- مثلها مثل "الكتلة الإشتراكية/الشيوعية" التي تكون لدى حكوماتها ذرائع (مُعَلَّبة) وجاهزة، ولا يتطلب طرحها صعوبات تُذكر.. بل وأن أي مواطن يحمل في قفاه ثقافة متواضعة، لقادر على إعداده وشرحه، أسوة بما يعمله مسؤولو وسائل الإعلام وبعض الساسة.

وقد يأتي في مقدمة تلك الذرائع -في بلد كالعراق- موضوع ((الدستور المؤقت)) الذي لم يتحوّل الى ((دستور دائم)) تحت ذرائع متنوّعة، أمثال ((الظروف المصيرية القائمة في البلاد.. تكالب الأعداء على الثورة.. التآمر على القيادة الوطنية.. ضرورة القضاء على الثورة المُضادّة وعملاء الداخل والخارج.. الوقوف صفاً واحداً حيال الأطماع وشراذمها، وأزاء الإستعمار والإمبريالية وأذنابها، والرجعية وذيولها، ومقارعة الجاسوسية ومصارعتها، ومهما كلّف ذلك من ثمن"!!!!)) وما الى ذلك من عبارات لا تُعدّ ولا تُحصى... وإذا ما ساور شخوص بعض أفراد الشعب أن يعترض على ذلك، فالنظام يمتلك من الأدوات والأساليب والأجهزة ما يستطيع بها أن يمحي الآلاف من الوجود من دون أن يحقّق معهم أو يوجّه تهمة محددة نحو أحدهم.

كان البيان -موضوع بحثنا- قد أُعدّ بأسلوب يوحي بأن إنتخاب رئيس الجمهورية الجديد لم يَجْرِ بطريقة طوعية، لأن الجلسة ((التأريخية)) لمجلسَي الوزراء والدفاع الوطني طالت أكثر من ثلاث ساعات، وبشكل يُشير إلى أن جهوداً قد بُذِلَت للتوفيق بين الآراء المتضادة وتناغمها، بغية النأي عن مشكلات

حقيقية جابهت عملية الإقتراع بين مؤيّد لهذا ومعارض لذاك.. فضلاً عن وصف منصب السيد "عبد الرحمن محمد عارف" بأنه ((رئيس جمهورية مؤقت))، وأن هناك ((دستوراً دائماً)) يجري إعداده، سينصّ-ضمن أمور عديد أخرى- على ((فترة إنتقالية))، إذْ يتوجب على العراقيين أن يتقبلوا ((رئيساً مؤقتاً)) لجمهوريتهم في هذه الظروف العصيبة، وأن تلك الفترة سوف ((لا تتجاوز سنة واحدة)) إعتباراً من تأريخ صدور هذا البيان.

رؤى في مصرع "عبد السلام عارف"

نتائج التحقيق القضائي*

في صبيحة يوم الخميس (١٤ نيسان/أبريل ١٩٦٦) إتصل وزير العدل "كاظم الرواف" برئيس محكمة الإستئناف في لواء/محافظة البصرة "القاضي سالم محمد عزّت" طالباً منه تشكيل هيأة تحقيق برئاسته، وعضوية كل من:-

١- القاضي "عبد الرزاق العَضَب"- نائب رئيس محكمة إستئناف البصرة.

٢- القاضي "عبد الوهاب الفَضْلي"- حاكم تحقيق البصرة.

٣- النقيب الركن "عبد الستار أحمد المَعيني"- ممثلاً عن آمرية موقع البصرة.

٤- السيد "كامل عبد علي"- مدير أمن البصرة.

ولغرض البدء بالتحقيق الرسمي في هذا الأمر ذي الأهمية القصوى، فقد إنتقلت الهيأة إلى موقع الحادث في ضُحى ذلك اليوم، وأجرى تحقيقاً منفصلاً عن "المجلس التحقيقي العسكري"**، الذي سبق الهيئة القضائية الى مكان الحادث بطائرة هليكوبتر.

وبعد أن شاهد رئيس الهيأة وأعضاؤها حُطام الطائرة، مُشرفين على تصوير الجثث وأخذ عيّنات من أجزائها فقد عادوا إلى "البصرة" إستحضاراً لتثبيت إفادات عشرات الشهود والمعنيّين.

* معظم المعلومات التي ترد لتغطية هذا العنوان كان "المؤلف" قد إطلع عليها في "القصر الجمهوري"، وتابعها، مُسَجّلاً الفقرات المهمة فيها بعد حادث الطائرة بشهرين تقريباً ...."المؤلف".

** سنرد على "المجلس التحقيقي العسكري" وإجراءاته في الصفحات اللاحقة......."المؤلف".

تقرير التحقيق الأوّلي

بعد أسبوع واحد رفع رئيس الهيأة "سالم محمد عزّت"، وبطلب عاجل من رئيس الوزراء "عبد الرحمن البزّاز" تقرير التحقيق الأوّلي، كي يَفيد منه في المؤتمر الصحفي الذي سيعقده للردّ على الشائعات التي أمست تملأ العراق... وقد جاء فيه:-

أولاً- لم يثبت للهيأة وجود أية مواد تخريبية، من قنابل موقوتة أو متفجّرات، وستتأكد من ذلك بشكل نهائي بعد إجراء التحليل الكيميائي في "بغداد".

ثانياً- تبيّن للهيأة أن أموراً معيّنة حدثت، ممّا قد يُعتبر إهمالاً أو تقصيراً غير متعمَّد، وهي:

١- عدم وجود طيّار مساعد في طائرة السيد رئيس الجمهورية.

٢- عدم تمكّن الطيار من معرفة إتجاه طيرانه، لعدم توفر آلة إيجاد الإتجاه المُسَمّى "راديو كومباس".

٣- عدم إستلام الطيارين تقرير الأحوال الجوية قبل الإقلاع، بل بعد دقائق من طيرانهم، وإكتفاء قائد التشكيل بالتقرير الجوي الذي تلقّاه قبل إقلاعه من "مطار البصرة الدولي" ظهر يوم الحادث.

٤- عدم قيام "مطار البصرة" بإعلام المسؤولين في "القُرنة" حول الأحوال الجوية المتوقع حدوثها، رغم علم "سيطرة المطار" بأن طائرات الهليكوبتر ستقلّ رئيس الجمهورية وصحبه من "القرنة" الى "البصرة".

٥- عدم وجود جهاز في "مطار البصرة" وقاعدة الشعبية الجوية يستطيع إعطاء الإتّجاه للطيارين الفاقدين لإتّجاهاتهم في الأجواء.

تقرير التحقيق المُوَسَّع

أما التقرير المُوَسَّع، فقد رفعته الهيأة بعد حوالي شهر كامل من تأريخ الحادث، محتوياً على (٤٠) شهادة مفصّلة.... وفي أدناه ملخّص لما ورد فيه:-

أولاً- أن الجو في (القرنة) يوم الحادث كان طبيعياً وصالحاً للطيران.

ثانياً- حصل عارض جوي طبيعي مفاجئ بعد الإقلاع بعشر دقائق، حيث هبّت رياح شديدة مصحوبة بعاصفة ترابية، إستناداً إلى إفادة قائد الطائرة الثانية "الملازم أول منذر سليمان عزّت".

ثالثاً- لم يستطع قائد الطائرة الأولى "النقيب الطيار خالد محمد نوري" من تحديد إتجاهه وسط العاصفة، وطلب من "مطار البصرة" إعطاءه ذلك، والذي أجابه بعدم توفر أجهزة تحديد الإتجاهات.

رابعاً- لم يتأيّد للهيأة حصول عاصفة ترابية أو زوبعة بشكل قاطع، ولكن معظم ركاب الطائرتين (الثانية والثالثة) أجمعوا بأن طيرانهما كان غير إعتيادي ومصحوباً بهزّات وتأرجح نحو اليمين واليسار، وإرتفاع إلى الأعلى وهبوط نحو الأسفل.

خامساً- وقد ظهر للهيأة التحقيقية، بعد إستكمال التحقيق ومن تقرير "المعهد الكيميائي" المعنون إلى "رئاسة اركان الجيش"، ما يلي:-

١- أن الطائرة لم تنفجر في الجو، إنما إحترقت بعد إصطدامها بالأرض، وقد حدث ذلك نتيجة تسرّب الوقود * إلى محركاتها وهي في حالة عمل.

٢- لم يُعثَر بين حطام الطائرة على أثر مادي يدلّ على وجود قنبلة توقيتية، أو مُفَرقَع يدّل على حصول إنفجار مُدَبَّر.

---

* يجدر الإشارة في هذا الشأن، أن طائرة الهليكوبتر (ويسكس) كانت من الطراز المجهّز بمحرك يعمل بـ(البنزين المُحَسَّن عالي الأوكتين) القابل للإحتراق شبه الفوري، على عكس الطُرُز اللاحقة التي يعتمد على وقود (R.T.K) الشبيه بـ(النفط الأبيض/كيروسين) والذي يمتاز ببطؤ الإحتراق نسبياً ...."المؤلف".

سادساً- وقد إتضح للهيأة أن الحادث كان قضاءً وقدراً، ولم يُتَسبّب عن تخريب واضح أو مقصود.. وأن هنالك تقصيراً تسبّب عن غير قصد في حدوث هذه المأساة، ولكن التحقيق لا يستطيع تحديد وجوه هذا التقصير.

القرار النهائي للمجلس التحقيقي العسكري

شكّلت "قيادة القوة الجوية العراقية" من ناحيتها مجلساً تحقيقاً مُنفَصلاً عن "هيئة التحقيق القضائي"، وكان برئاسة "عقيد الجو الركن زَيدان أحمد الزَيدان" وعضوية كل من "المقدم الطيار الركن خالد حسين ناصر-آمر قاعدة الشُعَيبة الجوية.. والرائد الطيار علي عوّاد.. والملازم المهندس عبد الله صيام.. والملازم أول الحقوقي سامي عزارة المَعجون"، وذلك للتحقيق في الحادث من وجهة نظر الطيران بشكل خاص.

إستغرق التحقيق (٦) أيام، معتمداً على الكشف الموقعي وشهادات إستقاها من (٢١) شخصاً وتصوّرات نظرية، قبل أن يرفع قراره النهائي الى تلك القيادة يوم الجمعة (٢٢ نيسان ١٩٦٦).. وفيما يأتي ملخص ما أورده★ :-

أولاً- أصدر "العميد زاهد محمد صالح" -المرافق الأقدم للسيد رئيس الجمهورية- أمراً محدّداً إلى "النقيب الطيار خالد محمد نوري" مساء يوم الثلاثاء (١٢ نيسان ١٩٦٦) يتضمّن حركة طائرات الهليكوبتر الثلاث إنطلاقاً من "البصرة" إلى "القرنة"، على أن تهبط قرب "ملعب الإدارة المحلية" لتلك القصبة قبل الساعة (١٥,٠٠) "الثالثة ظهراً" من يوم الأربعاء (١٣ نيسان)، بغية نقل السيد رئيس الجمهورية وحاشيته إلى "البصرة" بعد إنتهاء زيارته التفقّدية للقضاء.

ثانياً- في الساعة (١٢,١٥) "الثانية عشر والربع ظهراً" أقلعت الطائرات الثلاث من "مطار البصرة" بعد أن زُوِّدَ طياروها بالتقرير الجوي من "سيطرة المطار" أُصولياً، وتوجّهت إلى "القرنة"، وعند وصولها هبطت في ساحة الألعاب وفي المكان المُعَد لهبوطها سلفاً.

★ إطلع "المؤلف" على تفاصيل هذا القرار والمعلومات التي وردت في صفحاته وسَجّلَها في "القصر الجمهوري" بعد الحادث بحوالي شهرين........................."المؤلف".

ثالثاً- وبعد إنتهاء الإحتفال، توجّه السيد الرئيس إلى طائرة الهليكوبتر المرقمة (٥٩٨) والتي بقيادة قائد التشكيل "النقيب الطيار خالد محمد نوري"، وأقلعت في الساعة (١٨٥٠) "السابعة إلاّ عشر دقائق مساءً"، وأعقبتها الطائرتان الأُخرَيان.

رابعاً- وبعد مرور سبع دقائق، واجهت طائرة السيد الرئيس مطبّات هوائية شديدة (BUMPY) مع غبار معلّق في الجو، مما جعل مجال الرؤية معدوماً، وأدّى الى تغيير إتجاه الطائرة، فأصبح قائد الطائرة يجد صعوبة كبيرة في السيطرة على طائرته.. ونظراً لإنحراف الطائرة عن خط سيرها المرسوم الى منطقة صحراوية لا توجد فيها أية أشباح أرضية أو دلائل إنارة، مما سبّب في إنعدام الرؤية كلياً، فأصبحت الطائرة في حالة غير إعتيادية (UNUSUAL POSITION).. وبعد فقدان الطيار الأمل بالدلالة على مكانه بسبب إنعدام الرؤية وعدم وجود الأشباح الأرضية وتأثير المطبّات الهوائية الشديدة، إستدار الطيار مُحاوِلاً العودة إلى "القرنة" للمحافظة على أرواح الركاب في طائرته.

وقد إستدار فعلاً إلى اليسار، ولكن إشتداد تأثير المطبّات الهوائية وإنعدام الرؤية كلياً، جعل قيادة الطائرة في ذلك الإتجاه مستحيلاً، فعاد الطيار ثانية ليستدير إلى الجهة المعاكسة ليستعيد إتجاهه السابق، وفي أثناء دورانه صادفته مطبّة هوائية قوية أدّت إلى فقدان سيطرته على الطائرة وإرتطامها بالأرض أثناء دورانها إلى اليمين، وذلك ما أدى إلى إصطدام مقدمة الطائرة وعجلتها اليمنى والريشة الرئيسة بالأرض في تلك اللحظة، ومن ثم مالت إلى الجهة اليسرى فإرتطمت عجلتها اليسرى بالأرض، ومن جراء ذلك إنفجرت خزانات الوقود الرئيسة الموجودة في أرضية الطائرة، فتدفق الوقود السائل إلى المحركات الساخنة ليحدث الحريق الذي أدّى إلى إنفجار الطائرة وإحتراقها.

خامساً- لم يحصل بشكل قاطع أي انفجار أو حريق أو عطل بالطائرة منذ إقلاعها وحتى إصطدامها بالارض.

سادساً- لما ورد سابقاً قرر المجلس التحقيقي إعتبار الحادث (قضاءً وقدراً) وبدون تقصير من أحد.. وغلق القضية وفق الفقرة (٥) من المادة (٢٤) من قانون أصول المحاكمات العسكرية المرقم (٤٤) لسنة ١٩٤١.

رأي خبير وشاهد عيان

إذن.. فقد إعتبر المجلس التحقيقي العسكري الحادث ((قضاءاً وقدراً))، إذْ لم يثبت أمامه، وكذلك هيأة التحقيق القضائي، أن هناك قنبلة أو متفجرات تسبّب إنفلاقها في سقوط الطائرة، وكما أورداه في القرارَين النهائيّين الصادرَين منهما.

توجّهتُ في حينه إلى مسكن صديقي "الملازم أول أحمد بَهجَت"*، حالما علمتُ أنه كان أحد المكلّفين بالتحقيق، بصفته "خبير متفجرات"، وذلك للإستفسار منه بشكل شخصي عن بعض الحقائق التي قد لا تُعلَن رسمياً... فأكّد لي أنه لم يتوصل -بشكل مطلق- إلى حقيقة وجود أي نوع من المتفجرات إثر تحليل عيّنات تمّ جمعها من موقع الحادث لأجزاء متفرّقة من الطائرة المتناثرة.

وقد عدتُ عليه بالسؤال منه خلال شهر أيلول (١٩٩٧) -أي بعد إنقضاء ما يزيد على (٣١) سنة على الحادث- فأصرّ على رأيه، مؤكداً أنه لم يعثر على أي متفجِّر في حينه بعد تحليل دقيق لعيّنات في مختبر ذي إختصاص بهذا الشأن عام (١٩٦٦).

رؤية شاهد عيان آخر

لم يكن قد مضى على الحادث سوى أسبوع واحد، حتى زارني صديقي "الملازم -إحتياط- محمود رؤوف"** في مبنى الإذاعة والتلفزيون مساء يوم السبت (٢٣ نيسان ١٩٦٦)، وكان حديثنا -بحضور صديقنا المذيع نهاد نجيب آوجي- في

* ملازم أول أحمد بهجت:- كان مدرّساً للمتفجرات والقنابل الموقوتة في "مدرسة الهندسة العسكرية" للجيش العراقي بمعسكر الرشيد قرب "بغداد" عام (١٩٦٦)، وقد إشترك قبل ذلك بدورة تدريبية في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٦٣).. وأُوفِدَ بشكل خاص الى موقع سقوط طائرة "عبد السلام محمد عارف" في اليوم التالي من الحادث، وجمع عيّنات من الحُطام ونَقلَها إلى مدرسته، وأشرف على تحليلها شخصياً لدى "المعهد الكيميائي" ببغداد.. وقد أدلى بهذه المعلومات في دار سكناه الواقع في "شارع فلسطين" مساء يوم (٣٠ نيسان ١٩٦٦)، وقبل أن أطّلع على قرارَي الهيأة والمجلس التحقيقيّين..............."المؤلف".

** الملازم الإحتياط محمود رؤوف:- كان ضابطاً مُجنّداً/إحتياطاً في "مركز تدريب مشاة البصرة" عام (١٩٦٦) بعد أن تخرَّج في كلية الإدارة والإقتصاد.. توفي عام (١٩٩٦) بعد أن عانى طويلاً من مرض أصاب قلبه.........................."المؤلف".

"غرفة الضباط" حول مصرع الرئيس الراحل.. فكانت له رؤية أخرى مُغايرة:-

((أنه كان مُكلَّفاً بقيادة فصيل مشاة مُرتَّب من ضباط صف وجنود من منتسبي "مركز تدريب مشاة البصرة" لتأمين حماية مهبط الهليكوبترات الثلاث على مقربة من ساحة ألعاب "القُرنة"، بغية منع أي شخص -عدا الطيارين والفنيين- من التقرّب إليها .. إذ كان المقرّر -حسب المنهج المُعَدّ سلفاً- أن يعود رئيس الجمهورية إلى "البصرة" قبل الساعة الرابعة عصراً... ولكنه تأخَّرَ كثيراً في تجواله حتى حلّ المساء، وغابت شمس يوم الأربعاء ١٣ نيسان، وخيَّم الظلام.

وعندما شاهد الطيارون رئيس الجمهورية متوجّهاً إليهم في حوالي الساعة السابعة إلاّ ربعاً، فقد أدارَ طيّار إحدى الهليكوبترات -التي كانت مُخَصّصة لركوب رئيس الجمهورية- محرّك طائرته.. ولكن، لم تَنْقَضِ سوى بضع دقائق حتى توقّف المحرّك بشكل مفاجئ... ولمّا إنشغل طيارها وفَنّيوها بإصلاح العطل، فقد توجّه السيد الرئيس مع عدد من كبار مسؤولي الدولة إلى الطائرة الثانية التي كان النقيب "خالد محمد نوري" يقودها.

وبعد أن إستقلّوا الطائرة الثانية، أدار الطيّار محرّكها... ولكن، ما هي إلاّ لحظات حتى أقلعت، بينما أقلعت معها طائرة "الملازم أول الطيار منذر".

وبعد إنقضاء حوالي خمس دقائق، تم إصلاح الطائرة المعطوبة، لتقلع بما حملته من مصورين ومراسلي الصحف بدلاً من رئيس الجمهورية وصحبه.

وقد سألتُ طيّار الطائرة العاطلة أثناء إنشغاله بتشغيل محرّك طائرته -وكان برتبة ملازم طيار- أجابني أن قَطعاً مفاجئاً في الدورة الكهربائية هو السبب)).

وأنهى "الملازم محمود رؤوف" حديثه قائلاً:-

((لذلك، فإني أتوقّع وجود مؤامرة إغتيال وراء الحادث، فالطائرتان معاً كانتا قد لُعبا في دورتَيهما الكهربائيّتين.. وأنه بعد إنقضاء عدة دقائق على تشغيل محرّك الطائرة، التي كانت مخصصة لرئيس الجمهورية، فقد بان العطل فيه... ولمّا لم تنتظر طائرة "النقيب الطيار خالد" إلاّ قليلاً بعد تشغيل محرّكها قبل الإقلاع، فقد أصابها العطل بعد دقائق وهي في الجو، وذلك من جراء إنقطاع الدورة الكهربائية فيها .. فسقطت)).

ناقشنا الموضوع بإسهاب، بعد أن إنضمّ الى جلستنا صديق عزيز، هو المذيع المخضرم ومقدّم البرامج "سُعاد الهُرْمُزي"، فكان رأيي في حينه ما يأتي:-

أولاً- أن المتعارف عليه في القوات المسلحة، أن يستقلّ رئيس الجمهورية، أو أي مسؤول آخر في الدولة، أو أي قائد عسكري -إذا ما تعدّدت الطائرات- طائرة يقودها آمر السرب أو قائد التشكيل... ولما كان "النقيب الطيار خالد محمد نوري" قائداً لذلك التشكيل، فإن من المنطقي أن يستقلّ "عبد السلام عارف" طائراته دون غيره.

ثانياً- أن الحوادث الجوية تقع في جميع أنحاء العالم، وليس هذا الحادث أوّلها، وسوف لن يكون آخرها.

وعلى أية حال.. ففي يومنا هذا، وبعد أن إنقضى ما يقارب من أربعة عقود على ذلك الحادث.. وبعد أن توسّعت مداركنا التأريخية والسياسية، وإطّلعنا على العديد من الأحداث المشابهة، ومن ضمنها إنفجار طائرة النقل العسكرية الباكستانية بالرئيس "الجنرال محمد ضياء الحق"، وبصحبته سفير الولايات المتحدة الأمريكية في "إسلام آباد"، وحادث طائرة الركاب الامريكية (T.W.A) في أجواء قرية "لوكربي" البريطانية، وحادث طائرة الهليكوبتر الذي أودى بحياة "الفريق أول الركن الطيار عدنان خير الله". لذلك فإن مثل هذه الوقائع لا يُستَبعَد أن تكون وراءها غايات وأهداف سياسية.

حديث الشارع العراقي

إثرَ مصرع الرئيس "عبد السلام محمد عارف"، وقبل إعلان الحكومة العراقية القرارَين اللذَين توصّل اليهما المجلس التحقيقي العسكري وهيأة التحقيق القضائي، وكذلك بعد نشرهما من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، فقد سَرَتْ في مدن العراق عموماً شائعات لا حصر لها عن حادث سقوط الطائرة، وعمّن يُحتَمَل أن يكمن وراءه، وتردّدت في المجالس والأندية والمقاهي ودور السكن وعلى ألسنة الناس تقوّلات تصبّ -في أغلبها- على أن الحادث كان مُفتَعَلاً، وقد سبقه تحضير وتهيئة وسبق إصرار، وتعدّدت الأصابع التي تشير إلى جهة أو فئة أو كتلة

سياسية أو عسكرية، أو حزب مؤثر في الساحة العراقية.

■ فقد قيلَ أن عبوّة ناسفة قد دُسّت في جيب بدلة أحد الوزراء المُرافقين للرئيس (عبد السلام) في غفلة منه، وكانت (مُؤقّتة) لتنفجر في موعد تكون الطائرة محلّقة في الجو؟؟!!.

■ وقيلَ أيضاً أن تلك العبوة الصغيرة كانت مُمَغنَطة، وقد تم لصقُها تحت مقعد ما داخل الطائرة، وإنفجرت بعد بضع دقائق من إقلاعها؟؟!!

■ وقال آخرون، أن حُفنة من السُكَّر، أو ربما الرَمل، قد قُذِفَتْ من فتحة خزّان بنزين الطائرة، إذْ عند إختلاطها به، فإن الخليط يمكن أنْ تُغلِق منافذ حَقْن الوقود نحو المحرّك، فيؤدي بالتالي إلى توقّفه.. وإذا ما كانت الطائرة محلّقة في الجو فإن سقوطها مؤكّد.!!؟؟

■ ودار الحديث بأن "البيسي كولا" الذي تناوله (قائد الطائرة) كان محتوياً على مادة مخدّرة بطيئة المفعول، وكانت سبباً في فقدانه السيطرة على القيادة بعد إقلاعه بدقائق!!؟؟

■ وأُشيع كذلك، أن أحد الذين رافقوا "عبد السلام عارف" في الطائرة نفسها، كان قد كُلِّفَ في "القرنة"، وقبل صعوده الى الطائرة مباشرة، بأن يحمل رزمة إلى "البصرة"، ومن دون أن يعلم -بالطبع- أنها كانت مُتَفجّراً بصمام توقيت!!؟؟

■ وكان هناك حديث من نوع آخر، بأن الطائرة قد أُصيبت بقذيفة أو إطلاق نار من الأرض!!!

■ ودارت أحاديث عجيبة حول الحادث، حتى وصلت الى قائد الطائرة نفسه، متّهمة إياه بأنه هو الذي رتّب مظلّة قفز بها هارباً الى جهة مجهولة، تاركاً قيادة الطائرة عنوة.. لاسيّما وأن هيأتَيّ التحقيق لم تتوصّلا إلى التعرّف الدقيق على جثث معظم الصرعى الذين إنصهروا ضمن كتلة لحوم وعظام، إلتصقت ببعض هيكل الطائرة، ولربما لم تكن جثّة الطيار من ضمنهم؟؟!!

■ وحتى قيل، أن (النقيب الطيار خالد محمد نوري) نفسه، كان منتمياً الى حزب معارض للرئيس (عبد السلام عارف)، وقد تسلّم أمراً من قيادة ذلك الحزب وهو

في (القُرنة)، بأن ينتحر مع طائرته، فنفّذ ذلك مُضَحّياً بنفسه في سبيل عقيدته!!؟؟

■ وقيل أن (الملك حسين) شخصياً كان وراء ذلك، إنتقاماً من مقتل أولاد عمومته*... وأصرّ آخرون أن (الرئيس جمال عبد الناصر) وجهاز مخابراته هما اللذان أمرا بذلك مؤازرةً للكتلة القومية في العراق... فيما جاهر آخرون بأن (حزب البعث العربي الإشتراكي) الحاكم في "سوريا" دون غيره، هو الذي كان وراء المصرع إنتقاماً لـ(حركة تشرين الثاني ١٩٦٣)!!؟؟..

■ والعامّة من الناس قالوا أن الحادث من تدبير "الإنكليز والأمريكان واليهود" -كالعادة-..!!؟؟

■ وحتى أن البعض من أصابع الإتهام أشار إلى شخص رئيس الوزراء "عبد الرحمن البزّاز" متّهماً إياه، دون غيره، بالطموح في إشغال منصب رئيس الجمهورية!!؟؟.

■ وأشارت أصابع أخرى نحو "المقدم الطيار الركن خالد حسين ناصر" -آمر قاعدة الشُعبية الجوية- بأنه هو الذي دبّر الحادث بإعتباره من أقرباء "العائلة المالكة"، أو كونه يَمُتُ بصلة معينة إليها.

■ وقد شاء البعض ألاّ يخلي ساحة "الدكتور محمد ناصر" وضلوعه في الحادث ومعرفته المُسبقة بتدبيره، عندما علموا بعدم مرافقته لرئيس الجمهورية في تجواله بمنطقة "القرنة" وبقائه في "البصرة"، بحجّة التفرغ للقاء بعض أقربائه هناك، لا سيّما وأنه يشغل منصب "وزير الثقافة والإرشاد"، والذي يتطلّب أن يكون مُلازماً له.

كانت الشائعات كلّها مقبولة بشكل أو بآخر، وكل إدّعاء كان وارداً ومحتملاً، وأي زعم كان بالإمكان تصوّره في سنوات الغليان السياسي تلك، لاسيّما وأن التأريخ عموماً، في قديمه ووسيطه وحديثه ومعاصره، لم يَخْلُ من حوادث وأحداث

* كان الذين قُتلوا بالرصاص صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨، إضافة إلى "الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله"، هم:- ١.الملكة "نفيسة" والدة الأمير عبد الإله وجدّة الملك فيصل من والدته.. ٢.الأميرة "عابدية" شقيقة الأمير عبد الإله وخالة الملك فيصل... إضافة إلى عدد من حاشية وخدم العائلة المالكة.........................."المؤلف".

الإغتيالات والغدر في سبيل السلطة وإبعاد الزعماء عن سدّة الحكم بقتلهم، وفق أساليب وطرق وخطط رهيبة ومُتقَنة.. وقد كان معاصرو أواسط عقد الستينيّات قد عاشوا فعلاً وسمعوا بآذانهم وقرأوا بأعينهم العديد منها، سواءً في العراق أو الدول العربية، أو دول الشرق الأوسط المحيطة، ناهيك عن العالم كله.

فخلال العقود الثلاثة المُنصرِمة، أُشيعَ بأن "الملك فيصل الأول" قد سُمِّمَ أثناء رقوده في مستشفى سويسري عام (١٩٣٣).. وأن "الملك غازي الأول" قد قُتل في ظروف غامضة عام (١٩٣٩)... وقبله بسنتَين تقريباً أُغتيل "الفريق بكر صِدقي" في نادي الضباط بالموصل... وقد عاش معظم أهالي "بغداد" وشاهدوا بأم أعينهم ما جرى يوم (١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨)، وتعايشوا كذلك أيام "حركة الشواف" في آذار/مارس ١٩٥٩، و"مذبحة كركوك" في تموز ١٩٥٩، ومحاولة إغتيال "عبد الكريم قاسم" يوم (٧ تشرين أول/أكتوبر) من العام نفسه، ناهيك عن أحداث ثورة (١٤ رمضان /٨ شباط/فبراير ١٩٦٣) و(حركة تشرين الثاني) من السنة نفسها.

ولدى الجارة "المملكة الأردنية الهاشمية" أُغتيل "الملك عبد الله بن الحسين" يوم (٢٩ تموز ١٩٥١)، بينما أُبعدَ نجله "الملك طلال الأول" عام (١٩٥٢) عن العرش، بعد أن زُعِم بإنهيارِ قواه العقلية ليُقيم في "مَصَحّ نفسي/عقلي" بمدينة (إستانبول) التركية.

وفي "سوريا" أُعدِم "حسني الزعيم" عام (١٩٤٩)، فيما أُجبِرَ "أديب الشيشكلي" على مغادرة البلاد عام (١٩٥٤) قبل أن يُغتال.

وفي "مصر" أُقصِي "اللواء محمد نجيب" رئيس أول جمهورية هناك من سدّة الحكم عام (١٩٥٤).

وفي "المملكة العربية السعودية" نُحيَ "الملك سعود بن عبد العزيز" عن الحكم عام (١٩٦٤) وأُرسِل إلى "سويسرا" للعلاج ليحلّ "فيصل بن عبد العزيز" ملكاً على عرش أخيه.

وفي "الهند" أُغتيل زعيمها الوطني الكبير "المهاتما غاندي" عام (١٩٤٨)..

وأُفرِغَ الرئيس الإندونيسي "الجنرال أحمد سوكارنو" عن سلطاته منذ منتصف عام (١٩٦٥)، وتسلّم "الجنرال سوهارتو" مقاليد الحكم في البلاد.

ونُحيَ "نيكيتا خروتشوف" من جميع مناصبه في "موسكو" خلال شهر تشرين أول/أكتوبر عام (١٩٦٤)، بعد أن كان هو نفسه قد أبعَدَ رفيق دربه النضالي "نيكولاي بولغانين" عام (١٩٥٨)، وقد إشتركا معاً قبل ذلك في إسقاط رفيقَيهما (مولوتوف، ومالينكوف) من عضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي عام (١٩٥٧).

أما في تشرين الثاني/نوفمبر عام (١٩٦٣)، فقد كان لإغتيال الرئيس الأمريكي الشاب "جون كندي" أمام أنظار مواطني مدينة "دالاس" الأمريكية وَقْعٌ خاص على عموم أنحاء العالم، ومن ضمنهم العراقيّون.. ولمّا لم تُعلن الحكومة الأمريكية نتائج التحقيق الواسع الذي أُجري حوله، حتى بعد إنقضاء حوالي سنتين ونصف السنة، فإن الشارع العراقي لم يشأ أن يُصدّق كثيراً أن حادث طائرة رئيس جمهوريتهم كان مجرّد (قضاء وقدر)، وفقاً لما أعلنته حكومتهم رسمياً، وكذلك على لسان رئيس الجمهورية المنتخب (اللواء عبد الرحمن محمد عارف)*.

وكان إصرار الاكثرية بأن مكتب التحقيق الفيدرالي (F.B.I.) ووكالة المخابرات المركزية (C.I.A.) الأمريكيتين، والمعروفَتَين بإمكاناتهما الضخمة والهائلة، لم يستطعا التوصّل إلى الذي كان حقيقة وراء مقتل رئيس جمهورية إحدى أعظم دولتَين في العالم، فهل يُعقَل الإقتناع بما توصّل إليه عناصر من الأمن العام والإستخبارات العسكرية العراقيّين -خلال بضعة أيام فحسب- من أن الحادث كان (قضاءً وقدراً)؟!!.. هذا إنْ كان الإدعاء المُعلَن صادقاً، ولم يكن الغرض الرئيس منه سوى ((التخفيف)) عن وقع الشائعات التي تعمّ العراق من أقصاه الى أقصاه في محاولة لـ((غلق حلوق الناس)) الذين كانوا يجهرون بإطلاق الأقاويل والمزاعم أينما جلسوا يتحدثون أو يتبادلون الآراء، أو يتسامَرون.

---

* اللواء عبد الرحمن محمد عارف، رئيس الجمهورية العراقية:- حديث خاص مع صحيفة "الجمهورية" اليومية الصادرة يوم ١٨ نيسان/أبريل ١٩٦٦، بغداد.

آراء البعض من خبراء الطيران في الحادث

حديث خاص مع "المقدم الطيار عدنان أمين خاكي"*

وجدتُ نفسي، بعد أن إنقضى أكثر من ثلاثة عقود على مصرع الرئيس "عبد السلام محمد عارف"، وسطّرتُ صفحات من تلك الشائعات والآراء التي تمحورت حول تداعياته، أنه من الأنسب الإفادة من آراء ذوي الخبرة والممارسة في مجال الطيران، ليدلوا بدلوهم في هذا الحادث... فتوجهت لمقابلة صديقي العزيز "المقدم الطيار المتقاعد عدنان أمين خاكي"، الذي قاد الطائرة الخاصة بالرئيس الراحل في معظم سفراته إلى خارج العراق وفي داخله.

رجوتُ "أبا علي" أن أستأنس برؤاه في شأن هذا الحادث، فتفضّل مشكوراً، ولم يبخل... فكان معه الحوار الآتي:-

س١ : بصفتكم كنتم آمراً للرف الجمهوري منذ عام ١٩٦٥ وخلال عام ١٩٦٦، وقائد إحدى طائرتي الرفّ المذكور من طراز (توبوليف ١٢٤)، هل لكم أن تذكروا إسم الطيار الذي أوصل الرئيس "عبد السلام عارف" إلى "البصرة" خلال زيارته الأخيرة لها؟

ج: أنا الذي أوصلتُ الرئيس "عبد السلام عارف" والسادة الذين كانوا معه إلى "البصرة" في تلك الزيارة بالطائرة المذكورة، وقد قُدتُها بمعاونة "النقيب

* عدنان أمين خاكي:- مقدّم طيار متقاعد منذ عام ١٩٦٨.. آمر الرفّ الجمهوري (١٩٦٥-١٩٦٨).. مقابلة شخصية معه في دار سكناه (حي اليرموك-بغداد)، مساء يوم الأربعاء (١٤ أيار/ مايس ١٩٩٧).........................."المؤلف".

الطيار طاهر صالح التكريتي" في حينه، وقد مُقلعين من "مطار بغداد الدولي" - مطار المثنى حالياً- صبيحة يوم الثلاثاء (١٢ نيسان ١٩٦٦) لنهبط بعد حوالي (٤٥) دقيقة في "مطار البصرة الدولي".

س٢: هل بقيتَ مع طائرتك في "البصرة" بعد ذلك؟

ج: كلاّ فالمُتعارف عليه أن لا تبقى طائرة في غير مطارها المخصص، إذْ كانت زيارة رئيس الجمهورية طويلة وتستغرق أكثر من يوم واحد... ولما كان المنهج ينصّ على أنها ستدوم (٣) أيام على الأقل، فمن الطبيعي أن نعود بها إلى "بغداد"، قبل أن يُطلَب منا الرجوع مرة أخرى إلى "البصرة" لإعادة رئيس الجمهورية وصحبه حال إنتهاء الزيارة.

س٣: يا سيدي، حديثنا سيصبّ في حادث سقوط (طائرة هليكوبتر)، فهل تتمتّع بمعلومات عن قيادة هذا الطراز من الطائرات؟

ج: في الوقت الذي أعلم جيداً أن لك معلومات جيدة وهواية معمّقة في الطيران، وأنك ألّفتَ أكثر من كتاب في هذا المجال، ناهيك عن حصولك على شهادة الطيران وقيادتك لبعض أنواع الطائرات منذ عام (١٩٨٠).. ولكني أُضيف الى معلوماتك بأن الطيران وعلومه المتّسعة ونظرياته المتنوعة وحالات الأنواء الجوية وظواهرها التي تُجابه الطائرة أثناء تحليقها في الجو، لهي متشابهة ومتماثلة، سواء كانت الطائرة ذات جناح ثابت (FIXED WING)، أو تلك التي أسميناها "هليكوبتر"، إذْ لا تفرق الثانية عن الأولى سوى من حيث كون جناحها دوّاراً.. فالمروحة الرئيسة الدوّارة فوق هيكل "الهليكوبتر" ما هي الاّ جناح على شكل ريَش تدور بسرعة ليؤمّن رفع جسم الطائرة في الجو... ولكني، وعلى الرغم من تحليقاتي راكباً بطائرات الهليكوبتر لعشرات المرات، إلاّ أنني لم أقُدْها بحكم إختصاصي طياراً على طائرات النقل العسكرية ذات الجناح الثابت.

س٤: هل كانت الهليكوبترات الثلاث التي رافقت الرئيس "عبد السلام عارف" خلال تجواله في "البصرة" تابعة للرفّ الجمهوري؟

ج: كلاّ، فـ"الرفّ الجمهوري" في حينه، لم يكن يحتوي سوى طائرتَي (توبوليف-١٢٤) حديثَتَين، وعدداً من طائرات (دوف، وهيرون) القديمة والموروثة من العهد الملكي.. أما الهليكوبترات فإن قيادة القوة الجوية كانت تبعثها لمثل تلك المهمات من أحد أسرابها... ولكن، ومنذ النصف الأول من عام (١٩٦٥) فإن تلك القيادة كانت تخصّص لزيارات رئيس الجمهورية عدداً من هليكوبترات (ويسّكس) الحديثة لمرافقته في تجواله بالمدن العراقية، أو القواطع العسكرية.

س٥: ما إستنتاجاتك عن أسباب سقوط طائرة الرئيس "عبد السلام عارف" في حينه، إستناداً للمعلومات التي إطّلعتَ عليها لكونك آمراً لـ"الرفّ الجمهوري"؟

ج: في تصوّري، وحسب القناعة التي توصّلتُ اليها، فإن الحادث لا يتعدّى ((قضاء وقدراً))، وأستطيع تقدير التداعيات التي أدّت الى سقوط الطائرة وفق ما يأتي:-

أولاً- أن طياري الهليكوبترات في حينه، لم يكونوا ذوي تدريب جيد وخبرة عالية وممارسة كفؤة في مجال ((الطيران الليلي))، ولم تكن أجهزة طائراتهم ومعدّاتها وآلاتها ذات كفاءة في هذا المجال، وأنهم كانوا يعتمدون على المعالم الأرضية والمدن والأنهار والقصبات والطرق العامة، وفي بعض الأحيان-فقط- على الخريطة، للوصول إلى المواقع المطلوبة.

ثانياً- لم يكن بإمكان "النقيب الطيار خالد محمد نوري" في تلك الليلة، رؤية المعالم الأرضية نظراً للظلام الدامس الذي أمسى يغطّي المنطقة في تلك الساعة، وخصوصاً لعدم طلوع القمر الذي كان في تربيعه الأخير... ومن الطبيعي، أن تكون الخريطة التي كان يحملها غير ذات فائدة تذكر... فلذلك لمّا جابهته (مطبّات) هوائية -في حالة إفتراض عدم تعرّض طائرته إلى عاصفة ترابية بشكل قطعي- فقد أصبحت في حالة من عدم التوازن والإستقرار (UNUSUAL POSITION).. ولمّا كانت المنطقة التي حلّق في أجوائها ذات كثافة محدودة نسبياً ومعدومة الأنوار، عدا أضواء قرى متناثرة هنا وهناك، فإن

أيّ طيّار ربما لا يستطيع التفريق بين نجوم السماء وبين تلك الأنوار الأرضية، لعدم تمكّنه أساساً من رؤية ومشاهدة (الأفق الطبيعي) الذي يُعتَبَر ذا أهمية خاصة في الطيران... أوانئذ تُصيب الطيار حالة تسمى (-DIS ORIENTIATION) فلا يعدو قادراً على معرفة فيما إذا كان وضعه الحقيقي في داخل الطائرة وهيكل الطائرة نفسها في حالة تحليق مستقيم أم مائل، أو حتى مقلوب، إلاّ إذا إعتمد تماماً، ومن دون أن يراوده أي شكّ، وَوَضَعَ ثقته المطلقة في الآلات المثبّتة أمامه على لوحة القيادة.

ثالثاً- وفي حالات عديدة، لا يستطيع تقديرها، أو تصديقها، إلاّ الذين جابهوا تلك الحالة غير الطبيعية خلال طيرانهم ليلاً بشكل خاص وفي حالات الرؤية المحدودة ، إذْ يبدأ الطيار بتصديق شعوره الشخصي معتقداً بأنه في وضع تحليق أُفقي ومستقيم، دون أن يصدق بما تُشير إليه أوضاع آلات طائرته التي تُعتبَر هي ((الصادقة الوحيدة)) المُعَوَّل عليها والمُعتمَدة في الطيران الليلي، أو في حالات إنعدام الرؤية نهاراً بسبب الغبار أو الغيوم أو الضباب أو الدخان الكثيف.

رابعاً. ولما أصبح "النقيب الطيار خالد" -وهو لم يستعد ولم يستحضر من حيث الأساس للطيران الليلي- في تلك الحالة غير العادية، إتّصل مستنجداً بزميله قائد الطائرة الثانية "الملازم أول منذر"... ولمّا لم يستطع إنجاده ولم يتمكن الآخرون من تحديد مساره وموقع طائرته، فإنه أمسى يتخبّط موجّهاً طائرته يميناً ويساراً بإرتباك، ومن دون أن يتأكّد مِنْ، أو يصدِّق، الآلات التي تحدّد للطيار إستقامة طائرته وإتجاهها المغناطيسي وإرتفاعها -بالأمتار، أو بالأقدام- عن سطح الأرض، أوانئذ يبدو أن المروحة الرئيسة قد ضربت الأرض، فحدثت الكارثة التي أودَت بحياته والآخرين.

خامساً- وهناك نقطة أخرى غاية في الأهمية، فالطيران بأية طائرة، يتطلّب، ضمن أُمور عديدة أخرى، أن يضع الطيّار سلفاً ((خطة طيران)) تشتمل إتجاهات مغناطيسية محدّدة على شكل جدول أو قائمة، وإنطلاقاً من موقع أو نقطة الإقلاع، ومروراً بعدة نقاط دالّة وواضحة، ليتأكّد من خلالها -وفي كل

مرحلة- أن طائرته المحلِّقة في الجو تسير بالإتّجاه الصحيح والمرسوم لها، أو يضع على الأقل إتّجاهاً مغناطيسياً دقيقاً واحداً ينبغي ضبطه وتدقيقه بإستمرار أثناء الطيران... ولكني علمتُ بعد لقائي بالطيارَين الآخرَين في حينه، أن ((خطة الطيران الليلي)) لم تُوضع مطلقاً، ممّا يمكن إعتباره تقصيراً شخصياً واضحاً -ولو غير متعمداً- وبالأخص من لدن قائد التشكيل "النقيب خالد".

سادساً- وأستطيع إضافة نقطة مهمة أخرى، ألا وهي الإستعداد النفسي للطيران، فالطيارون المصاحبون للرئيس "عبد السلام عارف" في ذلك اليوم، كانوا يتوقعون -إستناداً إلى الأوامر الصادرة إليهم- وإعتماداً على منهج الزيارة وتوقيتاتها، أن يعود "رئيس الجمهورية" من "القرنة" إلى "البصرة" عصراً، أي ((ضمن طيران نهاري))... ولمّا طالت الزيارة ساعة بعد أخرى، وظلّ الطيارون في حالة إنتظار حتى حلّ المساء وغابت الشمس ولفّ الأرض ظلام دامس، فإن إستعدادهم النفسي للطيران ليلاً كان معدوماً، بل أنهم أقلعوا من "القرنة" المضاءة بـ"البروجكترات" القوية بحالة نفسية وكأنهم في طيران نهاري يعتمد على البصر ورؤية المعالم الأرضية بالعَين المجرّدة، وحالما غادروها حتى وجد "النقيب خالد" نفسه محاطاً بالظلام، فلمّا صادفت طائرته مطبّة هوائية (PUMPY) قوية ومصحوبة بالغبار، وهذا ما أكّده "الطيار منذر" الذي كان محلّقاً خلفه بمسافة محدودة لا تتعدى (٢-٣) كيلو متراً، فقد فوجئ "النقيب خالد" بذلك ولم يَعُد قادراً على التصرّف بهدوء وسكينة مطلوبتَين... فَفَقَدَ إتجاهه ولم يستطع الرجوع إليه مجدّداً... وهذه حالة نسمّيها في الطيران بـ(-DIS ORIENTIATION)-أي عدم قدرة الطيار على معرفة إتجاه طائرته- والتي يمكن أن يتعرّض لها أي طيار مهما كانت خبرته، عندما تُصيبه إحدى حالتين، أولاهما الإرتباك لأي سبب كان، وثانيتهما الغرور أو الثقة فوق اللازم بالنفس (OVER CONFIDENCE)، بحيث لا يودّ الطيار إلاّ تصديق نفسه وأحاسيسه من دون الآلات والمعدّات التي أمامه، وفي حالات معينة لا يصدّق حتى زميله الطيار أو معاونه الجالس بقربه، مهما بلغ إصرار الثاني عليه، حتى تقع مشكلة كبرى أو كارثة.

سابعاً. وعلى أية حال، فهناك حكمة في مجال حوادث الطيران تقول:- "أن الطيار الذي يسقط بطائرته، فإن سرّه يُدفَن معه، وخصوصاً إنْ لم يكن هناك شهود سلموا من الحادث"... وهذا ما حدث تماماً للمرحوم "خالد محمد نوري".

إن كل الذي تحدّثنا فيه يُعتَبَر مجرّد تكهّنات وتحليلات ونظريات، قد تكون مقبولة أو قريبة من مجريات الحادث، ولكنها لا يمكن أن ترقى إلى إحتمالات أخرى في السرّ الكامن وراء سقوط طائرة "عبد السلام عارف".

حديث "الفريق الطيار صفاء شمس الدين"*

ولمّا كان "المقدم الطيار عدنان أمين خاكي" طياراً مختصّاً بقيادة طائرات نقل ذات جناح ثابت، مُسجّلاً آلافاً عديدة من ساعات الطيران أثناء خدمته في القوة الجوية العراقية، وعلى الرغم مما تفضّل به مشكوراً من حديث شيّق عن موضوع بحثنا، فأنه لم يَقُدْ خلال عمره المديد في الطيران طائرة سمتية، ولذلك فلربما تنقص تحليلاته أمورٌ تتطلب خبرة وممارسة في قيادة الطائرات السمتية/الهليكوبترات.

ولذلك رأيتُ من الأنسب أن أفيد من خبرة صديق العمر "الفريق الطيار صفاء شمس الدين خالص" في تحليل أدقّ عن أسباب سقوط طائرة الرئيس "عبد السلام عارف"، فطرحتُ عليه أسئلة عديدة، أجاب عليها مشكوراً، وكما يأتي*:-

* صفاء شمس الدين خالص، فريق طيار:- تخرّج في كلية الطيران البريطانية عام (١٩٦٥)، وعُيّنَ ضابطاً في (السرب الرابع) المجهّز بطائرات سمتية طراز (ويسّكس) قبل أن ينتقل بعد خدمة طالت حوالي (٧) سنوات إلى قيادة طائرات سمتية من طراز (اللّويت-٣) الفرنسية و(بي أو -١٠٥) الألمانية و(بي كي-١١٧) اليابانية، وقد سجّل (١٠٠٠٠) ساعة طيران على السمتيات لوحدها، وكان شاغلاً لمنصب "قائد طيران الجيش" في القوات المسلحة العراقية عند إعداد مسودة هذا الكتاب...
وقد أجريتُ هذه المقابلة معه في دار سكناه بمدينة الضباط (زيونة)-حي المثنى-ببغداد-مساء يوم الخميس (١١ حزيران/يونيو ١٩٩٨)............... "المؤلّف".

* عرضتُ ما كتبتُه من أجوبة السيد الفريق الطيار صفاء شمس الدين على شخصه في مسكنه، حيث قرأها بإمعان قبل أن أدرجها على شكل "مبيّضة" وأدخلها ضمن هذا المبحث...."المؤلف".

س١: هل كنتَ فعلاً طياراً على الطائرة السمتية (ويسّكس) عام ١٩٦٦؟

ج: نعم، كنتُ كذلك وبرتبة "ملازم ثانٍ طيار"، وضمن "السرب الرابع" الذي كان مقرّه، مع جميع طائراته الإثنتى عشرة، في قاعدة الرشيد الجوية، منذ تجهيزه بهذا الطراز من الطائرات أواسط عام (١٩٦٥).

س٢: هل لديكم أن تذكروا أسماء بعض الطيارين في ذلك السرب، فلعلّي أحتاج زيارتهم؟

ج: كان النقيب الطيار "حسن شريف" المُلَقَّب بـ"كاكا حسن" آمراً للسرب، وكان النقيب الطيار "خالد محمد نوري" يليه في القدم العسكري مباشرة... أما الضباط الآخرون فكانوا "النقيب خالد فرج، النقيب خالد عبد كريم، الملازم أول هشام عطا عجاج، الملازم أول منذر سليمان عزت، الملازم أول عثمان نوري علي، والملازم مذكور فلَيِّح الربيعي"، وغيرهم.

س٣: كيف تمّ إعداد الطيارين لقيادة طائرات "ويسّكس" السمتية؟

ج: بعد توقيع عقد شراء (١٢) طائرة من هذا الطراز من "بريطانيا"، وبضمنها طائرتان محوّرتان لحمل الأشخاص المهمّين (V.I.P)، إذْ كانت مقاعدهما من النوع المُغلّف وعلى شكل (١٠) كراسي جلوس بدلاً من مصاطب تحتويها الطائرات العشر الأخرى، وقد تمّ إيفاد كل من النقباء الطيارين "حسن شريف، خالد فرج، خالد محمد نوري، وخالد علي كريم" إلى الشركة المجهزة (ويست لاند) البريطانية، وكانوا جميعاً من ذوي الخبرة في قيادة الطائرات السمتية (مي-٤) سوفييتية الصنع، حيث إشتركوا جميعاً بدورة تدريبية طالت حوالي (٣) أشهر، عادوا بعدها ليُدَرِّبوا الطيارين الآخرين في (السرب الرابع) على قيادة الطائرات نفسها، وبمساعدة وإشراف (طيار كندي) ذي خبرة واسعة وطويلة في هذا المجال.

س٤: هل لك أن تُقَوِّم كفاءة وأداء هذا الطراز من الطائرات السمتية في حينها؟

ج: كانت طائرات (ويسكس) السمتية من السمتيات ذات الكفاءة الممتازة على مستوى العالم، وقد جُهِّزت بها قوات جوية عديدة من تلك التي كانت دولها تتعامل تسليحياً مع (بريطانيا)، وقلّما كنا قد سمعنا في تلك السنوات بسقوط طائرة من هذا الطراز.

س٥: هل كان طيارو السميتات الذين يكلَّفون بمهمة نقل الرئيس (عبد السلام عارف) خلال زياراته إلى مدن العراق ثابتين؟

ج: كلا، لم يكونوا ثابتين، بل كان هناك (شبه جدول) في تكليف الطيارين بهذه المهمات... فعلى سبيل المثال، فقد تكلّفتُ مع زملاء آخرين بواجب نقل الرئيس "عبد السلام عارف" ومرافقيه إلى لواء/محافظة "الكوت" خلال زياراته التفقدية ولمدة (٣) أيام متتالية في أواخر شهر آذار ١٩٦٦-أي قبل حادث سقوط طائرته بحوالي أسبوعين- وقد صادف أن يكون قائد تشكيلنا في حينه "النقيب الطيار خالد محمد نوري" الذي كان قائماً بواجبات آمر السرب الرابع وكالةً نظراً لإيفاد آمر السرب الأصيل "النقيب الطيار حسن شريف" إلى الولايات المتحدة الأمريكية للإشتراك بدورة معلّمي الطيران هناك... إلاّ أن الطائرتَين المحوّرتَين لحمل الأشخاص المهمّين، واللّتَين ذكرتُهما في أول الحديث، كانتا ثابتَتَين عند الخروج مع رئيس الجمهورية أو كبار مسؤولي الدولة، ولكن طياريها كانوا يتغيّرون بين واجب وآخر عادة.

س٦: متى إنتقلت الطائرات الثلاث من "بغداد" إلى "البصرة" لمرافقة رئيس الجمهورية خلال تلك الزيارة؟

ج: قبل يوم واحد فقط من وصول رئيس الجمهورية إلى تلك المدينة، وذلك تهيّؤاً لتنفيذ مهمات النقل، وإطلاع الطيارين على منهج الزيارة.

س٧: بماذا تفسّر عدم وجود طيار ثانٍ/معاون طيار في الطائرات الثلاث، والذي أُعتُبرَ إحدى أهم السلبيّات التي أدّت إلى سقوط طائرة "عبد السلام عارف"، على الرغم من أن ملاك الطائرة السمتية، عادة، ينبغي أن يحتوي طيارَين إثنين (قائد الطائرة ومعاونه)؟

ج: كان ذلك خطأً كبيراً في رأيي، ولكنه كان شائعاً في حينه، نظراً للنقص الكبير في عدد الطيارين لدى القوة الجوية العراقية، وتحت ذريعة إفساح المجال لشخص إضافي يجلس في متن الطائرة، وخصوصاً عند نقل أشخاص مهمين... وفي تلك الزيارة لم يكن في الطائرات الثلاث سوى طيار واحد إضافي، بغية قيادة إحداها إذا ما تعرّض أيٌ من الطيارين القادة الى وعكة صحية قد تمنعه من الطيران.

والذي أتذكره جيداً أن "النقيب الطيار خالد محمد نوري" كان يعتمد، عند تكليفه بمهمات مشابهة، على أحد نائبَي الضابطَين الفنيَّين اللّذين كانا يرافقانه في عموم الواجبات واللذان أُستشهدا معه في هذا الحادث.

ومما يجدر ذكره أيضاً، أن الرئيس "عبد السلام عارف" كان يميل بشكل دائم، في مثل هذه الزيارات، إلى الجلوس في مقعد (معاون الطيار)، كي يشاهد جيداً مناظر المدن والمناطق الزراعية والأنهار والقطعات العسكرية المنتشرة في البقاع التي تحلّق الطائرة في أجوائها .

س٨: هل لاحظتَ خوفاً على شخص الرئيس "عبد السلام عارف" عند ركوب الطائرات السمتية؟

ج: كلاّ، وبشكل مطلق.

س٩: هل كانت المعلومات التي تحدّث بها زملاؤك الطيارون في "السرب الرابع"، في حينه، تشير لحدوث عاصفة أدّت إلى سقوط تلك الطائرة؟؟

ج: سأتحدث معك في هذا الشأن بإعتبارك ذا خبرة -ولو محدودة- في مجال الطيران.. وأود أن تكون إجاباتي على هذ التساؤل، وحول ذلك الحدث، على شكل نقاط:-

أولاً- لم تكن هناك عاصفة ترابية عمّت منطقتي "القرنة والبصرة" في مساء ذلك اليوم... ولكن ذلك لا يعني عدم وجود عواصف محلّية ومصحوبة بريح شديدة ضمن بقاع محدودة ووسط المنطقة التي تفصل تلكما المدينتين، وتقدّر بأكثر من (٧٠) كيلو متر.

ثانياً- هناك أيضاً ما يسمّى ضمن مصطلحات الأنواء الجوية بالمَطَبّات (BUMPY)، وهي متوفرة في جميع أنواع الأجواء، سواءً كانت حارة أو دافئة أو باردة، صحوة أو غائمة كلياً أم جزئياً، وفي الإرتفاعات العالية والمتوسّطة أو المنخفضة، والتي يمكن أن تُعَرِّض أية طائرة إلى معضلات.

ثالثاً- في المناطق التي تتفاوت فيها درجات الحرارة بين بقعة وأخرى، كما في مناطق الاهوار والمستنقعات التي تحتوي على مناطق تكسوها المياه وأخرى يابسة على شكل "جزُر"، كما الحال في المنطقة الجنوبية من العراق بشكل خاص... فإن البقعة اليابسة منها تكتسب الحرارة وتفقدها بسرعة -كما هو معروف علمياً- بينما تحتفظ المياه بدرجات الحرارة المُكتَسَبة ولا تفقدها إلاّ ببطؤ... لذلك يحدث تفاوت ملحوظ بين درجة حرارة أجواء البقاع اليابسة مقارنةً بالبقاع المائية، حيث يكون هناك فرق كبير في كثافة الهواء بينهما... ولمّا كان الضغط الجوي مرتبطاً بكثافة الهواء، إذْ يزداد كلّما كانت الكثافة عالية ودرجات الحرارة منخفضة نسبياً، وينقص بعكس ذلك، فإن الضغط الجوي يتخلخل لدى البقعتَين، أوانئذ يهجم الهواء ذو الكثافة والضغط العاليَين مُتجِّهاً بسرعة نحو البقعة ذات الكثافة والضغط الأوطَـأين، فتحدث ريح عالية السرعة تؤثّر تماماً على وضع تحليق أية طائرة، ويتضاعف تأثيرها إذا ما كانت الريح منخفضة الإرتفاع وقريبة من سطح الأرض أو المياه، فتُسَيِّر معها الرمال والأتربة، وقد تكون غير مرئية بالمرة في حالة كونها ضمن مناطق أو مُسطَّحات مائية، مثل مناطق أهوار جنوبي العراق، وكذلك حينما تكون الأرض صلبة وصخرية، كما الحال في المناطق الجبليّة، وخصوصاً إذا كانت مكسوّة بالغابات أو مجاميع من الأشجار الكثيفة، كالعديد من جبال شمالي العراق.

إن مثل هذه الحالة الجوية لقادرة على رفع أية طائرة إلى الأعالي -حتى إنْ كانت في غاية الضخامة وذات جناحين ثابتين -كطائرات النقل العسكري أو طائرات الركاب النفاثة ذات الحمولات العالية- إذا ما تورّطت، عن غير قصد، ودخلت في أوساطها، إذْ ((تَنكَبح)) كالحجارة الساقطة إذا ما فقدت توازنها، ولم

يقتدر قائدها السيطرة عليها، مُصطدمة بالأرض دون هوادة، إلاّ إذا شاء لطف القَدَر أن يُسعفها ويُخلّصها من ذلك الوَضع الصعب الذي يسمّى في علم الطيران بالإنهواء (STALLING)، أو لربما الوضع الأصعب بكثير والمسمّى بالحركة المغزلية (SPINNING).

فاذا كان حال الطائرات الضخمة ذات الأجنحة الثابتة كذلك، فكيف يكون حال الطائرة السمتية التي تُعتبر ضعيفة جداً عند تعرّضها لحالتَي " Down Current أو Down Druft" . كما هو إعتقادنا لحال طائرة الرئيس الراحل "عبد السلام عارف" .

وبهذه المناسبة أودّ أن أُورد لك مثالاً كنتُ في خضمّ مأساته... فقبل حوالي (١٠) سنوات، حين كنتُ آمراً لأحد الأسراب المجهزة بطائرات هليكوبتر حديثة للغاية وذات كفاءة عالية ومُدامة بشكل ممتاز، إذْ قررتُ منذ الصباح الباكر أن يكون طيراننا التدريبي في ذلك اليوم محدوداً ضمن المنطقة المحيطة بالمطار الذي كنّا مستقرين فيه طيلة سنوات عديدة مضت، مما يعني -ضمن أمور عديدة أخرى- أن الطيارين يعرفونها ومطّلعون على معالمها والأنواء الجوية السائدة فيها جيداً... وكان الطقس بارداً بعض الشيء، ومصحوباً ببعض كُتل من الضباب المتفرق هنا وهناك... وكنتُ -بحكم منصبي- أوّل الذين أقلعوا من مجموع (٨) هليكوبترات، وقد جلس في مقصورة كل منها طيار ومعاون طيار، وبصحبتهما برّاد وكهربائي... وبعد أن تأكدتُ لاسلكياً أن الجميع متهيئون، أوعزتُ بالإقلاع تباعاً، على أن تكون الفواصل بين طائرة وأُخرى مسافة لا تزيد على كيلو متر واحد، وأن لا يزيد إرتفاعها عن سطح الارض عن (٢٠٠٠ متر).

وبعد دورة واحدة قريبة نسبياً من مدرج مطارنا، هبطتُ بطائرتي قبل أن يهبط الآخرون من بعدي تباعاً، وذلك تهيؤاً لدورة تحليق ثانٍ... ولكن الطائرة الأخيرة/الثامنة لم تهبط.

لم ينشغل بالي كثيراً طيلة دقائق عديدة كنتُ أُنادي خلالها الطائرة الثامنة لاسلكياً دون جدوى... وعندما أصابني بعض القلق في أن قائد الطائرة المذكورة

قد فَقَدَ إتجاهه، أو لربما خالف أوامري وإبتعد عن المسار المخطط لطيرانه. عدتُ إلى الجو محلّقاً بطائرتي على المسار نفسه... وكم كان إستغرابي عندما شاهدتُ الطائرة المذكورة وقد أصبحت حطاماً متناثراً، وفَقدَ كل من كان فيها حياته، ومن دون أن يستطيع الطيار أو معاونه حتى مجرّد مناداتنا لاسلكياً وطلب الإستغاثة عندما تعرّضت طائرتهما لتلك الحالة الجوية التي سبق ذكرها، والمسماة (Down Druft) في لحظة معينة وبشكل مفاجئ، ومن دون أن تتعرّض لها الطائرات السبع الأخريات، وعلى الرغم من أن طيراننا جميعاً كان في المنطقة المحدودة نفسها.

س١٠: هل تعتقد الآن، وقد مضى على ذلك الحادث أكثر من (٣٢) سنة، إنْ كان هناك تخريب متعمّد للطائرة؟

ج: لم يُثبت التحقيق الذي أُجري على طائرة الرئيس الراحل "عبد السلام عارف" في حينه وجود أية متفجرات أو إحتمالات تخريب متعمّد أدى إلى سقوطها... وعندما تدارسنا أسباب السقوط للإفادة من سلبيات الحادث، لم نطّلع على مثل هذا الإحتمال... وأكبر ظني أنه لم يكن هناك تخريب متعمّد.

س١١: أراك -سيادة الفريق- ميّالاً إلى الإعتقاد بأن طائرة الرئيس"عبد السلام عارف"قد تعرّضت لإحدى حالتَي"Down Druft" أو"Down Current". هل لك أن تتعمّق في شرحهما؟

ج: قبل ذلك، دعني أشرح لك حالة جوية خطرة كثيراً على الطيران، وخصوصاً في المناطق الجنوبية من العراق، تلك التي تسمّى باللغة الدارجة ((دُويّرات.. سوّيرات.. فَتّالات))، وهي ريح متجمِّعة على شكل "عمود هوائي" قد يكون بقُطر واسع، يسير مُتَلاصِقاً بسطح الأرض عادة، وقد يبلغ إرتفاعه في بعض الحالات مئات الأمتار، ويدور حول محوره بسرعة عالية... ويستطيع الطيارون الذين يحلّقون في وضح النهار -عادة- تلافيها بالحَيَدان عنها دون التوغّل في وسطها... ولكن الطيار الذي يحلّق ليلاً، فإنه غير قادر -بشكل مطلق- على مشاهدتها كي يتجنّبَها ويتخلّص من شرّها... وأن تلك ((الفتّالة))

حين تكون بحجم الطائرة أو أكبر منها، فإنها تدور بها بشكل يُفْقِد الطيار سيطرته على توازن طائرته.

أما "Down Druft" أو "Down Current"، فهما شبيهتان بـ((الفتّالات))، ولكنهما لا تسيران على مقربة من سطح الأرض، لأن تفاوت درجات الحرارة والضغط الجوي بين الإرتفاعات العالية والإرتفاعات المنخفضة يتسبّب في أن يكون إتجاه الريح من الأعلى الى الأسفل، ثم لا تلبث أن تدور فجأة من الأسفل إلى الأعلى بعد أن تقطع مئات، أو لربما آلاف الأمتار، مكوّنة ((دُوَّيرَة)) على شكل بيضوي أو دائري... وقد تكون واضحة للعيان إذا كانت مُمتلئة بالأتربة، ولكنها قد تكون غير مرئيةً بالمرة -حتى في وضح النهار- إذا تكوّنتَ فوق أجواء مناطق مائية، كما الحال في مناطق الأهوار والأراضي الصلبة والغابات التي أسلفنا ذكرها ... وفي ذلك يكمن الخطر الأعظم.

س١٢: كثر الحديث، في حينه، عن تقصير مطارَي "البصرة الدولي والشُعَيبة العسكري" في عدم توجيه طائرة الرئيس "عبد السلام عارف" نحو الإتجاه الصحيح وتحديد موقعها في الجو عندما دخلت وسط العاصفة المزعومة فهل لك أن تنيرنا في هذا الصدد.

ج: صحيح ذلك، فإن أجهزة تحديد إتجاه الطائرات لم تكن متوفّرة في المطارَين المذكورين عام (١٩٦٦)... ولكني أُضيف، أنه حتى في حالة توفّر تلك الأجهزة -كما هو الحال الآن- فإن تحديد موقع الطائرة وإتجاهها يتطلب نقطتَين مهمّتين، أولاهما، أن تكون الطائرة ضمن ((مدى الرادار)) المنصوب في المطار، وثانيتهما أن يكون هناك ((تبادل رؤية)) بين الرادار والطائرة، وإلاّ فإن تحديد موقع الطائرة ومسارها يكون ضَرباً من المستحيل.

وإذا ما أخذنا بنظر الإعتبار، أن الطائرات السمتية تحلّق عادة على إرتفاعات منخفضة نسبياً، فإن ذلك يكون صعباً عادة، وخصوصاً إذا كانت المسافة الفاصلة بين الرادار والطائرة بعيدة حيث تؤثر ((كروية الأرض)) على تبادل الرؤية بينهما.

س١٣: وما تفسيرك وقناعتك الأخيرة لحادث سقوط تلك الطائرة؟

ج: أكبر ظني أن الحادث كان ((قضاءً وقدراً)).. ولكن كانت هناك نقاط محددة تُعتبر ((تقصيراً غير متعمد)) من لدن أكثر من شخص واحد وجهة مسؤولة واحدة، والتي يمكن إجمالها بالآتي:-

أولاً- تأخّر رئيس الجمهورية مع حاشيته في مدينة "القُرنة" لما بعد الضياء الأخير ليوم الزيارة، حيث كان الطيارون مبلَّغين، إستناداً إلى منهج الزيارة، بأنهم سيعودون إلى "البصرة" عصراً، وليس ليلاً.

ثانياً- عدم تهيئة الطيارين لأنفسهم وطائراتهم للطيران الليلي في ذلك المساء، وخصوصاً عندما لاحظوا أن الشمس بدأت تميل نحو الغروب، في حين لا يزال "رئيس الجمهورية" منشغلاً مع الجماهير في ساحة ألعاب "القُرنة".

ثالثاً- عدم وضع الطيارين، وخصوصاً قائد التشكيل ((خطة الطيران الليلي)) لغرض العودة الى "البصرة"، ولربما إعتمد قائدا الطائرتَين الأُخرَيَين على "النقيب خالد محمد نوري" بإعتبارهما سيطيران خلفه، إضافة لإعتمادهم جميعاً على مجرّد التحليق الأفقي بإتجاه مغناطيسي محدّد للوصول إلى "البصرة".

رابعاً- عدم مصارحة الطيارين لرئيس الجمهورية، أو المرافق الأقدم مثلاً، على أنهم مع طائراتهم غير مهيّئين للطيران الليلي، وأن من الأفضل أن يعود الموكب إلى "البصرة" بالسيارات.

خامساً- الإرتباك الذي أصاب "النقيب خالد" عند دخول طائرته في إحدى الحالات الجوية المذكورة، حيث أصبح في وضع فُقدان التوازن (UNUSUAL POSITION)، فلم يَعُدْ قادراً على التصرف بطائرته، وبدأ يصيح ويستنجد.

سادساً- أن الطائرة تلك لربما قد تعرّضت فعلاً لإحدى الحالات الجوية التي ذكرتُها سابقاً... ولمّا كان الظلام دامساً، فإن قائد الطائرة لم يستطع تداركها، وبما أن إرتفاعها كان منخفضاً نسبياً، لذلك فقد إرتطمت بالأرض من

جراء تخبّط الطيار والدوران بطائرته يميناً ويساراً -دون تدقيق إرتفاعه- مدة قد تزيد على (٣) دقائق، والتي تُعتَبَر كافية لأن تهوي الطائرة من إرتفاع بضع مئات من الأمتار إلى مستوى سطح الأرض.

س١٣: هناك سؤال يطرح نفسه في هذا الصدد، هل كان طيارو سربكم مهيأين فعلاً للطيران الليلي؟ وهل كانت الآلات المجهزة بها طائرات (ويسّكس) قادرة على تنفيذ هذا النوع الصعب من الطيران في حينه؟

ج: الحقيقة، إننا كنا مدرَّبين على الطيران الليلي، وكنا نمارسه (تدريبياً) بين فترة وأخرى... إلاّ أن خبرتنا وممارستنا العملية له كانتا محدودتين للغاية، وذلك لعدم تكليفنا عادة بالطيران ليلاً... أما الآلات فكانت متوفرة في تلك الطائرة على الرغم من كونها ذات مستوى وكفاءة متواضعتين، فالطائرات السمتية عموماً وحتى أواسط عقد الستينات لم تكن مهيّأة تماماً لهذا الواجب، حيث لم يتم تطوير الطائرات السمتية للمهمات الليلية شيئاً فشيئاً إلاّ من خلال تجارب وممارسات حرب "فييتنام" التي لم تكن قد مضت على بدئها سوى سنة واحدة في ذلك الحين*.. إذْ كان الرأي السائد في عالم الطيران، أن طائرة الهليكوبتر تُعتبر ((عمياء)) ليلاً، ويندر زجّها بمهمات طيران ليلي.

آراء البعض بعد نكسة حزيران (١٩٦٧)**

بعد أن أصابت حرب حزيران (١٩٦٧) العرب بنكسة نفسية كبيرة، ناهيك عن نَكبَتَيهم العسكرية والسياسية، فقد شاء البعض من المؤمنين بنظرية المؤامرة أن يربطوا نتائج وإرهاصات الحرب بمصرع الرئيس الراحل "عبد السلام عارف"،

---

* بدأ التدخل الأمريكي الحقيقي في "فيتنام" خلال الأيام الاولى من شهر نيسان (١٩٦٥)، كما هو معروف............................"المؤلف".

** جمع "المؤلف" هذه الآراء بعد أن وضعت حرب حزيران (١٩٦٧) أوزارها، من مجمل طروحات نُشرَتْ على صفحات عدد من المجلات والصحف العربية، وذلك عندما كان ضابطاً ضمن اللواء المدرع السادس من الجيش العراقي الذي تحّرك للمشاركة في تلك الحرب.. ويأسف لعدم درجه لمصادرها في حينه................"المؤلف".

مؤكّدين قناعتهم التامة بأن الأحداث الكبرى التي تسبق صراعات دولية أو إقليمية مهمة لا يمكن إعتبارها محض صدفة ومجرّد قضاء وقدر، بل أن الإعداد لها يجرى بإتقان قبل ذلك، بغية أن لا يُعرقَل سير تلك الصراعات المخطط لها مسبقاً.

وتَعمَّقَ أولئك بهذا الأمر حتى ربطوا مصرع "الملك غازي الأول" قبل أشهر من إندلاع الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) بالعلاقات العراقية-البريطانية في حينه، تأسيساً على أن "الملك غازي" كان سائراً في سياسته وفقاً لأسلوب مضاد لـ"بريطانيا العظمى"... ولما كان بقاؤه على سدّة الحكم يُعدّ بمثابة خطر قد يؤثر على حرية تصرف البريطانيين في العراق عندما تقع الحرب، فإن التخلّص منه بات وجوباً في حينه، وذلك للحليولة دون أن يكون هناك عائق حيال سياسة الحلفاء في بلد نفطيّ يقع في قلب "الشرق الأدنى"!!

ولمّا كان حادثة طائرة "عبد السلام عارف" تتشابه إلى حد بعيد مع حادثة سيارة "الملك غازي"، فإن "إسرائيل" -حسب رأيهم- ومعها بعض الدول العظمى، قد خطّطت لحرب حزيران (١٩٦٧)، لذلك فإن "عبد السلام" إنْ بقي ضمن المنطقة فانه من المؤكد أن يكون سَنَداً لـ"مصر" وباقي دول المواجهة، ما يشكّل خطراً محدقاً لمجريات الأحداث، بل ومُعَرقِلاً للمخطط المرسوم... لذلك فإن إزالته غَدا ضرورة مُلحّة قبل حلول عام (١٩٦٧)!!!.

وزَعَمَ آخرون، أن القوى التي كانت وراء حادث سقوط طائرة "عبد السلام عارف" هي التي مهّدت لحرب الخامس من حزيران ١٩٦٧، وهي التي شاءت أن تُخلي الساحة العربية والإقليمية من أية قوة قد تعرقل تنفيذ ذلك المخطط العدواني على الأمة العربية، ظنّاً منها بأن "عبد السلام" كان صادق الولاء في علاقته بالرئيس "جمال عبد الناصر".. وأنه، على الرغم من تكدّر علاقته بالرئيس المصري وإبتعاده عنه في أيامه الاخيرة، فإن موقفه -في حالة إندلاع حرب إتفقت عليها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإسرائيل- سيكون مُطابِقاً مع "مصر".. وعليه فإن الذين رغبوا في (إزاحة) "عبد السلام عارف" وتغييبه عن المسرح السياسي العربي هم (الأمريكان والإنكليز واليهود) معاً.

آراء متأخرة عن الحادث

وبعد أن إنقضى أكثر من (٣٠) سنة على ذلك الحد -عند كتابة هذه السطور- فما زالت السيدة "وفاء عبد السلام محمد عارف" تُصرّ على أن مصرع والدها لم يكن قضاءً وقدراً، ولم تكن وراءه عاصفة ترابية، بل أن زعامته في المشرق العربي وبروزه رجلاً قوياً منافساً للعديد من الزعماء العرب في حينه، هما اللذان دفعا بأجهزة مخابرات دول معينة إلى تصفيته والتخلّص منه، وأنه سيأتي ذلك اليوم الذي ستكشف فيه عن السرّ الحقيقي وراء الحادث.

وقد أكّدت السيدة "وفاء":- ((أنه كان مؤامرة لقتله، إشتركت فيها جهات عديدة، ومنها الصهاينة والمخابرات الأمريكية ومؤسسات غربية، وذلك لكون والدي -رحمه الله- وطنياً وقومياً، حارب الإستعمار والرجعية في المنطقة عموماً، وليس في العراق فحسب، وأن لديّ من الحقائق والدلائل التي ربما سأكشفها مستقبلاً))*.

هذا وعلى الرغم من عرض نتائج التحقيق القضائي والعسكري، وتحليلات طيارين خبراء في مجال الطيران لتداعيات حادث سقوط تلك الطائرة، فإن العديد من أصدقائي ومعارفي لازالوا على رأيهم السابق، بأن مصرع الرئيس "عبد السلام عارف" لم يكن مجرد (قضاء وقدر)، وإنما كانت وراءه عملية إغتيال سياسي، وعلى الرغم من عدم إعلان أية جهة ضلوعها فيها. إذْ يصرّون على القول عموماً:-

((هل كان من المنطقي أن يترك الإستعمار والصهاينة، وحتى الكتلة الشيّوعية في حينها، زعيماً في منطقة الشرق الأوسط الحساسة والمحيطة بالكيان الصهيوني، وهو يدعو إلى وحدة الأمة العربية وتكاتف الأمة

* وفاء عبد السلام محمد عارف: الإبنة الكبرى للرئيس "عبد السلام محمد عارف"، مقابلة شخصية معها في دار سكناها بمدينة الضباط-حي اليرموك-بغداد،- مساء يوم الثلاثاء ١ نيسان/إبريل١٩٩٧، وبحضور زوجها وابن عمّها "العقيد الطيار المتقاعد صلاح عبد السميع محمد عارف" ...."المؤلف".

الإسلامية، وبعد أن تسبّب شخصياً في إنجاح ثورة أزالت نظام حكم ملكي كان يلهث -حسب رأي البعض مهم- وراء بريطانيا العظمى، وكان العضو الأهم في (حلف بغداد) والمناوئ الأكبر للجمهورية العربية المتحدة بزعامة الرئيس المصري "جمال عبد الناصر"؟؟!!)).

وعلى أية حال، فهذا رأيهم، وتلك هي آراء وتحليلات وطروحات الآخرين... وأن حقائق التأريخ لوحدها، هي التي ستكون كفيلة لكشف أسرار ومستجدّات أخرى عن حادث سقوط الطائرة الذي أودى بحياة رئيس الجمهورية العراقية "المشير الركن عبد السلام محمد عارف" خلال المستقبل القريب أو البعيد.

الملاحق

الملاحق المرفقة بهذا الكتاب

الملحق (أ)	صفحات متفرقة من حديث السيد "صبحي عبد الحميد" عن الأحداث.
الملحق (ب)	حركة "عارف عبد الرزاق" (١٩٦٥) بقلم السيد "صبحي عبد الحميد".
الملحق (ج)	تفاصيل إجتماعات الرئيس "عبد السلام عارف" مع المستر "خروشوف"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد".
الملحق (د)	تقرير الأمين العام لمجلس الرئاسة المشترك عن إتفاق (٢٦ آيار/مايو ١٩٦٤)-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-١)	مشروع اللائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد".
الملحق (د-٢)	المرفق(ب)لمشروع اللائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك-من آرشيف السيد"صبحي عبد الحميد".
الملحق (د-٣)	مشروع ميزانية مجلس الرئاسة المشترك لسنة (١٩٦٤-١٩٦٥)-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-٤)	مذكرة الأمانة العامة لمجلس الرئاسة المشترك بشأن مشروع الميزانية-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-٥)	تقرير العضو المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك السيد"عبد الستار علي الحسين"،حول "اللجنة السياسية"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد".
الملحق (د-٦)	تقريرالعضو المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك-السيد ناجي طالب-حول"القيادة العسكرية"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-٧)	تقرير العضو المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك-"السيد أديب الجادر-حول "اللجنة الأقتصادية"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-٨)	تقرير العضو المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك-السيد كمال الدين الحناوي-حول "لجنة الثقافة والأعلام"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-٩)	تقرير العضو المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك-السيد شعرواي جمعة-حول "لجنة الفكر الإشتراكي"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق (د-١٠)	تقرير العضو المتفرغ في مجلس الرئاسة المشترك-السيد "علي سيد علي"-حول "لجنة التنظيم الشعبي"-من آرشيف السيد "صبحي عبد الحميد"-.
الملحق(هـ)	صفحات متفرقة من حديث السيد "ناجي طالب" عن أحداث العراق.
الملحق (و)	ملحوظات السيد "ناجي طالب" حول التعديل الوزاري على وزارة "طاهر يحيى" الثالثة (١٩٦٥).
الملحق (ز)	صفحات متفرقة من حديث السيد "هادي خماس" عن أحداث العراق.
الملحق (ح)	صفحات متفرقة من حديث اللواء الطيار الركن "ممتاز السعدون"عن أحداث العراق.
الملحق (ط)	صفحات متفرقة من حديث "عدنان أمين خاكي" الطيار الخاص، عن أحداث العراق.
الملحق (ي)	صفحات متفرقة من حديث السيد"إحسان عارف" -المرافق العسكري- عن أحداث العراق.
الملحق (ك)	صفحات متفرقة من حديث السيدة "وفاء عبد السلام عارف" عن أحداث العراق.

الملحق (آ) المرفق

كتاب "عبد السلام عارف ... كما رأيته"

مقابلة مع السيد صبحي عبد الحميد

وزير الخارجية ومعدها الداخلية الأسبق - عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة.

عضو القيادة السياسية المشتركة للعراق وج.ع.م ١٩٦٤-١٩٦٥)

موعد المقابلة: الساعة ١٩٠٠-٢٢٠٠ يوم الأربعاء ٢٩ أيار ١٩٩٧
في دار سكناه بحي اليرموك (مدينة الضباط)، وبحضور السيد الفريق
الركن المتقاعد طارق محمود شكري، المفتش العام السابق للقوات المسلحة.

س: كنتم وزيراً للخارجية خلال عام ١٩٦٤ عندما تخرجتُ (أنا) في الكلية العسكرية وانتسبتُ الى الحرس الجمهوري، وقد فوجئنا بتنصيبكم نظراً لكونكم (عسكرياً محترفاً) وبرتبة (مقدم ركن)، حيث كانت العادة أن يتسنم (دبلوماسي محترف) مثل هذا المنصب.

فكيف أسندت إليك هذه الحقيبة الوزارية؟

الجواب

كنتُ مديراً للحركات العسكرية عام ١٩٦٣، وخلال أحداث تشرين الثاني ١٩٦٣ المعروفة، عندما حدثت إنشقاقات بين أقطاب نظام الحكم في حينه، حيث أراد البعض (إستثمار) منصبي، لأنني أستطيع تحريك أية قطعة عسكرية في القوات المسلحة حسب الصلاحيات الرسمية المخولة لي.

كما أنهم كانوا يعتقدون أنني عنصر بارز في كتلة عسكرية مهمة تستطيع أن تعاونهم للتغلب على الجناح الآخر في الحزب.

وبعد أحداث يومي ١١ و ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ (١)

تابع - الملحق (٦)

س: هل لكم أن تذكروا بعض المفارقات التي طبعت نظرتك في بعض تصرفات (عبد السلام عارف)؟

الجواب

نعم، هناك بعض مفارقات لا أنساها في شخصه، وقد يكون أهمها:

١. المفارقة التي تحدثت بها للمرحوم (أحمد فوزي) عن موقف (عبد السلام عارف) عند تسلمه لأوراق إعتماد السفير الإيراني/ (مهدي بيراسته) فلان شهر حزيران ١٩٦٤، والتي ذكرها (أحمد فوزي) في كتابه الموسوم (عبد السلام محمد عارف). وكان عبد السلام على حق في موقفه لتدخل السفير الإيراني في شؤون العراق الداخلية.

٢. وفي إحدى زياراتنا للقاهرة، إرتأى (عبد السلام عارف) أن يحضر حفلة غنائية لكوكب الشرق (أم كلثوم) أقامتها في (نادي الجزيرة)، حيث طلب من سكرتيره (عبد الله مجيد) أن يتصل بها نزراً لتكون أولاً أغانيها (آه يا سلام) وتتبعها بأغنية (أنت عمري).

وعند الإستراحة بين الأغنيتين، وبينما كنا جالسين في غرفة بالنادي حضر مدير النادي، وقال لعبد السلام: «هل ترغب يا سيادة الرئيس أن تسلّم على السيدة أم كلثوم؟»، فَهَمَّ (عبد السلام) للوقوف، ولكني أمسكت بيد (عبد السلام)، وبادرت فوراً قائلاً لرئيس النادي: «قل للسيدة أم كلثوم إذا ما كانت ترغب بالسلام على السيد الرئيس فلتتفضل».

وبعد إنتهاء الحفلة، أركبني (عبد السلام) في سيارته الخاصة،

تابع - الملحق (٦)

س: علمت في حينه، أنكم ترفعتم الى رتبة (عقيد ركن) في تموز ١٩٦٥

فهل ذلك صحيح؟ وهل إحتفظتم برتبتكم العسكرية على الرغم من

تسنمكم منصبي وزير الخارجية ووزير الداخلية في حينه؟

الجواب: عند تسلمي منصب وزير الخارجية استثناني المرحوم
عبد السلام من الإحالة على التقاعد بمرسوم جمهوري
لذلك ترفعت الى رتبة عقيد في ١٤ تموز ١٩٦٤ أسوة
بزملائي الذين هم برتبتي في الجيش وعندما استقلت من
الوزارة استقلت من الجيش ايضاً

س: ما تقويم سيادتكم لشخص (الفريق طاهر يحيى) كرئيس للوزراء؟

الجواب: كان حاسماً وشجاعاً ونظيفاً يتخذ القرارات الصعبة وينفذها
لين العريكة، صلاته الاجتماعية والسياسية مع مجموع فئات
الشعب العراقي وقومياته جيدة. وكان محبوباً من الجميع.
وكان قوي التفكير وهادئ الإتجاه وان انتمى سنة
١٩٦٢ بعد ثورة ١٤ رمضان الى حزب البعث ليصبح عضواً
في مجلس قيادة الثورة.

س: وما تقويمكم لشخص (الدكتور عبد الرحمن البزاز) قبل وبعد تسنمه

منصب رئيس الوزراء؟ وهل كان فعلاً ميالاً لأفكار الغرب؟

كان رجل دولة بكل معنى الكلمة، مثقف ثقافة عالية
متزناً، قوياً، يفرض شخصيته على الجميع وكان له اجتهاد
في مراجعة بعض القوانين الاشتراكية لذلك ظهر في عهده ما سمي
الاشتراكية الرشيدة، مؤمن بالديمقراطية والتعددية الحزبية
ولكنه كان معتداً بنفسه اكثر من اللازم، لا ارتباط له بالغرب،
قوي التفكير وهادئ الاتجاه

(٤)

س١ ذكرتم أيضاً أن كتلاً أخرى من ضباط القوات المسلحة قد نظمها كل من (عبد الرحمن عارف، سعيد صليبي، بشير الطالب) إضافة إلى كتلة (عبد الهادي الراوي)، فهل لكم أن تذكروا (أهم أعضاء) كل كتلة على حدة، كي يكون تصوري ببعض الكمال عما كان يجري في العراق منتصف الستينيات؟

الجواب

١. كان عبد الرحمن عارف يعتمد على كتلة عبد الرزاق النايف - إبراهيم الداود التي أمر بتشكيلها وبعد ذلك أعطيت ولاؤها للعقيد الركن المتقاعد عبد الغني الراوي وعندما أصبح رئيساً للجمهورية أخذ ينتقل ولاؤها من شخص إلى آخر تارة مع رجب عبد المجيد وأخرى مع عبد العزيز العقيلي ثم استقرت مع حزب البعث.

٢. كتلة بشير الطالب وهي تعتمد على ضباط الموصل حيث اجتمعوا في عهد عبد الكريم قاسم واتفقوا على أن ينتقموا من عبد الكريم والشيوعيين الذين أباحوا مدينة الموصل بعد حركة الشواف وكان ولاؤها لعبد العزيز وأراد عبد السلام إعادة تكوينها عام ١٩٦٤ العقيلي الأب الروحي لها.

٣. كتلة سعيد صليبي وتضم بعض البعثيين الذين انشقوا عن الحزب في حركة ١٨ تشرين.

س١: قمتم مع كل من السادة (عبد الكريم فرحان، أديب الجادر، عبد الستار علي الحسين، عزيز الحافظ، فؤاد الركابي) باستقالة جماعية، وصدور مرسوم جمهوري يوم ١١ تموز ٦٥ بقبول (تخليكم) من مناصبكم، ويبدو أنه كانت هناك مشكلة كبيرة.. ماذا كانت؟

ج١: تجد الجواب في الصفحات التالية.

س٢: هل كنت على علم مسبق شخصياً بالحركة الانقلابية التي أراد (عارف عبد الرزاق) القيام بها في يوم الأربعاء ١٥ أيلول ٦٥؟ ومتى استدعيت إلى مبنى رئاسة مجلس الوزراء؟

ج٢: نعم كنت على علم مسبق بها ولم استدعى او اذهب الى مجلس الوزراء وكنت انتظر مع ضباط اللواء العشرين في دار سعد ثمان الجيب جبري (ساحة الصخر) وتفرقنا بعد ان علمنا بالغاء الحركة

س٣: ما هي في تصوركم أهم الأسباب التي أدت إلى فشل أو عدم تنفيذ الحركة الانقلابية؟ خصوصاً وأن كل شيء كان جاهزاً للنجاح؟

ج٣: تجدها في الصفحات التالية.

س٤: ما قصة (المئات) من الضباط الشباب الذين تم حشدهم في (قبو) مبنى مجلس الوزراء؟ وماذا كان واجبهم؟ وهل صحيح أنهم عزموا على قتل (سعيد صليبي) أولاً.. وعندما رفض (عارف عبد الرزاق) ذلك، فإنهم اندفعوا لقتل (عارف عبد الرزاق) شخصياً أيضاً؟

ج٤: لم يتجاوز عدد الضباط (٥٠) ضابطاً ولم يفكروا بقتل سعيد او عارف، وكان واجبهم حماية مجلس الوزراء والتهيؤ للقيام بأي عمل يطلب منهم.

س٥: كيف تجمع (المتآمرون) في قاعدة الرشيد الجوية؟ ومن كان الرأس؟ ومن هم الذين سافروا مع (عارف عبد الرزاق) فعلاً؟ وهل كان هناك داعٍ لتركهم العراق بتلك الصورة؟

ج٥: تجد الجواب في الصفحات التالية

(٥)

س٦: هل في تصوركم أن (القاهرة) كانت على علم مسبق بالمؤامرة،

ولبوصول (الجماعة) إليها؟

ج٦. لم تكن القاهرة على علم مسبق وفوجئت بالحركة واستغربت
وامتعضت من قيامها لأنها استبشرت خيراً بوزيره عارف،

س٧: أين تم إسكان (عارف عبد الرزاق) وزملائه في (مصر) حسب

معلوماتكم؟

ج٧. أسكنوا أولاً في فندق ثم بالأوبرا لاجئين سكنوا في شقق
دفعوا إيجارها من [illegible]

س٨: هل تتصورون أن قبول (مصر) للجوء (عارف عبد الرزاق) وجماعته

سياسياً (مصر) دليل على معرفة (مصر) بالحركة الانقلابية؟

ج٨ لا لم يكن قبول لجوئهم دليلاً على معرفة القاهرة بحركتهم كان قبول
لجوئهم حق دولي تقدمه [illegible] ولا تكن القاهرة ترفض لجوء جماعة قومية
لأنها بذلك تخسر التاريخ القومي لها [illegible]

س٩: تأخر (عبد السلام عارف) في القاهرة في طريق عودته من (الرباط)

والمغرب في (مصر) حوالي (٥) ساعات في (القاهرة) نفسها، وقيل

أن (عبد الحكيم عامر) حاول القيام بالمصالحة بين (عبد السلام)

و(عارف عبد الرزاق) ... هل صحيح ذلك حسب معلوماتكم؟

ج٩ سبب تأخر عبد السلام في القاهرة كان تدبير طائرة مصرية لنقله
إلى بغداد تركب فيها معه (حسين عبد الناصر) شقيق الرئيس عبد الناصر،

س١٠: هل بإمكانكم تزويدي بصور مهمة مع أشخاص مهمين في

أطباع وأعيدها إليكم فوراً معدودات؟

وسبب تغيير الطائرة لعلم القاهرة بأن في الجو طائرة عراقية
من نوع باجر هرب فيها عدد من الطيارين العراقيين من الحبانية إلى
القاهرة وخشوا من تعرض طائرة الرئيس عارف لنيرانها لأنهم
لم يكونوا على علم بهبوط الباجر وسبب قدومها،

(٦)

صبحي عبد حميد

أجوبة أسئلة العميد الركن الدكتور صبحي ناظم

ج ١ كانت الاستقالات نتيجة طبيعية للخلاف بين كتلة الضباط القوميين والرئيس عبد السلام عارف الذي بدأ في الشهر الثالث سنة ٩٦٤ عندما طالبت الكتلة بتشكيل مجلس قيادة الثورة ليكون الحكم جماعياً وذلك للقضاء على نزعة الفردية التي بدأت تزداد يوماً بعد يوم وبعد ضغط وإلحاح على تشكيل المجلس كما جاء في البيان الأول لحركة ١٨ تشرين الثاني وضع في قانونه المادة ١٣ التي تمنح صلاحيات المجلس لمدة سنة قابلة للتجديد فبدأ ضغط جديد عليه حتى ألغى هذه المادة في يوم ١٤ تموز ٩٦٤. الا ان هذا المجلس لم يحد من ممارسة الحكم الفردي. واستمر الخلاف والحصر أثناء ابرز نقاط

١. حيث حصل الحكم الفردي بينما كنا نؤمن بالحكم الجماعي ريثما يتم إعادة الحكم الديمقراطي بأحزابه ومؤسساته الديمقراطية.

٢. كنا نريد ابعاد الجيش عن السياسة بكل الكتل التي سمح لها بالعمل معتمداً على بعضها وكنا على استعداد لحل كتلتنا. وكانت الكتل الأخرى تشمل كتلة سعيد صليبي وكتلة بشير الطالب وكتلة عبد الرحمن عارف وكتلة عبد الهادي الراوي الا انه كان يشجع ويعتمد على كتل سعيد وبشير وعبد الرحمن خوفاً من كتلتنا التي كان يعتمد عليها كلياً في البداية وطلب في شخصياً في كانون الثاني سنة ١٩٦٤ إعادة تنظيمها.

٣. كنا نؤمن بضرورة تطوير الاتحاد الاشتراكي والاعتماد عليه وهو الذي أمر بتنظيمه بنصيحة من الرئيس عبد الناصر ولكنه غير رأيه لما وجد التنظيم له رأيه المستقل وليس اداة تطبيل وتصفيق له وللضغط من اجل الوحدة مع مصر.

٤. كان يتبع سياسة فرق تسد سواء بين الكتل والوزراء والضباط مما خلق بلبلة وعداوات لا تخدم مصلحة الوطن.

٥. تفشي الروح الطائفية حيث كان في مجالسه الخاصة يتحدث بروح طائفية على الرغم من انه لم يمارسها عملياً في ادارة شؤون الدولة ولكن كانت احاديثه تنتقل الى الشارع بشكل مبالغ فيه فيعطي انطباعاً عن طائفية الحكم.

٦. كان يبدو ظاهرياً متحمساً للوحدة مع مصر ولكنه كان يعمل في الخفاء وفي احاديثه الخاصة ضد ذلك. حتى ان قيادة مصر لمست انه يتكلم عن الوحدة ولكنه لا يريدها. لذلك كانت تتحجج برفضها مشاكل العراق الداخلية والحاجز الجغرافي الواسع بين مصر والعراق وتلمح بعدم رغبة الرئيس عبد السلام لاتمام الوحدة. وعلى الرغم من كل ذلك لنا ان نؤمن بان الرئيس عبد السلام لو كان جاداً ولم يبهر بطلاوة كرسي الرئاسة لتخطت مصر كل هذه العوائق وحققت الوحدة.

٧. التدخل بصلاحية الوزارات ومحاولة تسخير اجهزة الاذاعة والتلفزيون في تمجيده.

هذه الاسباب وغيرها جعلت بعضنا يفكر بتغيره وتحقيق حكم واعي يؤدي الى الوحدة وتعيش حياة ديمقراطية صحيحة في العراق في دولة الوحدة.

كانت القيادة المصرية قلقة من تطور الخلاف بين الرئيس عبد السلام وبين مجموعة مهمة ورئيسية في السلطة تؤمن بوحدة الامة العربية، وكانت القيادة المصرية تريد استقرار الوضع في العراق ووحدة قيادته ليكون حليفاً قوياً لها في الاطار العربي والاقليمي والدولي، حيث كانت تشعر بأهمية العراق وقوته الفكرية والسياسية والاقتصادية وتأثير اتفاق وجهات النظر بين مصر والعراق وتمتين اواصر

الصداقة والتضامن بينهما واشتراكهما في وحدة الهدف،
كل هذا سيؤدي الى التأثير على سياسة باقي الدول العربية
بحيث لا تنساق كثيراً الى التأثر بسياسة دول الغرب
الاستعمارية. وكان يهمها وحدة القيادة العراقية
بزعامة الرئيس عبد السلام عارف التي كانت تعتقد بأن
وجوده على الرغم من تراجعه عن تحقيق الوحدة معها مهم
وضروري ليبقى العراق القوي بجانبها. وكانت تخشى ان
تسوء العلاقات بينها وبين العراق كما سادت في العهد
الملكي وعهد عبد الكريم قاسم وهذا يضعفها ويضعف العراق.
وكانت ترى ان تفادي تكتلنا مع عبد السلام ضرورة حتمية لتقوية
مركز الرئيس وبالتالي تقوية مركز العراق، ولذلك كانت تعمل
جاهدة للتوسط لحل كل خلاف ينشأ بيننا وبين الرئيس.
وكان اهم هذه الوساطات ما قام به الرئيس عبد الناصر في اجتماع
القيادة السياسية في القاهرة في شهر مايس ١٩٦٥ بجمع الرئيس
عبد السلام وصبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان بحضور السيد ناجي
طالب والسيد محسن حسين الحبيب عن العراق، والمشير عامر
وزكريا محي الدين وعلي صبري عن مصر في داره لتصفية الجو
وازالة اسباب الخلاف وتم الاتفاق على برنامج عمل سري
ونزع الاعتبارات ولم تعلنه وسائل الاعلام (راجع ص ٢٢٧ من
كتاب امين هويدي كنت سفيراً في العراق للاطلاع عليه).
وعدنا الى العراق واجتمعنا في القصر الجمهوري عدة مرات
لتطبيق نص الاتفاق فتنصل عنه الرئيس عبد السلام ورفض
تنفيذ بنوده مما حدى بعبد الكريم فرحان الى تقديم استقالته
في يوم ٢٣ حزيران ١٩٦٥، ولقد تعاونت مع رئيس الوزراء
المرحوم طاهر يحيى بأقناعه بتجميد استقالته، وفي اليوم نفسه
وجه كتابه المشهور الى رئيس الوزراء عن مهمة الاذاعة

(٩)

(عبد الكريم فرحان)

والتلفزيون ودورها الاعلامي وتدخل المسؤولين في شؤونها (راجع ص ٢٤٩ من كتاب امين هويدي كنت سفيراً في العراق للاطلاع عليه) .

ولقد اثار الكتاب غضب رئيس الجمهورية واعتبره مماشرحه به تكلم رئيس الوزراء مساء يوم ٢٨ حزيران وكان عبد الكريم فرحان صدفة جالساً جنب رئيس الوزراء فسمع الشتائم التي كالها له رئيس الجمهورية فترك مكتب رئيس الوزراء بعدان طلب منه قبول استقالته المجمدة وفي يوم ٣٠ حزيران سافر الى القاهرة .

وفي اليوم نفسه ٣٠ حزيران قدمت استقالتي بعدان عرفت نوايا الرئيس عبد السلام تجاهي وتجاه عبد الكريم فرحان من بعض الهفوات التي نقلها السيد عارف في سفرة الى باريس وطلب منهم عدم اعتبار تجنيد عبد الكريم ٢/٤.

ولقد تضامن معي اربعة وزراء كانوا يشعرون نفس شعورنا عن الرئيس وقدموا استقالتهم ، وكانت ازمة وزارية حقيقية خاصة وقد لمح وزراء اخرون الى رئيس الوزراء بأنهم يفكرون ايضاً بالاستقالة .

وحاول الرئيس عبد الناصر التوسط مرة ثانية فأرسل الي رسالة شفوية بواسطة الاخ ناجي طالب الذي مر من القاهرة عائداً من الجزائر في يوم ٤ تموز رجاني فيها الرئيس بسحب استقالتي ، والح علي الاخ ناجي والاخوان عارف عبد الرزاق الذي عاد من لندن مساء يوم ٣٠ حزيران والاخ محسن حسين الحبيب بسحب الاستقالة فوافقت بعد ان اشترطت تجميد استقالة باقي الوزراء فتعهد الاخ ناجي طالب اقناع رئيس الجمهورية برفض الاستقالات الخمسة وقبول استقالة عبد الكريم فرحان لأن التعاون بينه وبين رئيس الجمهورية اصبح مستحيلاً .

ولما ذهب الاخ ناجي الى الرئيس وافقه على بقائي وتمسكه
بي ورفض بقاء باقي الوزراء المستقيلين واصر على قبول
استقالتهم. لذلك اصررت على قبول استقالتي ايضا
لان بقائي وخروج الوزراء الذين تضامنوا معي وقدموا استقالتهم
موقف غير اخلاقي لا اقبله ولا ارتضيه لنفسي.
وهكذا قبلت الاستقالات جميعا في يوم ١١ تموز ١٩٦٥.

الملحق (ب) المرفق

كتاب "عبدالسلام عارف.. كما رأيته" ٦

صبحي عبدالحميد

حركة العميد الركن الطيار عارف عبدالرزاق
في ١٥ ايلول سنة ١٩٦٥

اجتمع الرئيس عارف مع الرئيس عبدالناصر عدة مرات على هامش مؤتمر القمة الاول الذي عقد في القاهرة في ١٣ كانون ثاني ١٩٦٤ حضرتها جميعها،

وتكلم الرئيس عبدالناصر عن تجربته في الحكم ونصح عبدالسلام بحل كافة مشاكل العراق بحكمة وسلمياً واكد على

١. المحافظة على وحدة الشعب العراقي بقومياته وطوائفه ومعاملة الجميع كمواطنين عراقيين متساوين في الحقوق والواجبات

٢. حل المشكلة الكردية سلمياً وان ادى ذلك الى منحهم حكماً ذاتياً.

٣. تشكيل تنظيم سياسي يسند الحكم.

٤. تشكيل تنظيم عسكري سري يعتمد عليه في الجيش كما هو الحال في مصر.

اقتنع الرئيس عبدالسلام بهذه النصائح وحال عودتنا كلفني بالبدء بتشكيل التنظيم العسكري على الرغم من انني كنت وزيراً للداخلية ولقد اعتذرت عن ذلك ولكنه الح علي ففاتحت اخواني السابقين الذين كانوا معي في التنظيم في عهد عبدالكريم قاسم ثم قررنا حله بعد نجاح ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣.

[illegible] وبعد شهر من ذلك تسربت انباء التنظيم السري الى باقي الضباط فتطوع الشاغفون بالدس علينا عند الرئيس وصوروا له اننا ننظم الضباط للاطاحة به، واستمع لهذا التخرص ولم يدافع عنا ويقول لهم انه على رأس هذا التنظيم وكان على رأس هؤلاء اخوه اللواء عبدالرحمن عارف رئيس اركان الجيش الذي كان يردد دوماً اننا جميعاً اعضاء في (حركة القوميين العرب) وهو اخطر ويعلم ان لا صحة له مطلقاً.

(١٠)

٧

وازاء هذا الشغب الهش تنظيمنا وتجاهله واوعز الى سعيد صليبي بتنظيم الضباط من جماعته كما اوعز الى بشير الطالب بإقامة تنظيم واوعز الى اخيه عبدالرحمن بإقامة تنظيم آخر وهكذا اصبح في الجيش اربع كتل اضافة الى كتلة عبدالهادي الراوي تتنافس في تنظيم الضباط . وكنت طلبت منه منذ البداية الكشف عن التنظيم ، وصرف النظر عنه وتولي الامر بنفسه بدلاً من هذه الفوضى التي احدثها في الجيش ، وصارحته بذلك فأنكر علمه بوجود التنظيمات الاخرى .

وفي الشهر الثالث اخذنا نعمل بصورة مستقلة عنه بعد ان اخذ يشك في نوايانا ولم نكن ننوي ان نعمل ضده او الانقلاب عليه بل كنا نريد ان نحصن الجيش ونصون البلد من ان يقفز بعض المغامرين الى السلطة بواسطة هذه التنظيمات وفي كانون اول ١٩٦٤ قررت قيادة التنظيم انتخاب رئيس التنظيم فعارضت الفكرة كما عارضها عبد الكريم فرحان فاجتمعوا دون حضورنا وانتخبوا العميد الركن الطيار عارف عبد الرزاق رئيساً .

قرر عبدالسلام التخلص من كتلتنا قبل تقديمنا الاستقالة

وذلك بتمزيقها من الداخل فبدأ يتقرب من عارف عبدالرزاق ذي المنصب الخطير (قائد القوة الجوية) محاولاً كسبه لجانبه وابعاده عنا . فأوعز الى سعيد صليبي وحميد قادر صديقي عارف التأثير عليه ، فلازمهم عارف وصمم ان يكشف خطط عبدالسلام ونواياه ومناوراته واخذ يتردد عليه دوماً مبدياً له الود والاخلاص وحاول اولاً نصحه واعادته الى النهج السليم مؤكداً له ان الجميع يحبونه ويحترمونه وان معارضتهم لبعض قراراته دافعها الحرص على المصلحة العامة .

(١٣)

٦

[illegible] ،

الرئيس عبد السلام

استدعى في الاسبوع الاول من ايلول ١٩٦٥ وزير الدفاع اللواء محسن حسين وسلمه ورقة فيها عشرة ضباط طلب نقلهم الى خارج بغداد وكان على رأس القائمة العميد محمد مجيد والمقدم عرفان وجدي وهادي خماس ومحمد يوسف طه . فرفض وزير الدفاع تنفيذ الأمر وبعد المشاورة مع اللواء ناجي طالب قررا تقديم استقالتيهما من الوزارة لأنهما رفضا ان يكونا معولا بيد عبد السلام للتخلص من زملاء الوزراء المستقيلين ،

وهكذا انهارت الوزارة مرة اخرى بخروج وزيرين مهمين منها وقرر عبد السلام التخلص من طاهر يحيى فاستدعى العميد الركن عارف عبد الرزاق قائد القوة الجوية وكلفه بتشكيل الوزارة الجديدة .

منذ ان انتخبت الكتلة عارف عبد الرزاق رئيسا لها ودرس اعضاؤها موقف عبد السلام دراسة مستفيضة ، فوجدوا انه يتجه للانفراد بالسلطة وقد جمد تقريبا اعمال المجلس الوطني لقيادة الثورة ، واخذ يعتمد على القوى الرجعية ويغازلها ، ويتهكم امامها على الوحدة والاشتراكية والاتحاد الاشتراكي الذي لم يستطع ان يخلق منه تنظيما تابعا له واجبه الهتاف والتصفيق للسيد الرئيس فقط . ثم ان هو الوحدوي الذي كاد ان يفقد حياته في سبيل الوحدة عام ١٩٥٨ ، اغراه كرسي الرئاسة واصبح عنصر تعويق وتأخير للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .

وفي الجيش اتبع سياسة فرق تسد ، فشجع تكوين الكتل وخلق بعضها واخذ يحرض كتلة ضد الاخرى مستهدفا في المقام الاول تحريض الضباط وخاصة ذوي الرتب الكبيرة ضد كتلتنا وهي اول كتلة أمرني وهو بنفسه على تشكيلها بالرغم من معارضتي واعتذاري . وتوصلوا الى ان عنصر الانسجام في السلطة العليا للدولة قد انفقد وان الثقة انعدمت بينهم وبينه بل انعدمت ، وبات كل الواحد يتربص بالآخر . لذلك بذلوا المساعي لاعادة الثقة بينه وبينهم والضغط عليه لتغيير نهجه الفردي واعادة ايمانه بالوحدة والاشتراكية ، والاعتماد عليهم سندا قويا يحميه من المؤامرات والانقلابات حيث لم يفكر احد منا بازاحته والحلول محله ، ولان هدف الكتلة هو حماية النظام وترصينه والمحافظة عليه . واذا لم تنفع هذه الوسائل واستمر على نهجه فلابد عندئذ من التفكير بتبديله .

شكل عارف وزارته من عناصر غير معروفة ورفض عبد السلام الاسماء التي طرحها عليه عارف .

(٦٤)

فكانت وزارته ضعيفة، هاجمتها القوى القومية بشدة، ولم يسلم الأخ عارف من النقد والهجوم.

وهكذا تبلورت فكرة تنحية عبد السلام عارف عند بعض اخواني من أعضاء الكتلة بصورة جدية في بداية شهر حزيران سنة ١٩٦٥ عندما رفض عبد السلام حل الكتل في الجيش، وكشف عن نواياه لعارف بالتخلص منا بالتدريج.

ولو وافق على حل الكتل كما اتفقنا عليه في برنامج العمل الذي وضع في القاهرة لكنا أول المنفذين في حل كتلتنا.

كان الأخ عارف يشكو لسعيد صليبي من فردية عبد السلام وابتعاده عن الخط الوحدوي وميله للاعتماد على القوى الرجعية، وكان سعيد يناور على ثلاث تجاهات، كان مع عبد السلام وفي الوقت نفسه كان على اتصال بالسيد احمد حسن البكر وحزب البعث يتقرب اليهم ويغازلهم، وكان صديقاً شخصياً لعارف عبد الرزاق وكان همه الوحيد ابعاده عن كتلتنا.

وعندما شكل عارف وزارته قال له سعيد: علينا ان نمنح عبد السلام فرصة لمدة ثلاثة أشهر نحاول اقناعه بمبدأ الحكم الجماعي وتحقيق الوحدة فاذا لم يقتنع فأشترك معك في ازاحته.

وكان عبد السلام يعتقد انه كسب عارف وانه سينفذ كل رغباته وانه ابتعد عن كتلته ولابد ان يزيده ابتعاداً بالطلب منه بنقل الضباط الذين رفض نقلهم الأخ محسن حسين الحبيب واستقال من أجل ذلك. ولا [illegible] احمال عارف ان ينفذ رغبة عبد السلام بنقل العميد محمد مجيد من منصب معاون رئيس اركان الجيش الى منصب امر كلية الأركان وكان محمد يومها في لندن لغرض العلاج، ولما عاد غضب وعاتب عارف عتاباً قاسياً وحجة عارف انه يجب ان يحوز ثقة عبد السلام في البداية لتنفيذ ما اتفق عليه عندما يحين الوقت، وان العميد محمد تسلم منصباً مهماً آخر في بغداد.

سافر عبد السلام الى مؤتمر القمة العربي الثالث الذي انعقد في الدار البيضاء في المملكة المغربية في يوم ١٢/٩/١٩٦٥، وفي المطار سلم الى الأخ عارف ورقة فيها اسمان يطلب نقلهما الى منصب امري الوية خارج بغداد وهما العميد الركن عرفان وجدي امر الكلية العسكرية والعقيد الركن محمد يوسف طه مدير الحركات العسكرية، وكان يرمي من وراء ذلك فصل عارف عن كتلتنا فصلاً نهائياً خاصة وان النقل سيتم وهو في الخارج.

[redacted] ١٠

وسيدي ستتأكد في المستقبل انه لا يحلم به لأن النقل من صلاحيات وزير الدفاع .
الذي (عارف) ها تفيًا واخبرك بالأمر وسألني الرأي .
فقلت له (لا تنفذ امر النقل ، وعند عودته صارحه بأنك لن تنفذ امرًا رفضه وزير
الدفاع السابق محمد حسين الجبيب واستقال من اجله ، ولا داعي لهذه التنقلات وعلينا
ان نعمل على حل التكتل ونبعد الجيش عن السياسة) .
استدعى الاخ عارف في تلك الليلة نفسها الضابطين محاولا اقناعهما بالمو[redacted] النقل
فقالا له (انا اول المفيد وعندما سيعود سيطلب الملك نقل المذيب . وبوسعك ان تأمرنا
باصدار الأمر وسننفذه حسب التقاليد العسكرية ، ولكن يجب ان تفكر بالنتائج
لأننا نشغل الآن منصبين لا يمكن ستحرمنا اذا قررت القيام بحركة ضده في المستقبل) .
وهذا ما وترك الاخ عارف في حيرة وهو الرجل القوي والصلب والشجاع والقادر على تحمل المسؤولية
مهما كانت خطورتها . وذهب اليه عدد آخر من الضباط الذين سمعوا بالخبر
يعترضون على النقل قائلين ان الدور سيأتي على الباقين وهذه خطة يريد بواسطتها
تشتيتنا لنقل وحدته وعند ذلك سيقيلك ويذلك تخسر سمعتك السياسية
لأن وزارتك عاجز بقولك في الشارع ، وتخسر سمعتك العسكرية لأنك نقلت اعوانك
الذين تعتمد عليهم ولهم يد قوتك امام عبد السلام ، وتخسر اصدقاءك .
واننا نعتقد ان الوقت أزف للتخلص من عبد السلام وفرصة وجوده في الدار البيضاء
فرصة ذهبية للاطاحة به .
بات الاخ عارف ليلته في دوامة لا يستقر على قرار ، فهو من جهة
وعد سعيد صليبي بمنح عبد السلام فرصة ثلاثة اشهر لتصحيح اخطائه ، ومن
جهة اخرى [redacted] ليس من المعقول القيام بانقلاب بعد مضي ايام على
تشكيل وزارته اذ ان الشعب لن يقبل ذلك لأنه لن يجد مبررًا واحدًا يقنعه به
وهو لا يستطيع ان يقول للشعب انه قام بانقلاب لأن عبد السلام طلب اليه نقل
بعض الضباط .
اصبح عارف في موقف حرج وياليته أخذ بنصيحتي .
زرته صباح يوم ١٣ ايلول ، فقص علي ما عاناه في الليلة الماضية والضغط الكبير
الذي مارسه عليه الضباط للقيام بحركة للاطاحة بعبد السلام .

(١٢٦)

فأعدت عليه ما اقترحته في الليلة السابقة وقلت :-

ان موقفك في الشارع وفي الجيش اصبح سيئاً ولابد من عمل شيء تسترجع فيه شعبيتك وامامك حلان

الاول ان تستغل فرصة غياب عبد السلام وتنحيه عن السلطة نزولاً عند رغبة الضباط

الآخر رفض تنفيذ امر النقل كما قلت له امس وانتظار عودة عبد السلام ومجابهته بصراحة تامة ملوحاً بقوة الجيش والقوة الجوية التي تستند اليهما (عليهما)، وتطلب اليه الكف عن اتباع سياسة (فرق تسد) كما تطلب اليه اجراء تعديل وزاري تدخل في الوزارة عناصر قومية قوية انت تختارها فتنال بذلك رضى الشارع الذي اصابته خيبة أمل كبيرة من اعضاء وزارتك الحالية،

واني اعتقد ان عبد السلام سيرضخ وسينفذ لك كل طلباتك لانه لا يستطيع في هذه المرحلة اقالتك ما دمت [illegible] وراءك قوة في الجيش والشارع

ولقد تركته وهو مقتنع بالحل الثاني، وكنت انا شخصياً أميل الى هذا الحل،

زارني في مساء اليوم نفسه رشيد محسن مدير الأمن العام وقال لي :-

(ازداد ضغط الضباط هذا اليوم على العميد عارف حتى اقتنع بالقيام بحركة لتنحية عبد السلام وارسلني اليك لبيان تصوراتك لخطة التنفيذ)،

فقلت له رغم اني كنت افضل ان يتبع الحل الثاني الذي اقترحته عليه ولكن ما دامت هذه مشيئته ومشيئة الضباط، فأني اقترح ما يلي :-

١. استدعاء سعيد صليبي امر الانضباط العسكري وبشير الطالب امر لواء الحرس الجمهوري وابراهيم الداود امر فوج الحرس الجمهوري الى مجلس الوزراء بحجة مناقشة خطة أمن بغداد في الساعة ١٢,٠٠ من يوم ١٩٦٥/٩/١٥ اي عند انتصاف النهار ويحجزهم في المجلس ويضعهم تحت حراسة ضباط يهيئون لهذا الغرض،

٢. تنذر قطعات بغداد تحسباً للطوارئ،

٣. يذهب عارف بعد حجز الضباط المذكورين الى دار الاذاعة ويذيع بياناً بتنحية عبد السلام وتشكيل مجلس قيادة ثورة وتشكيل وزارة جديدة ،

وانصرف رشيد محسن على ان تنفيذ هذه الخطة البسيطة وغير المعقدة،

الا ان بعضهم اقنع عارف بتبديل هذه الخطة وتحديد موعدها الثاني الساعة ١٢ منتصف ليلة ١٤/ ايلول ٦٥/.

(٦٧)

١٢

وكانت الخطة تعتمد على نزول دبابات معسكر ابوغريب بقيادة عبد الأمير الربيعي بعد منتصف الليل دون معه(١) حيث تذهب للسيطرة على دار الاذاعة وتبقى حتى الصباح وتستقبل فيها عارف ليذيع البيان الاول للحركة. ولقد وضعت الكلية العسكرية بالانذار لاحتياط للمعاونة عند الطلب بينما تقوم القوة الجوية بطلعات تحذيرية فوق بغداد منذ الصباح الباكر.

اما كيف تأجلت الحركة او فشلت الخطة فتفاصيلها كما يلي:-

استدعى عارف مساء يوم ٩/١٤ حميد قادر مدير الشرطة العام وصارحه بعزمه على تنحية عبد السلام هذه الليلة وطلب اليه اقناع سعيد صليبي اما بالاشتراك او الانتظار في بيته وعدم المعارضة. فوافقه حميد وذهب لاقناع سعيد الذي لم يوافق وانذر القطعات المرتبطة به وصمم على المقاومة. فاستدعاه عارف الى مجلس الوزراء وحاول اقناعه فاشترط بالموافقة اذا وافق الضباط المرتبطون به وعاد الى مقره وارسل مساعده النقيب عزيز عباس الى عارف فأقنعه عارف وعاد عزيز ليبلغ سعيد بالموافقة. ولكن سعيد رفض المشاركة لما علم ان من اقطاب الحركة عرفان وجدي وفاروق صبري وعبد الأمير الربيعي فهو يكرههم ويخشاهم في الوقت نفسه. فاستدعاه عارف مرة ثانية وطلب من رشيد محسن وهادي خماس اللذين كانا معه في مجلس الوزراء ومعهما اكثر من ثلاثين ضابطا التهيؤ لاعتقال سعيد اذا فشل في اقناعه.

واثناء المناقشة بين سعيد وعارف تلقى هادي مكالمة هاتفية من مجهول يقال انه عامر الحمدان احد الضباط المنفذين اخبره فيها بفشل عبد الأمير الربيعي بالاستيلاء على معسكر ابوغريب وان امر مدرسة الدروع العقيد صبري خلف قد سيطر على المعسكر واعتقل عبد الأمير بينما كان العكس هو الصحيح.

اتصل هادي بالمعسكر فوجد الخط مقطوعا. وكان المفروض به وفي رشيد محسن ارسال احد الضباط الى المعسكر للتأكد من صحة هذا النبأ. ولو ذهب الضابط لوجد ان عبد الأمير مسيطر على المعسكر واعتقل صبري خلف واخرج الدبابات الى الشارع العام وهي على استعداد للزحف نحو اهدافها. ولقال له عبد الأمير انه قطع الخط الهاتفي لما شاهد صبري خلف يحاول استخدامه. وكان هذا خطأ فادحا من عبد الأمير اذ قطع كل صلة اتصاله به وبالآخرين. وكان احد اسباب الفشل.

(١٨)

(١) كان كبار الضباط المكلفين بقيادة مجموعات الدبابات هم (أحمد حميد ، صبحي عبد الحميد ، عيسى الشاوي ، عدنان أيوب صبري)

١٣

لما كان عدم ارسال هادي ورشيد احد ضباطهما للتأكد من موقف عبد الأمير من اسباب الفشل النائه اعتبر رشيد وهادي اعتقال عبد الأمير امراً مسلماً به ، فدخل رشيد على عارف واخبره بعيداً عن سعيد واخبره بالوضع وطلب منه التفاهم مع سعيد بأن تؤجل ، فعاد عارف واخبر سعيد بأنه قرر تأجيل الحركة . فعاد سعيد الى مقره ، وذهب عارف الى بيته ،

و بعد منتصف الليل علم رشيد محسن بموقف عبد الأمير الصحيح فبدلاً من ان يذهب الى ابي غريب لينزل مع عبد الأمير ودباباته لتنفيذ الحركة ذهب الى سعيد في دائرة الانضباط العسكري يعده بالمناصب العليا اذا شارك في تنفيذ الحركة ، فرفض سعيد انه مساومه ورجا رشيد ان يذهب الى ابي غريب ليقنع عبد الأمير بأعادة القوة الى ثكناتها والحلابة سراح صبري خلف اذ علم سعيد بسيطرة عبد الأمير على المعسكر . فذهب رشيد الى المعسكر واقنع عبد الأمير بأن امراره بالنزول معناه ان الجيش سيقاتل بعضها البعض لأن سعيد مستعد ومصمم على القتال فاقتنع عبد الأمير على مضض ، واعاد الدبابات ، ذهب الى دار عارف في مدينة الضباط في الليل وشرح له الموقف وطلب منه الذهاب معه الى ابي غريب وقيادة الرتل وتنفيذ الحركة .

فرفض عارف الفكرة وقال لعبد الأمير ان الحركة انكشفت وان سعيد اتصل ببعض قادة الفرق وان كل القوى العسكرية الموالية لعبد السلام ستقف ضدنا وهو لايريد ان يكون سبباً في كارثة عظمى تحصل نتيجة تصادم قوة الجيش بعضها ببعض ،

كلمني رشيد محسن في الصباح الباكر من يوم ١٥ ايلول هاتفياً وعرض علي الاتصال بنقابات العمال التي كانت تحت سيطرة الحركة الاشتراكية والايعاز لها بالاضراب والتظاهر لخلق بلبلة في الشارع كمبرر لتدخل الجيش حتى ينزل الى الشارع فينفذ الخطة . فرفضت هذا الاقتراح العرض لأنه اقتراح سقيم لأن الأمر اصبح خارج السيطرة والمفتاح الآن مع سعيد صليبي والحرس الجمهوري ، كما ان اخراج العمال للتظاهر يحتاج الى استعدادات لاتقل عن يومين . فقال هذا رأي عارف فأرجو ان تذهب الآن الى داره لمناقشته والوصول الى حل ينقذ الموقف ،

ذهبت الى دار عارف فوجدت معه العقيد محمد يوسف مدير الحركات العسكرية ، فعرض علي عارف فكرة رشيد نفسها ، فأجبته الجواب نفسه ، فقال وما الحل ؟ فقلت له اذهب الى مكتبك كأن شيئاً لم يحصل ، وكرر الحديث في هذه الليلة ، فأيدني محمد يوسف الا انه رفض ذلك لأنه لايريد ان يتحمل مسؤولية الصدام بين القوات المسلحة ، فقلت لا بأس انتظر عودة عبد السلام وواجهه بقوة وخيره بين الكف عن مناوراته او تعريض البلد الى كارثة ، وخرجت من داره على أمل ان يذهب الى مكتبه . الا ان سعيد صليبي قام بإرساله بعيداً وتوسلا اليه ان يغادر العراق حقناً للدماء لأن الجيش الآن منقسم على نفسه ، وحفظاً

أما ضمت (محمد يوسف ، عيسى ... [illegible]

(٩٩)

١٤

ممن عارف بسمعته وهو الشجاع الذي لا يهاب الموت وقرر السفر انقاذاً للبلاد من كارثة ضد المسلمين. فغادر العراق ومعه هادي وعرفان ورشيد وفاروق وعبد الأمير وكان ذهابهم الى القاهرة فيه احراج للحكومة المصرية، لأن القاهرة لم تكن تعلم بالحركة، وما كانت توافق عليها او تؤيد اي انقلاب ضد عبد السلام عارف في الوقت الحاضر وكان يكفيها ان تكون العلاقات بين العراق ومصر قوية ومتينة وسياستهما العربية والدولية متناسقة ومنسجمة في العراق آن في الوقت الحاضر.

علم عبد السلام بالحركة وهو في الدار البيضاء، وقد اخبره بها الرئيس عبد الناصر بعد ان تلقى برقية من القاهرة تعلمه بها.

اما في بغداد فقد اجتمع مجلس الوزراء برئاسة عبد الرحمن عارف عضو مجلس الرئاسة الذي كان ينوب عن عبد السلام اثناء غيابه والمؤلف منه ومن عارف عبد الرزاق وعبد اللطيف الدراجي، وقرروا ارسال وزير الصحة الدكتور عبد اللطيف البدري بطائرة خاصة الى المغرب لأخبار رئيس الجمهورية بتفاصيل ما جرى.

عاد عبد السلام الى بغداد وكانت بالورة أعمال حوضى ووضع عبد الكريم فرحان تحت الاقامة الجبرية في داره، ثم أمر بتوقيف باقي الضباط وكان على رأس الموقوفين العقيد الركن محمد يوسف طه مدير الحركات والعقيد الركن عدنان ايوب صبري سكرتير رئيس اركان الجيش

اما محمد مجيد ونهاد فخري فقد اختفيا في بغداد قبل وصول مفارز الانضباط العسكري لتوقيفهما.

واعزي اسباب الاخفاق للعوامل:

١. تبديل الخطة: ولقد سألت بعد ذلك عارف وهادي ورشيد عن الذي بدل الخطة فكان كل يتهم الآخر بأنه الذي غير ذلك وبقت الحقيقة مجهولة.

٢. مفاتحة حميد قادر وسعيد صليبي بالحركة قبل بدأها مما ساعد سعيدان ينذر القطعات الموالية ويتهيأ لإحباط الحركة.

٣. قطع عبد الأمير خط التلفون في معسكر ابو غريب مما عرقل الاتصال بهم لمعرفة موقف

٤. عدم تأكد هادي ورشيد من الموقف في ابي غريب بعد المكالمة التلفونية الغريبة من مجهول عن اخفاق استيلاء عبد الأمير على ابي غريب

٦٥

٥. عدم الاستمرار بتنفيذ الخطة بعد ان علم رشيد بتوقيف عبد الأمير المتقر

٦. المغادرة الى القاهرة بتوجيه قبل استقالة البزاز لسعادة الحكم

كلف عبد السلام الدكتور عبد الرحمن البزاز بتأليف الوزارة الجديدة

وكان رحيلا تكتيكيا وحالما وتعالى عن حد انفعالات عبد السلام باتهام

القاهرة بالمشاركة او علمها بالحركة علما ان اصلا لم تعلم بها ولم تتوقعه

عليها، كما حد من عدائية توقيف الضباط الا الذين ثبت اشتراكهم فيها.

ضغط البزاز على عبد السلام فرفع الحجز عنهم وعن عبد الكريم فرحان

بعد ثلاثة أشهر.

ولقي الرئيس عبد السلام حتفه بحادثة سقوط طائرته السمتية في

نيسان ١٩٦٦ في منطقة البصرة فأسفت لوفاته وحزنت

وشكرت علاقاتي الجيدة به منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ الى حد خلافنا معه

والخلاف لم يكن شخصيا بل كان من أجل المصلحة العامة لذلك لم يتبدل

شعوري نحوه بل بقيت احفظ له الود واترحم عليه دوماً.

رحم الله عبد السلام وما كنت اتمنى له هذه النهاية الحزينة.

صبحي عبد الحميد

١٩٩٧/٥/٢٢

اجتماعات الرئيس عبد السلام عارف والوفد العراقي

مع السيد خروشوف والوفد الروسي في القاهرة

في أيار ١٩٦٤

الملحق (ج) المرفق

كتاب "عبد السلام عارف - كما رأيته"

من أرشيف
السيد صبحي عبد الحميد

المناقشات على ظهر الباخرة حرية

لقد قام الرؤساء بجولة في النيل على ظهر الباخرة حرية يومي ١٥ و١٦ أيار ٦٤ وجرت بينهم مناقشات عن مواضيع شتى أثناء جلوسهم صباحاً ومساءً على ظهر الباخرة

١ ـ تناولت المناقشات التي جرت بين الرؤساء الاربعه . الرئيس عبد السلام والرئيس جمال والرئيس احمد بن بلا وخروشوف .

المواضيع التالية :ـ

أ . الاشتراكية

ب . القومية العربية

ج . التنمية الزراعية والصناعية

د . توتر العلاقات بين العراق وروسيا

هـ . موقف روسيا من القضية الكردية

٢ ـ كان خروشوف ينظر الى الاشتراكية العربية والقومية العربية من خلال منظار الفكر الماركسي لذلك كانت هناك وجهات نظر متباينة ومتناقضة عن الموضوعين . فهو في بداية الامر كان لايقر الا الاشتراكية الماركسية ولا يقر قيام الوحدة بين الشعوب على اساس قومي ولا يعتقد بنجاح قيام وحدة بين البلاد العربية ولقد تذرع بفشلها بين مصر وسوريا .

٣ ـ اوضح الرؤساء العرب الثلاث وجهة النظر العربية وكانوا متضامنين متفقين الماصه حتى انه تضايق من اتفاقهم ووحدة كلمتهم . وقالوا له اننا نؤمن بالاشتراكية العلمية التي تتفق واهدافنا وتقاليدنا .

قال الرئيس عبد الناصر اننا نسير في خط اشتراكي علمي وتطبقنا الاشتراكي خير دليل على ماتقول . وشرح ذلك شرحا مفصلا .

وقال احمد بن بله اننا نختلف عنكم بموضوع الدين اننا نؤمن به وهو جزء من حياتنا وان ديننا لايتعارض مع الاشتراكية مطلقا وشرح ذلك شرحا مفصلا .

وقال الرئيس عبد السلام ان قوميتنا انسانية غير اعتدائية هدفها توحيد البلاد العربية التي جزأها الاستعمار واننا سنسير في نفس الخط الاشتراكي الذي تسير عليه الجمهورية العربية المتحدة والجزائر .

(٣)

٠٤ كان الحديث عن الاشتراكية والقومية ... واخيرا ظهر ان خروشيف اقتنع نسبيا بوجهة النظر العربية ٠

٠٥ ثم شرح خروشيف تجارب الاتحاد السوفياتي في النهضة الزراعية والصناعية واستعداد ه لمساعدة البلاد الثلاث في هذا المضمار ٠ وتكلم كل من الرؤساء الثلاثة كل عن تجارب بلاده في هذا المضمار ٠

٠٦ كان خروشيف يحمل فكرة خاطئة عن العراق وعن القضية الكردية وبعد أن شرح له الرئيس عبد السلام عارف تطورات الوضع في العراق منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ ونشوء وتطور القضية الكردية بدا عليه انه اقتنع نوعا بوجهة النظر العراقية ٠

اجتماع وزير الخارجية العراقية ووزير الخارجية الروسية ٠

٠٧ اجتمع وزير خارجية العراق صبحي عبد الحميد ووزير خارجية روسيا جروميكو ظهر الباخرة سوريا لمدة ساعة ونصف فناقشا تطور العلاقات بين البلدين منذ سنة ١٩٥٨ حتى الآن ٠

ولقد شرح الوزير العراقي الاوضاع الداخلية التي حدثت منذ ذلك الوقت واعمال العنف والاضطهاد التي مارسها الحزب الشيوعي العراقي ضد المواطنين كما شرح تفاصيل مجازر الموصل وكركوك والحوادث الاخرى التي حدثت في بغداد والبصرة وباقي المدن العراقية

ثم شرح وزير الخارجية العراقي سياسة العراق الخارجية التي تستند على الحياد الايجابي وعدم الانحياز ومحاربة الاستعمار وشجب التمييز العنصري والابتعاد عن الاحلاف العسكرية ومساعدة الدول المكافحة من اجل استقلالها وشجب استخدام الطاقة النووية للاغراض الحربية ومد يد الصداقة مع كافة الشعوب المحبة للسلام ٠٠٠٠ الخ ٠

ثم بعد ذلك تطرق الى علاقات البلدين الاقتصادية وضرورة تطويرها وتنسيقها واكمال المشاريع التي بدأ بها سابقا ٠

تكلم المستر غروميكو عن البرود الذي ساد العلاقات بعد ١٤ رمضان وعن السياسة الخارجية وعن موقف بلاده من العراق ثم تكلم عن الاتفاقات الاقتصادية والتعاون في ما ...

(٤٢)

المجالات وقال اننا من حيث المبدأ نوافق على تحسين وتطوير العلاقات وسع للسلسة انى سأنقل كلامك الى مستر خروشوف .

اجتماع الرئيس عبد السلام عارف مع خروشيف

حصل الاجتماع في قصر القبة في يوم ١٩٦٤/٥/١٨ وقد استمر لمدة ساعتين .

حضره من الجانب العراقـــي .

الرئيس عبد السلام عـــارف

السيد صبحي عبد الحميـــد وزير الخارجية

وحضره من الجانب الروســـي

السيد خروشيف

السيد غروميكـــو وزير الخارجية

السيد مدير دائرة الشرق الاوسط في وزارة الخارجية الروسيه .

افتتح الرئيس عبد السلام الاجتماع فتكلم عن سياسة العراق الخارجية المتحررة التي تستند على الحياد وعدم الانحياز والتي تتمسك بمبادئ التعايش السلمي ومحاربة الاستعمار ثم شـــرح سياسة العراق الاقتصادية التي تستند على التخطيط الاشتراكي العربـــي .

ثم شرح الاوضاع التي مر بها العراق منذ ثورة ١٤ تموز وكيف سرق قاسم هذه الثـــورة وانحرف بها عن طريقها العربي الاشتراكي التحرري وكيف كافح الشعب لازالة حكمـــه الدكتاتوري الفـــردي وكيف قامت ثورة ١٤ رمضان التي جاءت لتصحيح انحراف قاســـم [redacted].

ثم تطرق الى ضرورة تنمية العلاقات الاقتصادية والتعاون بين البلدين وقال إننا نطلب الـــى .

١. زيادة التبادل التجاري بين البلديـــن .

٢. الاستمرار بتجهيز الجيش العراقي بالاسلحة الروسية وسنرســل لهذا الغرض وفد عسكري لعقد اتفاقيـــة تسليح جديدة .

٣. ضرورة عقد اتفاقيات اقتصادية وصناعية بين البلدين وتنسيق الاتفاقات السابقـــة .

تمويل الاتحاد السوفيتي لمشروع سد اسكي موصل وجسر حديثة وبتنغ الحمة لانشاءها .

ان سياستنا مؤسسة على تأييد وحفظ العلاقات الودية مع جميع البلدان ولدينا علاقات طيبة مع سائر بلدان العالم بالرغم من اختلاف الانظمة مع بلادنا .

اننا نعتبر قضايا النظام داخلية ولا نرغب في التدخل فيها اما مسائل حفظ السلام في العالم فهي قضايا دولية لذلك سياستنا الخارجية متجهة الى التعايش السلمي مع كافة الانظمة .

لدينا وجهة نظر تجاه الانظمة المختلفة وهذا لا يمكن ان يؤثر على العلاقات الدولية . اننا نسير على هذا الاتجاه حتى مع البلدان التي لا ترحب بأنظمة الحكم فيها .

العلاقات بيننا وبينكم كانت في زمن قاسم جيدة ثم تغيرت بعد ذلك الا انها لم تؤثر على الاتفاقات التي كانت معقودة بيننا اذ حرصنا على استمرارها .

ان سياسة قاسم كانت في الايام الاخيرة من حكمه غير مستقيلة . ساءت العلاقات بيننا كثيرا بعد ثورة ١٤ رمضان وهاجمناكم في صحفنا لانه كان ليس بمقدورنا السكوت عن جرائم القتل التي ارتكبت في بلادكم .

اننا لا نزال نرقب اعمالكم وسياستكم بعد انقلابكم الاخير في ١٨ تشرين ثاني ومن الصعب ان نتكهن الآن كيف سيؤثر هذا الانقلاب على سياستكم الداخلية .

اما التعاون معكم فانه سيسير بصورة جيدة واننا نرحب بكلامكم عن تحسين العلاقات وسنعمل من جانبنا على تحسينها .

اما بخصوص التعاون الاقتصادي فقد كان لدينا معكم اتفاق كبير ثم تأخر بعد ١٤ رمضان والآن لما كان في نيتكم الاستمرار بالتعاون الاقتصادي فاننا مستعدون للتعاون على تقدم المساعدات في كافة النواحي لانه مفيد للبلدين .

بخصوص السدين على دجلة والفرات اننا مستعدون لدراسة الموضوع اذا قدم طلبها بذلك .

ان رأي كصديق انصح ان تسلكوا في سياستكم الداخلية الحكمة والذكاء اننا لا نريد التدخل في شؤونكم الداخلية الا ان لدينا وجهة نظر نريد ان نقولها لكم لان سياسة البلد الداخلية هي التي تجعلنا ان نقول ان سياسة هذا البلد تقدمية أم لا .

ان مشاكل العراق الداخلية غير محلولة وتثير قلقا منها مسألة الاكراد مثلا فكم يكون جميلا ان تحل بطريق سلمي وهذا يوطد دولتكم ويقوي مركزكم الدولي ويعزز قواكم .

(٥)

١٥٩

مع جميع البلدان التي تتطور باتجاه تقدمي

ان التعاون العسكري في مجال التسليح والخبراء سيستمر معكم واننا سنقدم معونة

عسكرية لكم بموجب الاتفاقيات الخاصة .

اننا نؤيد نضالكم ضد الاستعمار ونؤيد سياستكم الخارجية التي شرحتموها لنا .

ان البلدان المتحررة ستتطور اذا واصلت نضالها من اجل تعزيز استقلالها .

وبعد ذلك تبودلت عبارات المجاملة وانتهى الاجتماع بنجاح تام .

« وثائق تنشر للمرة الأولى »

((الأوراق الخاصة بمجلس الرئاسة المشترك للعراق والجمهورية العربية المتحدة - عددها (٧٨) ورقة/صفحة - أهداها السيد صبحي عبد الحميد من أرشيفه الخاص إلى » المؤلف « عام ١٩٩٧))

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

من أرشيف السيد صبحي عبد الحميد

الملحق (٥) المرفق بكتابه » عبد السلام عارف .. كما رأيته «

رقـــــم (١)

تقــــرير الأمين العام

عـــن الاجـراءات الـتي اتخـذت

منذ توقيع اتفـاق ٢٦ مـــايو (آيار) ١٩٦٤

تقرير الأمين العام
عن الاجراءات التي اتخذت
منذ توقيع اتفاق ٢٦ مايو (آيار) سنة ١٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ كان ابرام اتفاق ٢٦ مايو (آيار) تأكيدا للقاء الكبير بين ثورتي ٢٣ يوليو و ١٨ تشرين ، وتسجيلا لالحاح الجماهير العربية في طلب الوحدة . وقد وضع هذا الاتفاق التاريخي ليكون تجربة رائدة جديدة لتحقيق الوحدة العربية على أساس من توحيد التنظيمات الشعبية على المستوى القومي بمفاهيم مشتركة واضحة .

٢ ـ وتحقيقا لارادة الشعب العربي في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية وتصميمه على تحقيق الوحدة ، وضع اتفاق ٢٦ مايو (آيار) موضع التنفيذ بمجرد الموافقة عليه دستوريا في كلا البلدين .

٣ ـ وفي خلال الزيارة التي قام بها وفد الجمهورية العربية المتحدة برئاسة السيد / حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي لبغداد لتهنئة الشعب العربي في العراق وحكومته بعيد ثورة ١٤ تموز ، تمت محادثات بين الاعضاء المتفرغين لمجلس الرئاسة المشترك تدارسوا فيها اتفاق ٢٦ مايو (آيار) في سبيل تنفيذه .

٤ ـ وقد استؤنفت المباحثات بين الجانبين في مدينة الاسكندرية برئاسة السيد رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة والسيد رئيس مجلس وزراء الجمهورية العراقية ، وعضوية بعض السادة الوزراء من

(٤٨)
(٣)

(تابع ٢)

البلدين . وتقدم الجانب العراقي بطلب الاستعانة بعدد من الخبراء والفنيين من رعايا الجمهورية العربية المتحدة للعمل في الجمهورية العراقية . واستجاب الجانب العربي في المباحثات لجميع هذه المطالب ووعد بتحقيقها في أقرب وقت مستطاع .

وبدأت الجمهورية العربية المتحدة بالفعل العمل على سد حاجة العراق في قطاعات الانتاج والخدمات المختلفة .

وقد تابعت الامانة العامة اجراءات تنفيذ ما تم الاتفاق عليه بين الجانبين فخاطبت الوزارات المعنية لتوافيها تباعا بكل ما تم اتخاذه من اجراءات نحو اجابة مطالب السادة الوزراء العراقيين لمد وزاراتهم بخبراء وفنيين من الجمهورية العربية المتحدة . ولقد تلقت الامانة العامة من مختلف الوزارات ما يفيد باستجابة فورية لهذه الطلبات . ويوضح المرفق (أ) مبينا تم اتخاذه في هذا الشأن .

٥ـ وبعد وصول السادة الاعضاء المتفرغين لمجلس الرئاسة المشترك من الجانب العراقي الى القاهرة . استؤنفت الاجتماعات بينهم وبين أقرانهم من جانب الجمهورية العربية المتحدة . وبدأ العمل فيما بينهم لاعداد مشروع جدول اعمال الاجتماع الاول للمجلس ودراسة اسلم السبل لاقامة المنظمات التي نص الاتفاق على انشائها .

٦ـ أما الامانة العامة فقد اعدت مشروعا للائحة الداخلية للمجلس وعرضته على السادة الاعضاء المتفرغين فأقروه بعد ادخال بعض التعديلات عليه عدا المادة الرابعة عشرة حيث اتجه رأى الى ضرورة النص على نصاب معين لانعقاد مجلس الرئاسة المشترك انعقادا صحيحا وصدور قراراته بأغلبية معينة . في حين ذهب رأى آخر الى أن تشكيل المجلس برئاسة السيدين رئيسي الجمهوريتين يعني ضرورة صدور قراراته باتفاقهما نيابة عن البلدين وقد رأت الامانة العامة أن تورد النصين المقترحين في مشروع اللائحة الداخلية الوارد تحت البند ثانيا من مشروع جدول الاعمال .

كما اعدت الامانة العامة مشروعا للميزانية وضعت نصوصها في خدمة السادة الاعضاء المتفرغين في اجتماعاتهم المتعددة .

٧ـ وقد قام السادة الاعضاء المتفرغون بدراسات عن المنظمات المشتركة

(تابــع ٣)

المنصوص عليها في المادة السابعة من الاتفاق تتولى كل منهم دراسة المسائل المتعلقة باحدى هذه المنظمات على النحو التالي :—

اللجنة السياسيــة	وتتولى دراستها	السيد/عبد الستار علي الحسين
القيادة العسكرية	،، ،،	السيد / ناجــي طالـــب
اللجنة الاقتصادية	،، ،،	السيد /أديب الجادر
لجنة الثقافة والاعلام	،، ،،	السيد /كمال الدين الحناوي
لجنة الفكر الاشتراكي	،، ،،	السيد / شعراوي جمعــه
لجنة التنظيم الشعبي	،، ،،	السيد / علي ســيد علي

٨ — عرض السادة الاعضاء نتيجة دراساتهم للمنظمات التي اسندت اليهـم في مذكرات نوقشت في الاجتماعات المتاليــة التي عقدوها وقد وضح من هذه الدراسات أن دراسة اللجنة السياسية والقيادة العسكريـة واللجنة الاقتصادية تضمنت آراء ومقترحات جديدة تتعلــق باقـــامة اتحاد فيدرالي بين البلدين لتتمكن المنظمات المشتركة من ممارسـة عملها بالطريقة التي تحقق الهدف من ابرام الاتفاقيــة •

٩ — يمكن اجمال الآراء والمقترحات المنوّه عنها فيما يلي :—

أ — اللجنة السياسية :

١) ان اتفاقية ٢٦ مايو (آيار) ١٩٦٤ بصورتها الراهنة ليســت الا خطوة على طريق الوحدة ويمكن اعتبارها بداية اقتضتها بعض الظروف المحلية رغم ان النضال العربي قد تخطاها كثيرا •

٢) ضرورة ايجاد سلطة مركزية تتولى شئون الخارجية والدفاع والاقتصاد والتعليم والثقافة والارشاد وبعض النواحي القانونية في نطـاق اتحاد فيـدرالــي •

٣) تحديد مرحلة الاعداد للوحدة سياسيا بحيث يجري الاستفتاء على

(تابــع ٤)

الدستور الاتحادى ورئيس الجمهوريــــة خلال مدة لا تزيد علــى ثلاثــة أشهر ويتم استكمال المؤسسات الدستورية فى مــدة اقصاها اثنى عشر شهــرا •

ب ــ القيـــادة العسكريـــة :

١) أن الاتفاقية بوضعها الراهن لم توضح الجهة التى ترجع اليها القيادة العسكرية فى كل مــا يتعلق بمهامها المختلفة ولم تشر الــى الجهة التى لها حق اعلان الحرب أو تقرير حالة خطر الحرب كذلــك اغفلت الناحية المالية للقيادة العسكرية ووسيلة ابعادها عن التعقيدات الروتينيــة فى الصرف • الامور التى تجعل القيادة غير قادرة علـــى تنفيذ الالتزام الوارد بالاتفاقيــة مــن أن الاعتداء على أحد القطرين هو اعتداء على القطر الآخــر وأنه لاتوجد فى الاتفاقية ضمانات كافيــة تمكن القيادة المقترحة مــن الوقوف على المعلومات المفصلة الموجــودة لــدى القيادات العسكرية القطرية الحالية فى كل مــن البلدين •

٢) وجـــوب ارتبـــاط القيـــادة المشتركة بسلطة تنفيذية واحدة لها صفة دستورية معترف بها فى القطرين وحلها البسيط والمباشــر والمنطقى هو ايجاد نوع مــن الاتحاد الفيدرالى بين القطرين علـــى غــرار ميثـــاق ١٧ نيســـان •

جـ ــ اللجنة الاقتصادية :

١) ضــرورة وجود وزارة مركزية للتخطيط الاقتصادى فى شــئون الزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات والتنسيق بين خطط التنميـــة فى البلدين ورسم السياسة الاقتصادية وسياسة التبادل التجـــارى وتنسيق مختلف الشئون الاقتصادية عموما على أن يعاونها مجلـــس

(تابع ٥)

اقتصادى مكون من وزيرى الاقتصاد والتخطيط ومحافظى البنك
المركزى فى كلا البلدين وذلك بالاضافة الى لجنة التنسيق الاقتصادى
الدائمة الموجودة حاليا .

٢) ان المدة اللازمة لاستكمال واعداد التشريعات الخاصة بالوحدة
الاقتصادية هى ستة أشهر على أن تتم تسوية الاوضاع الاستثنائية
خلال فترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات .

وأرفقت الامانة العامة دراسات السادة الاعضاء المتفرغين للمنظمات
المشتركة تحت البند رابعا من مشروع جدول الاعمال .

١٠ - وقد أعدت الأمانة العامة مشروع جدول أعمال الاجتماع الاول لمجلس
الرئاسة المشترك طبقا لما تقدم ، وحرصت على أن تبرز الآراء والمقترحات
المقدمة بالنسبة لبنوده المختلفة .

والأمر مرفوع للمجلس .

رجاء التكرم باقرار مشروع جدول الاعمال ....

الأمين العام

فتحي الديب

مجلس الرئاسة المشترك　　　　　　　　　　(مرفق أ)

الامانــة العـامة

الاجـــراءات

التي اتخذت من جانب مختلف وزارات الجمهورية العربية المتحدة

بشـأن

مد الوزارات المقابلة بالجمهورية العراقية بالخبراء والفنيين

أولا : وزارة الزراعـــة :

١ ـ أعدت الوزارة الخبراء المطلوبين على الوجه التالـــي :

اربعة خبراء	في الانتاج النباتي
ثلاثة خبراء	في الانتاج الحيواني
اربعة خبراء	في مقاومة الآفات الزراعية
خبيريـــن	في الطب البيطري
خبير واحـد	في ادارة المزارع والآلات الزراعية
خبير واحـد	في الاقتصـاد الزراعي

٢ ـ تم الاتفاق مع السيد وزير الزراعة العراقي على ايفاد بعثة من وزارة الزراعة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة لدراسة باقي احتياجات القطاع الزراعـي بالعراق من الخبراء والفنيين .

ثانيا : وزارة الـــري :

٣ ـ اعدت وزارة الري عشرة مهندسين وستة مساحين من المصالح التابعـــة لها للاستعانة بهم في مشروعات الاصلاح الزراعي بالعراق .

٤ ـ صدر بالفعل قرار السيد رئيس الوزراء بسفرهم ، وتحدد يوم ١٧ سبتمبر للسفر .

ثالثا : وزارة الاصلاح الزراعي واصلاح الأراضي :

٥ ـ تمت الموافقة على ايفاد ثلاثة وثلاثين خبيرا في مجالات الاصلاح الزراعي ،

(يتبــع)

(تـــــــابع٢)

والمـصرى للعمـل بالعراق (مـن ضمنهم الستة عشر التابعين لوزارة الرى والسابق الاشارة اليهـــم) •

٦ ـ سافر بالعمل ١٦ خبيرا منهم ويتـم سفر الباقين خلال الاسبوع الثـــانـى مـن سـبتمبر •

رابعا : وزارة الاوقـــاف :

٧ـ أرسـلت الوزارة مجموعات قوانين الاوقاف بالجمهورية العـربية المتحـدة الى الحكومـة العراقيـة عـن طريق السفارة العربيـة ببغداد •

٨ ـ سـافر بالعمـل أحـد مهندسى وزارة الاوقـاف بالجمهورية العربية المتحدة الـى العراق منـذ اغسطس١٩٦٤ معارا الى وزارة الاوقاف العراقية •

خامسا : وزارة الاسكان :

٩ ـ تقرر الاستعانة ببعض المؤسسات المتخصصة بالجمهورية العربية المتحدة كمكاتب استشارية وتنفيذية للمشروعات العمرانية العامة ومشروعات الاسكان بالجمهورية العراقيـــة •

١٠ـ اعارة ٤٢ مهندسا فى مختلـف فروع التخصص و ١٧ رساما وخطاطا وذلـك طبقا لـلاحتياجات الموضحة مـن وزارة الاشغال والاسكان العراقية ، وقـد اتخذت الاجـراءات اللازمـة لسفرهـم على دفعـات ثلاث ابـتداء مـن أول اكتوبـر•

سادسا : وزارة الصناعة :

١١ـ سافر مهندس مـن شركة نصر للسيارات والجرارات الى العراق معـارا للحكومة العراقيـة للعمل فى مجالات خبرته •

سابعا : وزارة التعليم العالى :

١٢ ـ تـم ترشيح ١٣٢ استاذا للعمل بالجامعات العراقية ، بالاضافة الى تجـديد اعارة العاملين حاليـا بالجامعات العراقية وعددهم ٣٣ عضوا •

(يتبــع)

(تابع ٣)

١٣ ـ تتخذ الآن الاجراءات اللازمة لسفرهم فى موعد مناسب لافتتاح الدراسة بالجامعات فى العراق .

ثامنا : وزارة التربية والتعليم :

١٤ ـ تقرر اعارة ٢٥٦ مدرسا لمراحل ماقبل الجامعة وتوزيعهم كالتالى :

لغة عربية	١٥٣	لغة انجليزية	٣٢	رياضيات	١٣
علوم	٢٨	تربية رياضية	٢	تعليم صناعى	٢١
وظائف رئيسية	١	أمناء مكتبات	٢	تربية نسوية	١
مركز تدريب مهنى	٢	مرحلة أولى	١		

١٥ ـ تتخذ ترتيبات سفرهم ليتواجدوا فى أماكن عملهم فى موعد يتناسب مع افتتاح الدراسة .

تاسعا : وزارة التخطيط :

١٦ ـ طلبت الحكومة العراقية خبيرين فى التخطيط العام .

١٧ ـ تم اعداد خبيرى التخطيط وجارى انهاء اجراءات سفرهم .

عاشرا : وزارة البحث العلمى :

١٨ ـ طلبت الحكومة العراقية خبيرين لانشاء وزارة البحث العلمى بتنظيم الوزارة .

١٩ ـ جارى حاليا اعداد هذين الخبيرين مع تحديد نوع الخبرة ومستوى الخبراء .

حادى عشر : وزارة الداخلية :

٢٠ ـ المطلوب من وزارة الداخلية الحاق عدد من الطلبة العراقيين بكلية الشرطة ، وكذا عدد من الضباط من العراق بأقسام التخصص المختلفة بالكلية .

٢١ ـ مازالت الوزارة فى انتظار الكشوف التى تحدد أسماء المطلوب الحاقهم من الضباط والطلبة .

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

مشروع جدول أعمال

الاجتماع الاول لمجلس الرئاسة المشترك

بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة

المنعقد بمدينة الاسكندرية يوم ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٤

أولا : تقرير الامين العام عن الاجراءات التى اتخذت منذ توقيع اتفاق ٢٦ مايو (آيار)

١ – بيانات المتابعة (مرفق أ)

ثانيا : مشروع اللائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك

١ – مذكرة الامانة العامة بشأن مشروع اللائحة الداخلية

٢ – مشروع اللائحة الداخلية (مرفق ب)

ثالثا : مشروع الميزانية لعام ١٩٦٤/ ١٩٦٥

١ – مذكرة الامانة العامة بشأن مشروع الميزانية

٢ – مشروع الميزانية (مرفق ج)

رابعا : دراسات بشأن المنظمات المشتركة :

١ – تقرير السيد الوزير عبد الستار على الحسين عن اللجنة السياسية

٢ – تقرير السيد الوزير ناجى طالب عن القيادة العسكرية

٣ – تقرير السيد الوزير أديب الجادر عن اللجنة الاقتصادية

٤ – تقرير السيد الوزير كمال الدين الحناوى عن لجنة الثقافة والاعلام

٥ – تقرير السيد الوزير شعراوى جمعة عن لجنة الفكر الاشتراكى العربى

٦ – تقرير السيد الوزير على سيد على عن لجنة التنظيم الشعبى

خامسا : الموضوعات التى يرى المجلس مناقشتها .

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

الملحق (د-١)

كتابي د. عبدالسلام عارف

.. كما ثابته "

رقـــــم (٢)

مشـــــروع

اللائحـــة الداخليـــة

لمجـــلس الرئاســـة المشـــترك

(١)

مجلس الرئاســـة المشترك

الامانــــة العامة

مذكرة

الامانـــــة العـــــامة

بشـــأن

مشـــروع اللائحـــة الداخـــليـة

لمجلس الرئاســـة المشترك

٣

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

تقرير الامانة العامة

بشأن مشروع اللائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك

اعمالا لنص المادة الرابعة من الاتفاق المعقود بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية بتاريخ ٢٦ مايو (آيار) سنة ١٩٦٤ ، أعدت الأمانة العامة مشروعا للائحة الداخلية لمجلس الرئاسة المشترك .

وقد عرضت الأمانة العامة هذا المشروع على السادة أعضاء المجلس المتفرغين في اجتماعاتهم ، فوافقوا عليه بعد ادخال بعض التعديلات عليه (مرفق ب)

وتتشرف الامانة العامة بأن تورد فيمايلي عرضا موجزا لأحكام مشروع هذه اللائحة الداخلية

١ — يلتزم المشروع نصوص اتفاق ٢٦ مايو (آيار) سنة ١٩٦٤ ، وقد روى تضمين اللائحة الداخلية أهم نصوص الاتفاق .

٢ — ينقسم المشروع الى خمسة أبواب هي على التوالي :

مجلس الرئاسة المشترك — المنظمات المشتركة — الامانة العامة — الاحكام المالية — أحكام عامة وختامية .

٣ — يتضمن الباب الاول الاحكام الخاصة بتشكيل مجلس الرئاسة المشترك ، واختصاصاته وطريقة ممارسته للعمل ، وانعقاده ، وجلساته ، وقراراته ، وأهم هذه الاحكام :

أن يعهد المجلس الى احد اعضائه المتفرغين بالاشراف على واحدة أو أكثر من المنظمات المشتركة ، وعرض نشاطها على المجلس ، بحيث تستمر الصلة بين المجلس وهذه

(يتبع)

(تابـــع ٢)

المنظمات باعتبارها اللجان الفنية المختصة بالدراسة والبحث.

وقـد رأى بعض السادة الاعضاء المتفرغين ازاء تشكيل المجلـس برئاسة السيدين رئيسي الجمهوريتين أن يكون صدور قراراته باتفاق الرئيسين نيابة عن البلدين ، في حين رأى بعض السادة الاعضاء اشتراط نصاب معـين لانعقاد المجلس وصدور قراراته بأغلبية معينـة .

لذا أوردت الامانة العامة النصين المقترحين للمادة الرابعة عشرة .

كما يتضمن هذا الباب ايجاد الصلة بين المجلس والامانة العامة باعتبار الاخيرة هيئة متفرغة ومقيمة ، فالامين العام يعد مشروع جدول أعمال اجتماعات المجلس ويوجه الدعوة الى الاجتماعات ويحضـرها ، كما يجوز للمجلس تكليفه باعداد دراسات وتقديم تقارير عن بعض المسائل ، ويكون الامين العام أداة الاتصـال بين المجلس وحكومتي البلـدين .

٤ ـ أما الباب الثاني فخاص بالمنظمات المشتركة ، ويتضمن المشروع أن تشـكيل كل منظمة يصدر به قرار من مجلس الرئاسة المشترك ، ولم ينص على جعل التشكيل بعدد متساو من الاعضـاء مراعـاة لأن هذه المنظمات هيئات فنيــة للدراسة وتخضع توصياتها لقرارات المجلس ، ويكل المشروع الاشـراف علـى المنظمات وتنسيق أعمالها للسادة الاعضاء المتفرغين ، وكان طبيعيا أن ينـص على حق العضو المتفرغ في حضور جلسات المنظمة وأن تكون له كلمته في اعـداد جدول أعمالها بوصفه حلقة الاتصال بين المجلس والمنظمة .

٥ ـ يتناول الباب الثالث الاحكام الخاصة بالامانة العامة فيحدد اختصاصاتهـــا بما لا يخرج عما هو معتاد من وظائف الامانة العامة لأية منظمـة .

(يتبـــع)

(١٤)

(تابع ٣)

وقد نص على مسئولية الامين العام أمام مجلس الرئاسة المشترك عن أعمال المنظمة ، ومن أجل هذا خول تنظيم الامانة العامة بما يراه محققا لحسن سير العمل فيها .

ولما كانت المادة العاشرة من اتفاق ٢٦ مايو (آيار) سنة ١٩٦٤ تنص في فقرتها الثانية على أن تتحمل كل دولة رواتب وتعويضات الاعضاء والموظفين المعينين من قبلها ، فقد تضمن المشروع أن يتولى الوظائف الرئيسية للأمانة العامة موظفون منتدبون أو معارون من بين موظفي الحكومتين . على أنه مراعاة لضرورة توفير العدد اللازم من شاغلي الوظائف الرئيسية في الامانة العامة فقد خول الأمين العام التعيين في هذه الوظائف من بين رعايا البلدين على أن تسري عليهم أحكام القوانين واللوائح المعمول بها في كل دولة بالنسبة لرعاياها .

وحرصا على حسن سير العمل في الامانة العامة نص المشروع على منح موظفيها بدل طبيعة عمل يواجه به الموظفون أعباء عملهم فيها الذي يختلف عن طبيعة العمل الحكومي ، كما خول الامين العام منح رواتب اضافية ومكافآت تشجيعية عن الاعمال الاضافية والممتازة .

٦ - يتضمن الباب الرابع الاحكام المالية بما يتفق مع احكام الاتفاق بين البلدين فالميزانية تدفع مناصفة ، ولا تتضمن الرواتب والتعويضات الخاصة بالاعضاء والموظفين الا في حدود ما تنص عليه القوانين واللوائح كبدل السفر ، ورواتب الانتقال ، أو ما تنص عليه اللائحة الداخلية كرواتب الموظفين الذين يعينهم الامين العام وبدل طبيعة العمل وغيرها .

(يتبع)

(٥٠)

(تابـــع ٤)

والميزانية سنوية ، ويحدد المشروع تاريخ بدء السنة المالية ، والامين العام مخول في نقل المبالغ من بند الى بند ، كما أن له النقل من باب الى باب بتصديق المجلس ، وله كذلك أن يتقدم الى المجلس بطلب اعتمادات اضافية ، وهو الـــذى يحدد قواعد ضبط الميزانية وموازنتها دون التقيد بالاحكام المالية المطبقـــة في البلدين ، وظاهر أن هذه الاحكام تستهدف الى جانب ضبط الميزانية جعـــل التنظيم المالي مرنـــا محققـــا للغاية من الاتفاق .

٧ ـ أما الباب الخامس والأخير فانه يتضمن أحكاما عامة وختامية أهمها توفير الحمـــاية والحصانة للاعضاء والموظفين من كل دولة لدى الاخرى ، فضلا عن صيانة حرمة الاموال والاملاك والمباني والمراســـلات والمحفوظات لدى البـــلدين .

والأمـــر مرفوع رجاء التكرم بالنظـــر في اقرار مشـــروع اللائحـــة الداخليـــة لمجلس الرئاســـة المشـــترك .

مع فائق الاحـــــــــــترام ...

الامين العـــام
فتحي الديب

(١٦)

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

مرفق (ب)

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

الملحق (د - ٢)

المرفق بكتاب "عبد السلام عارف .. كما رأيته"

مشــــــــروع

اللائحــــــة الداخليــــــة

لمجـــلس الرئاســـة المشـــترك

مشــــروع

اللائحـــة الداخلية لمجلس الرئاسـة المشـترك

البــــاب الاول

مجلس الرئاسة المشترك

مـــادة ١ :

مجلس الرئاسة المشترك هو المجلس الاعلى للعمل مـن أجل اقامة الوحـدة بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة • ويشكل من رئيـس الجمهورية العربية المتحدة ورئيس الجمهورية العراقية ، ومـن ثلاثـة اعضاء متفرغين ، وثلاثة غير متفرغين مـن بين أعضـاء الحكومة ، مـن كـل مـن البلدين •

مـــادة ٢ :

يختص مجلس الرئاسة المشترك بمـا يلي :

أ ــ دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لاقامـة الوحدة بين البـلديـن •

ب ــ تخطيط وتنسيق سياسـة البلدين في المجالات السياسيـة والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفـي ميـدان الاعـلام •

جـ ــ تحقيق الوحدة الفكرية بـين شعبي الجمهورية العربية المتحـدة والجمهورية العراقية عـن طريق التنظيمين الشعبيين فـي البلدين ، والعمل على توحيـد التنظيمين في المستقبل•

مـــادة ٣ :

يمـارس مجلس الرئاسة المشترك اختصاصاتـه بنفسـه ، ويعهد الـى كـل مـن الاعضـاء المتفرغين بالاشراف على واحـدة أو أكثر من المنظمـات المشتركـة ، ويتولى العضو المشرف عرض نشاط المنظمات التي تحـت اشرافه على المجلس • وللمجلس أن يعهد الى أحـد اعضائه بـدراسـة

(يتبــع)

(١٨)

(تابع ٢)

مسألة معينة ، وله أن يكلف الامين العام باعداد دراسات معينة وتقديم تقارير عن بعض المسائل . كما أن للمجلس أن يدعو خبراء وفنيين من كلا البلدين لحضور اجتماعاته اذا اقتضت الضرورة ذلك .

مادة ٤ :

ينعقد مجلس الرئاسة المشترك في دورات عادية مرة كل ثلاثة أشهر ويوجه الامين العام الدعوة لانعقاد المجلس بعد الاتصال بحكومتي البلدين . ويكون توجيه الدعوة قبل شهر على الأقل من الموعد المحدد للانعقاد .

مادة ٥ :

يعد الامين العام مشروع جدول أعمال مجلس الرئاسة المشترك لكل دورة انعقاد عادية . ويتضمن هذا المشروع ، بصفة خاصة المسائل التاليـــة :

أ ـ المسائل التي ترى احدى الحكومتين عرضها على المجلس .

ب ـ توصيات المنظمات المشتركة ، والمسائل التي ترى طرحها على المجلس .

جـ ـ المسائل التي يرى الامين العام طرحها على المجلس .

د ـ المسائل المحالة من دورات انعقاد سابقة .

مادة ٦ :

يرسل الامين العام مشروع جدول أعمال دورة الانعقاد العادية لمجلس الرئاسة المشترك الى كل من الحكومتين والأعضاء المتفرغين قبل شهر على الأقل من موعد الانعقاد . ولكل من الحكومتين أن تقترح درج أية موضوعات جديدة قبل موعد الاجتماع باسبوع على الأقل .

مادة ٧ :

يعقد مجلس الرئاسة المشترك اجتماعات غير عادية كلما دعت الضرورة . ويكون عقد الاجتماعات غير العادية باتفاق رئيسي الجمهوريـــة

(يتبـــع)

(١٩)

(تابع ٣)

العراقية والجمهورية العربية المتحدة . ويوجه الأمين العام الدعوة لعقد الاجتماع غير العادي الى بقية أعضاء المجلس فور اخطاره بموعد الانعقاد .

مادة ٨ :

يعد الامين العام مشروع جدول أعمال الاجتماع غير العادي طبقا لما يتفق عليه الرئيسان ويبلغه الى بقية الاعضاء قبل موعد الاجتماع .

مادة ٩ :

مقر مجلس الرئاسة المشترك مدينة القاهرة . ويجوز باتفاق رئيسي الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية عقده في جهة أخرى وتبلغ الحكومتان الامين العام بالجهة التي يتفق على عقد المجلس فيها خلال ثمان واربعين ساعة من اتفاق الرئيسين على ذلك .

مادة ١٠ :

اجتماعات مجلس الرئاسة المشترك سرية ، الا اذا قرر المجلس علانيتها

مادة ١١ :

يحضر الامين العام جلسات مجلس الرئاسة المشترك . ويقدم في كل اجتماع تقريرا بشأن تنفيذ قرارات المجلس ، وسير العمل في المنظمات المشتركة .

مادة ١٢ :

يعرض مشروع جدول الاعمال في بداية الجلسة الاولى لكل اجتماع على مجلس الرئاسة المشترك لاقراره .

مادة ١٣ :

يتولى رئاسة دورات انعقاد مجلس الرئاسة المشترك رئيسا الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة بالتناوب . ويفتتح الرئيس الجلسة ويقفلها ويرفعها ويدير أعمالها ويعلن اقفال المناقشة ويطرح الاقتراحات لأخذ الرأي فيها ويعلن اصدار القرارات .

(يتبع)

(تابـــع ٩)

مـــادة ١٤ :

اقـتراح

يكون لكل مـن الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية صـــوت واحد • وتصدر قـرارات مجلس الرئاسة المشترك باتفاق رئيســــــى الجمهوريتين نيـــابة عـن البلدين •

اقـــتراح آخـر :

ينعقد المجلس صحيحا بحضور رئيسى الجمهوريتين وثلاثة أرباع اعضائـــــه • وتصدر قرارات المجلس بأغلبية ثلثى الأعضاء الحاضرين ، واذا تساوت الاصوات يرجح رأى الجانب الذى منه رئيس الاجتماع •

مـــادة ١٥ :

قرارات مجلس الرئاسة المشترك الزامية ونافـذة بمجرد تصـديق المجلـــس عليها ، عدا القرارات التى تحتاج الى استصدار قانون فيكون تنفيـــذها بعد المصادقة عليها حسب النظم الدستورية المعمول بها فى كل مـن البلدين •

مـــادة ١٦ :

يبـلغ الامـين العـام قرارات مجلس الرئاسة المشترك الى كل مـن حكومـــتى البـلدين ، ويتابع اجراءات المصادقة على القرارات التى تحـــتاج الـــى استصدار قوانـــين لـــدى كل مـن الحكومـــتين •

مـــادة ١٧ :

يقـوم الاعضاء المتفرغـون بمتابعة تنفيذ قـرارات مجلس الرئاسة المشـــترك وتنسيق الأعمـــال بين اللجان المشتركة وتقديم الدراسات والتوصيات الـــى المجلس عنـــد انعقاده •

(يتبـــع)

(تابع ٥)

الباب الثاني

المنظمات المشتركة

مادة ١٨ :

المنظمات المشتركة هي اللجان الفنية التي تقوم بدراسة واعداد الموضوعات المختلفة التي تعرض على مجلس الرئاسة المشترك ، أو التي يحيلها اليها . وتنشأ المنظمات المشتركة على النحو التالي :

أ ـ اللجنة السياسية

ب ـ القيادة العسكرية

ج ـ اللجنة الاقتصادية

د ـ لجنة الثقافة والاعلام

هـ ـ لجنة الفكر الاشتراكي العربي

و ـ لجنة التنظيم الشعبي

ز ـ أي لجان أخرى تقتضي الضرورة تكوينها .

مادة ١٩ :

يصدر بتشكيل كل من المنظمات المشتركة قرار من مجلس الرئاسة المشترك بناء على ترشيحات تقدمها الحكومتان .

مادة ٢٠ :

تختص القيادة العسكرية المشتركة بتنسيق تسليح وتدريب وتجهيز القوات المسلحة للبلدين ، ووضع خطط العمليات وتحريك القوات المسلحة ، كما تتولى قيادتها وقت الحرب . وتتخذ القيادة العسكرية المشتركة التدابير الكفيلة لمواجهة الحرب أو خطر الحرب . ويعتبر أي اعتداء أو تهديد بالاعتداء على أي من الدولتين موجها للدولة الأخرى .

(يتبع)

(تابـــع ٦)

مـــادة ٢١ :

تتـــولى اللجان المشتركة ، فى حدود تخصصها ، دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لاقـــامة الوحـــدة بين البـــلدين ، واقتراح الخطوات الكفيـــلة بتنسيق سيـــاستهما ، وتحقيق الوحدة الفكرية بـــين شعـــبى الجمهوريتين والعمل على توحيـــد التنظيمين الشعبيـــين فى البـــلدين مستقبلا .

مـــادة ٢٢ :

تجتمع المنظمات المشتركة فى مـــدينة القاهرة ، مـــالم تر المنظمة بالاغلبية المطلقة لاعضائها الاجتماع فى جهة أخـــرى وتخطـــر المنظمة الأمـــين العام بالجهة التى تختارها لاجتماعها فـــور تقريرها ذلك .

مـــادة ٢٣ :

تحـــدد المنظمة المشتركة مواعيـــد جلساتها ، وتخطرها الامين العام فى مـــوعد مناسب .

مـــادة ٢٤ :

يتولـــى الاعضـــاء المتفرغـــون لمجلس الرئاسة المشترك الاشراف علـــــى المنظمـــات المشتركة التى يصدر بتحديدها قرار المجلس . ويقـــــوم العضو المشرف بتنسيق أعمـــال المنظمات الخاضعة لاشرافه مع بقيـــــة المنظمـــات بالتعـــاون مـــع بقيـــة الاعضاء المتفرغين . ويتولى عرض أعمالهـــا ودراساتها وتوصياتها على المجلس ، ويتابع تنفيذ قرارات المجلس بشأنها .

مـــادة ٢٥ :

للعضو المشرف على احـــدى المنظمات المشتركة أن يكلفها ببحث مسائل معينـــة وتقديم دراسات وتوصيات بشأنها . ولـــه بعد الاتفاق مـــــع العضـــو المشرف على منظمـــة مشتركة أخرى أن يشكل لجانـــا من أعضـــاء المنظمتين لاعـــداد دراسة مشتركة لبعض المسائل .

مـــادة ٢٦ :

تنتخب المنظمة المشتركة رئيســـا ونائب رئيس ومقررا لها يشغلون مناصبهم

(يتبـــع)

(تابــع ٧)

لمدة عام • ويفتتح الرئيس الجلسة ويقفها ويرفعها ويدير أعمالهـا ويعلن اقفال المناقشة ويطرح الاقتراحات لأخذ الرأى ويعلن اصــدار التوصيات • ويحل نائب الرئيس محله عند غيابه •

مـادة ٢٧ :

يتولى رئيس المنظمة المشتركة وضع مشروع جدول أعمال اجتماعات المنظمة بالاشتراك مع العضو المتفرغ لمجلس الرئاسة المشترك المنوط اليـه الاشراف على أعمال المنظمة •

مـادة ٢٨ :

يرسل رئيس المنظمة المشتركة الى الامين العام نسخا معتمدة مـن جدول الاعمال ، ومحاضر جلسات المنظمة ، وتقاريرها ، وتوصياتهـا •

مـادة ٢٩ :

يكون انعقاد المنظمة المشتركة صحيحا بحضور نصف عدد أعضـائها زائدا واحدا • وتصدر توصياتها بأغلبية الحاضرين •

مـادة ٣٠ :

لكل منظمة مشتركة أن تستعين بخبراء وفنيين مـن كلا البلدين بعد الاتفاق مع الأمين العام • ولا يكون لهؤلاء الخبراء والفنيين صـوت فى اصدار التوصيات •

مـادة ٣١ :

لعضو مجلس الرئاسة المشرف على المنظمة المشتركة أن يحضر جلساتهـا ، وله أن يشترك فى مناقشاتها دون أن يكون لـه صوت فى اصدار توصياتها •

مـادة ٣٢ :

للأمين العام أن يحضر جلسات المنظمة المشتركة ، وله أن ينيب أحـد موظفى الامانة العامة عنه فى حضورها •

(يتبــع)

٤٩

(تابــــع ٨)

البـــــاب الثالـث

الامـــــــانـة العـــامـة

مـــادة ٣٣ :

الأمـانة العـــامـة هي الجهاز المنوطة اليه أعمال السكرتارية الفنية والادارية لمجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة ويكون مقر الامانة العـــامة مدينة القاهرة • وتختصرمما يلي :

أ — توجيه الدعـوة لعقد مجلس الرئاسة المشترك •

ب — تحضير الموضوعات التي يبحثها المجلس •

جـ — تدوين محاضر جلسات مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة ونشر القرارات بعد المصادقة عليها بالطرق الدستورية المعمول بها في كـل مـن البـلدين •

د — وضـع ميزانية المجلس والمنظمات المشتركة والامانة العامة •

مـادة ٣٤ :

يدير الامـانة العـامة أمين عام بدرجة وزير • ويعين باتفـــاق رئيسي الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقيـــة •

مـادة ٣٥ :

الأمين العـام هو الممثل القانوني لمجلس الرئاسة المشترك والمنظمـات المشتركة والامـانة العـامة • ويكون لـه بهذه الصفة أن يتصل بالجهـات الحكوميـة وغير الحكومية في كل مـن البـلدين • كـما يكون أداة الاتصال بالأمانة العـامة لجامعة الدول العربية وبالمنظمات الدولية والاقليميـــة وغيرها فيما يدخل في اختصاصـه •

مـادة ٣٦ :

يكون الأمـين العـام مسئولا أمـام مجلس الرئاسة المشترك عـن أداء الامانة

(يتبـــع)

(تابـــع ٩)

العـامة لأعمالها • وبشكل بصفة خـاصة مـن المهام التالية :

أ ـ الاعـداد لاجتماعات مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة •

ب ـ تنسيق العمل بـين مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركــة •

جـ ـ متابعة اجراءات المصادقـة على قرارات مجلس الرئاسة المـــشترك وتقديم تقاريـر دوريـة الى المجلس عـن مدى تنفيذها •

د ـ حفظ الوثائق والملفـــات المتعلقـة بأعمال مجلس الرئاسـة المشترك والمنظمات المشتركة •

هـ ـ تقديم الدراسات والتقارير التي يكلفـه مجلس الرئاسة المشـــترك باعـدادها •

مـــادة ٣٧ :

يشـرف الأمـين العـام على تـدوين ضابط ومحاضر جلسات مجلـــس الرئاسة المشترك والمنظمـات المشتركة • وتقوم الأمـانة العامـة بتلـــقي وطبـع وتبـليغ الوثائق والتقاريـر والتوصيات والقـرارات ومحاضر الاجتماعات وحفظ وثائق المجلس والمنظمات المشتركة وترجمـة مـا تدعو الضرورة لترجمته منهـا •

مـــادة ٣٨ :

يضـع الأمـين العام القـواعد الكفيلة بحسن سير العمل بالأمـانة العـامـة • ولـه في سـبيل ذلك أن ينشئ ادارات وأقسـاما بالأمـانة العامة وينسـق العمل بينها • كمـا أن لـه أن يستعين بموظفين وخبراء وفنيـين مـــن البـلدين •

مـــادة ٣٩ :

يتولى الوظائف الرئيسية للأمـانة العامـة موظفون منتدبون أو معارون مـــن بـين موظفي حكومـتي الجمهورية العراقيـة والجمهورية العربية المتحدة بنـاء على طلب الأمـين العـام • ويحتفظ الموظفون المنتدبـون والمعـارون بوظائفهم الاصلية وتسـري عليهم أحكام هـذه الوظائف طبقا للقوانـــين واللوائـح المعمول بهـا في كل مـن البـلدين • وذلك مع مراعاة أحـــكام هـذه اللائحـة •

(يتبـــع)

٥٦

(تابع ١٠)

مادة ٤٠ :

يعين الأمين العام في غير الوظائف الرئيسية للأمانة العامة موظفين من رعايا البلدين . وتسرى على هؤلاء الموظفين أحكام القوانين واللوائح المطبقة على أقرانهم في أى من البلدين . وتتحمل الأمانة العامة الرواتب والتعويضات التى تستحق لهم .

مادة ٤١ :

يمنح الموظفون المنتدبون والمعارون للعمل بالأمانة العامة ، والموظفون ~~والعاملون~~ الذين يعينهم الأمين العام للعمل بها ، علاوة على ما يستحقونه بحسب القوانين واللوائح المطبقة في شأنهم ، " بدل طبيعة عمل " بالفئات المبينة فى الجدول المرافق . وتتحمل الامانة العامة هذا البدل من ميزانيتها .

مادة ٤٢ :

للأمين العام أن يمنح الموظفين الملحقين للعمل بالأمانة العامة أو المعينين بها طبقا للمواد السابقة أجورا اضافية ومكافآت تشجيعية نظير قيامهم بأعمال اضافية أو لكفاية ممتازة .

مادة ٤٣ :

لا يجوز لموظف الامانة العامة الجمع بين عمله فيها وأى عمل آخر حكومى أو غير حكومى الا باذن كتابى من الأمين العام وفى الأحوال الاستثنائية .

مادة ٤٤ :

على موظف الأمانة العامة أن يراعى فى عمله الكتمان والمحافظة على أسرار العمل وعدم الادلاء بأية بيانات أو تصريحات عن العمل بغير اذن من الأمين العام .

مادة ٤٥ :

يخضع موظفو الأمانة العامة خلال عملهم للامين العام . ويضع الأمين

(يتبع)

مـ

(تابــــع ١١)

العام تقارير سنوية عن أعمالهم وسلوكهم يقدمها الى حكومتهم .

مــادة ٤٦ :

للأمين العام بالنسبة لموظفى الأمانة العامة سلطات التأديب وتوقيع الجزاءات المقررة للرئيس الأعلى للموظف طبقا للقوانين واللوائح المعمول بها فى أى من البلدين . وله أن ينهى عمل أى منهم بالأمانة العامة فى أى وقت . كما أن له أن يوقفه عن العمل أثناء التحقيق معه لمخالفات ادارية أو مالية .

(يتبــــع)

الباب الرابع

الأحكام المالية

مادة ٤٧ :

تدفع ميزانية مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة والأمانة العامة مناصفة بين الدولتين .

مادة ٤٨ :

تتحمل كل دولة الرواتب والتعويضات المقررة للأعضاء والموظفين المعينين من قبلها وفق أنظمتها المالية الخاصة بها . ولاتدرج هذه الرواتب والتعويضات في الميزانية ، على أنه تصرف من الميزانية المبالغ المنصوص على تحميلها للميزانية طبقا لهذه اللائحة ، والمبالغ التي تتحملها وفقا للقوانين واللوائح المعمول بها في الدولتين بشأن الأعضاء والموظفين .

مادة ٤٩ :

الميزانية سنوية . وتبدأ السنة المالية في أول يوليو (تموز) من كل عام .

مادة ٥٠ :

يضع الأمين العام مشروع الميزانية ويعرضه على المجلس في آخر اجتماع له قبل شهرين من تاريخ بدء السنة المالية . ويبين القواعد التي وضعت على أساسها الميزانية .

مادة ٥١ :

يصادق مجلس الرئاسة المشترك على الميزانية . ولكل من الحكومتين أن تقدم ملاحظاتها عليها خلال شهر من تاريخ عرضها على المجلس .

(يتبع)

(تابع ١٣)

مادة ٥٢ :

تؤدى كل حكومة حصتها فى الميزانية خلال خمسة عشر يوما من مصادقة المجلس عليها . ولا يحول ابداء احدى الحكومتين ملاحظات على الميزانية من أداء حصتها فى الموعد المقرر .

مادة ٥٣ :

اذا لم تتم المصادقة على الميزانية قبل بدء السنة المالية ، عمل بميزانية السنة السابقة الى أن تتم المصادقة عليها .

مادة ٥٤ :

يضع الامين العام القواعد والتعليمات الكفيلة بضبط الانفاق من الميزانية وموازنتها . وللأمين العام أن ينقل أى مبلغ من بند الى آخر من بنود الميزانية . كما أن له بشرط تصديق مجلس الرئاسة المشترك أن ينقل مبالغ من باب الى آخر من أبوابها .

مادة ٥٥ :

للأمين العام أن يطلب الى مجلس الرئاسة المشترك فتح اعتمادات اضافية لمصروفات غير مدرجة فى الميزانية أو تتجاوز الاعتمادات المقدرة بها . ويصادق المجلس على الاعتمادات الاضافية ، وتؤدى طبقا للأحكام السابقة .

مادة ٥٦ :

يقدم الأمين العام الى مجلس الرئاسة المشترك حسابا ختاميا عن السنة المالية السابقة خلال شهرين من بدء السنة المالية الجديدة . ويصادق المجلس على الحساب الختامى .

(يتبع)

(تابع ١٤)

الباب الخامس

أحكام عامة وختامية

==============

مادة ٥٧ :

تكون حرمة مباني مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة والامانة العامة ومراسلاتها ومحفوظاتها مصونة • ولا يجوز الحجز على أموالها وأملاكها أو التنفيذ عليها •

مادة ٥٨ :

يتمتع أعضاء مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة والامين العام والموظفون الرئيسيون بالامانة العامة من رعايا احدى الدولتين بالحصانات والمزايا الدبلوماسية في الدولة الأخرى •

مادة ٥٩ :

للامانة العامة الحق في استعمال حقائب دبلوماسية فيما بين الدولتين ولأعضاء مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة الحق في استعمال حقائب الامانة العامة •

مادة ٦٠ :

يعمل بهذه اللائحة والجدول المرافق لها من تاريخ اقرار مجلس الرئاسة المشترك لهـا • ويجوز تعديلها بقرار من المجلس •

جدول

بدل طبيعة العمل .

لموظفى الامانة العامة

الشرائح	المرتب الاصلى فى العام بالجنيه المصرى ومايقابله بالدينار العراقى	بدل طبيعة العمل فى العام
١	من ١٤٠٠ الى ١٨٠٠	١٠٠٠
٢	من ١٢٠٠ الى ١٤٠٠	٥٤٠
٣	من ٨٧٦ الى ١٢٠٠	٤٢٠
٤	من ٦٨٤ الى ٨٧٦	٣٦٠
٥	من ٥٤٠ الى ٦٨٤	٣٠٠
٦	من ٤٢٠ الى ٥٤٠	٢٤٠
٧	من ٣٣٠ الى ٤٢٠	١٨٠
٨	من ٢٤٠ الى ٣٣٠	١٤٤
٩	من ١٨٠ الى ٢٤٠	١٢٠
١٠	من ١٢٤ الى ١٨٠	١٢٠
١١	من ١٠٨ الى ١٢٤	٨٤
١٢	من ٨٤ الى ١٠٨	٧٢
١٣	أقل من ٨٤	٦٠

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

من ٢ رشيف السيد

صبحي عبد الحميد

الملحق (٥-٢)

(المرفق بكتاب د. عبد السلام عارف .. كما رأيته ..)

رقم (٣)

مشروع ميزانية

مجلس الرئاسة المشترك

لسنة ٦٤/١٩٦٥

٢٧

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

مذكرة الامانة العامة

بشأن مشروع ميزانية مجلس الرئاسة المشترك

لعام ١٩٦٥/٦٤

تبلغ اعتمادات ميزانية العام الاول لمجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشتركة والامانة العامة مائة ألف جنيه مصرى ، تدفعها حكومتا الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة مناصفة طبقا للمادة العاشرة من اتفاق ٢٦ مايو (آيار) سنة ١٩٦٤ المعقود بين البلدين .

وتنقسم الاعتمادات الى بابين هما :

الباب الاول : الخاص بالرواتب والاجور

الباب الثاني: الخاص بالمصروفات العامة

١ — تبلغ اعتمادات الباب الاول ٤٤٠٠٠ جـ أربعة وأربعين ألف جنيه باستبعاد مبلغ ١٢٧٠٦ جـ اثنى عشر الفا وسبعمائة وستة جنيهات ينتظر عدم صرفها حيث لم تتم المصادقة على الميزانية قبل بدء السنة المالية .

٢ — قسم الباب الاول الى ستة بنود لمواجهة الانواع المختلفة للمرتبات والرواتب والمكافآت والبدلات وغيرها من المبالغ التى يستحقها الموظفون .

٣ — راعت الامانة العامة أن تحقق الانسجام بين أحكام مشروع اللائحة الداخلية فيما يتعلق بالموظفين ، حيث تقسم الموظفون الى فئتين ،

(يتبع)

(تابـــع ٢)

أ ـ الذين يشغلون الوظائف الرئيسية ـ وهؤلاء ينتدبون أو يعارون من بين موظفي الحكومتين . فأما الموظفون المنتدبون فانهم يحصلون على رواتبهم (مرتباتهم) من حكومتهم مباشرة . ولا تتحمل الميزانية لهم سوى ما يستحقونه طبقا لمشروع اللائحة الداخلية . كبدل طبيعة العمل أو الاجور الاضافية . والمكافآت التشجيعية . وما يستحقونه تطبيقا للقوانين واللوائح التي تنظم معاملة الموظفين المنتدبين كبدل الانتقال وغيره . أما الموظفون المعارون فان القوانين واللوائح تحمل الجهة التي يعار اليها الموظف ما يستحقه .

ب ـ الذين يشغلون الوظائف غير الرئيسية . وقد اقترحت الامانة العامة في مشروع اللائحة الداخلية أن يخول الامين العام حق تعيين الموظفين لشغل الوظائف غير الرئيسية في الامانة العامة . وذلك مراعاة لصعوبة توفير العدد المطلوب منهم عن طريق الانتداب والاعارة من الحكومتين بسبب تعذر استغناء الوزارات المختلفة عنهم . ومن هذه الفئة كاتبو الآلة الكاتبة والمختزلون ثم السائقون وغيرهم .

لهذا أعدت بنود الباب الاول مع مراعاة تقسيم الموظفين الى معينين ومعارين ومنتدبين . طبقا للجدول المرافق للباب الاول .

٤ ـ وقد رأت الامانة العامة أن تستعمل التسميات التي جاءت في اتفاق ٢٦ مايو (أيار) بحيث يقصد بالرواتب . المرتبات الاصلية التي يستحقها الموظف . ويقصد بالتعويضات ما يتقاضاه الموظف علاوة على مرتبه الاصلي من بدلات . كبدل طبيعة العمل وغيره .

أما المكافآت . فهي تلك التي تمنح للموظف نظير عمل اضافي أو ممتاز أداه .

(يتبـــع)

٢٥

(تابع ٣)

وتدخل فيها مكافآت حضور الجلسات .

٥ - ولما كان الموظفون المعينون يعاملون دائما للقوانين واللوائح في البلدين فقد خصص البند السادس من الباب الاول لحصة الحكومة في التأمين والادخار .

٦ - أما الباب الثاني الخاص بالمصروفات العامة فتبلغ اعتماداته ٥٦٠٠٠ جـ ستة وخمسين ألف جنيه مصرى ، وينقسم الى ١٥ بندا مفصلة في مشروع الميزانية المرافق ويشمل اعتمادات مرتبات الانتقال وبدل السفر والتليفون والتلغراف والبريد وايجارات المباني وصيانتها ، والصيانة والتجهيزات والآلات ، وصيانة وسائل النقل والنشر والاعلان والمطبوعات وتكاليف الابحاث العلمية ، والمصروفات ذات الطابع الخاص والمصروفات المتنوعة والنثرية والمياه والانارة وشراء وسائل النقل والمهمات المستهلكة والتجهيزات والآلات .

ومن الواضح أن كثيرا من هذه المصروفات ستقل باذن الله في ميزانيات الاعوام القادمة باعتبارها مصروفات انشائية يقتضيها الاعداد لقيام المجلس ، كمصروفات شراء وسائل النقل ومايشابهها .

٧ - ترجو الامانة العامة أن ترفع للمجلس الاعتبارات التالية :

أ - انه اذا كان وضع الميزانية عملا يقوم على التقدير ، فان التقديرات تستند غالبا الى تقديرات العام السابق ، ومن ثم تكون أقرب الى الصحة أما ميزانية العام الاول فان كثيرا من بنودها تفتقر الى قواعد للوصول بتقديراتها الى مايقرب من الصحة وخاصة فيما يتعلق بميزانية مجلس الرئاسة المشترك ذى الطبيعة الخاصة .

ب - فالباب الاول الخاص بالرواتب والاجور يقوم أساسا على تقدير عدد الموظفين

(يتبع)

(تابـــع ٤)

الذين تحتاج اليهم الامانة العامة للقيام بوظائفها . وقد راعت الامانة العامة أن تكون تقديراتها أقرب الى الصحة ، فحددت الدرجات ، وقامت بحساب بتوسط ما يستحقه الموظف سواء كان معينا أو منتدبـــا أو معـــارا . ومع هذا فان الانتداب أو الاعارة لا يتوقف على ارادة الامانة العـــامة وحدها بل يتوقف على مدى نجاحها فى الاتفاق مع الوزارات على الاستغناء لها عن عدد معين من الموظفين من درجات معينة ، لهذا فليس من اليســير أن تلتزم الامانة العامة بالبيان المرافق للميزانية عـــن درجات الموظفين ، وبالتالي يكون من الصعب عليها بالنسبة لميزانيـــة هذا العام أن تلتزم بعدم نقل مبالغ من بند الى بند ، بل ومن باب الـــى باب ، ولما كان مشروع اللائحة الداخلية ينص على ضرورة تصديق المجلس على النقل من باب الى باب ، فان الامانة العامة ترجو أن يصدر المجلس ترخيصه بهذا النقل بالنسبة لميزانية العام الاول .

جـ ـ ولما كان الباب الثانى يتضمن كثيرا من المصروفات الانشائية ، وهى الاخرى مما يصعب الاهتداء الى تقدير سليم بشأنها ، فقد يقتضى على المجـــلس مستقبلا زيادة مشترياته من بعض الادوات والمواد والاشياء ، الأمـــر الذى قد يضطر الامانة العامة فى المستقبل الى رفع الامر الى المجلس للحصول على اعتمادات اضـــافية .

د ـ وأخيرا فان طبيعة المجلس تجعل من غير الضرورى التزام الامانة العامـــة بالاحكام المطبقة فى البلدين بشأن وضع الميزانية وضبط الانفاق منهـــا

(يتبـــع)

(تابـــع ٥)

خاصة وان اتفـــاق ٢٦ مايو (٣ أيار) ومشروع اللائحة الداخلية

يكفـــلان رقابة المجلس على الميزانية والحساب الختامى .

لكل ما تقـــدم ، تتشـرف الامانة العـــامة بأن ترفع الى المجلس المشروع المرافق

لميزانية مجلس الرئاسة المشترك والمنظمات المشـــتركة والامانة العامة من عام ١٩٦٥/٦٤

رجـــاء التـــكرم :

أولا : بالمصادقة على الميـــزانيـــة

ثانيا : بالترخيص للأمين العام بأن ينقل مبالغ من باب الى باب ، كلما اقتضى الأمـــر

ذلك ، على أن يتضمن الحساب الختامى أسباب هذا النقل .

مع فـــائق الاحـــــــــترام ،،

الامين العـــام
فتحي الديب

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة .

من أ/ رئيف السيد

صبحي عبد الحميد

الملحق (د-٤)

مكتابه " عبد السلام عارف
كما رأيته "

مذكرة

الامانة العامة

بشأن

مشروع ميزانية مجلس الرئاسة المشترك

لعام ١٩٦٤ / ١٩٦٥

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

(مرفق حـ)

مشروع ميزانية

مجلس الرئاسة المشترك

لسنة ١٩٦٥/٦٤

مشروع الميزانية

الايـــــــرادات

	جـــــم	
	١٠٠ر٠٠٠	مائة الف جنيه مصـــري
	جـــم	
حصة الجمهورية العراقية :	٥٠ر٠٠٠	خمســون ألف جنيه مصــر
حصة الجمهورية العربية المتحدة :	٥٠ر٠٠٠	خمســون ألف جنيه مصــري
الاجمـــالى	١٠٠ر٠٠٠	مائة الف جنيه مصــرى

(تابـــع ٢)

المصـــــروفات

الباب الاول :	جــــــــــــــــنيه
الرواتب والأجـــور	٤٤٫٠٠٠ أربعة وأربعـــون ألف جنيه
الباب الثاني :	
المصـــروفات العـامة	٥٦٫٠٠٠ ستة وخمسون الف جنيه
الاجمــــــــالي	١٠٠٫٠٠٠ مائة ألف جنيـــه

(تابـع ٣)

الباب الاول

١ ـ توزيع مصروفات الباب الأول بنـدا بنـدا

باب ١ ـ الرواتب والاجور

البنـد	جـم
بند ١ ـ الأجـور	١٨٠٥٧
بند ٢ ـ المعارون ويتحمل المجلس أجورهم	١١٤٤٨
بند ٣ ـ المكافـآت	٦٥٠٠
بند ٤ ـ الرواتب والبدلات	١٦٠١٢
بند ٥ ـ ملابس العـاملين	١٠٠٠
بند ٦ ـ حصة الحكومة	٣٦٨٩
الجمـلة	٥٦٧٠٦
مستبعد منتظر عدم صرفه	١٢٧٠٦
اجمالى الرواتب والاجـور	٤٤٠٠٠

(تابـــع ٤)

٢ ـ مفردات الباب الأول بندا بندا

البنـــــــد	جـــــــم
بند ١ ـ الرواتب وفقا للكشف المرفق دون المدارين	١٨٠٥٧
الجمــــلة	١٨٠٥٧
بند ٢ ـ رواتب المدارين وفقا للكشف المرفق	١١٤٤٨
الجمــــلة	١١٤٤٨
بند ٣ ـ مكافــآت :	
١ ـ مكافآت عدا أعمال اضافية ومكافآت تشجيعيــة	٥٠٠٠
٤ ـ حضور جلسات	١٥٠٠
الجمــــلة	٦٥٠٠
بند ٤ ـ التعويضات :	
٢ ـ بدل طبيعة عمل	١٥٩٠٤
١٥ ـ بدل صراف واحد بواقع ٢ جـ خزينة فرعيـة	٢٤
١٦ ـ بدل اختزال بواقع ٦	٧٢
١٩ ـ بدل سماعة بواقع ١	١٢
الجمــــلة	١٦٠١٢
بند ٥ ـ ملابس خـــدم :	
٢ ـ كساوى وملابس للعمال	١٠٠٠
الجمــــلة	١٠٠٠
بند ٦ ـ حصة الحكومة متضمنة الخاصة بالمدارين بواقع ١٢٫٥ ٪ : ١ ـ حصـة الحكومـة	٣٦٨٩
الجمــــلة	٣٦٨٩
الاجمـــــــالى	٥٦٧٠٦

(يتبـــع)

الدرجة	المتوسط	المعينون: العدد	المعينون: الرواتب	المعينون: طبيعة عمل	المعينون: حصة الحكومة	المعينون: الجملة	المعارون: العدد	المعارون: الرواتب	المعارون: طبيعة العمل	المعارون: حصة الحكومة	المعارون: الجملة	المنتدبون: العدد	المنتدبون: طبيعة عمل	المنتدبون: رواتب	اجمالي: طبيعة عمل	اجمالي: حصة الحكومة	اجمالي
	جـ		جـ	جـ	جـ	جـ		جـ	جـ	جـ	جـ		جـ	جـ	جـ	جـ	جـ
١	١٣٥٠	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١	٥٤٠		—	—	
٢	١١٥٨	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	٨٤٠		—	—	
٣	٩٤٢	—	—	—	—	—	٤	٣٧٦٨	١٤٤٠	٤٧١		١	٣٦٠				
٤	٧٥٠	١	٧٥٠	٣٠٠	٩٤		٥	٣٧٥٠	١٥٠٠	٤٦٩		١	٣٠٠				
٥	٦٠٠	٦	٣٦٠٠	١٤٤٠	٤٥٠		٥	٣٠٠٠	١٢٠٠	٣٧٥		٤	٩٦٠				
٦	٤٢٥	٣	١٣٩٥	٥٤٠	١٧٤		٢	٩٣٠	٣٦٠	١١٦		١	١٨٠				
٧	٣٦٠	٤	١٤٤٠	٥٧٦	١٨٠												
٨	٢٧٠	١٠	٢٧٠٠	١٢٠٠	٣٣٨												
٩	٢٢٢	٢٦	٥٧٧٢	٣١٢٠	٧٢٢												
١٠	١٦٨	٨	١٣٤٤	٦٧٢	١٦٨												
١١	١٣٢	٨	١٠٥٦	٥٧٦	١٣٢												
١٢	٧٢																
		٦٦	١٨٠٥٧	٨٤٢٤	٢٢٥٨	٢٨٧٣٩	١٦	١١٤٤٨	٤٥٠٠	١٤٣١	١٧٣٧٩	١٠	٣١٨٠				

(تابـــع ٩)

البـــاب الثاني

توزيـــع المصـــروفـــات العامة بندا بندا

				جـــم
			باب ٢ مصـــروفات عامـــة	
بنـد	١	-	مرتبـات انتقال وبـدل ســفر	٥٢٥٠٠
بنـد	٢	-	تليفون وتلغراف وبـــريد	٢٤٠٠٠
بنـد	٣	-	ايجـــارات	١٥٠٠٠
بنـد	٤	-	صـــيانة مبـــانى	٢٠٠٠
بنـد	٥	-	صـيانة تجهيزات وآلات	٣٠٠٠
بنـد	٦	-	صـيانة وســائل النقـل	٦٠٠٠
بنـد	٧	-	نشـر واعــلان ومطبــوعات	٤٨٠٠٠
بنـد	٨	-	تكاليف أبحـاث علمية	٥٠٠٠
بنـد	٩	-	مصـروفات ذات طـابع خاص	٥٤٥٠٠
بنـد	١٠	-	مصـروفات متنوعة ونثـرية	٢٣٦٠٠
بنـد	١١	-	ميـــاه وانارة	٨٠٠٠
بنـد	١٢	-	تسـيير وسائل النقـل	١٨٠٠٠
بنـد	١٣	-	شـــراء وسائل النقل	١٨٠٠٠٠
بنـد	١٤	-	مهمـــات مستهلكة	١٥٤٠٠
بنـد	١٥	-	تجهيزات وآلات	١٠٥٠٠٠
			الجملـــــة	٥٦٠٠٠٠

(تابـــع ٧)

مفردات المصروفات العامة

بند ١ — مرتبات انتقال وبدل سفر	جـــم
١ — مرتبـــات انتقال وبدل سفر	١٥٠٠
٢ — مرتبات غير الموظفين	٥٠٠
٣ — بدل سفر الموظفين	٣٠٠٠
٤ — بدل سفر غير الموظفين	٥٠
٥ — نقل المهمـــات	٢٠٠
الجملـــة	٥٢٥٠
بند ٢ — تليفون وتلغراف وبريد	
١ — تليفـــون	١٠٠٠
٢ — تلغـــراف	٢٠٠
٣ — بريـــد	٧٠٠
٤ — اشتراك التيكر	٥٠٠
الجملـــة	٢٤٠٠
بند ٣ — ايجـــارات	
١ — ايجـار مباني وكسح	١٠٠٠
٢ — ايجار جراجات للسيارات	٥٠٠
الجملـــة	١٥٠٠

	جـــم
بنـد ٤ ـ صيانـة مبانى	
صيانة وترميم وتعديل وأعمال جديدة صغيرة	٢٠٠
الجملـــة	٢٠٠
بنـد ٥ ـ صيانة تجهيز وآلات	
١ ـ صيانة وترميـم أثاث	١٠٠
٢ ـ صيانة ماكينات وعدد وآلات ومعدات	٥٠
٣ ـ صيانة آلات كاتبة وحاسبة واحصائية	٥٠
٤ ـ صيانة اجهزة تدفئة وتبريد وتهوية	٥٠
٥ ـ صيانة خزن ودواليب	٥٠
الجملـــة	٣٠٠
بنـد ٦ ـ صيانة وسائل النقل	
١ ـ صيانة وسائل النقل البرية	٦٠٠
الجملـــة	٦٠٠
بنـد ٧ ـ نشـر واعلان ومطبوعات	
١ ـ مصـروفات طبع ومطبوعات	٣٠٠٠
٢ ـ نشـرات وكتيبات واعلانات	١٥٠٠
٣ ـ اشتراكات فى مجلات وجرائد سايرة	٢٠٠
٤ ـ بطاقات وتذاكـر	١٠٠
الجملـــة	٤٨٠٠

(يتبع)

(تابـــع ٩)

بنـد ٨ – تكاليف ابحاث علمية	جـــم
تكاليــف ابحـــــاث	٥٠٠
الجملــــة	٥٠٠
بنـد ٩ – مصـروفات ذات طابع خاص	
١ – مصـروفات سرية	١٥٠٠
٢ – مصـروفات غير منظورة	٤٥٠
٣ – مصـروفات ولائــم	٣٥٠٠
الجملــــة	٥٤٥٠
بنـد ١٠ – مصروفات متنوعة و نثرية	
١ – ضرائب ورســوم	٣٠
٢ – مصـروفات تأمين وعمولــــة	٣٠
٣ – مصروفات الاعيــاد والمواسم	١٥٠
٤ – مصـروفات دفــن	١٥٠
٥ – مكافآت لغير الموظفين عن خدمات خاصـة (الخبراء والفنيـــين)	٢٠٠٠
الجملـــة	٢٣٦٠

(تابـــع ١٠)

بنـد ١١ ـ ميـاه وانـارة	جـم
١ ـ ميــــاه	٢٠٠
٢ ـ انــــارة	٦٠٠
الجملـــــة	٨٠٠
بنـد ١٢ ـ تسيير وسائل النقل	
وقود وزيوت وشحومات للسيارات والموتسيكلات	١٨٠٠
الجملـــــة	١٨٠٠
بنـد ١٣ ـ شــراء وسائل النقل	
١ ـ شراء سيارات وموتسيكلات ودراجات	١٨٠٠٠
الجملـــــة	١٨٠٠٠
بنـد ١٤ ـ مهمات مستهلكـــة	
١ ـ ادوات كتابية	١٠٠٠
٢ ـ مهمات كهـربائيـــة	٢٠٠
٣ ـ أدوات نظـــافة	٢٠٠
٤ ـ مهمـــات تصـــوير	٥٠
٥ ـ مـــواد اطفـــاء الحريـــق	٢٠
٦ ـ مهمـــات أخـــرى	٧٠
الجملـــــة	١٥٤٠

(تابع (١))

بند ١٥ـ تجهيزات وآلات	جـ م
١ ـ أثاث ومفروشات	٦٠٠٠
٢ ـ أدوات مكتبية	٢٠٠
٣ ـ خزن حديد ودواليب صاج	١٠٠٠
٤ ـ عدد وآلات وأجهزة	٥٠٠
٥ ـ آلات كاتبة	٨٠٠
٦ ـ آلات احصائية وحاسبة	١٥٠
٧ ـ آلات طباعة	٥٠٠
٨ ـ اجهزة تدفئة وتبريد	٥٠٠
٩ ـ ادوات تصوير	٢٠٠
١٠ ـ اجهزة وقاية حريق	٥٠
١١ ـ شراء وتجليد وثائق وكتب ومجلات	٢٠٠
١٢ ـ مقتنيات فنية وعاديات	٣٠٠
١٣ ـ تجهيزات أخرى متنوعة	١٠٠
الجملة	١٠٥٠٠
جملة الباب الثاني	٥٦٠٠٠

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

الملحق (د - ٥)

المرفق بكتابي "عبد السلام عارف .. كما رأيته"

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

رقم (٤)

دراسات بشأن المنظمات المشتركة

للسادة الوزراء المتفرغين بمجلس الرئاسة المشترك

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

تابع - الملحق (د - ٥)

المرفق بكتاب «عبد السلام عارف .. كما رأيته»

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

اللجنة السياسية

التقرير المقدم من السيد الوزير

عبد الستار علي الحسين

٦٦

مجلس الرئاسة المشترك

التقرير المقدم من السيد الوزير / عبد الستار الحسين
بشأن دراسة المسائل المتعلقة باللجنة السياسية

مذكرة حول اتفاقية ٢٦ مايس

لم تكن اتفاقية ٢٦ مايس الا خطوة على طريق الوحدة ، ورغم ان النضال العربي في ثوراته الدامية قد تخطاها كثيرا فيمكن اعتبارها بداية اقتضت بعض الظروف المحلية أن تكون كذلك ، الا ان الامة العربية التي يتكون منها الشعب العربي في المنطقة لايمكن أن ترضى – بعد أن لاقت من الاهوال والمآسي عبر قرون عديدة مالم تلقه أمة أخرى – بحلول مرحلية مهما كانت الظروف والاسباب بل لايمكن ان ترضى عن الوحدة بديلا ، فقد قامت اتحادات بين مصر واليمن وبين العراق والاردن (الاتحاد الهاشمي) كما قدمت مشاريع كثيرة منها مشروع الهلال الخصيب ومشروع ناظم القدسي سنة ١٩٥٢ ، ومشروع البعثيين " ا[illegible] الاتحادية " قبل ثورة رمضان وكلها تخطاها المد الثوري العربي وكان قرار سياسي بسيط كاف لمحوها من الوجود وقد اكدت كل هذه الاتحادات والمشاريع في ضمير الجماهير العربية أن الوحدة ثورة مهدها كفاح واخطار وعقبات وثمنها دماء وعرق ودموع .

وبالنسبة الى الجمهوريتين العربية والعراقية فان على رأس الدولتين العربيتين في الوقت الحاضر ثائرين رفعا راية الثورة عاليا أمام جميع التحديات في المنطقة ، ووقفا أمام أضخم القوى وخاضا أعنف المعارك ضراوة قامت على مسرح الارض العربية وعلى ضوء كل ذلك وفي عملنا لابد لي هنا من الاشارة الى اتفاق ١٧ نيسان ١٩٦٣ لقد كان كل من الرئيسين جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف على رأس الدولتين عند التوقيع عليه وكان هنالك البعثيين مع كل خياناتهم وغدرهم ، ورغم ذلك [illegible] قد هذا الاتفاق متضمنا تكوين دولة اتحادية واحدة بينما يقوم الآن في العراق حكم وحدوي ذا مضمون اشتراكي عرف القائمون فيه بوحدويتهم وايمانهم وأمتهم وقوميتهم .

وفي اتفاق ١٧ نيسان وضعت احكام انتقالية منها :

١ – أن يستفتى على دستور الاتحاد وعلى رئيس الجمهورية في مدة اقصاها خمسة اشهر من تاريخ اعلان هذا البيان .

٥٢

(تابــع ٢)

٢ — تستكمل المؤسسات الدستورية الاتحادية جميع عناصرها التي نص عليها الدستور في مدة أقصاها ٢٠ عشرون شهرا من تاريخ اعلان الاستفتاء وتنتهي بذلك فترة الانتقال.

وقد انتهت فترة الخمسة أشهر الاولى ، ومضى القسم الاعظم من الفترة الثانية ، وإذا أضيف الى ذلك صدور القوانين الاشتراكية في العراق ، تلك القوانين التي أزالت أكبر عقبة في طريق الوحدة بين الجمهوريتين بعد أن تم الاتحاد الاشتراكي ، ووضحت معالم الطريق أصبح المستربط في قيام الوحدة أي تريث ليس له ما يبرره ، وأصبح التخوف من أمور مهما كانت درجة خطورتها ليس له محل اطلاقا ، ومهما يقدم من حجج ضد قيام الوحدة فهناك حجج أخرى تدحضها ، صحيح أن هناك قوى تعمل ضد الوحدة وضد القوانين الاشتراكية وهي تتمثل بالاستعمار وركائزه المتمثلة في الرأسمالية والاقطاع والشعوبية ... الخ وقد باشرت هذه القوى تعمل بضراوة كي تتخطى المسائل تكريس الدولتين ، ليس فيه وحدة وطنية ، فهل كانت هذه القوى جديدة في العالم العربي ؟ لقد عملت هذه القوى في العراق منذ وجدت الوحدة والاشتراكية ، ومنذ وجد الوحدويون والاشتراكيون ، بل قبل ذلك بكثير ، وستبقى تعمل حتى يتم القضاء عليها ، قد يصح أن يقال أنها كانت تعمل بشكل وآخر ، ثم أصبحت في الوقت الحاضر تعمل بشراسة وبشكل علني ، ثم هل ان عدم قيام الوحدة بين البلدين سيثني هذه القوى عن العمل ، ان التجارب تثبت العكس بل تثبت أن عدم قيام الوحدة في الوقت الحاضر قد يهدد العراق كله ، وتثبت أيضا أن الوحدة هي الدرع الواقي الوحيد لكل الاخطار المحيطة بالعراق وبالمشرق العربي ، وتثبت أيضا أن التجزئة وعدم التصميم على الوحدة تحيي الخلافات وبعثرة الجهود وتفتح المجال للقوى الخارجية المستغلة أن تلعب دورا لخدمة أغراضها على حساب القضية العامة ، وتفتح أيضا الباب لقيام اتجاهات تزدهر في ظلها وتحاول ايقاظها وتشجيع تيارات متطرفة الى اقليمية وتوسع في تشجيع القوى المضادة للمد العربي العام لتقف بوجه هذا المد متذرعة بكل سبيل.

ان صاحب الدار يجب قبل تنظيم داره أن يحافظ عليه من طوارئ اللصوص ، وليس

(٥٥) (يتبــع)

(تابع ٣)

ومعنى ذلك أن يترك الدار مخربا ، وانما يجب حراسته من الخارج وتنظيمه من الداخل والوحدة هي السبيل الوحيد لمحافظة العراق من [illegible] ، والاشتراكية هي عملية التنظيم من الداخل .

قد تثار مشاكل جانبية منها :

١ ـ الطائفية (الشيعة) .
٢ ـ قضية الأكراد .
٣ ـ أزمة الحكم

في اعتقادي أن هذه المشاكل قد تكون مؤثرة في العراق عندما لا تكون هناك أهداف قومية عليا ، وعندما لا يقدم الحكم شيئا للشعب ، فيكون الحكم ضعيفا ، ولما كانت الوحدة ثورة في جميع أبعادها ، وهي الهدف القومي الاول فان قيامها انهاء لهذه المشاكل ، وان التجارب التي يذخر بها تاريخ العراق تؤكد ذلك .

ان الشيعة عرب وبالاخص عشائرهم الذين هم عصب الطائفة الشيعية في العراق ، وبصرف النظر عن الاحداث التاريخية القديمة ومعاداة الحكم العثماني لهم حتى الحرب العالمية الاولى فقد قامت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ على أكتافهم وكان الشعب العراقي وحدة ضد معاهدة ١٩٣٠ التي عقدها نوري السعيد ، كما قام الشعب العراقي بكافة فئاته وشعوبه ضد صالح جبر الشيعي عندما عقد معاهدة بورتسموث سنة ١٩٤٨ ، وقام الشعب ضد الحكم بعد معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ أيضا ، وضد [illegible] عبد الوهاب مرجان الشيعي .

أما الاكراد فالثابت أن جذور القضية الكردية خارج العراق ، وان تصفيتهم في المدى البعيد من المستحيل أن تحل الا ضمن الدولة العربية الواحدة رغم وجود حلول آنية كالادارة المحلية ، و[illegible] تمثيلا نسبيا في مجلس الامة المقترح مثلا .

وبالنسبة لازمة الحكم ان الوحدة ستقوم على العنصر القومي وهي هدفهم ومصيرهم ومن البديهي أن تقوم ضمنها المؤسسات الدستورية التي تحفظ الوحدة وتقويها ، هذه المؤسسات التي تستند الى القاعدة الشعبية التي تضم قوى الشعب العاملة ، وعندما تزال الفجوة بين السلطة والشعب ، وعندما يختص الجيش في محافظة الامن الخارجي والامن الداخلي ،

(يتبع)

٥٦

(تابـــع ٤)

وفي ضوء تجربة الوحدة بين سوريا ومصر وقيام الجمهورية العربية المتحدة وفي انفصامهمـــا يمكن أن نصـــل الى المقترحات التاليـــة :

١ ـ تحقيق دولة واحدة بين الجمهوريتين لها نظام مرن يستند الى الشعب ويضمن وحدة الاهداف ووحدة الخطوط العامة عن طريق سلطة مركزية للدولة العربيـــة وسلطات اقليمية لها دورها في ادارة الشئون الداخلية وفي التنفيذ وفي المشاركة البنـــاءة في الحياة العامة للدولة العربية ، علما بدأ حيث ينتهي عمل الحكومـــة المركزية وفي ضوء الخبرات والاهداف القومية ، ان تنفيذ ذلك يتطلب في الوقت الحاضر الغاء الدستور الراهن وتشريع دستور عربي واحد للجمهوريتين يتضمن وجود مجالس تمثيلية في الاقليمين ومجالس تنفيذية مسئولة أمامها وهيئة تشريعية مركزية منتخبـــة ووزارة مركزية مسئولة أمامها ورئيس جمهورية مع مجلس رئاسة يتكون منه ومن نوابـــه بصلاحيات يحددها الدستور .

وتتولى السلطة المركزية الحقول التالية :

أ ـ السياسة الخارجية
ب ـ الدفـــاع
جـ ـ السياسة المالية والتخطيط الاقتصادي
د ـ الفلسفة التعليمية وخطوط السياسة التعليمية
هـ ـ الثقافة والارشاد
و ـ بعض النواحي القانونيـــة .

٢ ـ أحـــكام انتقالية :

أ ـ يشكل فورا مجلس رئاسة الجمهورية من الرئيس ونوابه ومجلس وزراء اتحادي توضع لهما السلطات التشريعية والتنفيذية لمدة لاتزيد على ثلاثة أشهـــر يجري بعدها الاستفتاء على رئيس الجمهورية وعلى الدستور وملحقاته .

ب ـ تشكل قيادة عسكرية موحدة ولجنة للشئون الخارجية وأي لجان أخرى لوضـــع برامج استكمال توحيد المؤسسات الاتحادية العسكرية والخارجية او التشريعية او غيرها .

(يتبـــع)

٥٢

(تابـــع ٥)

جـ ـ تشكيل المؤسسات الدستورية التى نص عليها الدستور فى مدة أقصاها اثنى عشـــر شهرا .

د ـ تشكيل مجالس عليا للتخطيط الاقتصادى والاعلام والثقافة والتربية والتعليم

٢ ـ تكوين اللجـــان للدراسة :

أستميح الاعضاء عذرا اذا قلت أن أى عمل اذا أريد له أن يذوب فيمكن أن يعهد به الى اللجـــان وقد شكلت واجتمعت لجان فى عدد من المواضيع العربية منذ تأسيس الجامعة العربية حتى الآن واصدرت توصيات تكون فى مجموعها مجـلدات كبيرة لم ينفذ الا جزء يسير منها .

وفى مجال دراسة المسائل المشمولة باللجنة السياسية المقترحة وفقا لاتفاقية ٢٦ مارس هناك بعض الملاحظات لا يمكن اعتبارها أساسا فى موضوع الوحدة وهـــذه الملاحظـــات يمكن تقسيمها الى قسمين :

أ ـ توحيد سياسة البلدين فى المجالات السياسية التالية :ـ
(١) فى السياسة العربية
(٢) فى السياسة الافريقية
(٣) فى السياسة الدولية

وتجمع الابواب الثالثة تعبير موجز هو توحيد المواقف السياسية بين الجمهوريتين ويمكن أن يتم ذلك عن طريق وزير الخارجية الاتحادى ومجلس الرئاسة المقترح فى الفترة الانتقالية بالاضافة الى نائبى وزير الخارجية فى البلدين .

ب ـ توحيد الانظمة والقوانين الخارجية فى الدولتين واصدار تشريع واحد يطبق فى كلا البلدين مع مراعاة القوانين المالية وسلم الدرجات . ويمكن أن يتم ذلك عن طريق تشكيل لجنة فنية قوامها ستة أعضاء بينهم نائبى وزير الخارجية الاتحادى وتحدد مدة انتهاء أعمالها لا تزيد عن بضعة أســـابيع .

(يتبــع)

٥٢

٨٤

(تابـــع ٦ ٦٦

ج – (١) يباشر فورا بربط السفارتين العربيتين في الخارج سياسيا وربط القنصليات العراقية في الخارج بالسفارات العربية الموجودة هنـــاك .

(٢) ايجاد صلة دائمة بين موظفي السلك الدبلوماسي في الخارج بما في ذلك الملحقيات (العسكرية والتجارية والثقافية) .

(٣) تنظيم تقرير شهري عن محصلة تقارير البعثات الدبلوماسية في كلا البـــلدين وتوزيعها على الممثليات في الخارج .

(٤) تنظيم نشر أطالالية العربيتين الجمهوريتين بصورة خاصـــة

هذه بعض الملاحظـــات البسيطة عرضتها في هذه العجالة وأرجو أن تكون أساسا لبحث موضوع اتفاق ٢٦ مايس كليـــا .

عبد الستار علي الحسين

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

من آرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

الملحق (د - ٦)

المرفق بكتاب د. عبد السلام عارف .. كما رأيته "

القيــــــادة العسكرية

التقرير المقدم مـــن السيد الوزيـر

نــــاجي طالـــب

مجلس الرئاسة المشترك

التقرير المقدم من السيد الوزير / ناجي طالب
بشأن دراسة المسائل المتعلقة بالقيادة العسكرية

القيادة العسكرية
××××××

الموضوع : نظرة الى القيادة العسكرية المشتركة المقترحة

السادة أعضاء مجلس الرئاسة المشترك

تمهيد :

١ - لا أريد استعراض الاخطار التي تهدد القومية العربية وثورتها ، ولا المؤامرات التي تحاك في الداخل والخارج على مصالح الوطن العربي الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ، فهي كلها معروفة وواضحة ، ومعلوم أيضاً أن سلامة هذا الوطن لا تحققها الا الوحدة التامة والحقيقية لجميع قواها العسكرية ، فحاولة اتفاقية ٢٦ آيار (مايو) ١٩٦٤ ايجاد قيادة عسكرية مشتركة للقوى المسلحة للقطرين المصري والعراقي يجب أن يكون الغرض منها ايجاد جيش عربي واحد لا أقل من ذلك وأن يكون هذا نواة لها المقدرة على امتصاص أية قوة عربية أخرى يحين وقت امتصاصها لقد ألقت الاتفاقية على عاتق القيادة المقترحة مسئوليات ضخمة ومن الواجب أن نبحث فيما اذا كانت ستستطيع أن تحقق الهدف فعلاً وما هي الشروط اللازمة لذلك في الظروف التي تحيط بالوطن العربي الآن .

نطاق مسئوليات القيادة المقترحة :

٢ - اعتبرت الاتفاقية أن أي اعتداء أو تهديد بالاعتداء على أي من الدولتين موجهاً للدولة الاخرى ، ولهذا فان على القيادة العسكرية المشتركة اتخاذ التدابير الكفيلة بمواجهة الحرب أو خطر الحرب ، ولهذا فهي مكلفة لهذا الغرض بالآتي :

أ - تنسيق وتدريب وتجهيز القوات المسلحة للبلدين .

ب - وضع خطط العمليات (الحركات) وتحريك القوات المسلحة .

جـ - تولي قيادة القوات المسلحة وقت الحرب .

(يتبع)

(٣٦)

(تابع ٢)

٣ ـ من المعلوم بداهة أن التدابير الكفيلة بمواجهة الحرب أو خطر الحرب واسعة النطاق ولا تقتصر على الاعمال المبينة أعلاه وحدها لاسيما اذا (وجب) أن نتوقع الحرب مع عدو أو أعداء لهم امكانيات مادية وعسكرية وعلمية كبيرة ، وانما يجب أن تشمل على الأقل ما يلي :

أ ـ الدفاع المدني : وهو ركن أساسي لخلق وادامة الروح المعنوية .

ب ـ الأمن القومي : لمنع كل ما يهدم هذه الاتفاقية أو الوحدة بين القطرين .

جـ ـ تنظيم الانتاج الحربي لتأمين درجة عالية من الاكتفاء الذاتي وقت الحرب .

د ـ تدابير التنسير (التعبئة) عسكريا واقتصاديا .

شروط عمل القيادة بكفاءة :

٤ ـ لتستطيع القيادة المقترحة تأدية مهامها الخطيرة الواردة أعلاه فعلا ، وبصورة جدية وفعالة قبل أن تستطيع تولي قيادة القوات المسلحة في الميدان بنجاح فانه لا يكفي أن تتوفر بين سلطات القطرين مجرد ثقة متبادلة ولا وحدة الشعور بالخطر ولا يكفي حتى وجود اتفاقيات أو معاهدات دفاع من أي شكل كان ، بل هنالك أمور أساسية لابد أن تتحقق وحدتها فعلا ومنذ الابتداء وبشكل لا يقبل الاخذ والرد في أي وقت .... يقتضي أن يؤخذ في الاعتبار دائما التهيؤ لحرب مفاجئة تفرض على القطرين أو احدهما من الخارج أو الداخل كمحركة السويس .

٥ ـ ان أهم الامور التي يجب أن يتفق عليها حالا وبكل صراحة وتجرد في نظري ما يلي :

أ ـ المرجع الاعلى للقيادة العسكرية :

لم تبين الاتفاقية بوضوح الجهة التي ترجع اليها القيادة العسكرية في كل ما يتعلق بمهامها المختلفة ... ان مجلس الرئاسة بكل القيود

(يتبع)

(تابع ٣)

المتصلة بطريقة اجتماعه وتنفيذ قراراته لا يصلح بالمرة أن يكون بشكله الحالى مرجعا مقبولا لهذه القيادة التى يلزم أن يكون لها مسئول مباشر ومستديم وله القوة القانونية المعترف بها من القطرين للبت فورا فى كل شئونها ويكون مسئولا عن قراراته •

ب – **سلطة اعلان الحرب :**

ولم تشر الاتفاقية أيضا الى الجهة التى لها حق اعلان الحرب أو حالة خطر الحرب ••• ان هذا الموضوع الذى لا شك فى أن سرعة البت فيه أو خلاف ذلك يرتب مسئولية قومية كبرى تتوقف عليها كل نتائج الحرب بخيرها وشرها •• وهذه المسئولية لا يمكن أن توكل الآن لرئيس احد القطرين دون سواه ، ولا لمجلس الرئاسة الآن بنظامه الحالى ••• ينبغى ولا ريب أن تكون هناك سلطة محددة وموجودة فورا ، ومخولة حق اعلان الحرب والقرار على وجود حالة الحرب أو خطر الحرب •

جـ – **الناحية المالية :**

ولا شك أيضا فى أن نجاح القيادة فى مهمتها فى السلم ثم فى الحرب يعتمد على السهولة والسرعة التى تستطيع بها تنفيذ خططها المختلفة بعيدا عن التعقيدات الروتينية فى الصرف•

ان جزءا مهما من أعمال القيادة وخاصة فى مسائل البحوث العلمية للأغراض العسكرية وللمجهود الحربى للقوات المشتركة يتطلب أن تتوفر للقيادة أجهزة وتنظيمات خاصة تكون فى غاية السرية وتقتضى أن تكون تحت تصرف القيادة دائما مبالغ غير يسيرة تصرفها بسرية تامة وفق خططها هى التى تقتضى المصلحة القومية أن تظل سرية أيضا حتى على السلطات التشريعية فى القطرين •

ولأجل أن تكون القيادة قادرة من الناحية الاخرى على تنفيذ التزامها بأن أى اعتداء على احد القطرين هو اعتداء على القطر الآخر ، ويقتضى أن تدبر له خططها يجب أن تكون مخولة وبدون مناقشة وقادرة فعلا على نقل

(يتبع)

(تابــــع ٤)

القوات المسلحة مـن قطر الى آخر فى كل وقت ، كما يجب ان تستطيع القوات المنقولة هذه أن تقيم آجالا طويلة فى الأمــاكن الجديدة ، فتعيش وتقاتــل معتمدة على قواعــد الادامــة فى القطر الذى نقلت اليه بلا صعوبات مادية أو مــاليـــة .

ان هذا مهم للغاية بالنسبة لطبيعة الفاصلة الكبيرة التى تفصل بـــين القطرين حاليا مــن جهة ، ولان ذلك يضمن للقيادة درجة عالية من المرونــة التى هى مــن عناصر النجاح المهمة فى المعركة .

ان نفقات مثل هذه العمليات لابد أن تكون مشتركة أو واحدة ولا يمكن فصلها ، وينطبق ذلك على نفقات الحرب ذاتها وكذلك نفقات الامن القومـــى والدفاع المدنى فى بعض نواحيه .

هذا كله (اذا أريد من القيادة تنفيذ التزاماتها حقيقة) يستلــزم أن تكون لهذه القيادة ميزانية واحدة تصرف بموافقة مرجع واحد يعتمده القطران المتعاقدان .

د ــ الاستخبارات :

لا توجد فى الاتفاقية الحالية ضمانات كافية تمكن القيادة المشتركة المقترحة مــن الوقوف على كل المعلومات المفصلة الموجودة لدى القيادات العسكريـــة القطرية الحالية ولاسيما مايتعلق من هذه المعلومات بالكفاءة الحقيقية للقــوات المسلحة فى كل قطر ولا ما يتعلق منها بالبحوث العلمية المختلفة للأغـــراض العسكرية أو خطط التوسع فيها ... ان هذه المعلومات التى هى حتما أساس كل التدابير لمواجهة الحرب أو خطر الحرب ، ولا تكون الخطط السوقيـــــة صحيحة الا اذا رسمت على ضوئها ، لا تستطيع القيادة الوقوف عليها فعـــلا الا اذا ارتبطت بها مباشرة مصادر كل هذه المعلومات ، وتولت هى نفسهــا توجيهها ووضع خططها لا ان تتولى ذلك عنها القيادات العسكرية القطريــة مهما كانت درجة الثقة المتبادلة بينها عالية وحسن النية متوفرة .... ان اخفاء بعض هذه المعلومات الخطيرة عــن القيادة لسبب أو آخر لا يمكنها مــن وضع خطط سليمة ، ويجعلها فى الواقع مرؤوسة للقيادات القطـــرية لا رئيســة لهــــا .

(يتبـــــع) ٨٤

(تابع ٥)

٦ ـ يتبين مما جاء أعلاه أن القيادة لأجل أن تعمل فعلا لابد من :

أ ـ أن تكون هناك سلطة عليا دائمة ومحددة ترتبط بها هذه القيادة وتتلقى منها توجيهاتها وتعليماتها في كل ما يتعلق بسياسة الدفاع ... ويكون من حق هذه السلطة اعلان الحرب.

ب ـ أن تكون لهذه القيادة ميزانيتها الخاصة المستقلة عن اشراف ومراقبة السلطات التشريعية في القطرين .

جـ ـ أن لا تكون القيادات العسكرية الحالية في القطرين (أو وزارتي الدفاع) عائقا أو وسيطا بينها وبين التشكيلات والوحدات المقاتلة ولا بينها وبين مصادر المعلومات المختلفة في القطرين .

من هي السلطة المناسبة :

٧ ـ بالنظر لخطورة اختصاصات القيادة المشتركة ولاجل أن تستطيع أن تعمل هذه فعلا فانها يجب أن ترتبط بسلطة تنفيذية واحدة لها صفة دستورية معترف بها في القطرين .

ان الحل البسيط والمباشر والمنطقي لهذه الناحية وكل النواحي الأخرى في اتفاقية ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٤ هو ايجاد نوع من أنواع الاتحاد الفدرالي بين القطرين على غرار ميثاق ١٧ نيسان .

ان مجلس الرئاسة المشترك وان بدى من النظر الى اختصاصاته وكأنه أعلى سلطة على القطرين معا الا أنه في الواقع يحتاج لأجل أن يكون كذلك أن تعترف به الدساتير القطرية ... وأكرر هنا ما قلته في الجلسة الماضية من أن الافضل وضع دستور اتحادي يحدد اختصاصات المجلس ويخوله ايجاد جهاز تنفيذي اتحادي يتولى مسئوليات السياسة الخارجية والدفاع وأية اختصاصات أخرى يتفق عليها ، وبذلك تعدل الدساتير القطرية وفقا لذلك .

والسلطة التنفيذية الاتحادية المقترحة يمكن أن تعتبر خلال مرحلة الانتقال مسئولة أمام مجلس الرئاسة حتى تتم مراحل ايجاد البرلمان الاتحادي والمنظمات الاتحادية الضرورية الأخرى .

(يتبع) ٥

(تــابع ٦)

مراحل تكــوين القيـــادة :

٨ ــ وبصرف النظر عن ارتباط القيادة ، ومن سيكون المسئول عــن توجيهها وعــن اعلان الحــرب، فان وحدة القيادة تقتضي أن تمر بمراحل قد تكون كما يلي :

أ ــ المرحلة الأولى :

تؤلف لجنة مشتركة من ضباط الركن بمستوى عال ومن جميع الصنوف (الاسلحة) تكون مهمتها وضع تنظيم كامل لقيادة عسكرية واحدة بكل فروعها ثم تضع نظام العمل لهذه القيادة واختصاصات وواجبات مختلــف هيئات الركن .

ب ــ يبدأ في المرحلة الثانية تشكيل القيادة نفسها بإملاء المناصب المختلفــة بأكفأ الضباط من القطرين ، ويسمح لها بالعمل فترة قصيرة ليتعارف القادة والضباط بعضهم وليمارسوا أسلوب العمل الجديد .

جـ ــ ترتبط بها في المرحلة الثالثة تشكيلات ووحدات كاملة من جميع الصنوف مــن القطــرين عن طريق قيادات فرعية في القطرين (يمكن أن تسمى قيــادة ميدان أو قيادة جبهة أو جيش) وتبدأ القيادة العامة بتطبيق أنظمتهــا الموحدة على هذه القطاعات في حقول التجهيز والتدريب والتسليح (وربمــا وضعت لها قوانين خدمة موحدة أيضا) كما ترتبط بالقيادة العــامة اضافة الى ذلك معسكرات ومطارات ومستودعات خاصة في القطرين وبالتدريج .

د ــ يجري امتصاص القوات الباقية في القطرين بالتدريج وفق خطة توضع لهذا الغرض من قبل القيــادة العامة بحيث تتحول جميع القوات المسلحة بأمر القيادة الموحدة في مدى ثلاث سنوات عــدا القوة الجوية والبحرية فانها يجب أن ترتبط بالقيادة الموحدة حالا .

هـ ــ تطور القيادة الموحدة نفسها وتوسع تنظيمها كلما تطلب الامر ذلك في مدى السنوات الثلاث المحددة لامتصاص جميع القوات المسلحة في القطرين .

ناجــي طــالب
١٩٦٤/٩/١

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

الملحق (د - ٧)

المرفق بكتاب « عبد السلام

عارف .. كما رأيته »

اللجنة الاقتصادية

التقرير المقدم من السيد الوزير

أديب الجادر

مجلس الرئاسة المشترك

التقرير المقدم من السيد الوزير / أديب الجادر
بشأن دراسة المسائل المتعلقة باللجنة الاقتصادية

الهـــدف : الوحـدة الاقتصادية الكاملــــة

وتضمن بصورة خاصة رعايا البلدين على قدم المساواة

أولا : حريـة انتقال الاشخاص والعمل والاستخدام والاقامة وحرية انتقـال رؤوس الاموال وممارسـة النشاط الاقتصادى •

ثانيـا : حريـة تبادل البضائع والمنتجات الوطنية والاجنبيـة •

ثالثـا : حـق التملك والايصاء والارث •

وللـوصول الى تحقيـق ذلك يعمـل الداران على :ـ

١ ـ تنسيق التخطيط الاقتصادى ووضع خطة انمائية متكاملة لهمـا •

٢ ـ جعل بلديهما منطقة جمركية واحدة تخضع لادارة موحدة وتوحيـد التعريفة والتشريع والانظمة الجمركية المطبقة فى كل منهما •

٣ ـ توحيد سياسة الاستيراد والتصدير وعقد الاتفاقيات التجارية واتفاقيات المدفوعـات مع البلدان الاخرى بصورة مشتركة أو بنصوص مماثلة •

٤ ـ توحيد التشريع الاقتصادى بشكل يكفل لمن يعمل من رعايا البلديـن فى الزراعـة والصناعة والتجارة والمهـن الأخـرى شروطا متكافئة •

٥ ـ تنسيق تشريعات العمـل والضمـان الاجتماعى •

٦ ـ توحيـد التشريع الضرائبى والرسوم الحكوميـة والبلدية بما يكفل مبـدأ تكافؤ الفرص وتلافـى ازدواج الضرائب والرسوم على المكلفين مـــن رعايـا البلـدين •

٧ ـ تنسيق السياسة النقدية والمالية والانظمة المتعلقة بهما تمهيـــدا لتوحيــد النقــد •

ولذلك نرى ضرورة وجود وزارة مركزية للتخطيط الاقتصادى فى شئـون الصناعة والزراعـة والتجارة والمواصلات والتنسيق بين خطط التنميـة بـين البلـدين ورسـم السياسة الاقتصادية وسياسة التبادل التجارى وتنظيم العلاقات بالمؤسسات الاقتصادية الدوليـة •

وتنسيق الشئون المصرفية وشئون العملة وتنظيم استغلال مصـــادر الثروات الطبيعيـــة •

على أن يعاون وزارة التخطيط المركزية هذه مجلس اقتصادى مـــكون

(تابع ٢)

من وزيري الاقتصاد والتخطيط ومحافظ البنك المركزي من كلا البلدين .

هذا مع العلم بأن هناك في الوقت الحالي لجنة تسمى لجنة التنسيق الاقتصادي الدائمة مكونة من خمسة أعضاء من كل جانب يتفرع عنهما لجان أخرى هي :

١ ـ اللجنة التجارية
٢ ـ اللجنة المالية
٣ ـ لجنة الجمارك والترانسيت
٤ ـ لجنة التنسيق الصناعي والثروة المعدنية والنفطية
٥ ـ لجنة التنمية الزراعية
٦ ـ لجنة العمل والشئون الاجتماعية
٧ ـ لجنة المواصلات
٨ ـ لجنة التخطيط الاقتصادي والاحصاء
٩ ـ لجنة الشئون النقدية

ان المدة اللازمة لاستكمال المعلومات الضرورية واعداد التشريعات اللازمة للبدأ بالوحدة الاقتصادية هي ستة أشهر على أن يراعى عدد من الاستثناءات الضرورية للمحافظة على بعض الاوضاع المحلية على أن تكون هنالك فترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات منذ الشروع في الوحدة الاقتصادية لالغاء هذه الاستثناءات والوصول الى الوحدة الشاملة .

أديب الجادر

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

الملحق (د - ٨)

المرفق بكتاب "عبدالسلام عارف.. كما رأيته"

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

لجنـــة الثقـــافة والاعـــلام

التقـــرير المقدم من الســيد الوزير

كمـال الديـــن الحناوى

مجلس الرئاسة المشترك

التقرير المقدم من السيد الوزير كمال الدين الحناوى
بشأن دراسة المسائل المتعلقة بلجنة الثقافة والاعلام

لجنة الثقافة والاعلام
xxxxxx

تكوين اللجنة :

١ ــ تتشكل لجنة الثقافة والاعلام من ستة أعضاء دائمين ، ثلاثة من العراقيين ، وثلاثة من المصريين ، ويرأس اللجنة أحد الوزراء المتفرغين السنة .

٢ ــ يكون أعضاء اللجنة الدائمون على مستوى وكيل وزارة أو مدير عام على الأقل ، حتى نضمن فعاليته فى العمل ، وقدرته على الانجاز والتنفيذ فى مجال عمله

٣ ــ يختار أعضاء اللجنة الدائمون بحيث يمثلون أجهزة الثقافة والاعلام والنشر (الاذاعة والتليفزيون ــ الاستعلامات ــ المشرف على الصحافة بالاتحاد الاشتراكى العربى ... الخ) .

مهمة اللجنة :

٤ ــ وضع خطة شاملة موحدة لسياسة الاعلام فى البلدين .

٥ ــ وضع مخطط لايجاد الوحدة الفكرية بين شعبى العراق ومصر عن طريق أجهزة الثقافة والاعلام بالارتباط مع لجنتى الفكر الاشتراكى والتنظيم الشعبى

٦ ــ العمل على توحيد المناهج والبرامج فى كل من الاذاعة والتليفزيون فى البلدين

٧ ــ التنسيق بين أجهزة الاعلام فى البلدين بحيث يكمل احدهما الآخر فى خدمة القضايا القومية والفكرية العربية .

٨ ــ تنسيق العمل بين مصلحتى الاستعلامات فى البلدين للقيام بمهمة الاعلام فى الخارج لخدمة قضايا القومية العربية والحرية والوحدة .

٩ ــ العمل على تبادل الخبراء والخبرات فى مجالات الثقافة والاعلام وتبادل البرامج الاذاعية والتليفزيونية والفنية فى كل منهما .

(يتبع)

(تابع ٢)

١٠ ــ ربط المؤسسات الصحفية في مصر والعراق ببعضها البعض وتبادل المحررين والفنيين بينهما لتطوير الصحافة الى المستوى القادر على خدمة قضايا القومية والوطنية

اللجان الفرعية :

١١ ــ الى جانب اللجنة الدائمة للثقافة والاعلام يمكن تكوين لجان فرعية أو غير دائمة لدراسة موضوع بعينه ، وفي هذه الحالة تكون لجنة من الخبراء المختصين في هذا الموضوع من عدد متساو من كلا الجانبين بحيث يشارك فيها عضو واحد على الاقل من اللجنة الدائمة ، وتعمل تحت اشراف الوزير المتفرغ الذى يرأس اللجنة الدائمة .

أعمال اللجان :

١٢ ــ تتبع في أعمال اللجان وادارة اجتماعاتها القواعد الواردة باللائحة الداخلية للمجلس ويرأس اجتماعاتها الوزير المتفرغ أو من ينيبه عنه ، ويسجل محاضر للجلسات وملخص للمناقشات التى تدور فيها والتوصيات التى تتخذها وترسل للأمانة العامة لعرضها على المجلس المشترك في اجتماعاته .

كمال الدين الحناوي

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

الملحق (د-٩)

المرفق لكتابي "عبد السلام عارف.. كما رأيته"

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

لجنة الفكر الاشتراكي

التقرير المقدم من السيد الوزير

شعراوي جمعة

مجلس الرئاسة المشترك

التقرير المقدم من السيد الوزير / شعراوى جمعة
بشأن دراسة المسائل المتعلقة بلجنة الفكر الاشتراكى

لجنة الفكر الاشتراكى

xxxxx

هدف اللجنة :

العمل على بث الدعوة الاشتراكية فى البلدين وتحقيق الوحدة الفكرية بينهما وتأصيل الأسس والمبادىء القومية والاشتراكية والديموقراطية وربطها بالتاريخ العربى .

واجبات اللجنة :

١ ـ تخطيط البرامج المختلفة لبث الدعوة الاشتراكية فى البلدين وتوعية الجماهير سياسيا للعمل من أجل الاشتراكية والوحدة ودعم القومية العربية وتعميق ممارسة الديموقراطية .

٢ ـ اعداد طلائع ثورية من المؤمنين بالاشتراكية والوحدة من شباب البلدين وتأهيلهم لتولى مسئولية العمل فى منظمات وتشكيلات الاتحاد الاشتراكى العربى فى كل من البلدين وكذلك فى المنظمات المشتركة .

٣ ـ تخطيط برامج للدعوة الاشتراكية فى محيط النقابات العمالية والروابط والاندية والمؤسسات الثقافية فى البلدين .

٤ ـ العمل على خلق رابطة متصلة ودائمة بين لجنتى الدعوة والفكر الاشتراكى فى البلدين تمهيدا للوحدة بينهما جميعا كخطوة فى الطريق الى وحدة التنظيم السياسى .

٥ ـ اعداد البرامج القريبة والبعيدة المدى لالتقاء شباب البلدين ومثقفيهما ورجال الثقافة والاعلام بهما فى ندوات ومؤتمرات مشتركة تبحث فيها أسس الفكر المشترك وتتخذ القرارات الكفيلة بتحقيق وحدة الفكر والعمل .

٦ ـ التعاون مع أجهزة الاعلام والثقافة فى البلدين والعمل على

(يتبع)

(تابــع ٢)

توحيد أسس العمل فيهما نظريا وتطبيقــا .

٧ ـ التعاون مع وزارتي التربية والتعليم وكذلك اللجان المختصة في توجيه المناهج الدراسية والبرامج الاعلامية والثقافيــة بما يحقق نشر الدعوة الاشتراكية على أسس واحدة في البلدين .

٨ ـ العمل على انشاء نشرة دورية توزع في البلدين وتتضمــن دراسات وأبحاث حول المبادئ والأسس القومية والاشتراكيــة والديموقراطية .

٩ ـ انشاء معهد للدراسات القومية والاشتراكية في العراق والاشراف عليه وتكون مهمته الى جانب المساهمة في تحقيق البند الثانــى التعاون مع معهد الدراسات بالقاهرة في المجال النظــرى وفي المجال التطبيقي .

١٠ ـ العمل على انشاء فروع لمعهد الدراسات في الألوية والمحافظات وتعهد الخريجين وتنظيم أوجه نشاطاتهم المشترك .

تكوين اللجنــة :

١ ـ يرأس اللجنــة وزيــر متفرغ في مجلس الرئاسة المشترك .

٢ ـ تتكون اللجنة من ستة أعضاء : ثلاثــة مــن كل مــن البلديــن من العاملين في حقل الدعوة والفكر الاشتراكــي .

٣ ـ للجنة أن تضم اليها أعضاء مؤقتين كلمــا دعت الحاجة مــن العناصر ذات الخبرة في ميادين الاعلام والثقافــة والتربيــة والنقابــات .

شعراوي جمعة

مجلس الرئاسة المشترك

الأمانة العامة

الملحق (د - ١٠)

المرفق بكتاب « عبد السلام عارف .. كما رأيته »

من أرشيف السيد

صبحي عبد الحميد

لجنة التنظيم الشعبي

التقرير المقدم من السيد الوزير :

علي سيد علي

مجلس الرئاسة المشترك

الامانة العامة

التقرير المقدم من السيد الوزير علي سيد علي
بشأن دراسة المسائل المتعلقة بلجنة التنظيم الشعبي

ان الوحدة الوطنية التي يصنعها تحالف قوى الشعب الممثلة للشعب العامل وهي الفلاحون ، والعمال ، والجنود ، والمثقفون ، والرأسمالية الوطنية ، هي التي تقيم الاتحاد الاشتراكي ليكون السلطة الممثلة للشعب ، والدافعة لامكانيات الثورة ، والحارسة على قيم الديموقراطية السليمة .

ان الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم السياسي لقوى الشعب العاملة تعمل بواسطته لضمان أن تبقى السلطة السياسية في يدها باستمرار لا تخرج منها الى يد غيرها .

ذلك هدف أي تنظيم سياسي بما في ذلك الاحزاب . واذا كان الحزب يمثل مصلحة معينة في أي وطن من الاوطان أو طبقة . فان الاتحاد الاشتراكي يتخطى مرحلة التعبير عن الفئة أو الطبقة لكي يعبر عن الارادة السياسية لقوى الشعب العاملة المتحالفة داخله .

ومن المهم ، اذن ، أن يكون هناك وضوح فكري ووضوح في تسلسل المسئوليات وتفاعل بين الافكار . وتفاعل بين الاجهزة العاملة من أجلها .

والتنظيم الشعبي لهذه الصورة هو واقع ونتيجة تحكمها الاعتبارات السياسية لكل من البلدين .

واذا كانت التنظيمات الشعبية في مصر قد مرت بمراحل متتابعة حتى أمكن بعد صدور الميثاق من الوضوح الكامل للفكر الذي يجتمع عليه التنظيم فالوضع في العراق يحتاج الى دراسة مفصلة للاعتبارات التي ستمكن مراحل قيام التنظيم

(يتبع)

(تابـــع ٢)

فى صـــورته التى تعبر عن تجمــع الشعب ودفـــع امكانيـــات الثورة والحارس على الديموقراطية ولهذه الاعتبارات ليس فى مقـدور أى لجنــة الا ان تقدم تسجيلا كاملا لكل مراحــــل التنظيمـات الشعبية فى الجمهورية العربية وكل المراحل والقرارات التى صدرت فى شـأن قيـــام الاتحاد الاشتراكى العربى منذ قيام مؤتـمر قوى الشعب ليكون تحت نظـر المسئوليـــن عـن الاتحاد الاشتراكى فى العراق لتحديد مـدى مـا يمكن الاستفـــادة منـه مـع تقدير الاعتبـــارات المحلية الخاصة بالعراق والتى لا يمكن تقديرها كلهـــــا الا بواســـــطة سـيادة الرئيس عبد السلام عـارف نفســـــة ٠

علي سيد علي

الملحق (هـ)

المقابلة الأولى مع السيد اللواء الركن ناجي طالب

رئيس الوزراء ووزير الخارجية الأسبق - عضو مجلس الرئاسة المشترك

والقيادة السياسية المشتركة للعراق ومصر ج.ع.م

موعد المقابلة

الساعة ١٠٠٠ - ١٢١٥ يوم الأربعاء ٢ تموز ١٩٩٧ في دار سكناه بحي (المنصور)، وبحضور السيد صبحي عبد الحميد وزير الخارجية الأسبق.

السؤال الأول

أطمح، يا سيدي العزيز، أن أحصل على (نبذة مختصرة) عن حياتكم الشخصية والعسكرية والسياسية، وتواريخ إشغالكم لأهم المناصب التي تسنمتموها.

الجواب

ولدت في مدينة (الناصرية) عام .

تخرجت في الكلية العسكرية العراقية ضمن دورة الـ(١٠) عام ١٩٣٨.

اشتركت بدورة كلية الأركان العراقية ضمن دورة الـ(١١) عام ١٩٤٧.

أكملت الدراسة في كلية الأركان البريطانية (كامبرلي) عام ١٩٥٠.

عملت مدرساً في كلية الأركان العراقية، وشغلت منصب الملحق العسكري في (لندن)، ثم مدير التدريب العسكري عام ١٩٥٨، وتقلدت الـ منصب آمر لواء المشاة ١٥ في (البصرة) قبيل ثورة تموز ١٩٥٨.

انتميت الى (منظمة الضباط الأحرار) عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي على (مصر).

٢٠٥

(١ - ٣١)

السؤال الرابع

بقيتم في (القاهرة) أنتم أعضاء (مجلس الرئاسة المشترك) المتفرغين وذلك لإجراء (تقدير موقف) لإمكانية تحقيق الوحدة بين البلدين حسب إقتراح تقدم به (المشير عبد الحكيم عامر) النائب الأول للرئيس (عبد الناصر) بعد إنتهاء (مؤتمر القمة العربي الثاني) الذي إنعقد في (الإسكندرية) خلال شهر أيلول ١٩٦٤.

فهل توصلتم إلى أن الظروف كانت مؤاتية لتحقيق الوحدة؟

وما هي أهم الخطوات الوحدوية التي توصلتم إليها؟

الجواب

لم يجر أي (تقدير للموقف)، ولم يطلبنا لا (المشير عبد الحكيم عامر) ولا غيره من المسؤولين في (القاهرة).

مداخلة الأستاذ صبحي عبد الحميد

نعم، صحيح ذلك، فإن (تقدير الموقف) الذي إقترحه (عبد الحكيم عامر) لم يجر، بل عندما حضرتُ إلى (القاهرة) قبل (٥) أيام من موعد إنعقاد (مؤتمر عدم الإنحياز) لحضور إجتماعات وزراء الخارجية، حيث كان (عبد الكريم فرحات) عائداً من زيارة لإحدى الدول الأفريقية، وعليه أن يبدل طائرة في (القاهرة)، أرسل (عبد الحكيم عامر) في طلبنا، وقال:

((لا تضغطوا على الرئيس عبد السلام، فإننا توصلنا إلى أن تحقيق الوحدة بين البلدين غير وارد بالوقت الحاضر، لذلك سوف نقترح أسلوباً أفضل من مجلس الرئاسة المشترك)).

السؤال السابع

س: بعد تشكيل (القيادة السياسية الموحدة) في ٢٠/ ١٢/ ١٩٦٤ السالح وحضور الجانب العراقي في إجتماعها الأول في (القاهرة) كان المفروض بالجانب المصري في القيادة المذكورة أن يزور العراق لعقد الأجتماع الثاني في (بغداد)، ولكن ذلك لم يتم. فما هي في رأيكم الأسباب لعدم حضور الجانب المصري الى العراق؟

الجواب

لم أتابع هذا الموضوع في حينه.

مداخلة الأستاذ صبحي عبد الحميد

الحقيقة أنه يمكن إعتبار عدم قيام الرئيس (جمال عبد الناصر) بزيارة الى العراق تنفيذاً لبند واضح في بيان (القيادة السياسية الموحدة) ورداً لزيارة الرئيس (عبد السلام عارف) الى (القاهرة) مراراً، يمكن إعتباره موضوعاً أمنياً بحتاً.

فبعد أن عدنا من (القاهرة) بعد الأجتماع الأول للقيادة المذكورة، حضر الى (بغداد) مدير جهاز المباحث المصري في زيارة خاصة للبحث حول زيارة (الرئيس عبد الناصر) الى العراق وتأمين الحماية الشخصية له وذلك أوائل عام ١٩٦٥، واجتمع مع كل من مدير الأمن العام (المقدم الركن رشيد محسن) ومدير الأستخبارات العسكرية (المقدم الركن هادي خماس) وقائد موقع بغداد ومدير الأنضباط العسكري (العميد سعيد صليبي)، ومن

المقابلات اللاحقة مع السيد اللواء الركن ناجي طالب

مواعيد المقابلات

الساعة ١١٠٠ – ١٣٠٠ من الأيام التالية :-

الثلاثاء ٢٢ تموز ١٩٩٧.

الأربعاء ٢٠ آب ١٩٩٧.

الثلاثاء ٢٣ أيلول ١٩٩٧.

في داره سكناه في (المنصور) ، قرب السفارة الجيكية

السؤال الحادي عشر

ما هي ، في رأيكم ، أهم الأسباب التي أدت الى إستقالة أو إقالة وزارة (طاهر يحيى) الثالثة خلال أوائل أيلول ١٩٦٥ ؟

الجواب

ربما تكمن أهم الأسباب في مناورات الرئيس (عبد السلام عارف) ومحاولته تقريب السيد (عارف عبد الرزاق) من شخصه ، وذلك لأحداث شرخ في (الكتلة القومية) من الضباط والتي كان السيد (عارف) يرأسها بهدف إضعافها أو إزاحة نشاطها السياسي ، وقد تم له ذلك فعلاً بإلغاء (مجلس قيادة الثورة) في الدستور المعدّل الذي شرّعته حكومة (عارف عبد الرزاق) قبيل حركته الأنقلابية ضد الرئيس (عبد السلام عارف).

س: ماهي في رأيكم، أهم الأسباب التي أدت الى استقالة
أو إقالة وزارة (طاهر يحيى) الثالثة في أوائل أيلول ١٩٦٥؟

الجواب

ربما تكمن أهم الأسباب فيما يلي:

أ- مناورات الرئيس (عبد السلام عارف) ومحاولته تقريب السيد
(عارف عبد الرزاق) من شخصه وذلك لأحداث شرخ
في (الكتلة القومية) من الضباط التي كان السيد (عارف) يرأسها
~~لأبعاده عن مجموعة الضباط المنتمين الى تلك الكتلة حتى~~
او انهاء نشاطها السياسي وقد تم له ذلك
حتى لأضعافها ، ~~كما أنه كانت أقوى الكتل التي كانت~~
تحاول بالغاء مجلس قيادة الثورة في الدستور المعدل الذي
~~تقف حجرة عثرة امام نظام حكمه~~
شكلت حكومة عارف عبد الرزاق قبيل حركته الانقلابية ضد عبد السلام.

ب- ~~ضعف الوزارة نفسها~~ بعد استقالة الوزراء الستة في
تموز ١٩٦٥.

س: كنتم عضواً متفرغاً في (مجلس الرئاسة المشترك) كما ذكرنا، بل أهم الأعضاء المتفرغين فيه طيلة الغائه، لذلك فلا بد أنكم لمستم مواقف الطرفين في السير بخطوات الوحدة بين الدولتين.

فما هي، في رأيكم، أهم الخلافات التي قامت بين الطرفين والتي أدت الى التباطؤ في تحقيق الوحدة؟

الجواب

١. يمكنني القول بأنه لم تكن هناك خلافات أو آراء متضاربة بشأن الوحدة بين العراق و ج.ع.م / من حيث المبدأ بل كان هناك تباين في وجهات النظر حول التوقيت والكيفية الدستورية. أكثر الأعضاء كانوا يرغبون بالإسراع في اعلان الوحدة بل نادى بالوحدة الفورية

٢. كان الهدف الرئيس من تشكيل (مجلس الرئاسة المشترك) دراسة وتنفيذ الخطوات التي تؤدي الى تحقيق الوحدة، ولذلك سافرنا الى (القاهرة) لاكثر من مرة بالذات للمجلس، ولم يدم تواجدنا هناك أكثر من (٣) أشهر، قدمنا خلالها بعض الدراسات والافكار الفردية حول الخطوات والأسس التي شعرنا انها لا تفيد في تحقيق الغاية، الا ان تلك الدراسات لم تبحث ولم تناقش لا على صعيد اللجان (التي لم تكن موجودة أصلاً) ولا على صعيد المجلس.

٣. كان الرئيس (عبد السلام عارف) واقعاً تحت ضغط (الكتلة القومية) في العراق للاسراع في تحقيق الوحدة مع ج.ع.م ~~إضافة الى موقفه الشخصي نحو الوحدة والذي أدى الى~~ بينما لا يهتم بها بخلاف ما كان عليه الأمر

(٢١٠)

٦. على أية حال ، فإن بقاءنا لم يَطُل في (القاهرة) أكثر من (٣)
أشهر حتى ألغي (مجلس الرئاسة المشترك) خلال شهر
أيلول ١٩٦٤ ، ~~وتقرر تشكيل~~ وحلت محله (القيادة السياسية
الموحدة) للدولتين ، باعتبارها خطوة إلى الأمام في دفع
عملية قيام الوحدة الدستورية المنشودة بين البلدين

٧. كان الرئيس (جمال عبد الناصر) يحب الرئيس (عبد السلام
عارف) شخصياً ويكن له الود ، ~~ولكنه~~ وكان يدرك تماماً الحرج الذي يتعرض له عبد السلام مبدئياً مع الوفد الداعي على الوحدة العزيزة ، ولما كان الرجل
~~إن علاقة قائمة لم تجر ... أعماق نفسها ... في تأصيل~~
متقدماً ومؤمناً ان بلوغ هذا الهدف العزيز يحتاج إلى الوقت فقد أعلن وبصراحة
~~الوحدة بين البلدين~~ ، ولما لم تتحقق ثمانية ظل تدعو إلى
إننا في هذه المرحلة يشق علينا تقديم للأعداء هدفاً مادياً يستطيعون تدميره وهو
~~(وحدة العمل العربي) والتزمها شخصيا وظل يعتقد بصحة~~
ولة الوحدة الوحدة الدستورية وإنما نضع هدفاً لا يستطيعون النيل منه وهو
~~صيغته ... وحتى وفاته عام ١٩٧٠~~
(وحدة العمل العربي) الذي ظل ينادي به حتى وفاته .

مداخلة الأستاذ صبحي عبد الحميد

نعم ، فالرئيس (جمال عبد الناصر) كان يكن وداً شخصياً للرئيس
(عبد السلام) ، وكان يدعونا في كل مناسبة إلى التكاتف حوله
والانسجام معه كي يبقى الوضع السياسي في العراق مستقراً خدمة
للأمة العربية بشكل عام ولمصلحة ج.ع.م بشكل خاص.

كما كان الرئيس (عبد الناصر) يوعز إلى نوابه والوزراء المقربين إليه
كي يذكرونا بتلك النصائح دائماً وفي جميع اللقاءات تقريباً .

س ٦: بعد إلغاء (مجلس الرئاسة المشترك) تم تنسيب حقائب
وزارية للأعضاء الثلاثة المتفرغين في المجلس المذكور، ومن
ضمنهم سيادتكم، وذلك في وزارة (طاهر يحيى) الثالثة التي
تشكلت يوم ١٤/١١/١٩٦٤؟

فهل تم إلغاء المجلس بسبب مشاكل حصلت بين البلدين؟
أم لأي سبب آخر؟

الجواب

ألغي مجلس الرئاسة المشترك للاعتقاد بأنه لم يحقق شيئاً، ولكن لغرض إظهار حسن النية من جانب ج.ع.م فقد تشكلت (القيادة السياسية الموحدة) بين البلدين خلال شهر كانون الأول ١٩٦٤، ولإظهار حسن النية أيضاً من الجانب العراقي فقد استوزرت بعض العضوين المتفرغين الآخرين في الوزارة المذكورة، وأصبحنا أعضاء في القيادة المذكورة أيضاً.

من المعلوم ان مجلس الرئاسة المشترك تألف كجزء من (اتفاقية التنسيق السياسي) المبرمة بين ج ع م وجمهورية العراق بتاريخ ٢٦ مايس ٦٤ وكانت مهمة هذا المجلس الاولى هي دراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لاقامة الوحدة بين البلدين. غير ان هذه الصيغة لم تكن تختلف عن وجهة نظر الجانب العراقي كاتفاقية ولكن التزام الحكومة العراقية بتحقيق الوحدة مع ج ع م في اقرب وقت ورفع الشعارات الوحدوية من الدستور المؤقت، لذلك كان هذا الجانب يضغط من اجل اقامة وحدة كما ذكرت من قبل، وعلى الرغم من الدوافع الحقيقية وراء الضغط نفسه فقد تم الاتفاق على استبدال اتفاقية التنسيق السياسي بالاتفاقية المشار اليها فقد حدد فيها سقف زمني مدته سنتان لقيام الوحدة لقيام القيادة السياسية الموحدة ... الدستورية. اما موضوع تنسيب الحقائب الوزارية الى الاشتراك في وزارة طرحت في ١٤/١١/٦٤ فلا علاقة له بالغاء مجلس الرئاسة المشترك. لقد اراد طاهر يحيى تشكيل وزارة للقيام بمهام جديدة، وتطلبت الاشتراك للاهمية من اجل تنفيذ المهام التي اهمها اجراء الانتخابات العامة في البلاد واعادة الحياة الدستورية

(٨)

ذكريات عبد حبيب

بعد استبدال اتفاقية التنسيق السياسي بين الدولتين في ١٩٦٤م المعقودة
في ١٦/٥/١٩٦٤ باتفاقية القيادة السياسية الموحدة بتاريخ
١٦ تشرين الاول ٩٦٤ . فقد الغي مجلس الرئاسة المشترك .
وبعد ان استبعدت من البقاء عضواً متفرغاً في القيادة الجديدة
كما اقترح في القاهرة ، فقد عدت الى بغداد في اوائل شهر
تشرين الثاني ٩٦٤ . ولم تعد لي في هذا التاريخ اية
مسؤولية رسمية لانني لم اكن عضواً في الوزارة .
وفي تلك الفترة تقرر اعادة تشكيل الوزارة لوجود خلافات
عميقة بين رئيس الجمهورية وبعض الضباط في ما كان يسمى مجلس قيادة
الثورة ومع بعض الوزراء من الجهة الاخرى وهي خلافات ترجع
نشأت بعد انهاء حكم حزب البعث . وفي مكتب رئيس الجمهورية
عبد السلام عارف وبحضور طاهر يحيى رئيس الوزراء وعدد من الضباط
اتذكر منهم عارف عبد الرزاق ومحمد عبد الحميد وسعيد صليبي وواحد او
اثنين اخرين لا اتذكرهم الان .
في هذا الاجتماع عرض علي رئيس الجمهورية الاشتراك في الوزارة
التي كان مقرراً اعادة تشكيلها من قبل طاهر يحيى . وبعد مناقشة
تبين لي من خلالها ان جميع الحاضرين كانوا يرغبون في اشتراكي في
الوزارة الجديدة فاشترطت للاشتراك فيها
اجراء انتخابات عامة في البلاد خلال ستة اشهر وحل التكتلات
السياسية والغاء النشاط السياسي داخل القوات المسلحة ، فوافقه الرئيس
عبد السلام على ذلك [illegible] اقترح جعل المدة التي تجري خلالها
الانتخابات سنة بدلاً من ستة اشهر ليتسنى اجراء تعداد
جديد للسكان لتسهيل عملية الانتخابات بعدئذ ولما كان لهذا
[illegible] نقد واتفقت عليه . ثم عرض علي
اي سلم [illegible]

(١٢)

(٢)

منصب وزير الدفاع او اية وزارة اخرى عدا الخارجية
فوافقت على ترك وزارة الخارجية لاني قدرت تجربة اني
كوزير للدفاع لا استطيع ممارسة اي عمل مفيد قبل ان
ينتهي النشاط السياسي في الجيش الذي كان يمارسه بالفعل رئيس
الجمهورية نفسه من جهة ويمارسه من الجهة الاخرى وزراء
وضباط في الخدمة وهي اعمال لا سلطة لوزير الدفاع عليها
من الناحية العملية / لان اولئك الضباط كانوا اعضاء
في مجلس قيادة الثورة السلطة العليا في البلاد بموجب الدستور
لهذا سهوية / ومن الجهة الاخرى كانت سلطة وزير
الدفاع سياسية وحسب ولم تكن سلطة قيادة القوات المسلحة
ان التدخل الفعلي في شؤون الفنية كالتنظيم (وما يتبعه
من تنقلات للضباط او تعيينهم في مراكز القيادة المختلفة)
ولا بالتسليح والتدريب ... الخ

س: على الرغم من تشكيل (القيادة السياسية الموحدة) كأعلى سلطة
سياسية في العراق و ج.ع.م ، فإن الوحدة لم تنجز ...
بصفتكم عضواً في (مجلس الرئاسة المشترك) ثم وزيراً
للخارجية وعضواً في القيادة المذكورة ، حيث تستطيع
مراقبة الأمور عن كثب في حينه .. ما هو في رأيكم ،
الطرف أو الأطراف التي تسببت في عدم إنجاز الوحدة؟

الجواب

٢ج٤

لم تكن عملية اقامة وحدة دستورية بين العراق ومصر عام ١٩٦٤ بالمهمة البسيطة

التي يمكن انجازها بين يوم وليلة كما يتصور المتحمسون / الآنية / انها عملية بناء ضخمة ومعقدة

وطويلة كما انها اذا تذكرنا البعد الجغرافي بين البلدين والموروث النفسي

الذي نجم عن المقاطعة / بعد عملية الانفصال يومذاك ... وكذلك الاختلافات

بين الشعبين في العراق ومصر في كل شيء تقريباً.

لقد كانت فكرة تكوين مجلس الرئاسة المشترك واستبداله بعد

لبضعة اشهر بالقيادة السياسية الموحدة بين القطرين من المحاولات التي تقصد بها

القيام بخطوات ونشاطات واعمال مشتركة تفيد في الوصول الى صيغة عملية لاقامة

وحدة دستورية متوازنة وناجحة في اطار المحكمة ... ولكنك لو رجعت الى

نصوص اتفاقية تكوين القيادة وامعنت في دراسة المهام والمسؤوليات التي اوكلت

اليها فانك ستجد ان المهام تلك كانت ضخمة جداً وواسعة وتستلزم

قبل انجازه تكوين تشكيلات عديدة وذات اختصاصات متنوعة

حتى تستطيع القيام بالدراسات والبحوث الشاملة والمفصلة في القطرين التي

تتطلبها العملية فعلاً ... ان تلك الاجهزة والتشكيلات التي سميت

في الاتفاقية بـ "الامانة المشتركة" لم تؤلف ابداً لان العملية منذ البداية

اصطدمت بمشكلة الصراعات والاحقاد ... في بين اعضاء القيادة في

الجانب العراقي ... ولهذه حالة لم تكن بالطبع لتشجع على اقامة وحدة ولا

حتى بحثها اصلاً كما اعتقد.

انت تعلم ولا شك ان القيادة العراقية حتى لو كانت متحدة فكرياً

ومنسجمة مع نفسها ومن نواياها فان عملية اقامة الوحدة كان لابد وان

تستغرق وقتاً طويلاً جداً بسبب الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي على انفرادها

الذي كان ليستحق القطرين كلاً/ا لهيك عن واخيراً ما يسمى (الجيوبولتك)

الذي يعني الاعتبارات السياسية والجغرافية والعسكرية الاقليمية والدولية

ويذكرنا التي انتهت بعد قليل بهزيمة ٥ حزيران ٩٦٧ كما تعلم

س ١: بصفتكم أحد كبار الضباط في منظمة الضباط الأحرار منذ عام ١٩٥٦، وقد اشتركتم في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بسيطرتكم على مدينة البصرة وما جاورها يوم الثورة.

هل ترون أنه كانت هناك ضرورة لقيام تلك الثورة التي أغرقت العراق في مشاكل عميقة لا زال يعاني منها؟

الجواب:

كانت ثورة تموز ١٩٥٨ ضرورة وطنية، ولو لم نقم بها (نحن) لقام بها غيرنا، فالنظام الملكي كان مرفوضاً، وكذلك كان القائمون على الحكم في العراق آنذاك.

وكانت (الفئة التي قصمت ظهر الحكم في العراق) هي موقف (نوري السعيد) أثناء العدوان الثلاثي على (مصر) عام ١٩٥٦ والذي وقف موقفاً سلبياً ضد (مصر) وأيد العدوان جهراً ~~بشكل واضح~~، ذلك الموقف الذي أجج شعور العراقيين لصالح الثورة، وأضحت الإطاحة بالنظام ضرورة ومطلباً ملحاً.

ومما يجدر ذكره أن الأنظمة العربية التي كانت متيالة أو سائرة مع الغرب ~~أو مع~~ لم تحاول أبداً الوقوف ضد التيار القومي لا بل انها استنكرت العدوان الثلاثي على عكس (نوري السعيد) الذي وقف مع العدوان، وهناك تفاصيل أخرى ذكرتها في مقابلة معي نشرت في (جريدة الجامعة) الصادرة يوم ١ أو ٢ آب ١٩٩٠ حول ثورة تموز ١٩٥٨.

لقد كانت الثورة مطلباً وطنياً وقومياً ملحاً وكانت لها أهداف خطيرة على رأسها التحرر من الجوانب الأجنبي وتحرير ثروات البلاد

١٢/٦/١٩٩

الملحق (٥)

« من أرشيف السيد ناجي طالب »

بكتابه « عبد السلام عارف .. كما رأيته »

ملحوظات حول التعديل الوزاري على وزارة طاهر يحيى

في تموز ١٩٦٥

تعقيباً على ما كتبه السيد عارف عبد الرزاق حول الازمة الوزارية التي نشأت اثر استقالة عبد الكريم فرحان من وزارة السيد طاهر يحيى اواخر حزيران ١٩٦٥ ، اضيف ، اني كنت في الجزائر حينما استقال عبد الكريم وسافر الى القاهرة ، وفي طريق عودتي من دمشق التقيت بعبد الكريم في فندق سميراميس في القاهرة يوم ١ تموز ، فاخبرني بالحادث الذي وقع بينه وبين رئيس الجمهورية عبد السلام عارف وادى الى الاستقالة ، فوجدته موضوعا بسيطا ، ولم يخطر في بالي ، انه سيحدث مثل تلك الضجة.

فالاستقالة لم تكن بسبب موقف سياسي في مجلس الوزراء او حول موضوع عام وانما بسبب (كما نعرف) موضوعا فرديا وشخصيا بحتا بينه وبين رئيس الجمهورية ، ولم يخبرني ان غيره استقال تضامنا معه .

عدت الى بغداد يوم ٤ تموز ليلاً وفي المطار علمت من بعض الاخوان ان هناك ازمة وزارية كبيرة سببها استقالة خمسة وزراء آخرين تضامنا مع عبد الكريم فرحان ، وفي ذات اليوم زارني عند منتصف الليل عزيزيا عارف عبد الرزاق و سعيد صليبي وبحثا معي موضوع الاشتراك في وزارة يؤلفها عارف عبد الرزاق ، ومن البديهي انني لم اكن استطيع الموافقة حالا على مثل هذا الاقتراح قبل ان افهم القضية والتقي برئيس الجمهورية ورئيس الوزراء اولا لان الوزارة كانت ما تزال تتحمل المسؤولية ورئيس الوزراء لم يتقدم باستقالة ، وعليه فان الحديث عن التعديل الوزاري كما عرض في وقته لم يكن له ما يبرره لانه لم يكن من اجل هدف سياسي ، ولهذا اقترحت ان نحاول اولاً تسوية القضية ان امكن باقناع المستقيلين بالعدول عن استقالاتهم ، فقال عارف ان عبد السلام لا يوافق على عودتهم ، فاجبت اذا وافق المستقيلون على سحب استقالاتهم ولم يوافق رئيس الجمهورية على عودتهم على الموضوع فاني سوف استقيل ايضا ، واتفقنا على ذلك .

في خلال ايام القليلة التالية ، ومن اتصالاتي اقتنعت بما يلي :

١ . ان عبد السلام كان يرغب في بقاء طاهر يحيى رئيسا للوزارة

٢ . ان الوزراء المستقيلين جميعهم لم يكونوا متحمسين بصورة لاستقالتهم او تضامنهم مع عبد الكريم ، كما ان عبد السلام لم يكن يرغب في عودتهم الى الوزارة باستثناء صبحي عبد الحميد .

٣ . ان عبد السلام لم يكن جادا في تكليف عارف بتشكيل الوزارة ، وانما كان يناور ليحد من نظرة عارف وصبحي التي كان الوزراء المستقيلين يتعاطفون معها او يحسبون عليها .

٤ . لم يكن لرئيس الوزراء طاهر يحيى رأي محدد ، ولم يحاول حل الازمة ، بل لم يكن لديه اي مانع في ذهاب المستقيلين او بقائهم .

ولما كنت اعتقد ان اهم وحدة الصفوف (في تلك الفترة التي تميزت بكثرة الكتل والقيادات والعهود الفردية) كان اساسيا من اجل حل مشاكل البلاد المهمة ، مثل الوضع في الشمال والعلاقات الخارجية ، وموضوع الانتقال الى الحياة النيابية (المكلفة به الوزارة في كتاب التكليف) اضافة الى حل بعض المشكلات المعاشية لذلك كنت اعتقد ان الحل الصحيح للازمة ليس هو (تبديل رئيس الوزراء) وانما الافضل هو عودة المستقيلين الى مراكزهم ان امكن ، خاصة وانهم جميعا لم يكونوا مؤمنين بصورة قطعية بالتضامن مع زميلهم المستقيل ولما كانت الازمة قد طالت اكثر مما يجب ، وبينما يوم ١٤ تموز يقترب ، لذلك اضطر عبد السلام ان يستدعي

رائه موافق على عودة المستقيلين اذا سحبوا استقالاتهم ، وقد اتفقت معه على ذلك ، وتم ترتيب لقاء لي بالمستقيلين في بيت عبد الستار علي الحسين في المليح ، وفي عين الوقت كان عبد السلام قد امر بعقد اجتماع لمجلس الدفاع يحضره ايضا قادة الفرق في وزارة الدفاع ، انتظارا لنتيجة هذه المحاولة الاخيرة لحل الازمة . ولا ادري لماذا اراد اجتماع مجلس الدفاع .

وفي بيت عبد الستار علي الحسين فوجئت بوجود صديق شنشل وامين هويدي سفير الجمهورية العربية المتحدة هناك مع بعض الوزراء المستقيلين وليس كلهم .. المهم انني تحدثت معهم طويلا حول ضرورة سحب الاستقالات ، وكان امين هويدي يؤيدني في كل ما عرضته خلال النقاش وكذلك فعل صديق شنشل .. ومن بين المقترحات اللطيفة التي قدمت وظلت في بالي اقتراح من احد المستقيلين مفاده ان اشكل انا الوزارة وسيكونون جميعهم (اي المستقيلين) على استعداد للتعاون معي ، لان طاهر يحي انتهى دوره ، ولما سألته (هل الخلاف هو بين طاهر يحي رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية ، ام هو بينكم وبين رئيس الجمهورية ؟ سكت) .

المهم ان جميع الحاضرين في النتيجة اقتنعوا بما عرضت ووافق الوزراء على سحب استقالاتهم حتى ان احدهم قال لي (انا اضمن ان فلان " الذي لم يكن حاضرا " يوافق على سحب استقالته ايضا) وعندئذ قلت انا مسرور جدا والان اتصل برئيس الجمهورية في وزارة الدفاع لاخبره بالنتيجة وطلبت من صاحب الدار ان يدلني على التلفون ، وبينما انا في طريقي الى هناك سمعت صديق شنشل يقول (ولكن سحب الاستقالة شيء مهين يا ابو طالب) واذا بالاخرين – عدا امين هويدي طبعاً – يتراجعون حالا ، وفشلت المحاولة الاخيرة هكذا ، واتذكر انني لمت السيد صديق كثيرا على هذه الملاحظة التي ابداها من غير داع .

عدت الى عبد السلام وكان معه طاهر يحي واخرين وقلت ان المحاولة فشلت ، واقترحت قبول الاستقالات واجراء تعديل بادخال وزراء جدد وقد تم ذلك في نفس اليوم ، وانتهت الازمة .

الملحق (ز)

مقابلة مع السيد العميد الركن المتقاعد هادي خماس

مدير الاستخبارات العسكرية الأسبق، عضو المجلس الوطني لقيادة الثورة

موعد المقابلة

الساعة العاشرة صباحاً وحتى الحادية عشرة يومي الثلاثاء ١٧ حزيران

والسبت ٢٨ حزيران ١٩٩٧ في دار سكناه بحي اليرموك (مدينة الضباط)

وقد كتب سيادته الإجابات بخط يده في الأيام بين المقابلتين مشكوراً.

س١: من المعروف إنك إشتركت في ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ ...

ما هو المنصب الذي شغلتموه خلال عام ١٩٦٣؟

الجواب

عند قيام ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ كنت مديراً للشعبة الثالثة في مديرية

الحركات العسكرية التي كان مديرها العقيد الركن صبحي عبد الحميد .. وبقيت

في هذا المنصب حتى قيام حركة ١٨ ت٢ ١٩٦٣

س٢: ومن المعلوم أيضاً أنك إشتركت في حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣

.. ماذا كان دوركم فيها؟ ومتى تسنمتم منصب مدير الاستخبارات العسكرية؟

وبأية دائرة في رئاسة أ.ح كانت الاستخبارات مرتبطة في حينه؟

الجواب

أ. دوري في ١٨ تشرين ١٩٦٣

لاحتلالها

رافقت السيد رئيس الجمهورية المرحوم عبد السلام عارف /.. وتقدمته للجمهور لصوق لمذياع

البيان الأول .. وتم بعده أذاعة البيان الأول مكرراً .. وبقية البيانات

ب. تاريخ تعييني بمنصب مدير إ.ع ومراقبات الكتائب .. والصولق.

عينت نقلية في ١٩٦٣/١١/٢٠ .. ثم نقلت لمنصب آمر لواء المدرع السادس في ١٩٦٤/١/١٧ .. ثم

عينت ثانية في ١٩٦٤/٤/١٦ مديراً للاستخبارات

ج. الارتباط

في دائرة الاركان العامة.

(٢٠٠)

هادي خماس
١٩٩٧/٦/٢١

س: متى فكرتم بتغيير نظام حكم (عبد السلام عارف) بالتنسيق مع رئيس الوزراء الجديد (عارف عبد الرزاق)، هل قبل تسنم الأخير رئاسة الوزراء في أوائل أيلول ١٩٦٥؟ أم بعد تسنمه المنصب؟ أم بعد سفر (عبد السلام) الى (المغرب) يوم ١٢ أيلول ١٩٦٥؟

الجواب

التفكير كان قائماً ... بتغيير نظام حكم عبد السلام محمد عارف قبل ان يتسنم عارف عبد الرزاق الحكم .. وقد استغلينا سفر عبد السلام محمد عارف الى المغرب يوم ١٢ ايلول ١٩٦٥ للتعجيل بالعملية - الا ان عارف لم يكن مستعجلاً في تغيير النظام خلال سفر عبد السلام محمد عارف .. لكن عبد السلام اعطاه قائمة باسماء ضباط طلب نقلهم خارج وحدات بغداد قبل عودته فما استشار عارف الكتلة ونقلوا عليه بعدم نقلهم .. وقالوا له انها اوراق مع سوء نية عبد السلام ونقلوا عليه بالقيام بالحركة واستجاب لهم

س ٩: هل كنت شخصيا تؤمن بضرورة إقصاء (عبد السلام عارف) من رئاسة الجمهورية؟ أم أن السيد (عارف عبد الرزاق) هو الذي قرر ذلك بحكم كونه رئيس الكتلة القومية؟

الجواب

نعم كنت أؤمن بضرورة اقصاء عبد السلام عارف من رئاسة الجمهورية .. وذلك لعوامل كثيرة اهمها

آ ... انحيازه نحو القطرية .. وعدم ايمانه بالحكم الجماعي

ب ... كان وحدويا بكلامه .. ولم يكن وحدويا بفعله

ج .. اتجه الى سياسة فرق تسد بين الضباط

د .. اكثر السلبيات /

هادي خماس

١٢/١٠/٥٨

(٢٦١)

س: هل لكم أن تتذكروا بشكل مختصر خطة الانقلاب؟

الجواب: لقد وضع العقيد الركن صبحي عبد الحميد خطة لتنحية عبد السلام محمد عارف وكالآتي:
١- يستدعي عارف عبد الرزاق كل من سعيد صليبي .. بشير الطالب .. عبد القادر إبراهيم الدلوي صباح ١٥ ايلول الى مكتبه في مجلس الوزراء ويعتقلون هناك.
٢- تنذر القطعات الموالية وتبقى في ثكناتها
الى دار الاذاعة
٣- يذهب عارف عبد الرزاق في الساعة الثانية عشر ظهراً الى الاذاعة مع عدد من الضباط .. ويذاع بيان بتنحية عبد السلام محمد عارف دون اشراك احد وجده .. ولكن هذه الخطة ابدلت وتقدم موعد الحركة الى الساعة ١٢ من ليلة ١٤/١٥ ايلول بعد نزول دبابات ابي غريب لاحتلال الاذاعة بتوجيه الضابط عارف عبد الرزاق الى الاذاعة لاذاعة البيان .. ولم يعرف لحد الآن من هو صاحب تبديل الخطة .. لأن هذا التبديل كان سبباً لفشل الحركة.

س٢: يقال إن اتصل أحد الضباط وذكر أن (المقدم الركن عبد الأمير الربيعي) قد اعتقل بعد فشله في تحريك دباباته؟ ومن كان ذلك الضابط؟ وهل صحيح أنه (عامر الحمدان)؟ وهل أنكر (عامر الحمدان) ذلك الاتصال بعدئذ؟

لم يكن الاتصال بعبد الأمير الربيعي .. بل كان الاتصال بي في مقر رئاسة الوزراء .. وأخبرني بأن عبد الأمير الربيعي فشل في احتلال معسكر ابي غريب .. وكان الاخبار كاذباً لا ذنباً .. أما من هو الذي اتصل بي ملتزماً فلا اعلم لحد الآن

هادي خماس

الملحق (ع)

مقابلة مع السيد اللواء الطيار الركن/ المتقاعد عرفان عبد الحالي السعدون

رئيس جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا الأسبق

موعد المقابلة :

من الساعة ١٨٣٠ – ٢٠٣٠ يوم الثلاثاء ٣ حزيران ١٩٩٧

في دار سكناه بمنطقة الضباط في حي المثنى.

س ١ : من المعروف لدينا أنك إشتركت شخصياً في القصف الجوي لمبنى (وزارة الدفاع) يوم ١٤ رمضان/ ٨ شباط ١٩٦٣ ، وكذلك في حركة ١٨ تشرين ١٩٦٣ .. هل صحيح ذلك؟

الجواب

كلا ، فأن الذي إشترك في قصف مبنى وزارة الدفاع خلال ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ هو إبن عمي وأخ زوجتي (الطيار فهد السعدون)، وقد كنت طالباً في كلية الأركان العسكرية أيام تلك الثورة.
ولم أشترك كذلك في حركة ١٨ تشرين ١٩٦٣ حيث لم تشترك طائرات القوة الجوية في حينها إلا بطائرتين قصفتا مبنى (قيادة الحرس القومي) في (الأعظمية).

تابع - حديث السؤال
العقيد الركن محمد السعدون

ذات الشرف في القيادة العراقية :

س٣ : هل كنتَ شخصياً آمراً لقاعدة الحبانية الجوية وكالة أيام أيلول ١٩٦٥ ؟ وكيف يكون ضابط برتبة (رائد ركن) في مثل هذا المنصب ؟

الجواب

نعم ، كنتُ فعلاً قائماً بواجبات آمر قاعدة الحبانية الجوية وكالة في تلك الأيام ، فبعد أن عملتُ مدرباً على طائرات (الهنتر) كما ذكرتُ آنفاً ، تعيّنتُ بمنصب آمر السرب السادس (الهنتر) عام ١٩٦٤ ، ولما كان منصب (آمر جناح الطيران) في تلك القاعدة شاغراً أصبحتُ بحكم القدم العسكري قائماً بوكالة منصب آمر الجناح ، وعندما سافر آمر القاعدة الأصلي (المقدم الطيار نعمة الدليمي) الى (بريطانيا) بمهمة رسمية ، أصبحتُ آمر تلك القاعدة بالوكالة .

س٤: هل كنت على علاقة شخصية مع السيد (عارف عبد الرزاق)؟ وهل كنت من المنتمين إلى حركة القوميين العرب، أو إلى كتلة الضباط القوميين في القوات المسلحة في حينه؟

الجواب

أ. نعم، فقد كنت على علاقة شخصية بـ(عارف عبد الرزاق)، حيث عملت بمعيته كضابط طيار صغير الرتبة والعمر بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عندما تسنم رتبة ((رئيس أول (رائد) طيار ركن)) آمراً للسرب السادس (هنتر) وتعلمت من شخصه وكفاءته ونمط تفكيره وقوة شخصيته وإرادته الكثير، وبقيت محباً له ومعجباً بجديته أثناء العمل وإنفتاحه على ضباطه بعد ساعات الدوام الرسمي، فظلت علاقاتي قائمة معه وزياراتي مستمرة له في جميع المناصب التي تسنمها والظروف السلبية التي مر بها.

ب. أما عن الشق الثاني، فإنني لم أنتم بشكل مطلق إلى (حركة القوميين العرب)، ولم أكن ضمن كتلة من الضباط في القوات المسلحة أو غيرها، ولكن توجهي كان قومياً ومؤيداً لقيام الوحدة بين العرب وخصوصاً مع (مصر) في حينه، ولذلك صُنفت على كتلة الضباط القوميين.

س٥: هل كنت على علم مسبق بالحركة الانقلابية التي حاول (عميد الجو الركن عارف عبد الرزاق) رئيس الوزراء القيام بها يوم الأربعاء ١٥ أيلول ١٩٦٥؟ ومع من كنت تنسق؟

الجواب

الحقيقة إنني لم أكن على علم مسبق بتلك الحركة، والذي حدث بالضبط هو كما يلي:

أ. كنت قد نزلت الى (بغداد) لأداء بعض المهام الرسمية خلال ساعات الدوام الرسمي ليوم الثلاثاء ١٤ أيلول ١٩٦٥، وعدت الى داري بحدود الساعة الواحدة ظهراً لتناول طعام الغداء قبل العودة الى (الحبانية)، حين إتصل بي هاتفياً العميد المهندس (منير حلمي) الذي كان قائماً بواجبات قائد القوة الجوية وكالة بعد تسنم (عارف عبد الرزاق) رئاسة الوزارة أوائل شهر أيلول ١٩٦٥، وقال: «أن السيد رئيس الوزراء يطلب حضورك شخصياً في مكتبه بمبنى المجلس الوطني».

ب. توجهت الى مكتب رئيس الوزراء فوراً، وبعد تهنئته بمنصبه الجديد وعبارات المجاملة الاعتيادية، طلب مني (عارف عبد الرزاق) أن أهيئ حوالي (٢٥ - ٣٠) طائرة مختلفة الأنواع للتحليق فوق (بغداد) بأسلوب (طيران تشكيل) حيث لا داعي لتسليح

الملحق (ح)

مقابلة مع السيد المقدم الطيار المتقاعد عدنان أمين خاكي

بين الساعة ١٨٠٠ - ٢١٠٠ مساء يوم الأربعاء ١٤ أيار ١٩٩٧

في دار سكناه ببغداد - حي اليرموك - المحلة ٦١٦ - زقاق ١٠ - د/٧

س: متى تخرجتم في كلية الطيران ؟

ج: إنتسبت الى (كلية الطيران العسكرية الملكية)، وهذا إسمها الرسمي خلال شهر تشرين أول ١٩٥٠، وتخرجت ضابط طيار، ومنحت (جناح الطيران)، وضعه على صدري الملك فيصل الثاني، يوم ٤ تموز ١٩٥٣ .. وقد تخرج معي كل من (حميد شعبان، نعمة الدليمي، خالد سارة، طه أحمد) وغيرهم.

وقد تدربنا في أول الأمر لأغراض (الطيران التعليمي الأساسي Basic على طائرة (تايكر ماوث) ذات الجناحين، ثم إنتقلنا الى (چيب ماسك / السنجاب) ذات الجناح الواحد، قبل أن نتدرب على الطائرة الأمريكية (هارفارد).

س: ومتى إنتسبت الى (الرف الملكي)؟

ج: الحقيقة أنني لم أنتسب الى (الرف الملكي)، بل الى (سرب المواصلات المؤلف من (رفين)، الرف الأول، مكون من (٣) طائرات (دوف) البريطانية والتي كانت تستخدم لنقل الأشخاص المهمين في القوات المسلحة

س : هل كنت تعلم بموضوع المحاولة الانقلابية قبل مغادرتكم (الرباط)

ج : نعم ، وقد علمت ذلك من ملحقنا العسكري في (الرباط) ، فقد اتصل بي (الملحق) بالساعة السادسة في الصباح المبكر ليوم الجمعة ١٧ / أيلول ، وذكر لي أنه يطلبني في دائرته وأنه سيرسل لي سيارته إلى (الفندق) لتقلني إلى السفارة...

رئيس الوزراء ونائب رئيس الجمهورية

وفي مكتبه ، قال لي أن (عارف عبد الرزاق) أحد حاول القيام بحركة إنقلابية ، وأنه فشل في ذلك ، وغادر (بغداد) مع مؤيديه ولجأ إلى (مصر) ، ومن المحتمل أن يعود (رئيس الجمهورية) اليوم (الجمعة) صباحاً إلى (بغداد) ، وطلب مني تهيئة الطائرة .

عدت إلى (الفندق) ، وأنذرت طاقم الطائرة ، وتوجهنا إلى مطار (الرباط) ، وهيأنا الطائرة ، إلا أن (عبد السلام) أجل مغادرته (الرباط) حتى مساء اليوم نفسه حيث أنهى مؤتمر القمة العربي الثالث جلسته الختامية .

س: لاحظتُ، وأنا في (حرس الشرف) الذي استقبل الرئيس (عبد السلام عارف) صبيحة نادال (بغداد)، أن الطائرة التي أقلته إلى (بغداد) كانت تابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة من طراز (كوميت ٤ سي) وليست الطائرة الرئاسية الجمهورية... فكيف حدث ذلك؟

ج: مثلما ذكرت قبل قليل، ثمانيتنا بقينا في (مطار القاهرة الدولي) طيلة نهار يوم السبت ١٨ أيلول، ولم أعرف الجهة التي توجه إليها (رئيس الجمهورية) مع كبار مستقبليه المصريين.

وعندما حل مساء ذلك اليوم، وفي الساعة الثامنة مساءً، سمعت من (إذاعة بغداد) أن (رئيس الجمهورية) قد وصل (بغداد) بالساعة الخامسة عصراً... وبعد أن استغربتُ من ذلك علمت أن (عبد السلام عارف) قد سافر من مطار (ألماظة) العسكري القريب من (القاهرة) بطائرة مدنية تابعة للخطوط الجوية العربية المتحدة بعد ظهر ذلك اليوم دون أن يبلغنا أحدٌ بذلك.. [illegible] أقلعنا من (القاهرة) ووصلنا (بغداد) في حدود منتصف الليل.

س: وثالث الأمور حصول حادث سقوط طائرة (عبد السلام عارف) خلال شهر نيسان ١٩٦٦ .. ثانية طائرة سافر (عبد السلام) من (بغداد) الى (البصرة) ؟

ج. كنت قائد الطائرة (TU 124) التابعة للرف الجمهوري، وقد نقلته مع بعض أعضاء الوفد المرافق له الى مطار (الشعيبة) صباح يوم الثلاثاء ١٢ نيسان ١٩٦٦، وعدت الى (بغداد) بعد ذلك مباشرة، على أن أعود الى (البصرة) بعد إنتهاء الزيارة.

س. هل كانت عودتك بالطائرة الى (بغداد) شيئاً طبيعياً ؟

ج. نعم، فلم تكن هنالك حاجة لأبقاء الطائرة في مجمدة في مطار البصرة لثلاثة أو أربعة أيام .. وكان ذلك التصرف إعتيادياً في كل سفرة داخل العراق.

س: هل كانت الطائرات السمتية الثلاث التي إستخدمها (عبد السلام) في تنقلاته بالبصرة تابعة للرف الجمهوري أيضاً ؟

ج. كلا، فالرف الجمهوري لم يكن يحوي طائرات سمتية، إنما كانت تخصص من (القوة الجوية) لمثل هذه الواجبات أثناء قيام (رئيس الجمهورية) أو كبار مسؤولي الدولة بزيارات للألوية (المحافظات)،

الملحق (ي)

تحدث لي (النقيب المتقاعد إحسان عارف آغا) - الذي شغل منصب المرافق
الشخصي لـ (عارف عبد الرزاق) منذ أصبح قائداً للقوة الجوية العراقية
(١٩٦٢ - ١٩٦٥) وكذلك بعد تسنمه منصب رئيس الوزراء - في
حديث عن محاولته الانقلابية (*)، وقال:-

أولاً:

((هناك جذور للمحاولة الانقلابية، فقد كان (عارف عبد الرزاق) العضو
في المجلس الوطني لقيادة الثورة تواقاً إلى (قيام) الوحدة مع (مصر)
يؤيده في ذلك أولئك التنظيم جماعة / المتحمسين معه إلى (حركة القوميين العرب) ؟
المؤيدة للرئيس (جمال عبد الناصر)، وهم كل من (عبد الكريم فرحان،
صبحي عبد الحميد، هادي خماس، رشيد محسن، عبد الأمير الربيعي) وغيرهم الكثير من
الضباط الكبار والصغار في القوات المسلحة وعدد آخر من الوزراء، وكبار موظفي الدولة
... ولما تباطأ الرئيس (عبد السلام محمد عارف) في البعض من خطوات
الوحدة، حسب رأي أولئك، ولم يرغب في تنفيذ جميع شروط الرئيس
(جمال عبد الناصر) حول الوحدة بين البلدين، امتعض (عارف عبد الرزاق

(*) مقابلة شخصية مع (الرائد المتقاعد إحسان عارف آغا) ظهيرة يوم الأربعاء
١٦ نيسان ١٩٩٧ بمدينة كركوك وبحضور (الأستاذ عبد المجيد حسن حمايل)
في محل الأقمشة الواقع بمنطقة (أحمد آغا) في وسط المدينة.

من صنف (الصاعقة والمظليين والمغاوير) من الذين إشتركوا بدورات في (مصر) سابقاً، وقد تجمّعوا في الطابق السفلي (القبو)، وكانوا مسلحين إما برشاشات أو مسدسات، وحلما إستفسرت عن إنتمائهم قيل لي «أنهم من جماعة العقيد الركن هادي خماس مدير الاستخبارات العسكرية، وأنهم سيستخدمون كمجموعات إقتحامية ضمن خطة محاولة إنقلابية!!»، (من اخبرك؟ ومن قال له؟ ان هذا القول غريب وهل يقوله شخص عادي ام مهم جداً له بالمحاولة بشكل تفصيلي؟)

(٣) وفي مساء يوم (١٥) أيلول ١٩٦٥، إستدعى (عارف عبد الرزاق) الحميد (سعيد صليبي) قائد موقع بغداد إلى مكتبه، وفاتحه أنه فاتحه حول الإنقلاب دون سفك دماء، وأوضح له أن كل شيء جاهز لإقصاء (عبد السلام عارف) من الحكم، فأبى أن يشترك بحجة أن ذلك يعتبر خيانة لشخص (عبد السلام) الذي وضع أمور البلاد بين أيديهم مدة سفره، وأن ضميره لا يمكن أن يسمح له بإقصاء (عبد السلام) من الحكم... وعلى الرغم من محاولات جدية جرت لإقناعه ودامت ساعات عديدة حتى لبعد منتصف الليل، إلّا أن (سعيد صليبي) أصرّ على رأيه بشدة.

(٤) وفي خضم تلك المناقشات كان العديد من آمري القواعد الجوية، ومنهم (المقدم الطيار نعمة الدليمي - آمر قاعدة كركوك، والنقيب الطيار الركن ممتاز السعدون - وكيل آمر قاعدة الحبانية)، وكذلك السفير المصري في بغداد (أمين هويدي «أبو هشام») يتصلون بي هاتفياً للإستفسار

(العقيد عرفان أمين) أقدم الضباط في القائمة المذكورة ، وكانت هناك
طائرة نقل عسكرية من طراز (آنتونوف ١٢ أوكرانينا) بقيادة (الآن الطيار لحم أحمد) أعيدت لنقل
قناني الأوكسجين كمساعدات لدولة (الجزائر) ، وهي التي أقلت الجميع
إلى (مطار القاهرة) ... وقبيل الصعود إلى الطائرة طلب (عارف عبد
الرزاق) مني العودة ، ولكني أبيت ذلك وفاءً للقائد الذي عملت
معه مرافقاً شخصياً مدة قاربت سنتين.

(٩) وفي (مطار القاهرة) كان في استقبال (عارف عبدالرزاق) قرب باب الطائرة / محمود الصابغ /
برتبة (مقدم) كان أحد المرافقين الشخصيين للرئيس (جمال عبدالناصر)
وقد بدا على وجوههم علامات العجب من وصول رئيس وزراء العراق
ورفاقه إلى (مصر) بطائرة نقل عسكرية من دون إخبار مسبق
ولكنه أتى بسيارات مدنية / عديدة أقلتهم إلى حيث لا أدري ..
وبعد استراحة دامت حوالي ثلاث ساعات في بهو المطار عدت
لوحدي مع الطيارين والفنيين إلى الطائرة التي عادت بنا إلى
(بغداد) مساءً.

الملحق (ث)

مقابلة مع السيدة (وفاء عبد السلام محمد عارف) - ((أم نادية))

بحضور زوجها (العقيد الطيار المتقاعد صلاح عبد السميع محمد عارف)

في مسكنهما الواقع ببغداد - مدينة اليرموك - المحلة ٦١٦ -

زقاق ٤ - رقم الدار ٤٦/١ - رقم الهاتف ٥٤٢١٤٤٤

يوم الثلاثاء ١ نيسان ١٩٩٧ مساءً من الساعة السادسة وحتى الثامنة

إستقبلتني مشكورة، في دارها الواقعة على الشارع العام الذي يوصل (محطة بنزين اليرموك) الى داخل المدينة، حيث كانت الدار تعج في الصباغون لطلاء الغرف، كانت صالتها ملأى بصور والدها (المشير الركن عبد السلام محمد عارف) في كل زواياها، ومن تلك التي لم يسبق لي رؤية معظمها، وبحضور زوجها (صلاح عبد السميع)، وكانت لي معها الأسئلة والأجابات التالية:

س: متى إقتنى (المرحوم الوالد) الدار التي كنتم ساكنيها في (الأعظمية) قريبة من (المقبرة الملكية) عام ١٩٦٤؟ ومتى سكنتموها؟

ج: إقتنى (والدي) الدار المذكورة عام ١٩٥٣، والتي سكناها لمدة حوالي سنتين قبل أن تخصص له دار سكن في معسكر (جلولاء) عندما أصبح آمراً للفوج الثالث لواء المشاة العشرين عام ١٩٥٥، وهناك تعرفنا على (الزعيم الركن) عبد الكريم قاسم آمر لواء المشاة التاسع عشر.

(١٣٤)

س : يقول (البعض) أن ثوار ١٤ رمضان قد نفذوا (الثورة) صبيحة يوم الجمعة ٨ شباط ١٩٦٣ ، وبعد نجاحها أرسلوا الى كلم الوالد وأجلسوه في منصب (رئيس الجمهورية) .. ما رأيكم في ذلك ؟

ج : لا أعرف فيما إذا كان (والدي) قد بُلِّغ بالثورة أم لم يبلغ قبل تنفيذها .. إلا أنني كنتُ ألاحظ أشخاصاً كثيرين من كبار المناوئين لحكم (عبدالكريم قاسم) كانوا يأتون الى بيتنا لزيارة (والدي) ، وكان بينه وبينهم كلام وحديث طويل لم نكن نسمعه ، ولا يطلعنا (الوالد) على تفاصيله .

إلا أن (والدي) لم يترك بيتنا صبيحة يوم ١٤ رمضان ١٩٦٣ إلا بحدود الساعة الثامنة صباحاً عندما حضر إليه شخص إسمه (عدنان القصاب) فاستقلا السيارة معاً دون أن يُعلمنا (الوالد) بأي شيء ، إلا أنه كان قد كتب (وصية) لنا وللوالدة لم نطلع عليها إلا بعد نجاح الثورة .. وذلك مما يدل على معرفة (الوالد) بالثورة قبل تنفيذها .

س : هل تعتقدين أن حادث سقوط طائرة (المرحوم الوالد) كان مجرد (قضاء وقدر) كما نصّ عليه البيان الرسمي الذي صدر بعد الحادث ، أم غير ذلك ؟

ج : كلا ، وبشكل مطلق ، بل أنه كان (مؤامرة) لقتله ، اشتركت فيها جهات عديدة ، مثل (الصهيونية والولايات المتحدة) وغيرهما من جهات غربية ، لكون والدي وطنياً وقومياً حارب الاستعمار والرجعية في المنطقة عموماً وليس في العراق فحسب.

وأن لدي حقائق ودلائل ربما سأكشفها مستقبلاً.

س : وهل بالإمكان تزويدي بصور للمرحوم الوالد ؟ حيث سأطبعها وأعيدها إليكم كاملة.

ج : لا توجد لدي سوى تلك الصور التي زودتُ للكاتب (أحمد فوزي) والذي نشرها في كتابه الموسوم بأسم والدي .. وقد خاب ظني به (أي بأحمد فوزي) لنشره عبارات وأحاديث ما أنزل الله بها من سلطان ، ولم أتفوه بها أو أذكرها بشكل مطلق ، وقد شوّه الكثير مما ذكرته له أثناء مقابلته لي ، وقد قابلته كثيراً في مكتبته بـ(حي الجامعة) قبل وفاته بـ(السرطان) بأسبوع واحد.

السيرة الذاتية للمؤلف

الدكتور صبحي ناظم توفيق (عميد ركن متقاعد)

السيرة الذاتية والعلمية لغاية شباط ٢٠١٠

نبذة عن سيرته الذاتية والعلمية

✵ وُلِدَ في "كركوك"(١٩٤٣)، وتخرَّج في ثانويّتها(١٩٦١)، ثم في الكلية العسكرية(١٩٦٤)، وأُنتُخِبَ ضابطاً للحرس الجمهوريّ وخدم في فوجه الأول بعهد "الرئيس عبد السلام محمد عارف"(١٩٦٤- ١٩٦٦).

✵ شارك في حركات الشمال(١٩٦٦-١٩٦٧)، ثم في حرب حزيران(١٩٦٧)، ورابط على الجبهتين الاردنية والسورية(١٩٦٧-١٩٧١).

✵ حَصَلَ على شهادة (ماجستير) بالعلوم العسكرية في كلية الاركان والقيادة العراقية (١٩٧٣-١٩٧٤).

✵ عمل في مناصب ركن مختلفة في ألوية وفرق الجيش، وآمر فوج مشاة آلي(١٩٧٦-١٩٧٧)، ثم بوزارة الدفاع في مديريتَيّ الحركات العسكرية والتدريب العسكري(١٩٧٨- ١٩٨٠).

✵ حصل على شهادة الطيران الخصوصي(١٩٨٠)، وسَجَّلَ(٣٠٠) ساعة طيران.

✵ قاد لواء مشاة لثلاث مرّات في الحرب مع "إيران" وشغل مناصب ركن مختلفة بمقرات الفرق والفيالق(١٩٨٠-١٩٨٢).

✵ نُقِلَ مدرساً في كلية القيادة(١٩٨٣) ثم مديراً للإيفادات والدورات الخارجية بوزارة الدفاع(١٩٨٤- ١٩٨٨).

* حاضَرَ في كليات الأركان والحرب والدفاع الوطني، وأشرف على العديد من أطاريح طلاّبها(١٩٨٣-٢٠٠٣).

* مثّل القوات المسلحة ضمن وفود رسمية إلى "إيران، آلمانيا، اليمن الشمالية، مصر، الأردن، الإتحاد السوفيتي، تشاد".

* ترفّع لرتبة "عميد ركن"(١٩٨٤)... وأُحيل على التقاعد(١٩٨٨)، وتفرّغ للكتابة العسكرية والإستراتيجية والسياسيّة وإلقاء المحاضرات وإعداد البحوث وتأليف الكتب.

* حَصَلَ على شهادة "الدكتوراه في التأريخ العربي-الإسلامي"(١٩٩٢-١٩٩٥) بإشراف"الأستاذ الدكتورعماد عبد السلام رؤوف" وبدرجة "جيد جداً".

* أُنتُخِبَ عضواً باللجنة الوثائقية الدائمية في "بيت الحكمة"(١٩٩٩-٢٠٠١).

* عَمِلَ "عضواً مساعداً بمجلس الحكم الإنتقالي"(أيلول-ت١ ٢٠٠٣)، وإستقال من منصبه.

* شغل منصب "مستشار" في هيأة إعادة تشكيل وزارة الدفاع العراقية (ك١ ٢٠٠٣ – نيسان٢٠٠٤) وتَرَكَ العمل فيها.

* عُيِّنَ بدرجة "مدير عام" بمكتب نائب رئيس الوزراء "عبد مطلك حمود الجبوري"، وعمل معه مستشاراً للشؤون الإستراتيجية والسياسية(أيار٢٠٠٥-تموز٢٠٠٦).

* طلب إحالته على التقاعد فتمّ ذلك في(آب ٢٠٠٦)... وهاجر إلى "الأردن" ثم إلى "سوريا" وتفرّغ للكتابة والتأليف.

* مثَّلَ العراق والتركمان وجامعة بغداد في العشرات من المؤتمرات والندوات وإلقاء محاضرات وتعقيبات ومُداخلات لدى الجامعات ومراكز الدراسات ومقرات الكتل السياسية الجديدة داخل الوطن وخارجه(مصر، الأردن، الولايات المتحدة، روسيا الإتحادية، سوريا، تركيا).

* دُعِيَ لمؤتمر "حوار الحضارات" المنعقد في مدينة "بطرسبورغ/روسيا

الإتحادية" (ت٢ ٢٠٠٧)، وكُلِّفَ بإلقاء محاضرة عن "صراع الأديان عبر التأريخ" أمام المؤتمِرين... وخلال(٢٠٠٩) دُعِيَ لمؤتمرَين في "تركيا"، الأول في "إستانبول" عن "الإعلام التركماني"، والثاني في "آنطاكيا" عن "العلاقات والعمل المشترك بين تركيا والشرق الأوسط" وألقى أثناءه محاضرة عن "العلاقات التركية-العراقية خلال قرن مضى".

كتبه ومؤلفاته

★ أصدر خلال خدمته في وزارة الدفاع في عقد الثمانينيّات الكتب الستّة الآتية وعلى نفقته الخاصة :-

١. أحدث الطائرات الحربية في العالم.
٢. الطيران البحري وحاملات الطائرات.
٣. الطائرات السمتية في العالم.
٤. طائرات النقل العسكري في العالم.
٥. اليابان في الحرب العالمية الثانية.
٦. الصواريخ أرض – أرض.

★ بعد حصوله على "الدكتوراه" أصدر له "بيت الحكمة" (٦) كتب وثائقية خلال الفترة من (٢٠٠٠- ٢٠٠٣):-

١. مواقف "تركيا" من قضية فلسطين.
٢. تركيا والتحالفات السياسية.
٣. الميثاق البلقاني ومعاهدة "مونترو".
٤. الحلف البلقاني والمعاهدة البريطانية-الفرنسية-التركية.
٥. الحلف الاطلسي وحلف بغداد.
٦. أوضاع الوطن العربي وقضاياه.

كتابه ((السابع عشر)) والأخير

صدر له في "لندن" خلال شهر (حزيران ٢٠٠٧) كتابه((السابع عــشر))، والموسوم "الرئيس عبد السلام محمد عارف...كما رأيته"(١٩٦٤-١٩٦٦)، وقد نشرته "دار الحكمة- لندن 88 Chalton Street , London , NW1 1HJ".

تراجمه من الإنكليزية

نَقَلَ إلى اللغة العربية الكتابين الآتيين لــصالح وزارة الــدفاع العراقيــة، ونُشرا ضمن "التداول المحدود":-

١. القوة الجوية للمملكة العربية السعودية.

٢. "قوة دلتا"- القوة الخاصة التي كُلِّفَتْ بقيادة "العقيــد بيكويــث" بمهمّــة تخليص رهائن السفارةالامريكية في"طهران"(١٩٨٠).

٣. بعضاً من البحوث والدراسات الإستراتيجية والعسكرية.

تراجمه من التركية القديمة والحديثة

★ شارك في نقل الكتاب الموسوم "حملة السلطان سليمان القــانوني علــى العراق" (١٥٣٣-١٥٣٥) من اللغة التركية القديمة (العثمانية)، ونُشِرَ فــي دولــة الإمارات العربية.

★ نَقَلَ الى العربية البحوث الآتية لصالح "بيت الحكمة":-

١. حملة السُوَيْس والتلاحم مع الإنكليز في "بغداد"(١٩١٦- ١٩١٧).

٢. "بغداد" في كتاب الرحالة التركي "أَوْلِيا جلَبي".

٣. حدائق بغداد في القرون الوسطى.

٤. معمل الورق الذي أُنشِئ ببغداد عام ٧٩٤ هــ.

٥. حملة السلطان "مراد الرابع" على "بغداد".

٦. إستحضارات الجيش العثماني للحملة على "بغداد".

٧. جغرافية أقطار التُرك.
٨. دولتَي الخروف الأسود والخروف الأبيض .
٩. تأريخ التُرك والتشكيلات الإسلامية الأولى.
١٠. دول التُرك الإسلامية وتشكيلاتها الإدارية.

مشاريع كتب جديدة

١. "العراق تحت ظلال البعث (١٩٦٨-٢٠٠٣) في يوميّات ضابط ركن وأستاذ جامعي وخبير إستراتيجي عراقي".
٢. "حرب الخليج الثانية(١٩٩١) في يوميّات ضابط ركن عراقي".
٣. "إنهيار نظام صدام حسين(٢٠٠٣) في يوميّات ضابط ركن عراقي".
٤. "نظرة جديدة على اليابان خلال الحرب العالمية الثانية"(١٩٤١-١٩٤٥).

بحوثه ومقالاته ودراساته المنشورة

✸ بلغ ما نُشِرَ له في الصحف والمجلات والدوريات المختلفة العراقية والمصرية والتركية والأمريكية والأردنية ما لا يقل عن (٣٠٠) بحث ودراسة ومقالة.

✸ إستَضافَتْهُ القنوات الفضائية العربية والعالمية والإذاعات(SAWA, BBC والإيطالية) أكثر من(٣٠٠) مرّة خلال السنوات(٢٠٠٣-٢٠١٠).

مؤسسات خدم فيها

١. مُدرّس مدافع الهاون وتعبئتها في مدرسة المشاة (١٩٧١- ١٩٧٣).
٢. مُدرّس في كلية القيادة - جناح الضباط الأقدمين (١٩٨٢- ١٩٨٣).
٣. حاضرَ في (كليّة الأركان، كليّة الحرب، كليّة الدفاع الوطني، إتّحاد المؤرّخين العرب، معهد التأريخ العربي للدراسات العليا، كلية التربية-جامعة بغداد، كلية التربية- جامعة القادسية، مركز الدراسات التركيّة-جامعة الموصل،

ديوان آل محي الدين، مكتبة الحاج حمدي الأعظمي، بيت الحكمة، مقرّات بعض الأحزاب والكيانات السياسيّة والمُنتَديات الثقافية).

٤. مُصَحِّح لُغَويّ في "جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا"، و"إتحاد المؤرّخين العرب".

٥. عضو اللجنة الوثائقية الدائمية في "بيت الحكمة"(١٩٩٩- ٢٠٠١).

٦. عضو مساعد في "مجلس الحكم الإنتقالي"(٢٠٠٣).

٧. إستشاريّ في هيئة إعادة تشكيل وزارة الدفاع العراقية الجديدة(٢٠٠٤).

٨. خبير إستراتيجي في مركز الدراسات الدولية – جامعة بغداد (٢٠٠١-٢٠٠٥).

٩. مدير عام بمكتب نائب رئيس الوزراء السيد"عبد مطلك حمود الجبوري"(٢٠٠٥-٢٠٠٦).

عضويته في المنظّمات الثقافية

١. إتّحاد المُؤرِّخين العرب (١٩٩٢)...

٢. إتّحاد الكتاب والأدباء (١٩٩٣)...

٣. جمعية المُؤرّخين والآثاريّين(٢٠٠٢) .

٤. نادي بن فرناس الجوي للطيران(١٩٧٩)...

٥. رابطة المؤرخين العراقيين(٢٠٠٣)...

٦. رابطة الكتاب والأدباء العراقيين (٢٠٠٣)...

٧. عضو الهيئة التأسيسية لـ"المجلس العراقيّ للثقافة" في"عمّان"(٢٠٠٧) ...

٨. عضو الجمعية العالمية للمترجمين واللغويين العرب.

إستقلاليّته عن الأحزاب والحركات السياسية

★ لم ينتمِ إلى أي حزب أو حركة سياسيّة حتى الآن.

نشاطاته خارج العراق

١ . المُفاوضات مع حكومة "شاه إيران" لإكمال ذيول إتفاقية الجزائر (١٩٧٨).

٢ . زيارة مُؤسّسات جيش "آلمانيا الغربية" (١٩٧٩).

٣ . إعادة تنظيم المُؤسّسات العسكرية العُليا في القوات المسلحة اليمنية الشمالية (١٩٨٤).

٤ . زيارة مُؤسّسات القوات الخاصّة المصرية (١٩٨٤ – ١٩٨٦).

٥ . تطوير المُؤسّسات التدريبية العُليا لدى القوات المسلّحة الأردنية (١٩٨٦).

٦ . حضور المُناورات الكُبرى للفرق المظلّية والقوات الخاصة السوفيتية (١٩٨٦).

٧ . تنظيم الجيش التشادي (١٩٨٧).

٨ . المشاركة بدورتين قصيرتين بجامعة الدفاع الوطني الامريكية (N.D.U) (٢٠٠٤).

٩. المُساهمة بمؤتمرات وندوات خاصة عن"واقع العراق ومستقبله" بمراكز دراسات إستراتيجية مُتنوِّعة في كلّ من"القاهرة، إستانبول، عمّان، سانت بطرسبورغ/روسيا الإتحادية، آنطاكيا".

١٠. مقابلات صحافية مع"واشنطن بوست، كريستيان ساينس مونيتر، الدستور والرأي الأردنيتين، الوطن السورية".

اللُغات التي يلّم بها

١. العربية الفصحى بمستوى "مُصحِّح لُغوي".

٢. التُركيّة القديمة (العثمانية).

٣. التُركيّة الحديثة (بالأحرف اللاتينية).

٤. الإنكليزية.

نشاطاته الأخرى

١. خبير إستراتيجي وعسكري في مركز الدراسات الدولية–جامعة بغداد.

٢. خبير إستراتيجي ومحلّل عسكريّ في القنوات الفضائية "العراقية، أبو ظبي، الكُوَيت، LBC ، دُبَي، العربية، الدِيار، الحُرّة، الشَرقيّة، بغداد، البغداديّة، الرافدَين، BBC، الساعة، الحدث"... والإذاعات العالمية(BBC، ساوا، والإيطالية).

أهم البحوث والدراسات والمقالات التي نُشِرَتْ له منذ(٢٠٠٢)

١- دور تركيا العسكريّ المُحتمل في الحرب المُتوقَّعة على العراق (تشرين أول ٢٠٠٢).

٢- أدوار"تركيا" الإستراتيجية بعد إنتهاء الحرب الباردة (كانون ثاني ٢٠٠٣).

٣- دور"اليابان" الاستراتيجيّ في مناطق شرقيّ آسيا(آذار٢٠٠٣).

٤- الحرب على العراق– أسلحة الطرفين المُتصارِعَين(أيار ٢٠٠٣).

٥- الحرب على العراق– تقدير الموقف الاستراتيجيّ للطرفين (حزيران ٢٠٠٣).

٦- الحرب على العراق– سَير العمليات العسكرية (تموز ٢٠٠٣).

٧- أسلحة التدمير الشامل العراقية – الذريعة والحقائق (أيلول ٢٠٠٣).

٨- قوات تركية لحفظ الأمن في العراق ــ المُعضِلات والاحتمالات (تشرين أول ٢٠٠٣).

٩- القوة المُفرَطة والعُنف والارهاب في العالم (تشرين ثاني ٢٠٠٣).

١٠- السُلوك الأمريكي في العراق (كانون أوّل ٢٠٠٣).

١١- تركيا وأحداث العراق الأخيرة (كانون أول ٢٠٠٣).

١٢- أفكار حول تطوير القادة العسكريين العراقيين الأقدمين (كانون ثاني ٢٠٠٤).

١٣- أخطاء الأمريكيين بعد دخولهم العراق (شباط ٢٠٠٤).
١٤- الساحة العراقية والتأثيرات الخارجية (شباط ٢٠٠٤).
١٥- الأحزاب الشيعيّة المؤثرة في العراق (آذار ٢٠٠٤).
١٦- قوات إسلامية - عربية لحفظ الأمن في العراق (نيسان ٢٠٠٤).
١٧- (F-٣٥)... أحدث طائرة (شبح) أمريكية(أيار ٢٠٠٤).
١٨- العمليات العسكرية الكبرى على "الفَلّوجة، سامرّاء، مدينة الصدر" (تشرين أول ٢٠٠٤).
١٩- عودة الفرقة(٨٢)الأمريكية المحمولة جواً إلى الساحة العراقية... الحقائق والإحتمالات (كانون أول ٢٠٠٤).
٢٠- الآثار الإستراتيجية للوجود الأمريكي في العراق على تركيا (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢١- الإنتخابات المُزمعة في"العراق الجديد"... حيرة الإجراء والتأجيل (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٢- مؤتمر"شرم الشيخ" وأمن حدود العراق (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٣- هل العراق صاعد نحو الهاوية؟ (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٤- المُقاومة العراقيّة والعمليّات المسلّحة... الخلفيات والأبعاد (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٥- العراق المُعاصر وتحالفاته السياسية (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٦- العراق والإدارة الأمريكية المُنتَخَبة (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٧- العراق ومُعوّقات التحَوّل نحو الديمقراطية(كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٨- لمحة تأريخية عن القوى الإجتماعية وتأثيراتها على العراق الحديث والمُعاصر (كانون الثاني ٢٠٠٥).
٢٩- الوجود الأمريكي في العراق... رؤية نحو المستقبل (شباط ٢٠٠٥).
٣٠- دولتا الخروف الأبيض والخروف الأسود (شباط ٢٠٠٥).
٣١- الجمعية الوطنية العراقية المنتخبة... طروحات من باب التَمَنّي (شباط ٢٠٠٥).

٣٢- العراق العظيم يتحدّى الصعاب في اليوم العظيم (شباط ٢٠٠٥).
٣٣- إغتيال "رفيق الحريري"... من وراءَه؟ (شباط ٢٠٠٥).
٣٤- ذكرى الحرب الأمريكية على العراق... النصر العسكري السريع وأسبابه (آذار ٢٠٠٥).
٣٥- مشروع قوات إسلامية لحفظ الأمن في العراق... الحقائق والإحتمالات (آذار ٢٠٠٥).
٣٦- الأحلاف والمعاهدات في خدمة السياسات القومية للدول... الواقع العراقي (آذار ٢٠٠٥).
٣٧- حلف شمالي الأطلسي يعاون العراق عسكرياً (آذار ٢٠٠٥).
٣٨- آليات ضبط الحدود الدولية (آذار ٢٠٠٥).
٣٩- الأكراد والعراق وتركيا (نيسان ٢٠٠٥).
٤٠- دور تركيا وإيران حيال النظام السياسي المرتقب في العراق(نيسان ٢٠٠٥).
٤١- التركمان العراقيون... الواقع والرؤى (نيسان ٢٠٠٥).
٤٢- إخفاق التركمان في إنتخابات العراق(آيار ٢٠٠٥).
٤٣- "كركوك والمناطق المُختَلَف عليها"(ك١ ٢٠٠٦).

مالا يقل عن (٧٠) دراسة وبحث ومقالة -يطول ذكرها- نُشرَتْ له بالصحف والمجلات والدوريات خلال الفترة من (حزيرانَ ٢٠٠٥ حتى نهاية عام (٢٠٠٩)، وأهمّها:-

- لا خير في أمةٍ لا تقدّس جيشها.
- يا ساسة العراق... أمسكوا زمام الحكم أولاً ثم توكلوا على الله.
- رسالة خاصّة إلى كلّ عراقيّ أصيل يعنيه حال وطنه ومستقبل أولاده.
- قوات عربية وإسلامية لحفظ الأمن في العراق.
- إعدام "صدّام حسين "... رؤية مثقف متواضع؟؟
- زرع الأمريكيون في العراق شراً... فحصدوا وحصدنا!!!

- العمليات العسكريّة التركيّة في شماليّ العراق... الطموح وواقع الحال.
- حرب أمريكية على "إيران"... هل باتت وشيكة؟؟
- خطة جديدة لأمن بغداد الجريحة... خطة تتلو خطة، والمحصلّة تحت الصفر.
- "دونالد رامسفيلد" كبش الفداء الأول.
- "روسيا الإتحادية"... هل تعود قطباً عالمياً ثانياً؟؟؟
- الفريق أوّل الركن عبد الجبار خليل شنشل... ذكريات في يوميات.
- الإتفاقية الإستراتيجية العراقية-الأمريكية المُزمَعة... ما لها، وما عليها.
- الإنسحاب الأمريكي ومسؤوليات العراق في قادم الأيام.
- النموذج الأمريكي للعراق الذي لم يتحقّق.
- "أفغانستان والعراق" ومضاعفة القوات الأمريكية.
- عودة "فرنسا" عسكرياً إلى "ناتو"... ماذا تعني؟؟
- قادة في الأمام... وآخرون في ((جحور))!!؟؟
- "روسيا الإتحادية"... هل تعود قطباً عالمياً ثانياً؟؟؟
- أحداث "مومبَي" ونُذُر حرب بين الهند وباكستان.
- مضاعفة القوات الأمريكية في "أفغانستان"... هل من جدوىً؟؟!!
- "أوباما" الحائر نحو "أفغانستان".
- رائحة "فييتنام" تفوح من "أفغانستان".
- مشروع دستور كردستان العراق... الواقع والمنطق.
- باكستان المفجوعة بالإرهاب... إلى أين؟؟؟!!!
- تصاعد التفجيرات في العراق... من وراءه؟؟؟
- "آخر الدواء الكَيّ" لمعضلة العراق العصيبة.
- أيها المحاربون التركمان.... لا تبخلوا بمذكراتكم.
- رؤيـــة إستشرافية مبكّرة نحو الإنتخابات العراقيـــة.

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

العنوان **الصفحة**

الفصل الأول

عبد السلام محمد عارف في حياته الخاصة

الفصل الثاني:

عبد السلام محمد عارف في إدارته للدولة

الفصل الثالث

عبد السلام محمد عارف والإرهاصات السياسية

الفصل الرابع
عبد السلام محمد عارف والمحاولة الإنقلابية الأخطر

الفصل الخامس

مصرع عبد السلام محمد عارف

الطبعة الثانية ٢٠١٠

٢٠٠٠ نسخة

دار تالة للنشر والتوزيع

دمشق – مزة جبل – جانب الحاجز العسكري

البريد الإلكتروني: dartala2008@yahoo.com

هاتف: ٠٠٩٦٣٩٣٣٨٨٧٢١١

الإخراج الفني: ميلاد مصطفى

الغـــلاف: محمد مســـالمة

لم يكتف المؤلف في كتابه هذا بمجرد ذكر مشاهداته لمجريات حياة (عبدالسلام) كما قد يبدو للقارئ من عنوان الكتاب، ولكنه جاء ليغطي وبعمق العديد من أحداث سنتين حبليين من تأريخ العراق المعاصر ، وقد أثارت تلك الأحداث في نفسي الرغبة في أن أضيف إليهاو باختصار شديد ، بعض الخواطر و الانطباعات التي أراها ذات فائدة للدارسين .

إن الصراع الذي طغى على المسرح السياسي في بلادنا خلال حقبة الستينيات من القرن الماضي بين القوى السياسية التي تداولت الحكم ، كان في حقيقته تنافسا على السلطة وتشبثا بالحكم ، لم تجن البلاد من ورائه غير المتاعب والدمار والضياع الذي نعانيه اليوم .

٢٥ / ٣ / ٢٠٠٥

ناجي طالب

رئيس وزراء العراق (١٩٦٦ - ١٩٦٧)

تصميم
محمد المسالمة
Mohammad Al Masalmah

طبعة ثانية
منقحة ومزيدة

